

# اليهود تحت حكم المسلمين فى الأندلس

دكتور

خالد يونس عبد العزيز الخالدي



## بطاقة فهرسة

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس

المؤلف : د. خالد يونس عبد العزيز الخالدي

رقم الإيداع :

الطبعة الأولى 2012



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل  
ش ٣٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko\_5@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٨) إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١﴾

[الممتحنة]

## الإهداء

إلى المؤمنين الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى  
نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً.

إلى المجاهدين في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، الظاهرين على الحق،  
القاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله.

## تقديم

بقلم: أ.د. عماد الدين خليل

للهولة الأولى، وعندما يجد المرء نفسه قبالة هذا الحشد الكثيف من الوقائع والتوثيقات التي تنطوي عليها هذه الرسالة، يتساءل أين كان الباحثون عبر هذا المدى الزمني المتطاول من عمر الدراسات العليا والبحث العلمي في التاريخ الإسلامي، ولماذا لم يولوا هذه الحلقة المهمة في تاريخنا ما تستحقه من اهتمام؟!

ولعل من حسن حظ الأخ خالد الخالدي أن يكون الباحث الذي يملأ الفراغ، وأن يحدثنا بالرصانة العلمية وفق شروطها كافة، عن وضع اليهود في الأندلس عبر القرون الثمانية التي أتيح للمسلمين أن يحكموا هذه الأرض الأوربية، لكي يرى «الآخر» بما في ذلك «اليهودي» نفسه الذي يجلدنا في فلسطين وخارج فلسطين، منذ أكثر من خمسين عاماً، ما هو الفارق بين أمة تتلقى كلمات الله وتعاليم رسوله ﷺ فتتفذه في واقع الحياة، مع ذات نفسها، ومع مخالفيها في الدين والعقيدة أياً كانوا، وبين فئة خرجت عن طاعة الله سبحانه، وانحرفت بها السبل عن تعاليم رسله الكرام «عليهم السلام»، فجعلت من نفسها حكماً على «الآخر»، وتعاملت معه بأشد صيغ الخصومة والعداء، حقداً وكراهية ورغبة في الأذى والاستعباد والنفي والمصادرة.

إن قيمة التاريخ تكمن ها هنا بالدرجة الأولى، بما أنه تحقق في الزمن والمكان: إنه يمنح العقائد والمذاهب مصداقيتها، أو يجردها منها!.

ها هنا، عبر التاريخ الإسلامي في الأندلس، وفي تلك الحلقة المدهشة والمحرزة من هذا التاريخ، يحشد الباحث مئات الصفحات المترعة بالمعطيات والخبرات الموثقة، لكي يجيب عن هذا السؤال: كيف كان وضع اليهود في بيئة أتيح للمسلمين أن يتولوا فيها زمام السلطان؟ وكيف كانت حياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والثقافية تشق طريقها، فيما يزيد عن القرون الثمانية؟

وبصبر وأناة، وقدرة علمية على لمّ الشواهد والروايات الخاصة بالموضوع، والتعامل معها تحليلاً وتركيباً ومقارنة ونقداً، يتابع الباحث مهمته في ضوء «خطة» محكمة عرف كيف يغطي بمحاولها ومفرداتها كافة المطالب الأساسية للموضوع، حيث تناول اليهود في إسبانيا قبل الفتح الإسلامي، والاستقرار اليهودي في الأندلس، وتعاملهم مع السلطة، وحياتهم الاجتماعية، وتنظيماتهم الإدارية والاقتصادية والثقافية، مع مقدمة تضمنت تحليلاً قيماً للمصادر والمراجع، وخاتمة خلص فيها إلى نتائج بحثه الشامل هذا، التي كان من أبرزها ولا ريب: أن الفتح الإسلامي للأندلس كان مخلصاً لليهود، ومنقذاً لهم من العبودية والانقراض، وأن المسلمين سمحوا لليهود بالسكن في المدن الأندلسية بعد أن حرّمهم القوط من ذلك، وساووهم بأبناء القبائل العربية، وأن العهود التي التزم فيها الحكام بالمنهج الإسلامي في التعامل مع اليهود والتزم فيها اليهود بشروط عقد الذمة، شهدت هدوءاً، وعلاقات طبيعية بين اليهود والسلطة، وبين اليهود والمسلمين عموماً، وأن المسلمين سمحوا لليهود الذين حصلوا على مناصب مهمة في بعض العهود، بالإفادة من مناصبهم، في خدمة اليهود داخل وخارج الأندلس، وأن يهود الأندلس لم يقدروا إحسان المسلمين إليهم، وكانوا يشاركون النصارى الإسبان في التكيل بمسلمي المدن الأندلسية المحتلة، ويدعمونهم بالمال في حربهم ضد مسلمي الأندلس، ويشاركون في القتال معهم في بعض الأحيان، وأن مسلمي الأندلس كانت لهم علاقات اجتماعية طبيعية باليهود، وقد أحسنوا إليهم وأنصفوهم بالرغم من علمهم بسوء طبائعهم، وشدة عدائهم للمسلمين؛ وذلك لأن دينهم يأمرهم بالإحسان إلى اليهود عندما يكونوا تحت حكمهم وفي ذمتهم، وأنه كان لليهود الأندلس تنظيماتهم الدينية والقضائية الخاصة، وأنشطتهم الاقتصادية المتنوعة، وممارساتهم الثقافية التي تأثرت بالفكر الإسلامي، وساعدت بدورها على نقل ثقافة وفكر وعلوم المسلمين إلى أوروبا التي أقامت عليها نهضتها العلمية الحديثة.

لقد كتب الكثير عن تعامل المسلم مع الآخر عبر رحلة الأربعة عشر قرناً التي اجتازها الإسلام في جغرافية العالم القديم، وكلنا يذكر على سبيل المثال كتاب المستشرق البريطاني السير توماس آرنولد «الدعوة إلى الإسلام» الذي غطى الكثير من مفردات الظاهرة في الزمان والمكان، وكان بحق واحداً من أكثر البحوث الاستشراقية موضوعية وإنصافاً رغم بعض المآخذ العلمية التي قد توجه إليه.

ولكن تبقى الحاجة ماسة إلى اثنتين.. أولاها : أن يكتب المسلمون بأنفسهم تاريخهم، فهم- ولا ريب- الأقدر على مقارنة الحقائق وإدراك دلالاتها ومغزاها، وثانيتهما : أن ينصرف كل باحث إلى بيئة أو فترة محددة لكي يتمكن من السيطرة أكثر على المادة التاريخية، وينفذ بالتالي دراسة معمقة للموضوع الذي يتعامل معه.

وبالتأكيد فإن جملة البحوث التي ستمخض عن هذه المحاولات ستغذي المكتبة التاريخية، والمعنيين بالتاريخ الإسلامي، بدراسات في غاية الأهمية عن موضوع التعامل بين المسلم والآخر، أو بعبارة أخرى بين الغالب والمغلوب.

ولقد كان من حظ الخالدي، أن يكون واحداً ممن وضعوا لبنة ذات ثقل ملحوظ في هذا السياق، برسالته التي تستحق كل تقدير.

وقبل أيام فحسب أنجزت قراءة كتاب «حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية» للدكتور/ صلاح الخالدي، الذي عرف كيف يتعامل مع المعطى القرآني المعجز عن فلسطين واليهود.. وكيف يفسر على وجه الخصوص الآيات المتعلقة بالموضوع من سورة الإسراء، فيما لم يرق إليه أي تفسير آخر في القديم والحديث.. قدرة على لم الشواهد القرآنية، والإيغال في دلالاتها، والتوصل في نهاية الأمر إلى حقائق «تاريخية» في غاية الدقة والإحكام، وهو كتاب إذا أحسن توظيفه في صراعنا مع العدو الصهيوني واليهودية العالمية المتنفذة فإنه سيمنحنا الكثير.

أتراها غزوة الفلسطينية هذا المنجم الغني بعطائه، السخي بتخريج المجاهدين والباحثين على السواء، مما يجعل الخالديين يقدمان في سياق العلاقة بين المسلم واليهودي، اثنتين من أكثر الدراسات المعاصرة أهمية وإحكاماً عبر مدى لا يتجاوز السنوات الست؟.

أ.د. عماد الدين خليل

الموصل

1999-7-27

## رموز ومختصرات

الرمز	المعناه
ج	جزء
د.د.	دون تاريخ
ص	صفحة
ع	عدد
ط	طبعة
ق	قسم
م	مجلد
م.ن	المصدر نفسه





## المقدمة

عاش اليهود في شبه الجزيرة الأيبيرية قروناً عدة، قبل أن يفتحها المسلمون، وقد خضعوا خلال هذه المدة الطويلة للعديد من الأمم والأقوام الذين تعاقبوا على حكمها.

وقد كرههم أهل هذه البلاد وحكامها، وضيّقوا عليهم، وذلك ردّاً على كره اليهود لهم، واستعلائهم عليهم، واستهزائهم بمعتقداتهم، واستحلال كسب أموالهم بالرّبا، وبالطرق غير المشروعة.

وقبيل الفتح الإسلامي للأندلس قام القوط الكاثوليك بتحويل اليهود إلى عبيد، وذلك بعد أن فشلوا خلال أكثر من مئة سنة من التضييق عليهم، في تحويلهم إلى نصارى مخلصين.

وعندما فتح المسلمون الأندلس، رفعوا الاضطهاد عن اليهود، وعاد معظم المنصرين منهم إلى دينهم، وتعاملوا معهم على وفق الأحكام الشرعيّة الخاصّة بأهل الذمة، فسمحوا لهم بالبقاء على دينهم، وممارسة شعائهم، وتركوا لهم حرية السكن بين المسلمين، أو في أحياء خاصّة بهم، وأتاحوا لهم مزاوله ما شاؤوا من أنواع النشاط الاقتصادي، وحفظوا أرواحهم وأموالهم وحقوقهم، فشهدوا عدلاً وتسامحاً وحرية لم يعرفوها من قبل، وعاشوا أكثر من ثمانية قرون ينعمون بالحكم الإسلامي، ورأوا حضارة المسلمين السامقة، المتميّزة بجمعها بين الإيمان والعلم، واختلطوا بمجتمعهم الفريد، الذي يقبلُ أبنائهم على العلم والتعلّم والثقافة والأدب، والبناء والتطوير والإبداع، إقبالاً كبيراً، ويعدّون ذلك كلّ عبادة يتقرّبون بها إلى الله تعالى.

فانبهر يهود الأندلس بكلّ ما لدى المسلمين، وحاولوا تقليدهم، فتكلّموا بلغتهم، وتعلّموا أديهم وفكرهم وثقافتهم وعاداتهم، وتحفّزوا لخدمة لغتهم العبريّة المندثرة، فوضعوا لها قواعد على طريقة قواعد اللّغة العربيّة، وكتبوا بها شعراً موزوناً بأوزان الشعر العربي، وأدخلوا إليها فنوناً لم تكن موجودة إلّا في اللّغة العربيّة، فأصبح لهم نحو وشعر وأدب، ما زالوا إلى اليوم يعدّونه العصر الذهبي للأدب العبري.

كما ظهر بينهم مفكرون وفلاسفة، مقلِّدون ومتأثِّرون بالمسلمين وفكرهم، ووضعوا مؤلفات فكرية ودينية، ما تزال في نظرهم أفضل ما أنتجه الفكر اليهودي.

وبلغ إحسان المسلمين إلى يهود الأندلس حدًّا جعلهم يعينون منهم في دولتهم الوزراء والسفراء وكبار الموظفين.

وكان ردُّ يهود الأندلس على تسامح المسلمين وإحسانهم إليهم كيداً وتآمراً ظهر واضحاً في عصر الطوائف، حيث استغلُّوا مناصبهم، وتناولوا على المسلمين، وسخروا من دينهم، وتآمروا لإقامة دولة يهودية لهم في الأندلس، وقَدِّموا المساعدة للأسبان في هجماتهم الصليبية على الأندلس، كما شاركوا في التنكيل بمسلمي المدن الأندلسية التي كانت تسقط في يد الأسبان.

وهناك أسبابٌ عديدة دفعتني إلى دراسة هذا الموضوع، وجعلتني أقبل عليه برغبةٍ وشغفٍ وتحذُّ لكل الصعاب التي توقَّعتها وحُذرتُ منها.

وأهمُّ هذه الأسباب:-

1- خلو المكتبة العربية من دراسة أكاديمية علمية شاملة، تغطِّي هذا الموضوع، بالرَّغم من أهميته.

2- الرغبة في معرفة متى وكيف استقرَّ اليهود في شبه الجزيرة الأيبيرية؟ وكيف عاملهم حكامها وسكانها على مرِّ العصور؟ وهل كان الفتح الإسلامي لهذه البلاد منقذاً لليهود من الاضطهاد الديني؟ وأنَّه حال دون انقراضهم نهائياً من الأندلس على أيدي القوط الكاثوليك؟

3- للتعرُّف على موقف اليهود من الفتح الإسلامي للأندلس، وهل كان لهم دورٌ مهمٌ فيه كما يزعم اليهود اليوم؟

4- الرغبة في التعرُّف على مواطن استقرار اليهود في الأندلس، وأماكن تجمعاتهم الرئيسية فيها، وهل أُجبروا على السكن في أحياء خاصَّة؟ وما هو حجم الوجود اليهودي في المدن الأندلسية؟

5- الرغبة في التعرف على الأوضاع السياسيّة والاجتماعية والاقتصادية والإدارية والثقافيّة لليهود الذين عاشوا أكثر من ثمانية قرون تحت حكم المسلمين في الأندلس، ولا سيما إنّ كثيراً من المثقفين اليهود في عصرنا يعتقدون أنّ أجدادهم لم يحصلوا عبر تاريخهم الطويل على معاملة أفضل من المعاملة التي وجدوها في الدولة العربيّة الإسلاميّة في الأندلس، وأنّه لم تنهياً لهم بيئة علميّة وثقافيّة وحضاريّة مزدهرة ومؤثرة مثلما تنهياً لهم في الأندلس.

6- لمعرفة موقف السلطة الإسلاميّة في مختلف العهود من اليهود في الأندلس، وكذلك موقف اليهود منها، وما هو مدى التزام حكام الأندلس بمنهج الإسلام في التعامل مع اليهود؟ ومدى التزام اليهود بشروط عقد الذمّة؟

7- لمعرفة هل فعلاً حدثت محاولة لليهود في عصر الطوائف لإقامة دولة يهودية في إحدى مدن الأندلس؟ وما هو ردُّ فعل المسلمين على ذلك؟

8- للتعرف على الشخصيات اليهوديّة التي حصلت على وظائف مهمة في الدولة العربيّة الإسلاميّة في الأندلس، وهل قدّر هؤلاء إحسان المسلمين إليهم؟ وكيف استغلّوا وظائفهم لخدمة مصالح اليهود داخل وخارج الأندلس؟ وما هو موقف مسلمي الأندلس من قيام بعض حكامهم بتنصيب اليهود في وظائف حكوميّة مهمة؟

9- الرغبة في التعرف على عادات وتقاليد وسلوك وأخلاق يهود الأندلس، وهل كانت لهم علاقات اجتماعية بالمسلمين؟ وهل تأثروا بالمجتمع الإسلامي الذي عاشوا في وسطه أكثر من ثمانية قرون؟

10- للتعرف على التنظيم الإداري والمالي للجالية اليهودية في الأندلس.

11- للتعرف على المستوى المعيشي لليهود في الدولة العربيّة الإسلاميّة في الأندلس، والمجالات الاقتصادية التي عملوا فيها.

12- للتعرف على فكر وثقافة وأدب وعلوم اليهود في الأندلس، وهل تأثروا بما لدى المسلمين؟ وما هو حجم ذلك الأثر؟ وهل كان يهود الأندلس من المبدعين والمؤثرين في النهضة العلمية في الأندلس، كما يدّعي العديد من الكتاب اليهود المعاصرين؟

13 - للتمكن من عقد مقارنة بين حكم المسلمين لليهود في الأندلس لأكثر من ثمانية قرون، وبين حكم اليهود للمسلمين في فلسطين، خلال نحو نصف قرن من الاحتلال.

14 - للتعرف على خلاصة تجربة طويلة من الحكم الإسلامي لليهود في الأندلس، للإفادة منها مستقبلاً عندما يتحقق وعد الله، ويعود اليهود من جديد أهل ذمة في ظل دولة الإسلام.

وقد جاء البحث في مقدمة وستة فصول وخاتمة. أمّا المقدمة، فقد تضمنت لمحة موجزة عن الموضوع، والأسباب التي دفعت الباحث لدراسته، وأهم التساؤلات التي ستجيب عنها الدراسة، ثم تحليلاً لأهم المصادر التي اعتمدت عليها.

وأما الفصل الأول فقد تناول بداية الاستقرار اليهودي في إسبانيا، وأوضاع اليهود فيها تحت حكم الرومان والوندال والقوط الأريوسيين، والقوط الكاثوليك.

وقد بحث الفصل الثاني مواطن الاستقرار اليهودي في الأندلس، وبين مواقع الأحياء اليهودية في أهم المدن الأندلسية.

وقدّم الفصل الثالث دراسة لموقف السلطة الإسلامية في مختلف العهود من اليهود في الأندلس، وموقف اليهود منها.

وكان الفصل الرابع بعنوان «الحياة الاجتماعية لليهود في الأندلس»، حيث قدّم وصفاً للطائفة اليهودية في الأندلس، وتحدّث عن عاداتهم وتقاليدهم في مجالات عدّة، كالمأكل والملبس والزواج، وبحث في العلاقات الاجتماعية بين مسلمي ويهود الأندلس.

ودرس الفصل الخامس التنظيم الإداري للطائفة اليهودية في الأندلس، وكذلك النشاطات الاقتصادية التي مارسها اليهود هناك.

أمّا الفصل السادس فقد كان بعنوان «الحياة الثقافية لليهود في الأندلس»، حيث بحث في التربية والتعليم عند يهود الأندلس، وفي نشاطهم اللغوي والأدبي والفكري والعلمي.

وقد انتهى البحث بخاتمة تضمنت أهمّ النتائج التي توصّلت إليها الدراسة، وكذلك التوصيات التي يوصي بها الباحث.



## تحليل المصادر

لا يستطيع الباحث في التاريخ أن يقدم صورة واقعية عن الموضوع الذي يبحث فيه، إلا إذا توفرت له الوثائق التاريخية والمصادر الأولية التي تحتوي على المعلومات والحقائق الكافية عن هذا الموضوع.

وفي بحثي لموضوع اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، رجعت إلى عدد كبير من الوثائق والمصادر الإسلامية، التاريخية والأدبية والجغرافية والفقهية، وإلى كتب النوازل والحسبة والتراجم، فوجدت فيها معلومات تتفاوت في درجة أهميتها بالنسبة لموضوع الدراسة، لكنها بصورة عامة معلومات قليلة، ولا تكفي لتغطية الموضوع من جميع جوانبه، والسبب في قلتها يرجع إلى أن الكثير من مؤلفي المصادر الإسلامية، لم يفصلوا في الحديث عن الجماعات غير المسلمة كاليهود والنصارى، وإنما ذكروهم عرضاً أثناء السرد التاريخي المفصل لأخبار الأمراء والفتوحات والانتصارات والهزائم، أو خلال إجاباتهم عن بعض النوازل، أو في بعض كتبهم الجغرافية والأدبية.

ولكي نستكمل الموضوع، وحتى لا تكون الدراسة أحادية المصادر، تم الرجوع إلى المصادر الأجنبية، والوثائق والمصادر اليهودية، وكذلك إلى المراجع الحديثة، والموسوعات اليهودية التي اعتمدت على وثائق ومصادر إسبانية ويهودية، لم يتمكن من الوصول إليها. وطبيعي أن تحتوي مصادر اليهود ومراجعهم على معلومات لم نجدها في المصادر الإسلامية؛ لأن مؤلفيها معنيون بتسجيل أخبار وتفاصيل لا تعني المؤلفين المسلمين.

وقد تعاملت مع ما جاء في المصادر والمراجع اليهودية والأجنبية بحذر شديد، فلم أقبل إلا ماله أصل في مصادرها، أو ما اعتقدت أنه لا مصلحة لهم في وضعه، كما رددت على الكثير من الروايات والآراء، وبينت سبب رفضي لها.

وفي ما يأتي تحليل لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

## أولاً: المصادر الإسلامية

1- «أخبار مجموعة في فتح الأندلس»، لمؤلف مجهول (من أهل القرن الرابع أو الخامس الهجري).

أفدت منه في مواضع عدة، إذ يحتوي على معلومات مهمة، تتعلق باليهود، كوجودهم في العديد من المدن الأندلسية، واستخدام المسلمين لهم في الإسهام بحراسة المدن التي يتم فتحها، حيث كانوا يتركونهم مع طائفة من المسلمين للحراسة، ويواصل بقية الجيش الإسلامي عمليات الفتح.

2- «التبيان»، للأمير عبد الله بن بلقين، سليل أسرة بني زيري، وآخر أمرائها (توفي بعد سنة 483هـ=1090م)، حققه ونشره: إ. ليفي بروفنسال، تحت عنوان: «مذكرات الأمير عبد الله، آخر ملوك بني زيري بغرناطة».

أفدت منه في دراسة اليهود والسلطة في عهد الطوائف، حيث نقل صورة من الداخل عن الأوضاع التي سادت قصور الأمراء الزيريين، وأوضح الأسباب التي أدت بهم إلى اتخاذ وزراء من اليهود، وصور عبد الله عائلة ابن نغدله أحسن تصوير، فسجل ما يعرفه عن إسماعيل وابنه يوسف، وأوضح المؤامرات التي قام بها الأخير لتدعيم سلطته، وما وصل إليه من تجبر وتسلط، أدى في النهاية إلى ثورة مسلمي غرناطة عليه وقتله.

3- «الأحكام الكبرى»، لأبي الأصبع عيسى بن سهل (توفي في غرناطة سنة 486هـ=1093م).

وقد رجعت إلى مجموعة من وثائق هذا الكتاب التي استخرجها وحققها ونشرها محمد عبد الوهاب خلاف، تحت عنوان «وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبع عيسى بن سهل».

وبالرغم من أن هذه الوثائق تركز على نصارى الأندلس، إلا أنني أفدت من إشارات القليلة عن اليهود في دراسة الاستقرار اليهودي في الأندلس، حيث جاء بوثيقة تبين أن بعض اليهود جاؤوا المسلمين في مساكنهم، كما أمدت وثائق أخرى البحث بمعلومات مهمة عن الحياة الاجتماعية لليهود الأندلس.

4- «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة»، لأبي الحسن علي بن بسام الششتري (ت: 542هـ=1147م).

وهي موسوعة أدبية وتاريخية ضخمة، وقد وجدت فيها معلومات مهمة عن شخصيات يهودية بارزة في عصر الطوائف كإسماعيل بن نغدله، وولده يوسف اللذان تعاقبا على منصب الوزارة في غرناطة في عهد بني زيري، وأبي الفضل حسداي وزير المقتدر بن هود في سرقسطة، وقد أفدت من هذه المعلومات في مبحث اليهود والسلطة في عصر الطوائف.

5- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، لأبي عبد الله محمد بن محمد الحمودي المعروف بالشريف الإدريسي (ت: 564 هـ=1160 م).

ويحتوي الكتاب على مادة جيدة عن استقرار اليهود في الأندلس، حيث أشار إلى كثرة اليهود في بعض المدن الأندلسية كأليسانة وطركونة، وذكر تفصيلات مهمة عن يهود أليسانة وغناهم وانفرادهم بالسكن داخل أسوارها، إضافة إلى شذرات عن اليهود في عهد المرابطين وعلاقتهم بالسلطة.

6- «تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين»، لابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد بن أحمد، (ت: 594 هـ=1198 م).

أفدت منه في دراسة موضوع اليهود والسلطة في عهد الموحدين، وفي التعرف على سياسة الموحدين الحازمة مع اليهود، وموقف اليهود منهم.

وهو يحتوي على أخبار مهمة عن اليهود في عهد الموحدين، كتظاههم بالإسلام، وارتياحهم مساجد المسلمين، وشك الخليفة المنصور بإسلامهم، وفرضه عليهم لباساً خاصاً، لكي يميزوا به، وقد أفدت من كل ما أورده عن هذا الموضوع في التعرف على سياسة الموحدين مع اليهود.

7- «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، لابن أبي أصيبعة (ت: 668 هـ=1269 م).

موسوعة فريدة خاصة بالأطباء، اشتملت على أخبار بعض أطباء يهود الأندلس، فذكرت أعمالهم ومؤلفاتهم، وعلاقتهم بالمجتمع الإسلامي، وقد استخلصتُ منه حقائق مهمة، لا يمكن أن نجدها في مؤلفات أخرى.

8- «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب»، لابن عذاري المراكشي (كان حياً عام 712 هـ=1312 م).

أفادني هذا الكتاب في أخباره عن الوزير اليهودي يوسف بن نغدله، وسيرته ومقتله، وهو المصدر الوحيد الذي وجدته يذكر صراحة محاولة ابن نغدله إقامة دولة يهودية في مدينة المرية. كما أفادني في بعض الحوادث التي كانت قرطبة مسرحاً لها، كثورة العامة على اليهود سنة (529 هـ=1134 م)، وفي ذكره للجرائم التي ارتكبتها يهود بلنسية ضد المسلمين، عندما سقطت هذه المدينة في يد الإسبان.

9- «الإحاطة في أخبار غرناطة»، لابن الخطيب، لسان الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله (ت: 776هـ=1374م).

احتوى على معلومات عن الوزير اليهودي ابن نغدله، ومقتله، نقلها عن ابن عذارى بتصرف طفيف، وهو يذكر المكان الذي دُفِن فيه، حيث كان اليهود في وقته يعرفون قبره.

10- «أعمال الأعلام» لابن خطيب.

تعرض المؤلف لدولة بني زيري وأمرائها، ودور اليهود فيها في عهد وزارة ابن نغدله، وأضاف إلى المعلومات التي نجدها في كتاب الإحاطة، القصيدة التي قالها أبو إسحاق الإلييري محرّضاً باديس والمسلمين على الوزير اليهودي وعماله من اليهود المتسلطين.

11- «المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب»، لأحمد بن يحيى الونشريسي (884-914هـ=1479-1508م).

ويعد هذا الكتاب موسوعة عملية حية للفقهاء المالكي، وهو مجموعة التجارب المعاشة الموثقة، وليس دراسة نظرية أو افتراضية لمسائل فقهية. ولذلك فقد اعتمدت عليه في مواطن الاستقرار اليهودي في الأندلس، وفي بعض المسائل الاجتماعية كملابس اليهود وأعيادهم، وما يقدمونه فيها من هدايا لبعض جيرانهم المسلمين.

12- «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب»، لشهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت: 1041هـ=1631م).

أفدت من القسم الذي خصصه للشعراء اليهود في الأندلس الذين كتبوا شعرهم باللغة العربية، حيث ترجم لهم، وسجل أخبارهم، وأورد أبياتاً من أشعارهم تدل على تمكّنهم من اللغة العربية. كما أفدت أيضاً من الشذرات المهمة التي وردت في الكتاب عن أخبار اليهود في الأندلس.



## ثانياً: المراجع العربية والمترجمة وأهمها :-

1- «اليهود في الأندلس»، لمحمد بحر عبد المجيد (مدرس اللغة العبرية بجامعة عين شمس).

نشر هذا الكتاب سنة 1970 م، وقد ركز المؤلف فيه على النشاط الأدبي لليهود الأندلس من الفتح وحتى نهاية عصر الموحدين، ودَوَّن فيه عدداً من قصائدهم العبرية بعد أن ترجمها إلى العربية، لكنه لم يوثق في بعض الأحيان المعلومات التي جاء بها، والظاهر أن معظم مصادره يهودية عبرية. وقد أفدت من بعض هذه القصائد، ومن بعض ترجماته لأدباء وشعراء يهود في الأندلس.

2- «تاريخ الفكر الأندلسي»، للمستشرق الأسباني بالثيا.

يشتمل هذا المؤلف الضخم على معلومات مهمة عن عدد كبير من المفكرين اليهود الذين نبغوا في الأندلس، إذ تطرق إلى ثقافتهم، وتأليفهم باللغة العربية، ودورهم في نقل فكر المسلمين وحضارتهم إلى أوروبا. وقد أفدت منه في الفصل السادس الذي خصّصته للحياة الثقافية لليهود في الأندلس.

3- «دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية»، لجوايتاين.

مجموعة من المقالات المهمة المتعلقة بالتاريخ الإسلامي، وقد أفدت من المعلومات التي استقاها المؤلف من دفين الجنيزة بالقاهرة، هذا الدفين الذي يشتمل على وثائق يهودية، يرجع تاريخها إلى العصور الوسطى، وبعض هذه الوثائق عبارة عن مراسلات بين يهود يقيمون في الأندلس، وآخرين يقيمون خارجها، وقد وَجَدَتْ هذه الوثائق طريقها إلى جنيزة القاهرة؛ لأن اليهود اعتادوا أن يحتفظوا بأوراقهم ومراسلاتهم القديمة في مكان خاص داخل معابدهم، لاعتقادهم بحرمة رميها أو حرقها، وقد قَدِّمَتْ هذه الوثائق معلومات قيّمة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية لليهود الأندلس، لم نجدها في كتب التاريخ.

### ثالثاً: المراجع الأجنبية

وأهمها:

1 - كتاب: «THE JEWS OF MOSLEM SPAIN» ،

ومؤلفه هو : ELIYAHU ASHTOR، أستاذ التاريخ الإسلامي بالجامعة العبرية في القدس، وقد كتبه بالعبرية، وترجمه إلى الإنجليزية AARON KLEIN وMACHLOWITZ KLEIN.

وهو كتاب ضخيم يتكون من ثلاثة مجلدات، بحث فيه هذا اليهودي ذو الأصل الأندلسي تاريخ اليهود في الأندلس المسلمة من جميع جوانبه، وقد اعتمد على مصادر إسلامية ويهودية وإسبانية، وكانت إحدى أهم مصادره اليهودية مؤلفات فقهية يهودية تشبه كتب الفتاوى والنوازل عند المسلمين، كتبها أحبار يهود في الأندلس وفي عصور مختلفة، كما رجع إلى خرائط إسبانية قديمة للمدن الأندلسية، تظهر مواقع الأحياء اليهودية فيها، كما زار هذه المدن، وحاول أن يتعرف على مواقع اليهود فيها في العصر الإسلامي.

ويمتاز كتاب آشثور بالتوثيق، فهو يشير دائماً إلى مصدر المعلومة التي يذكرها، أما سلبيات آشثور وكتابه فكثيرة، نذكر منها أنه يأتي بتفصيلات كثيرة، خارجة تماماً عن الموضوع، فإذا أراد أن يتحدث عن موقف يهود الأندلس من الفتح الإسلامي، نجده يسهب ويطنب في الحديث عن فتح المسلمين للأندلس، وإذا ذكرت علاقة يهودي أندلسي مع يهودي في مصر أو فلسطين أو إيطاليا أو الخزر نجده يترك الأندلس، وينتقل إلى تفاصيل تاريخ اليهود في تلك البلدان، كما أنه يكتب بأسلوب إنشائي ودعائي لليهود، وهو يحاول أن يلتقط أخبارهم القليلة، ليرزهم ويضخم مكانتهم وأثرهم في الأندلس، وهذا كله يُفسّر السبب في ضخامة كتابه، كما أنه لم يطلع على كثير من المصادر الإسلامية، ولم يستطع الخوض في كتب الفقه الإسلامي والنوازل والحسبة.

وقد تعاملتُ مع معلوماته بحذر، فلم أسجّل إلا ما رأيت أن له أصلاً في مصادرنا، وما اعتقدت أنها معلومات عادية لا مصلحة له في وضعها، كمواقع أحيائهم وأسماء أبحارهم وقادتهم، وطريقة تنظيمهم. وهي معلومات وثقها، وكنتُ في كثيرٍ من الأحيان أسجّل المصدر الأجنبي الذي نقل عنه هذه المعلومات. وقد توقفتُ عند العديد من آرائه، وناقشتها ورددها، وحاولتُ أن أقدم بحثاً يجمع فقط الحقائق التي ذكرتها المصادر الإسلامية واليهودية والأسبانية، ويناقشها مناقشة علمية موضوعية غير متحيزة.

2- «TEXTS AND STUDIES IN JEWISH HISTORY AND LITERATURE»، ومؤلفه هو :

JACOB MANN.

وهو كتاب وثائقي يتكوّن من مجلّدين ضخمين جمع فيه المؤلّف عدداً كبيراً من الوثائق التاريخية اليهودية المهمة، ووضع صوراً لها، وهي مكتوبة إمّا باللغة والحروف العبرية، أو بحروف عبرية ولغة عربية، وبَيّن أماكن وجود هذه الوثائق وأرقامها في المكتبات والجامعات الأجنبية، وقد أفدت من هذه الوثائق في فصل اليهود والسلطة، وبالذات عند الحديث عن اليهودي حسداي بن شبروط، الذي حصل على منصب مهم في حكومة الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر، واستغلّه لمساعدة اليهود داخل وخارج الأندلس، حيث وجدتُ فيه صورة نص الرسالة التي بعث بها يهود جنوب إيطاليا إلى حسداي، يشرحون له معاناتهم تحت الحكم البيزنطي، ونص الرسالة التي بعث بها حسداي إلى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع، مع رسولي الإمبراطور إلى الخليفة الناصر، ويرجوه فيها أن يرفع المعاناة عن يهود إمبراطوريته، وكذلك نصّ الرسالة التي بعث بها يهود جنوب فرنسا إلى حسداي ليتدخل لدى حكامهم كي يحسنوا معاملتهم.

3 - كتاب «LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS» ،

ومؤلفه هو : GOITEIN, SOLOMON, DOB FREITZ .

وهو كتاب وثائقي يحتوي على عدد كبير من المراسلات بين التجار اليهود في العصور الوسطى في منطقة حوض البحر المتوسط، وقد استخرجها جوايتاين من جنيزة القاهرة، وقام بنشرها، وقد أفدت من المراسلات الخاصة بتجار يهود أندلسيين في التعرف على نشاطهم الاقتصادي، وجوانب من حياتهم الاجتماعية، وحصلت منها على معلومات وحقائق مهمة لم أجدها في مصادرنا الإسلامية.

4 - «THE HISTORY OF THE JEWS OF SPAIN AND PORTUGAL»

ومؤلفه هو : E.H. LINDO ، وقد نشره أول مرة في سنة 1848 م.

والكتاب يتناول تاريخ اليهود في إسبانيا منذ وجودهم فيها، وحتى طردهم منها على يد الأسبان، وهو يركز على تاريخهم تحت حكم النصارى الأسبان.

وقد أفدت منه في التعرف على آراء اليهود بخصوص بداية وجودهم في إسبانيا، وفي التعرف على أوضاعهم تحت حكم القوط الكاثوليك، حيث نشر النصوص الكاملة لقوانين المجالس الكنسية القوطية التي صدرت ضد اليهود.



اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس

الفصل الأول

اليهود في إسبانيا  
قبل الفتح الإسلامي

## المبحث الأول الوجود اليهودي في إسبانيا

اتفقت المصادر التاريخية على قدم الوجود اليهودي في إسبانيا<sup>(\*)</sup>، لكنها اختلفت في تحديد زمان وطريقة وصولهم إليها. فأول وصول يهودي إلى تلك البلاد، تحدثت عنه المصادر الإسلامية، يعود إلى عهد الملك الأسباني إشبان، الذي تقول: إنه شارك مع نبوخذنصر في فتح القدس سنة (586 ق.م)، ثم عاد إلى بلاده يحمل معه مئة ألف أسير يهودي. وتقدم المصادر الإسلامية تفاصيل متشابهة عن هذا الموضوع<sup>(1)</sup>. ومن ذلك قول الحميري نقلاً عن الرازي<sup>(2)</sup>: «أول من سكن الأندلس بعد الطوفان على ما يذكره علماء قوم عجمها يعرفون بالأندلس بالشين معجمة، بهم سمي البلد ثم عرب، وكانوا أهل تمجس، فحبس الله تعالى عنهم المطر، حتى غارت عيونها، ويست أنهارها، فهلك أكثرهم، وفر من قدر على الفرار منهم، فأقفر الأندلس، وبقيت خالية مئة عام، وملكهم إشبان بن طيطش، وهو الذي غزا الأفارقة، وحصر ملكهم بطالقة ونقل رخامها إلى إشبيلية، وبه سميت فاتخذها دار مملكة، وكثرت جموعه، فعلا في الأرض، وغزا من إشبيلية إيليا [القدس]، بعد سنتين من ملكه، خرج إليها في السفن، وهدمها، وقتل من اليهود مئة ألف واسترق مئة ألف، وفرق في البلاد مئة ألف،

(\*) لقد فضلت استخدام كلمة «إسبانيا» في هذا الفصل فقط. لأن هذا الاسم أطلق على شبه الجزيرة الأيبيرية منذ عهد إشبان الذي حدث في عهده أول استقرار لليهود في هذه البلاد، كما أوضحنا ورجحت في موضوع آخر من هذا الفصل، واستخدام كلمة «الأندلس» عند الحديث عن هذه البلاد، بعد الفتح الإسلامي لها؛ لأنه الاسم الذي استخدمه المسلمون.

(1) ينظر: البكري، أبو عبيد، المسالك والممالك (القسم الخاص بالأندلس وأوروبا)، تحقيق: عبد الرحمن الحججي، (بيروت، دار الإرشاد، ط1، 1968م)، ص 109-111؛ أبو محمد الرشاطي وابن الخراط الإشبيلي، الأندلس في اقتباس الأنوار، وفي اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق: إيميليو مولينا، وخاينيو بوسك ميلا، (مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، 1990م)، ص 102؛ ابن عذاري، أبو عبد الله محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، وإ. ليفي بروفنسال، ج2، (بيروت، دار الثقافة، د. ت)، ص 2؛ العذري، أحمد بن عمر، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، (مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1965م) نشر تحت عنوان «نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك»، ص 97؛ ابن الشباط، محمد بن علي، صلة السمط وسمه المرط، تحقيق: أحمد مختار العبادي، (مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1971م)، ص 139، نشره تحت عنوان: «تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، ووصفه لابن الشباط، نصان جديدان».

(\*\*) هو أحمد بن محمد الرازي، الجغرافي الأندلسي المتوفى سنة (324هـ=936م). وقد صرح ابن الشباط باسمه عندما نقل عنه هذه الرواية. عن تاريخ وفاة أحمد بن محمد الرازي. ينظر: البكري، المسالك والممالك (القسم الخاص بالأندلس وأوروبا)، ص 70 (هامش المحقق)، وعن نقل ابن الشباط هذه الرواية عنه. ينظر: ابن الشباط، صلة السمط، ص 139.

وانتقل رخام إيليا وآلاتها إلى الأندلس. والغرائب التي أصيبت في مغنم الأندلس، كمائدة سليمان التي ألفاها طارق بن زياد بكنيسة طليطلة، وقليلة الدر التي ألفاها موسى بن نصير بكنيسة ماردة، وغيرها من الذخائر، كانت مما حازه صاحب الأندلس من غنيمة بيت المقدس، إذ حضر فتحها مع نبوخذنصر<sup>(\*)</sup> (2).

وقبل الدخول في مناقشة ما جاءت به مصادرنا، نعرض ما ورد في المصادر اليهودية والأسبانية عن هذا الموضوع. فالمصادر اليهودية تذكر أن عدداً من العائلات اليهودية الشهيرة في الأندلس تقول: «إن أجدادهم جاؤوا إليها أسرى مع إشبان في زمن التدمير الأول للهيكل، مثل عائلة المؤرخ اليهودي إبراهيم بن داود (3) في أليسانة (4)، والعائلات التي تنسب نفسها إلى النبي داود عليه السلام في إشبيلية (5) مثل عائلة أبرابانيل.

وتناقل اليهود الأندلسيون خلال الحكم الإسلامي للأندلس روايات كالتى سجلها وقبلها إسحاق أبرابانيل في تفسيره لإصحاح الملوك، والتي تُبين أن أوائل المستوطنين اليهود لمدينة طليطلة كانوا الأسرى من قبائل يهوذا وبنيامين الذين جاءوا مع إشبان وبيروس (6)، المشاركون مع نبوخذنصر في فتح القدس (5).

(\*) نبوخذنصر أو نبوخت نصر (NEBUCHADNEZZAR): أحد ملوك الكلدانيين الذين سكنوا جنوب العراق، توفي سنة 561 قبل الميلاد. ينظر البكري، المسالك والممالك، (القسم الخاص بالأندلس وأوروبا)، ص 111 (هامش المحقق).  
(2) الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (القاهرة، مؤسسة ناصر للثقافة، ط 2، 1980م)، ص 33-34.  
(3) إبراهيم بن داود: هو المؤرخ اليهودي الوحيد الذي برز في الأندلس، وقد عاش من سنة (504-576هـ=1110-1180م)، وكتابه الوحيد الذي ألفه، واحتوى على جانب تاريخي كان بعنوان: (هكبلا) بمعنى «التصوف»، ولم يتناول فيه تاريخ الأندلس، بل ركز على تاريخ كتابة التلمود.

ينظر:

SEMON DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS FROM ROMAN EMPIRE TO THE EARLY MEDIEVAL PERIOD, (NEW YORK,), VOL.2, P.756; YITZHAK BEAR, A HISTORY OF THE JEWS IN CHRISTIAN SPAIN, (PHILADELPHIA), VOL.1, P.32.

HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, (JERUSALEM, 1972), (4) VOL.11, P.550.

EDITORIAL STAFF, ENCYCLOPEDIA JUDAICA (ED) SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201. (5)

ويقول يهود غرناطة: «إن وجودهم فيها يرجع إلى زمن نبوخذنصر وإشبان، وأنهم هم الذين سموها بهذا الاسم الذي يعني بالأسبانية القديمة «رُمانة»<sup>(6)</sup>.

وتقدم بعض الدراسات اليهودية افتراضات وتوقعات عن زمن الوصول اليهودي إلى إسبانيا، منها أنهم ربما نزحوا إليها خلال الصراعات التي حدثت في زمن القضاة (1125-1025 ق.م)، أو خلال الحروب بين مملكتي يهودا وإسرائيل (931-724 ق.م)<sup>(7)</sup>، أو أنهم من سلالة السفراء الذين بعث بهم النبيان داود وسليمان عليهما السلام للإقامة في إسبانيا، وأن حيرام مسؤول كنوز سليمان قد توفي هناك<sup>(8)</sup>.

ولم يقدم أصحاب هذه المزاعم دليلاً عليها. وتصنفها بعض الدراسات اليهودية الحديثة ضمن الأساطير التي لا دليل على صحتها.

وقد نقل إلينا (لندو) ما قاله المؤرخون الأسبان، وعلى رأسهم ماريانا (MARYANA) عن هذا الموضوع. وهو أن إشبان قد رافق نبوخذنصر، وفتح معه القدس، ونقل إلى بلده عدداً من يهودها<sup>(9)</sup>.

وأميل إلى صحة القول بأن أول استقرار لليهود في إسبانيا، كان في عهد الملك إشبان، وأنه حملهم إليها أسرى، وهو عائد إلى إسبانيا بعد مشاركته نبوخذنصر في فتح القدس. وذلك للأسباب الآتية:

1- ورود هذه الرواية في العديد من مصادرنا الإسلامية، ومن دون أن يشكك في صحتها أي من المؤرخين المسلمين. كما لم تقدم مصادرنا -في ما نعلم- رواية أخرى تتحدث عن أول استقرار يهودي في عن غير هذا الطريق.

BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.852. (6)

EH. LINDO, THE JEWS OF SPAIN AND PORTUGAL (NEW YORK), P.6. (7)

(8) ظا، حسن، «اليهود في إسبانيا الإسلامية»، مجلة الفيصل، ع26، (جمادى الآخرة، 1410هـ، نوفمبر-ديسمبر، 1994م)، ص38. هناك أسطورة يهودية تقول بأنه عُثر في مدينة مورفيدرو (MURVIEDRO) الواقعة الآن في بلنسية والمسماة ساغونتو (SAGUNTO)، على شاهد قبر يحمل كتابة عبرية هي: المسؤول عن خزانة الملك سليمان، الذي جاء لجمع الجزية ومات.

ينظر: BEINART, MURCIA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.12, P.531; ISAAC, BROYDE, SPAIN, THE JEWS ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.484.

(9) ينظر:

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.5.



2- ورود هذه الرواية في المصادر الأسبانية القديمة، الأقرب إلى زمان الحدث، والتي نقل عنها المؤرخون المسلمون هذا الخبر. يفهم ذلك من قول الرازي في معرض حديثه عن هذا الموضوع: «على ما يذكره علماء عجمها»<sup>(10)</sup>.

3- اقتناع اليهود الأسبان اللاحقين، ومنهم ماريانا (MARYANA) بصحة ما جاء في مصادرهم القديمة<sup>(11)</sup>.

4- شهادات المؤرخين اليهود، وأبناء العائلات اليهودية الأندلسية التي أوضحناها سابقاً، والتي تبين أن أجدادهم جاؤوا إلى إسبانيا أسرى مع ملكها إشبان في زمن التدمير الأول للهيكل<sup>(12)</sup>. وغالباً ما يرسخ في أذهان الجماعات والأقليات التي تعيش غريبة في بلدان أخرى، زمان وكيفية وصولهم إلى هذه البلدان.

5- يبين التاريخ القديم لمدينة طليطلة أنه قبل خمس مئة عام من ميلاد المسيح عليه السلام، ازداد عدد سكانها زيادة كبيرة<sup>(13)</sup>. لعلها ناتجة عن ذلك الأسر الذي تحدثت عنه المصادر الإسلامية.

6- عثر أمير ماردة (MERIDA) هشام بن عبد العزيز علي حجر في سورها يحمل كتابة تدل على أنه كان لبنة في سور القدس. وقد أشار الحميري إلى أن إشبان قد جلب هذا الحجر وغيره من الغرائب التي وجدت عند فتح إسبانيا، من القدس. «وانتقل رخامها إلى إشبيلية وماردة، وأنه صاحب المائدة التي ألفت بطليطلة وصاحب الحجر الذي وُجدَ بماردة، وصاحب قليلة الجوهر التي كانت بماردة أيضاً»<sup>(14)</sup>.

ويشهد بقاء هذه الأشياء إلى زمن الفتح الإسلامي، وذكرها في الرواية نفسها التي تحدثت عن أسر إشبان لعدد من يهود القدس وحملهم إلى إسبانيا على صحة وقوع هذا الأسر.

(10) الحميري، الروض المعطار، ص 33 (رواية الرازي).

وردت الإشارة إلى هذا النقل أيضاً عند: البكري، المسالك والممالك، «الجزء الخاص بالأندلس وأوروبا»، ص 110؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص 97.

(11) ذكر رأي ماريانا وغيره من المؤرخين الأسبان:

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.5.

BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550. (12)

ED, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL. 14, P.1201;

BEINART, GRANADA ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.582.

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.4. (13)

(14) الحميري، الروض المعطار، ص 59.

ولا يعني قبولنا وترجيحنا لما جاءت به المصادر الإسلامية، بخصوص أسر إشبان لليهود، ونقلهم من بيت المقدس إلى إسبانيا، أننا نقبل بكل ما ورد في رواياتها حول هذا الموضوع من تفاصيل، إذ أنها تحتوي على أساطير ومبالغات لا يمكن قبولها، وذلك مثل قصة اللقاء بين إشبان وهو حرّاث فقير، والخضر الذي بشره بالملك، وأنه سيغزو بيت المقدس<sup>(15)</sup>، ومثل تقدير عدد الأسرى اليهود الذين تم نقلهم إلى إسبانيا بمئة ألف، إذ لو كان هذا العدد صحيحاً لأصبح عدد اليهود في إسبانيا زمن الفتح الإسلامي لها يصل إلى بضعة ملايين، حيث يكون قد مضى على وجودهم في هذه البلاد نحو أربعة عشر قرناً<sup>(16)</sup>.

أما بخصوص ما ذكرته بعض الدراسات اليهودية عن توقعها أن استقرار اليهود في إسبانيا يرجع إلى عصر القضاة، أو إلى زمن الحروب بين مملكتي يهودا وإسرائيل، أو إلى زمن النبي سليمان عليه السلام. فهي توقعات وفرضيات مرفوضة؛ لأنها لا تقوم على دليل، وإنما تعتمد على الظن والتخمين فقط.

وقد حاول لندو أن يثبت أن استقرار اليهود في إسبانيا يرجع إلى زمن سليمان عليه السلام، واستشهد بنصوص من التوراة، تتحدث عن قيام رحلات تجارية مشتركة إلى مدينة «ترشيش»، بين بني إسرائيل في عهد سليمان عليه السلام، والفينيقيين في عهد ملكهم حيرام<sup>(17)</sup>، وأحد هذه النصوص هو: «لأن الملك [سليمان] كانت له في البحر سفن ترشيش مع سفن حيرام، فكانت سفن ترشيش تأتي مرة في كل ثلاث سنين، حاملة ذهباً وفضة وعاجاً وقردة وطواويس»<sup>(18)</sup>.

(15) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص2.

(16) ذلك على أساس أن غزو إشبان للقدس، كان سنة 586 ق.م.، والفتح الإسلامي للأندلس كان سنة (92هـ=711م).

(17) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.1-4.

(18) الكتاب المقدس، العهد العتيق، سفر الملوك الثالث، الفصل العاشر، (بيروت، طبع في مطبعة المرسلين اليسوعيين، 1882م)، ص573.

وأكد لندو أن مدينة «ترشيش» التي وردت في النص التوراتي هي مدينة طرطوشة.

وأرى أن لندو قد جانب الصواب؛ لأنه حمل النصوص التوراتية التي اعتمد عليها في إثبات رأيه أكثر مما تحتمل، عندما قال: إن ترشيش هي مدينة طرطوشة الأسبانية. إذ خالف بذلك ما هو معروف، وما قال به الجغرافيون، مثل البكري الذي بين أن ترشيش هو الاسم القديم لتونس<sup>(19)</sup>. وما قال به أونكالوس (ONKALOS) في ترجمته الآرامية للتوراة، التي تسمى الترجوما (TARGUM)، حيث أكد أن ترشيش الواردة في النص التوراتي تقع في أفريقيا<sup>(20)</sup>.

وحتى لو كانت هناك سفن عبرانية فينيقية مشتركة وصلت إلى إسبانيا، وجلبت منها الفضة في زمن سليمان عليه السلام، مثلما يقول لندو. فإن ذلك لا يعني أن اليهود قد استقروا في إسبانيا في زمن سليمان عليه السلام، لأنه لا يعقل أن يتركوا مملكة سليمان العظيمة الغنية<sup>(21)</sup>، ويذهبوا ليستقروا في بلد يبعد عنها كل هذا البعد، ولا يمكن أن يكونوا قد هاجروا إليها بعد وفاة سليمان عليه السلام، وضعف وتنازع اليهود؛ لأن اليهود لا يملكون القدرة على ركوب البحر، ولم يكتسبوا هذه الخبرة من الفينيقيين، ولم يحدث تعاون بحري لهم مع الفينيقيين بعد عهد سليمان عليه السلام<sup>(22)</sup>.

وأعتقد أن حرص لندو وغيره من أصحاب الدراسات اليهودية الحديثة على تأكيد أن أول استقرار يهودي في إسبانيا يرجع إلى زمن سليمان عليه السلام، أو إلى عهود تسبق عهد الملك الأسباني إشبان، هو محاولتهم التهرب من حقيقة أن اليهود قد جاءوا إلى إسبانيا أسرى مستعبدين؛ لأن في طريقة وصولهم هذه إهانة لليهود الأندلس، لا تناسب عظمة الصورة التي رسموها لهم، وبالغوا في تضخيمها.

(19) البكري، أبي عبيد، المسالك والممالك، ج2، تحقيق وتقديم: أدريان فان ليوفن، وأندري فيري، (قرطاج، بيت الحكمة، الدار العربية للكتاب، د.ت)، ص 695.

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.4. (20)

(21) يدل على عظمة ملك سليمان عليه السلام، قول الله تعالى: أَقَالَ رَبُّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ، سورة ص، آية 35؛ وتنظر الآيات التالية لها حتى آية: 40.

(22) عن توقف التعاون البحري اليهودي الفينيقي بعد موت سليمان عليه السلام. ينظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، (بيروت، دار العلم للملايين، بغداد، مكتبة النهضة، ط2، 1976م)، ص 640-641.

وبينما تختلف المصادر والآراء حول وجود اليهود في الأندلس في القرون السابقة للميلاد، لعدم وجود الأدلة الوثائقية والأثرية التي تحسم في العادة هذه الاختلافات، فإنها تتفق على وجود اليهود في إسبانيا في القرون الميلادية الأولى<sup>(23)</sup>، وذلك لتوفر الآثار والوثائق.

إذ عثر في أدرا (ADRA) بإسبانيا على كتابة لاتينية موجودة على شاهد قبر لفتاة يهودية تعود إلى القرن الثالث الميلادي<sup>(24)</sup>. وتم اكتشاف عملات نقدية يهودية في أرض طركونة (TARRAGONA)، كذلك وجدت أربعة قوانين كنسية صادرة بخصوص اليهود عن مجلس إلفيرا (ELVIRA) المنعقد في المدة من (303-304م)، تحرم على النصارى دخول بيوت اليهود أو مؤاكلتهم، أو تزويجهم من فتيات نصرانيات، أو السماح لهم بمباركة محاصيلهم الزراعية<sup>(25)</sup>.

وهذه القوانين تشير إلى وجودهم في شبه الجزيرة الأيبيرية منذ مدة طويلة، سابقة لتاريخ انعقاد المجلس، بحيث إنهم تمكنوا من كسب ثقة السكان، فأكلوهم، وزوجوهم، وطلبوا إليهم مباركة محاصيلهم الزراعية.

وهذه القوانين تشير إلى وجودهم في إسبانيا منذ مدة طويلة، سابقة لتاريخ انعقاد المجلس، بحيث أنهم تمكنوا من كسب ثقة السكان، ومؤاكلتهم، والتزوج منهم.

(23) الموسوعة اليهودية، ص 286؛

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.503;

الموسوعة العبرية، م 26، ص 381؛

THE STANDARD JEWISH ENCYCLOPEDIA, (JERUSALEM-TELAVIV, 1958-1959), P.1744-1745.

BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11 P.484. (24)

BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.484.(25)

ويذكر دون إسحاق أبرابانيل (DON ISAAC ABRABANEL) في تفسيره لإصحاح زكريا أنَّ عائلته، وعائلة أخرى سكنت إشبيلية في زمن تدمير الهيكل الثاني (70م)<sup>(26)</sup>.

ويقول المؤلف المجهول «لمذكرات ميورقة» إنَّ استيطان اليهود في جزر البليار (BALEARIC ISLANDS) يعود إلى خمس وستين سنة قبل الميلاد<sup>(27)</sup>.

وإذا صح قيام إشبان بأسر ونقل عدد من يهود القدس إلى إسبانيا في القرن السادس قبل الميلاد مثلما تقول المصادر الإسلامية، فإن هذا التهجير يكون التهجير اليهودي الأول إلى إسبانيا، أما التهجير اليهودي الثاني إلى تلك البلاد، فقد حدث في العهد الروماني، حين توجه القائد الروماني تيتوس فيسبسيان (TITUS VAS PASIAN) سنة (70م) إلى القدس، لإخماد تمرد قام به اليهود هناك، وتمكن من قمع المتمردين، وإحراق رموزهم<sup>(28)</sup>، وأسر نحو ثلاثين ألفاً منهم، نقلهم بواسطة اثنتي عشرة سفينة إلى موانئ المغرب<sup>(29)</sup>.

وكان للأندلس نصيب منهم، إذ ذكر مؤرخو مدينة ماردة إن يهودها استقبلوا إخوانهم الذين رُحِّلوا عن القدس بعد دمار الهيكل الثاني<sup>(30)</sup>، وقيل إن هؤلاء المرحلين كانوا من أبناء العائلات المهمة من سبطي بنيامين ويهوذا اللذين ينتسبان إلى داود عليه السلام<sup>(31)</sup>.

LINDO, THE JEWS IN SPAIN, P.6. (26)

IBID, P.6. (27)

(28) أورو سيوس، تاريخ العالم، الترجمة العربية القديمة، تقديم وتحقيق: عبد الرحمن البدوي، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1982م)، ص179.

(29) الكواقي، مسعود، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الجزائر، معهد التاريخ)، ص40.

وذكر أيضاً أن عدد الأسرى اليهود كان ثلاث مئة ألف أسير. ينظر: م.ن، ص50.

وأرى أن رقم ثلاث مئة ألف، رقم مبالغ فيه جداً، فلا يتصور أن يأسر تيتوس كل هذا العدد؛ لأنه سوف يسبب إرهاباً للدولة التي ستتكفل على الأقل بإطعامهم جميعاً. وما يدل على المبالغة، أن الرقم الآخر الذي ذكر لعدد الأسرى، كان عشر الرقم الأول. والحقيقة أن الروايات التاريخية كثير أ ما تبالغ في تقدير الأرقام، وتكون بعيدة عن الدقة.

LINDO, THE JEWS IN SPAIN, P.6. (30)

IBID, P.6. (31)

أما اليهود الذي قُدرت لهم النجاة من جند تيتوس، فقد تفرقوا بين بابل ومصر<sup>(32)</sup>، لكن الجزء الأكبر منهم فر إلى المغرب، وتحديدًا إلى مدينة قورينة في منطقة برقة، حسب ما يقوله المؤرخ اليهودي يوسفوس<sup>(33)</sup>، الذي قدر أن عددهم وصل في ليبيا في القرون الميلادية الأولى إلى نصف مليون<sup>(34)</sup>، وقد انتشروا أيضًا في معظم مناطق المغرب، ولا سيما في المدن الساحلية، أو المناطق الداخلية القريبة منها<sup>(35)</sup>.

وبالرغم من اعتقادنا أن تقدير يوسفوس لعدد اليهود في ليبيا غير دقيق، ومبالغ فيه كثيرًا؛ لأنه لو صح لكان عددهم فيها زمن الفتح الإسلامي أكثر من عشرة ملايين، وهذا ما لم يقل به أحد. إلا أنه من الواضح أن المغرب في الثلث الأخير من القرن الأول الميلادي قد أصبح من أهم المناطق التي استقر فيها اليهود<sup>(36)</sup>.

وهذا يعني أن إسبانيا منذ تلك العصور قد أصبحت قريبة من تجمع يهودي كبير، ومعرضة لهجرات يهودية مستمرة منها وإليها. وهذا ما حدث بالفعل، فقد ثبت حدوث هذه الهجرات المرتبطة على الأغلب بالظروف السياسية والاقتصادية، منها الهجرة إلى إسبانيا التي حدثت في عهد الإمبراطور البيزنطي جستنيان<sup>(37)</sup> (527-565م)، عندما قرر أن يسود إمبراطوريته قانون واحد وعقيدة واحدة<sup>(38)</sup>.

وكذلك الهجرة من إسبانيا إلى المغرب التي حدثت بين سنتي (612-613م) في عهد الملك القوطي سايزبوت SISBUTO (612-620م)، الذي اضطهد اليهود، وأمهلهم سنة للتفكير، في اعتناق النصرانية أو الرحيل عن إسبانيا<sup>(39)</sup>.

IBID, P.6. (32)

(33) الكواقي، اليهود في المغرب، ص 43. عن يوسفوس ومؤلفاته، ينظر: يوسابيوس القيسري، تاريخ الكنيسة، ترجمة القس مرقص داود، (القاهرة، دار الكرنك للنشر والطباعة والتوزيع، 1966م)، ص 122-196.

(34) الكواقي، اليهود في المغرب، ص 50.

(35) م.ن، ص 51.

(36) م.ن، ص 43.

(37) الكواقي، اليهود في المغرب، ص 44.

(38) العربي، السيد الباز، الدولة البيزنطية، (بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1982م)، ص 96.

DUBNOV HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.510; (39)

عبد المجيد، محمد بحر، اليهود في الأندلس، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، 1970م)، ص 15.

أما التهجير اليهودي الثالث إلى إسبانيا، فقد قام به الإمبراطور الروماني هدریان (HDRIAN) سنة (136 م)، بعد أن قضى على تمرد اليهود في فلسطين، الذي قاده باركوكاب (BARCHOCHAB)، وقد نقل هدریان إلى الأندلس نحو خمسين ألف عائلة يهودية من أجل استعبادهم<sup>(40)</sup>، ويقال: إن هذا الإمبراطور من مواطني إسبانيا<sup>(41)</sup>، وكان يكره اليهود كرهاً شديداً<sup>(42)</sup>.

وأعتقد أن هذا العدد مبالغ فيه أيضاً؛ لأن عدد أفراد خمسين ألف عائلة قد يزيد على ربع مليون نسمة، ولو ترك هؤلاء وحدهم يتكاثرون إلى زمن الفتح الإسلامي لإسبانيا لوصل عددهم إلى بضعة ملايين، إذ يكون قد مضى على استقرارهم هناك نحو ستة قرون، وهذا ما يتنافى مع المعلومات المتوفرة عن الوجود اليهودي في المدن الإسبانية زمن الفتح الإسلامي، والتي تعبر عنها مساحة أحيائهم، والتي ستحدث عنها في الفصل القادم.



---

(40) ضياء باشا، الأندلس الذهبية، دول الطوائف ودولة المرابطين وبداية دولة الموحدين، جـ2، تعريب: عبد الرحمن إرشيدات،

مراجعة وتحقيق: صلاح إرشيدات، (عمان، 1989 م)، ص 406؛

LINDO, THE JEWS IN SPAIN, P.6-7.

IBID, P.7. (41)

(42) جلال، ألفت محمد، الأدب العبري القديم والوسيط، (القاهرة، مطبعة جامعة عين شمس، 1978 م)، ص 129-130.

## المبحث الثاني اليهود في إسبانيا إلى زمن تحول القوط إلى الكاثوليكية

عاش اليهود في إسبانيا منذ دخولهم إليها بين سكان نتجوا من اختلاط شعوب مختلفة الأصول والثقافات، وقد جاء هؤلاء السكان إليها طمعاً بالاستقرار في أرضها الخصبة، ومناخها المعتدل، وموقعها الملائم، وثرواتها الكثيرة، ومعادنها النفيسة<sup>(43)</sup>.

فقد جاءها الأيبيريون من سواحل أفريقيا الشمالية في العصر الحديدي، واستقروا في الأجزاء الخصبة الجنوبية والشرقية الوسطى الممتدة بين سواحل البحر المتوسط، ووادي إبرة<sup>(44)</sup>. وقد تزامن وصولهم إليها مع قدوم السلت (CELTAS) الذين جاؤوا من وسط أوروبا، وسكنوا في جليقية والبرتغال، ثم توغلوا إلى الأجزاء الوسطى، ولاسيما في وادي الحجارة. وقد تحارب الشعبان، ثم استقرت الأمور بينهما، وامتزجا معاً<sup>(45)</sup>.

وجاءها الترتيسوس (TARTESOS) من جزر البحر المتوسط وبلاد اليونان، وسكنوا في حوض الوادي الكبير، في العصر البرونزي، وكانوا من جنس الأيبيريين نفسه، إذ ينتمون إلى جنس الأقوام الأخرى التي سكنت جزر البحر المتوسط والشمال الأفريقي<sup>(46)</sup>.

ودخلها الفينيقيون تجاراً، وأقاموا فيها مراكز تجارية تحولت إلى مدن مهمة مثل مالقة والمنكب وعذره وقادش<sup>(47)</sup>، وتمكن القرطاجيون ذوو الأصول الفينيقية من السيطرة على شبه الجزيرة من سنة (535-201 ق.م)، حيث أخرجهم الرومان منها بعد حربين طويلتين عرفتا بالحرب البونية الأولى (264-241 ق.م)، والحرب البونية الثانية (218-241 ق.م)، ثم أكمل الرومان سيطرتهم على شبه الجزيرة الأيبيرية بعد حربين خاضوهما مع الأهالي، الأولى: (197-179 ق.م)، والثانية: (154-133 ق.م)<sup>(48)</sup>.

(43) حتامله، محمد عبده، أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، (الأردن، عمان، 1416 هـ-1996 م)، ص 109.

(44) م.ن، ص 109.

(45) م.ن، ص 114.

(46) م.ن، ص 113.

(47) م.ن، ص 127-129.

(48) م.ن، ص 169.



ومن الصعب التَّعَرُّف على أوضاع قدماء اليهود في إسبانيا، وذلك لسكوت المصادر التاريخية عنها، وندرة المكتشفات الأثرية الخاصة بهم. لكنَّ وجود يهود في زمن الفتح الإسلامي، محافظين على كثير من طقوسهم وعاداتهم ومعتقداتهم الخاصَّة، يدلُّ على أنَّهم لم يتأثروا كثيراً بمعتقدات وعادات الأمم الأخرى التي عاشوا في وسطها.

أما عن علاقة اليهود بالدولة الرومانية التي حكمت إسبانيا قبل ميلاد المسيح عليه السلام بنحو قرنين، فقد كانت حسنة في البداية. ومما يدل على ذلك أنَّ أحد القوانين التي شرعت في عهد الإمبراطور أغسطس (31 ق.م - 14 م) لتنظيم مختلف شؤون الإمبراطورية، كان ينصُّ على أنَّ يهود الإمبراطورية قد أثبتوا ولاءهم للشعب الروماني في الحاضر والماضي، وبصفة خاصة عندما كان هيركانوس حبراً أعظم لليهود زمن يوليوس قيصر، لذلك فقد تقرر أن يُسمح لهم بمباشرة عاداتهم طبقاً لشرعية آبائهم، على نحو ما كانوا يفعلون في عهد هذا الحبر، وأن يُسمح لهم بإرسال أموالهم إلى أورشليم. ويتوعَّد القانون كلَّ من يسرق أموالهم، أو كتبهم المقدَّسة بالجلد، ومصادرة أملاكه<sup>(49)</sup>.

وسمح لليهود بتشكيل مجلس الشيوخ (GEROUSIA)<sup>(50)</sup>، بينما فرضت عليهم ضريبة الرأس<sup>(51)</sup>. مما يدل على أنهم لم يُعدُّوا مواطنين رومانيين حتى في هذه المرحلة من العلاقات الحسنة.

وتؤكد الآثار تلك العلاقة الحسنة، إذ عثر على عمود من المرمر في منطقة برقة، مكتوب عليه باليونانية كتابة تمجِّد الوالي اليوناني على معاملته الإنسانية لليهود<sup>(52)</sup>.

والعلاقة الحسنة بين اليهود والسلطة الرومانية، تسبق عهد الإمبراطور أغسطس<sup>(53)</sup>، لكنها ازدادت في عهده بسبب التأثير عليه من طبيبه اليهودي أنطونيوس موسى (ANTONIUS MUSA)<sup>(54)</sup>، الذي حملهُ على إصدار مرسوم سنة (15 ق.م) يأمر فيه جميع المقاطعات الرومانية بضرورة محابة اليهود، وتمييزهم في المعاملة عن غيرهم<sup>(55)</sup>.

(49) عبد العليم، مصطفى كمال، اليهود في مصر، (القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ط 1، 1968 م)، ص 144.

(50) م.ن، ص 144.

(51) م.ن، ص 143.

(52) الكواتي، اليهود في المغرب، ص 55.

(53) LINDO, THE JEWS IN SPAIN, P.8.

(54) الكواتي، اليهود في المغرب، ص 56.

(55) LINDO, THE JEWS IN SPAIN, P.5.

وقد تمتع يهود إسبانيا كغيرهم من يهود أقاليم الإمبراطورية<sup>(56)</sup>، بإدارة شؤونهم الخاصة، حيث كان لهم مجلس ثقافي، وآخر إداري من تسعة أعضاء منتخبين، ومجلس القدماء الذي يهتم بشؤون اليهود الإدارية والمالية والدينية، ويمثل اليهود أمام السلطات الحاكمة، وأمام القضاء في حالة النزاعات المتعلقة باليهود، وهو يشرف أيضاً على تقديم المساعدات للمحتاجين، ولا بدّ من موافقته عند بناء البيع والمدارس<sup>(57)</sup>. ويرأس الجالية اليهودية من الناحية الدينية الربّي<sup>(\*)</sup>، الذي يسهر على تطبيق مبادئ القانون، ويشرف على التعليم الديني، ويترأس الاجتماعات المتعلقة بالمسائل الدينية، يساعده موظف يُسمى حزان<sup>(\*\*)</sup>، وقد عُرف من هؤلاء الرؤساء ثيودوروس، الذي ترأس اليهود في مدينة ماكونة الواقعة في جزيرة ميورقة، وكان ثيودوروس من أثرياء اليهود، ويملك الكثير من الأراضي الزراعية في جزيرتي منورقة وميورقة، وقد ظهر اسمه خلال الصراع اليهودي النصراني في إسبانيا في أوائل القرن الخامس الميلادي<sup>(58)</sup>، وكان للبيعة مكانة بارزة في أوساط اليهود، فبالإضافة إلى كونها مكاناً للصلاة والعبادة، فهي مدرسة تُلقى فيها دروس المواعظ، ويتمُّ فيها تعليم الأبناء، وهي مركز للقضاء وتنفيذ العقوبات، وفيها تناقش القضايا المالية والسياسية والقانونية كافة<sup>(59)</sup>.

وكان يهود إسبانيا خلال الحكم الروماني يُطبقون شعائر دينهم، دون عوائق تذكر، ويتوجّهون بأسئلتهم الدينية إلى مدارسهم في الشرق<sup>(60)</sup>.

(56) لمعرفة التقسيمات الإدارية لشبه الجزيرة الأيبيرية خلال الحكم الروماني. ينظر: حتامله، أيريا، ص 174-180.

(57) الكواتي، اليهود في المغرب، ص 52.

(\*) الربّي: لقب أطلق على رؤساء اليهود وأحبارهم، وهي كلمة تعني بالعبرية «الرئيس» أو «الكبير».

ظاظا، حسن، الفكر الديني اليهودي، (دمشق، دار القلم، ط 2، 1407 هـ-1987 م)، ص 201.

(\*\*) الحزان: موظف يقوم بمساعدة الربّي في الشؤون الدينية، وهو الذي يتولى الوعظ والخطابة في المعبد اليهودي.

ينظر: القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج 5، (مصر، المؤسسة المصرية العامة، نسخة مصورة عن

الطبعة الأميرية، د.ت). ص 474؛ الكواتي اليهود في المغرب، ص 52.

(58) DUBNOV, HISTORY OF THE HEWS, VOL.2, P.505.

(59) الكواتي، اليهود في المغرب، ص 52.

(60) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.9.

وبالنسبة للنشاط الاقتصادي لليهود إسبانيا، فهناك إشارات تُظهر أنَّهم عملوا من سنة (100-300م) في زراعة الزيتون، وفي صناعة النبيذ<sup>(61)</sup>. وقد أصبح عددٌ كبيرٌ منهم من أصحاب الأملاك الكبيرة، وكانوا يحرقون الأرض بأيديهم، أو بواسطة العبيد، أو يؤجرونها بموجب الشروط المعمول بها في ذلك الوقت، وكان بعضهم مسؤولاً عن العمال والحسابات في الإقطاعيات التي يملكها الآخرون<sup>(62)</sup>. كما توجد إشارات إلى اشتغالهم بالتجارة في ما وراء البحار<sup>(63)</sup>.

وقد تأثر يهود إسبانيا بغيرهم من السكان بالرومان، فتكلموا بلغتهم، وتسموا بأسمائهم، وأخذوا بعض عاداتهم وتقاليدهم، فانتشرت بينهم اللغة اللاتينية، وكتبوا بها أبحاثهم الدينية، ولذلك فقد احتاجوا في بيعهم إلى مترجمين يترجمون كتابهم المقدس إلى اللغة اللاتينية التي أصبحت مفهومة لدى جمهورهم، ومستخدمة أكثر من لغتهم العبرية<sup>(64)</sup>. ويلاحظ أن اليهود غيرهم من السكان قد تأثروا بالرومان في مجالات مختلفة إلا أنهم ظلوا محافظين على معتقداتهم الدينية.

لم تدم حالة الوفاق بين اليهود والسلطة الرومانية الحاكمة، إذ سرعان ما تبدلت وساءت. وسبب ذلك أن كثيراً من الحكام الرومان اكتشفوا أن اليهود يستغلون الشعب الروماني، وسيئون معاملتهم، ويسلكون كل الطرق البعيدة عن القانون والأخلاق في سبيل الحصول على المال، وأنهم ينطلقون في تعاملهم معهم من منطلق تعاليم التلمود الذي يقول: «الفرق بين درجة الإنسان ودرجة الحيوان، كالفرق بين اليهود وبقية الشعوب»<sup>(65)</sup>، ويقول: «حياة غير اليهودي ملك لليهودي، فكيف بأمواله»<sup>(66)</sup>. وعندما حاول الحكام الرومان منع تجاوزات اليهود على شعبهم، وضيقوا عليهم، قام اليهود بالتمرد عليهم. وكانت تمردات اليهود في بعض الأحيان عنيفة، وكانوا في تمرداتهم ينتقمون من السكان الذين يعيشون حولهم، بأبشع الطرق. ففي بداية القرن الثاني الميلادي، وفي عهد الإمبراطور تراجان (TRAGAN)،

(61) GILBERT, MARTIN, JEWISH HISTORY ATLAS, (LONDON, 1969), P.15

BEAR, YITZHAK, A HISTORY OF THE JEWS IN CHRISTIAN SPAIN VOL.1, P.17-18 (62)

IBID, VOL.1, P.18; LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.9. (63)

(64) حتامله، أيريا، ص 187؛ الكواقي، اليهود في المغرب، ص 54؛ R, A HISTORY OF THE JEWS, VOL.1, P.19.

(65) مظهر، سليمان، قصة الديانات، (دار الوطن العربي، د.ت)، ص 376.

(66) التل، عبد الله، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط2، 1979م)، ص 74.

وأثناء انشغاله في محاربة البرثيين، قام اليهود بتمرد كبير في منطقة برقة، امتد إلى مصر وما بين النهرين وأنطاكية، وقد تزعم اليهود في هذا التمرد ملكاً عينوه عليهم، يدعى أندرياس (ANDREAS)، وقد بدأ التمرد بمهاجمة السكان الإغريق، ثم تطوّر بعد عودة تراجان وتصديه لهم، إلى صراع يائس مع الحكومة الرومانية. ويصف ديون كاسيوس<sup>(67)</sup> (DION CASSIUS) هذه الوحشية بقوله: «إنهم كانوا يأكلون لحوم قتلاهم، ويصنعون من أمعائهم أحزمة يتمنطقون بها، ويلطخون أجسامهم بدمهم، ويسلخون جلودهم، ويتخذونها ملابس لهم، وأنهم عمدوا إلى كثير منهم فشطروهم شطرين من رأسهم إلى الأسفل، وألقوا بآخرين إلى الوحوش المفترسة، وأرغموا الكثير منهم على مصارعة بعضهم بعضاً، كما يفعل المصارعون»<sup>(67)</sup>. كما قاموا بتدمير المعابد الإغريقية، وتخريب الطرق والمباني العامة، حتى تحوّلت برقة في آخر الأمر إلى صحراء يُخيم عليها الخراب الشامل<sup>(68)</sup>. ويقدر ديون كاسيوس عدد الإغريق الذين قتلهم اليهود في برقة بحوالي 220000 نسمة، وعدد الذين قتلوهم في قبرص بحوالي 240000 نسمة<sup>(69)</sup>.

وبالرغم من المبالغة الواضحة والكبيرة في تقديرات عدد القتلى، إلا أنها تشير إلى شدة عنف تمردات اليهود، وأنهم كانوا يوجّهونها ضد السكان.

ومع أن هذه التمردات<sup>(70)</sup> لم يقم بها يهود إسبانيا، إلا نتائجها قد انعكست عليهم، وأساءت إلى علاقاتهم بالسلطة الرومانية، وجعلتهم مكروهين من سكان إسبانيا الذين لا يخفى عليهم ما يفعله يهود شمال أفريقيا القريبة منهم بمن حولهم من السكان فيها.

(\*) ديون كاسيوس: مؤرخ ولد في نيقيا، حوالي سنة (155 م)، وتوفي حوالي سنة (235 م)، كتب بالإغريقية تاريخاً للرومان. ينظر: الكواقي، اليهود في المغرب، ص 58.

(67) الكواقي، اليهود في المغرب، ص 58؛ عبد العليم، اليهود في مصر، ص 178.

(68) عبد العليم، اليهود في مصر، ص 178.

(69) م. ن، ص 178.

(70) حدثت تمردات أخرى قام بها اليهود ضد الرومان في مصر. ينظر: عبد العليم، اليهود في مصر، ص 182، 188-189.

كما ازداد العداء والكره لليهود من سكان الإمبراطورية، بما فيهم سكان إسبانيا الذين تحول معظمهم إلى النصرانية بعد اعتناق الإمبراطور قسطنطين لها سنة 312 م، وجعلها الدين الرسمي للبلاد<sup>(71)</sup>، وذلك بسبب التاريخ الميرر لليهود في التصدي للنصرانية منذ ظهورها فعلى الرغم من أنهم أهل كتاب سماوي، ويفترض أن يكونوا أول من يؤمن بعيسى -عليه السلام- إلا أنهم كذبوه، واتهموا أمه مريم العذراء بالزنا، وحرصوا عليه الوثنيين الرومان، ثم اتخذ مجلسهم الكهنوتي الأعلى «السنهدين»<sup>(72)</sup> قراراً سنة (39 م) بقتله صلباً<sup>(73)</sup>، لكن الله حفظه منهم، وحول صورة أحد حواريه إلى صورته فقاموا بصلبه وقلته. ورفع الله المسيح عليه السلام إليه، لكنهم اعتقدوا، وكذلك النصارى أنهم قتلوه<sup>(74)</sup>.

وظل النصارى يذكرون كيف قتل اليهود رموزهم وقديسيهم الأوائل، مثل مار يعقوب الراشد الذين حرصوا الإمبراطور الروماني الوثني هيرودوس إغريقا على قتلته، فأمر بقطع رأسه سنة (41 م)، وكيف قاموا برجم يعقوب أحد حواريه المسيح، وعدداً كبيراً من النصارى سنة (62 م)، وقتل مار سمعان أسقف أورشليم سنة (117 م)، وكذلك المجازر الواسعة التي حدثت بعد حريق روما، وتوالت في عهد نيرون ضد النصارى في جميع أنحاء الإمبراطورية، بتحريض من بوبايا زوجة القيصر ذات الأم اليهودية التي كانت لا ترد طلباً لشيوخ اليهود المقيمين في ظل حمايتها<sup>(75)</sup>.

(71) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 10.

(72) السنهدين: وهو المجلس الكهنوتي الأعلى لليهود، ويضم عدداً من قادتهم وحكائهم، ويتولى إدارة شؤونهم وتوجيههم. ويرى بعض اليهود أنه تشكل منذ عهد موسى عليه السلام، بينما يرى آخرون أنه تشكل بعد الرجوع من السبي البابلي. وهم يزعمون أن جميع أعضائه من اللاويين أبناء هارون عليه السلام. ينظر: سوسة، أحمد، مفصل العرب واليهود في التاريخ، (بغداد، دار الحرية للطباعة، ط 5، 1980 م) ص 333.

(73) م. ن، ص 333.

(74) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، مختصر تفسير ابن كثير، م 1، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، (بيروت، دار القرآن الكريم، 1402 هـ-1981 م)، ص 455-456؛ ينظر سورة النساء، آية 157-158.

(75) حرب، إميل الخوري، مؤامرة اليهود على المسيحية، (بيروت، دار العلم للملايين، 1947 م)، ص 32-33.

ومن حوادث التحريض اليهودي ضدّ النصارى قيام حبر يهودي بتحريض الإمبراطور أنطونيوس بن أسيريوس المعروف بماركوس أوروليوس على النصارى، حتى أصبح عدواً لدوداً لهم، لدرجة أنّه أمر بقتل النصارى من جنوده العائدين من الحرب. كما أقنع هذا الحبر الإمبراطور الساذج بأن النصارى يجلبون أمراضاً معدية، تفتك بالشعوب، واستصدر منه أمراً بإبادة النصارى القاطنين في روما وقتئذٍ<sup>(76)</sup>.

واليهود عندما يقومون بهذه الأعمال إنما ينفذون ما دعا إليه أحبارهم، إذ جاء في التلمود: «باستطاعتك، بل من واجبك أن تقتل أفضل النصارى»<sup>(77)</sup>.

والتلمود مليء بالعبارات المعادية والمثيرة للنصارى، وبالشتائم والالتهامات الموجهة إلى المسيح وأمه، إذ يعدونه ابن زناً وساحراً وخارجاً عن الإيمان، وأنه سوف يعاقب في جهنم إلى الأبد، وسط الأقدار الفائرة<sup>(78)</sup>.

وما يؤكد اعتقاد اليهود بتعاليم التلمود في كل العصور، ما ينقله إميل الخوري عن لوب، الذي يقول في مجلة الدروس اليهودية: «وأي عجب في أن يتضمن التلمود بعض المذمّات بحق يسوع؟! إنما الغريب أن يكون الحال على خلاف ذلك، وإذا كان لابد من عجبٍ لشيء، فلنعجب لأنه ليس في التلمود من المذمات أكثر مما فيه...»<sup>(79)</sup>.

لقد نشطت الدعاية اليهودية لإيقاف تيار النصرانية الجارف، ولم تقتصر على الأساليب سالفة الذكر، بل استعملت أسلوب السخرية والتهكم من شخصية المسيح عليه السلام، ومن الأمثلة على ذلك قيام أحد اليهود بحمل صورة «كاريكاتورية» للمسيح عليه السلام في أحد شوارع مدينة قرطاجة، وهو في ثوب فضفاض، وأقدام ظلفاء، يحمل كتاباً، وقد كتب بجانب الرسم: «رب المسيحيين ينام مع الحمير»<sup>(80)</sup>.

(76) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 9.

(77) م. ن، ص 32.

(78) حرب، مؤامرة اليهود على المسيحية، ص 36.

(79) م. ن، ص 36.

(80) م. ن، ص 61.

ونشط النصارى في الدفاع عن أنفسهم ونصرة دينهم، ومن بين المدافعين طرطوليانوس أو تيرتوليان TERTULIAN، وهو أحد آباء الكنيسة، وقد ناضل ضد طائفة كارثيج CARTHAGE اليهودية في نهاية القرن الثاني الميلادي، وألف كتاباً بعنوان: «ضد اليهود» ما بين سنتي (200 و 206م) للرد عليهم ودحض حججهم، وبين مواقفهم المضادة للنصرانية<sup>(81)</sup>.

إنَّ أوَّل اتصال بين النصرانية ويهود إسبانيا كان على يدِ الحواري بول (PAUL)، الذي قيل أنه قام بزيارة إسبانيا لدعوة يهودها إلى الدين الجديد<sup>(82)</sup>. ويبدو أنَّ دعوته قد قوبلت بالرفض، إذ لم ترد روايات عن انتشارها بين اليهود.

وهناك رواية تقول: إن يهود طليطلة قد بعثوا برسالة إلى المجلس الكهنوتي الأعلى لليهود «السنةدين» في القدس، يستنكرون فيها صلب المسيح<sup>(83)</sup>. ويصعب تصديق الخبر الذي تقدّمه هذه الرواية، لاحتمال أن يكون يهود إسبانيا هم الذين اختلقوه وأذاعوه، بهدف التخفيف من حملات الاضطهاد التي تعرّضوا لها في عصور مختلفة، إذ أنَّ الرواية تنفي مسؤولية آبائهم في المشاركة، أو الرضا بأكبر جريمة اقترفها اليهود بحق النصرانية، والتي كانت على الدوام أهم أسباب التضييق عليهم.

ويبدو أنَّ العلاقات النصرانية اليهودية في إسبانيا حتى القرن الثالث الميلادي، كانت أفضل مما هي عليه في مناطق أخرى<sup>(84)</sup>، أو أن النصارى هناك كانوا أضعف من مواجهة اليهود والتصادم معهم، ولذلك لوحظت هجرة يهودية من شمال أفريقيا إلى إسبانيا خلال تلك المدة<sup>(85)</sup>.

(81) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.504.

الكوايتي، اليهود في المغرب، ص 61.

(82) BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.484;

BEAR, A HISTORY OF THE JEWS, VOL.1, P.16.  
(83) BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.484.

(84) الموسوعة العبرية، م 26، ص 381.

(85) مؤنس، حسين، فجر الأندلس، (القاهرة، ط 1، 1959م)، ص 521؛

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.504.

إنَّ أقدم وثيقة وصلت إلينا، وتُعبّر عن موقف نصارى الأندلس من يهودها، هي تلك القوانين الأربعة الصادرة عن مجلس البيرة (ELVIRA)، الذي عُقدَ من سنة (303-304م)، أي قبل أن يعتنق الإمبراطور قسطنطين النصرانية ويجعلها الديانة الرسمية في البلاد، وقبل أن يحدث التحالف بين الكنيسة والسلطة الحاكمة.

ويتكون هذا المجلس من تسعة عشر أسقفًا، وأربعة وعشرين رجل دين آخر (PRESBYTERS)، يتم اختيار الأساقفة من قرطبة وإشبيلية وطليطلة وطركونة والمدن الأخرى التي يقطن فيها اليهود، وقد صدر عن هذا المجلس العديد من القوانين ضدَّ الوثنية في إسبانيا، وحول تنظيم الكنيسة والتبشير بالنصرانية<sup>(86)</sup>. أما القوانين الخاصة باليهود فهي: -

القانون 16 ونصه: «لا يجوزُ تزويج الفتيات الكاثوليكيات لا لليهود ولا للكفرة، وذلك لضرورة عدم قيام أية علاقات بين المؤمن والكافر، وإنَّ الآباء الذين يخالفون هذا القانون سيتم طردهم من الكنيسة لمدة خمسة أعوام»<sup>(87)</sup>.

والقانون 49 ونصه: «يجب تذكير مالكي الأراضي بعدم السماح لليهود بمباركة المحاصيل التي رزقهم الله بها، وذلك من أجل أن لا يقوم اليهود بإضعاف تأثير بركات الرهبنة النصرانية، وكل من يتجرأ على انتهاك هذا الحظر سوف يطرد من الكنيسة كلياً»<sup>(88)</sup>.

والقانون 50 ونصه: «إذا قام أيُّ امرئ، سواء أكان من رجال الكنيسة، أم من بقية المؤمنين بتناول الطعام مع اليهود، فسوف يُحرم من رعايتنا الكنسية، إلى أن يقوم بالتكفير عن ذنبه، عسى أن يكون ذلك درساً له»<sup>(89)</sup>.

BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.484; (86)

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.10; DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.504.

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.10. (87)

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.505.

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.10 P; DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, (88)  
P.504.

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.10; DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, (89)  
P.505.



والقانون 78 ونصه: «إذا اقترف مؤمنٌ متزوّجٌ إثم الزنى مع فتاةٍ يهوديةٍ أو وثنيةٍ، فسوف يتعرّض إلى الطرد من رعايتنا الكنسية»<sup>(90)</sup>.

وعند التأمل في هذه القوانين يتبيّن مدى العلاقة التي كانت تربط بين اليهود في إسبانيا وبقية السكان قبل اعتناقهم النصرانية، فقد تمكنوا من الهيمنة على عقول الكثير من المزارعين، مستغلّين بساطتهم، وخواءهم الروحي، وخوفهم من الكوارث التي قد تصيب حقولهم، وأقنعوهم بقدرتهم على مباركة محاصيلهم وزيادتها، وأظنّ أنهم كانوا يتقاضون على عملهم هذا أجراً، والظاهر أنه قد ساعدهم على ذلك شعور السكان الوثنيين أمامهم بالنقص، إذ يفاخرون كعادتهم، بأنهم أصحاب كتاب سماوي، وأنهم أبناء الله وأحباؤه<sup>(91)</sup>، وقد استمرت هذه العادة بعد دخول كثير من السكان في النصرانية، حيث أصبحت عادة متوارثة ليس من السهل تركها، وقد أفلقت رجال الدين؛ لأنّها تقلّل الثقة بهم، وبدينهم، فأصدروا قانوناً يحرمها، ويتوعّد من يقرّرها.

كما يتبين وجود علاقات اجتماعية بين يهود الأندلس وسكانها النصراني، حتى مطلع القرن الرابع الميلادي<sup>(92)</sup>، إذ كان بعض اليهود يتزوجون من نصرانيات، ويشاركون النصراني على موائد الطعام، ويخالطونهم. ويدلّ التشدد في العقوبات التي وضعها رجال الدين على تأصل وقدم هذه الممارسات، بحيث أنه لا يكفي النهي وحده لوقفها، ولا بدّ من وضع عقوبة زاجرة. ولعل سبب تأصلها، أنها سائدة في إسبانيا قبل دخول السكان في النصرانية.

ويتبيّن كذلك أن اليهود في نظر رجال الدين النصراني في إسبانيا كفارٌ يجب عدم تزويجهم أو مؤاكلتهم.

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.11. (90)

(91) ذكر معتقدتهم هذا الذي يشاركون فيه النصراني في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُل فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المائدة، آية 18.

(92) الموسوعة العبرية، م26، ص381.

ومن الطبيعي أن يبدأ رجال الدين حملة المقاطعة لليهود قبل غيرهم من النصارى العاديين؛ لأنهم الأعراف بتاريخهم مع النصرانية، والأدري بما يدبرون ويكيدون لدينهم.

إن الكره المتراكم في قلوب شعوب الإمبراطورية الرومانية لليهود، بسبب التجارب المريرة معهم، والتي ذكرنا جانباً منها، قد زاد بعد اعتناق هذه الشعوب النصرانية، إذ أصبح النصارى الأوائل الذين قتلهم اليهود، رموزاً محبوبة لدى هذه الشعوب، بمن فيهم سكان إسبانيا. يؤكد ذلك ما حدث سنة 418 م، في جزيرة منورقة، حيث أُعلن عن اكتشاف الآثار المقدسة للقديس ستيفانوس الشهيد النصراني الأول، الذي قتله اليهود بعد مدة قصيرة من محاولة قتل المسيح عليه السلام، فتدفقت حشود النصارى من مختلف أرجاء إسبانيا، لمشاهدة هذه الأعجوبة، وأثيرت مشاعر النصارى ضدّ اليهود، وزادها تحريض أسقف منورقة سيفيروس، وبطانته الكهنوتية، وأرادوا معاقبة اليهود، فقاموا بهدم كنيسهم في ماكونا، وتنصير يهودها<sup>(93)</sup>، الذين يبلغ عددهم نحو ثلاث مئة عائلة<sup>(94)</sup>.

كما حدثت ردود فعل أخرى ضد اليهود في مناطق داخل إسبانيا، وما يدل على حدوثها، هروب عدد من يهود إسبانيا إلى جزيرة منورقة قبيل وقوع أحداثها سالفة الذكر<sup>(95)</sup>.

أصاب الضعف جسم الإمبراطورية الرومانية، وتمكنت العديد من القبائل الجرمانية القادمة من الجهات الشرقية من أوروبا من الدخول إلى إسبانيا عبر جبال ألبرت سنة (409م)، بعد أن هزموا الجيوش الرومانية التي تصدّت لهم، في تلك المناطق وقد احتلت هذه القبائل معظم أراضي إسبانيا، واقتسمتها في ما بينها سنة (411م)<sup>(96)</sup>.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.505-506. (93)

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.11. (94)

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.506. للمزيد من التفصيل ينظر: (95)

BEAR, A HISTORY OF THE JEWS, VOL.1, P.17-18. (95)

ISIDOR OF SEVILLES, HISTORY OF THE KINGS OF THE GOTHES, VANDALS AND SUEVI (96)

(LEIDEN, 1966), P.34;

حتامله، أبيبريا قبل مجيء العرب المسلمين، ص 192-193.

وكان الوندال من أقوى القبائل الجرمانية في إسبانيا، التي سُمّيت بالأندلس نسبة إليهم، وقد ظلوا فيها إلى أن طردهم منها القوط سنة (429م)<sup>(97)</sup>، فتوجَّهوا عبر مضيق جبل طارق إلى شمال أفريقيا، وأقاموا فيها دولة استمرَّت إلى أن قضى عليهم الرومان سنة (534م)<sup>(98)</sup>.

ولا تتوفر معلومات عن أحوال اليهود خلال سيادة الوندال وغيرهم من القبائل الجرمانية المرافقة لهم، غير أنَّ اليهود لم يقاوموا هذه القبائل<sup>(99)</sup>، مثلما قاومها النَّصارى الكاثوليك. وأرى أنهم قدَّموا لهم المساعدة ضدَّ النصارى، الذين بدأوا يضيقون عليهم، في الأقل منذ مجلس إفيراً سنة (303-304م)، وضدَّ الرومان الذين ضيَّقوا عليهم، ولا سيما عندما اعتنق الإمبراطور قسطنطين النصرانية، وجعلها الدين الرسمي والوحيد في البلاد سنة (312م)<sup>(100)</sup>.

وقد جنى اليهود ثمارَ هذا الموقف تسامحاً من قبل الوندال<sup>(101)</sup>، الذين اضطهدوا الكاثوليك، فانشغلوا بأنفسهم ولم يعودوا قادرين على مواصلة تضيقهم على اليهود، وسبب اضطهاد الوندال للكاثوليك هو مقاومتهم لهم؛ لأنَّ الوندال يُخالفونهم في المذهب، حيث كانوا نصارى على المذهب الأريوسي<sup>(102)</sup>، وهو المذهب نفسه الذي حمّله القوط، واستمروا على اعتناقه في إسبانيا منذ دخولها سنة (409م)، إلى أن تحوَّل ريكارد إلى الكاثوليكية سنة (587م)، وفرضها على معظم القوط<sup>(103)</sup>.

(97) حتامله، أيبيريا قبل مجيئ العرب المسلمين، ص 196.

(98) م.ن، ص 196.

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.11.(99)

BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.484. (100)

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.11. (101)

ISIDOR OF SEVILLES, HISTORY OF THE KINGS OF THE GOTHES, VANDALS (102)  
AND SUEVI (LEIDEN, 1966) P.35;

حتامله، أيبيريا قبل مجيئ العرب المسلمين، ص 198.

(103) حتامله، أيبيريا قبل مجيئ العرب المسلمين، ص 238-240.

وهذا المذهب الذي نعم يهود إسبانيا في ظلّه بشيءٍ من الحرّية والتسامح أثناء حكم الوندال والقوط الأريوسيين يقوم على التّوحيد، ويجعل المسيح عليه السلام إنساناً كاملاً، وينفي عنه الألوهية، ويقول بأنّ الله خلقه من لا شيء<sup>(104)</sup>. ولهذا أوصى النبي محمد ﷺ في رسالته إلى هرقل عظيم الروم بمعتنقي هذا المذهب خيراً، فقال في رسالته: «... فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين»<sup>(105)</sup>.

عاش اليهود في إسبانيا، تحت سيادة ملوك القوط الأريوسيين لأكثر من قرن ونصف من الزمان، وتدلّ المعلومات القليلة المتوفرة عنهم في تلك المدّة على تمتّعهم بمرحلة من التسامح والرخاء، مقارنة بأوضاعهم تحت حكم القوط الكاثوليك، الذي أعقب هذه المرحلة.

فقد كانوا يطبقون شرائعهم الدينية المتعلّقة بالطعام والزواج والعبيد والسبت واحتفالات الأعياد، ويترددون على معابدهم، ويقرؤون بحوثهم الدينية المكتوبة باللاتينية على الأرجح، ولهم في كل مدينة يسكنونها طائفة مستقلة تدير شؤونها الخاصّة<sup>(106)</sup>، وهم يحاكمون في المحاكم المدنية، وفقاً للقانون الروماني<sup>(107)</sup>، لكنّهم لم يُعدّوا مواطنين رومانيين كاملين، حسب القانون القوطي الأريوسي الأول الصادر سنة (506م)، من الملك القوطي أاريك الثاني (484-507م)، كجزء من قانون ثيودسيان الخاص بالسكان، حيث منعهم من احتلال مناصب عامة، وحظر عليهم الزواج مع النصارى، أو بناء معابد جديدة، أو امتلاك عبيد نصارى، كما منعهم من اضطهاد المتحوّلين منهم إلى الأريوسية، لكنّ هذا القانون لم يُنفذ بشكل صارم في معظم الأوقات<sup>(108)</sup>، ولا يُعبّر عن اضطهادٍ قوطي أريوسي لليهود. ويفسّر أحد الباحثين وجوده بأنّه نُقل عن غير قصدٍ من القانون الروماني الكاثوليكي المتعصّب ضدّ اليهود<sup>(109)</sup>.

(104) كحيلة، عبادة، تاريخ النصارى في الأندلس، (القاهرة، ط1، 1414هـ-1993م)، ص14، 15؛

ISIDOR OF SEVILLES, HISTORY OF THE KINGS OF THE GOTHs, VANDALS AND SUEVI (LEIDEN, 1966) P.6.

(105) ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ج3، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1385هـ-1965م)، ص501.

BEAR, A HISTORY OF THE JEWS IN CHRICTIEN SPAIN, VOL.1, P.19. (106)

IBID, VOL.1, P.18. (107)

(108) طرخان، إبراهيم علي، دولة القوط الغربيين، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1958م)، ص166؛

BEAR, A HISTORY OF THE JEWS IN CHRISTINE SPAIN, VOL.1 P.18-19;  
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.506.  
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.507. (109)

ولا أرى صحة هذا الرأي، إذ إنَّ لكل دولة قوانينها الخاصة، التي تنظم شؤون رعاياها، وليس بالضرورة أن تتحقَّق جميعها رغبات ومصالح هؤلاء الرعايا، حتى توصف بأنها عادلة أو متسامحة.

وتبادلت الكنيسة الكاثوليكية، والسلطات القوطية الأريوسية القوانين التي تمنع اختلاط الفئتين معاً، فحرَّمت الكنيسة الكاثوليكية التزاوج مع القوط الأريوسيين، وكذلك فعلت القوانين الأريوسية، وعاشت الفئتان النصرانيتان طوال مدَّة الحكم الأريوسي منعزلتين متباغضتين. وأفاد اليهود من ذلك، فلا الكاثوليك يستطيعون اضطهادهم، ولا الأريوسيون يفرِّطون في خدماتهم، ومناصرتهم لهم ضد الكاثوليك العدوَّ المشترك<sup>(110)</sup>.

وقد استخدم القوط الأريوسيون اليهودَ في منطقة نربونة<sup>(\*)</sup> (NARBONNE)، للدفاع عن حدودهم الشمالية، ضدَّ هجمات الكاثوليك الفرنج، وعندما سقطت نربونة في أيدي الكاثوليك قاموا باضطهاد اليهود والأريوسيين<sup>(111)</sup>.

كما ناصر اليهود القوط ضدَّ البيزنطيين في شمال أفريقيا في عهد الإمبراطور جستنيان، عندما حاول البيزنطيون نشر الكاثوليكية في إسبانيا<sup>(112)</sup>.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.507;(110)

لم تخل مدة حكم القوط الأريوسيين من عهود تسامح مع الكاثوليك، لكن التباغض والاضطهاد هو الأغلب، وأشدَّ العهود على الكاثوليك كان عهد الملك يوريك (466-486م)، إذ قام بإعدام العديد من الأساقفة الكاثوليك. ينظر: طرخان، دولة القوط، ص 156-157.

(\*) نربونة: مدينة في جنوب فرنسا، وتسمى أيضاً أربونة.

البكري، المسالك والممالك، «الجزء الخاص بالأندلس»، (هامش المحقق).

وقد وصفها الحميري بقوله: «مدينة هي آخر ما كان بأيدي المسلمين من مدن الأندلس وثغورها مما يلي بلاد الإفرنجة». الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 11-12.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.507. (111)

IBID, VOL.2, P.507. (112)

واليهود لا يناصرون القوط الأريوسيين حَباً فيهم، أو إخلاصاً لهم، وإنَّما ليحققوا مصالحهم التي يعتقدون أنها في إبعاد سلطة الكاثوليك الأكثر تعصباً ضدهم.

وتوجد إشارات عن ممارسة اليهود خلال هذه المرحلة التجارية والزراعة<sup>(113)</sup>، وامتلاكهم الأراضي الزراعية الواسعة<sup>(114)</sup>، وأنَّهم دفعوا ضرائب فرضها عليهم القوط<sup>(115)</sup>.

كما أقام اليهود علاقات جيدة باليهود خارج إسبانيا<sup>(116)</sup>، ولعلَّ هذه العلاقات إحدى أسباب التفوق التجاري لليهود على مر العصور.

ويمكن استنتاج الكثير عن حياة اليهود الاجتماعية والاقتصادية في هذا العصر من خلال القوانين القوطية الكاثوليكية اللاحقة، التي وضعت حدًّا للرخاء النسبي الذي عاشه اليهود تحت الحكم القوطي الأريوسي، والذي انتهى منذ اعتناق الملك القوطي ريكارد الكاثوليكية سنة 587 م.



---

BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.484; (113)

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.9.

الموسوعة العبرية، م 26، ص 381.

BEAR, A HISTORY OF THE JEWS IN CHRICTIEN SPAIN, VOL.1, P.18. (114)

IBID, VOL.1, P.19. (115)

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.15, P.507. (116)

## المبحث الثالث اليهود تحت حكم القوط الكاثوليك

كان تحوّل الملك القوطي ريكارد إلى الكاثوليكية سنة (587م)<sup>(117)</sup>، حدثاً مؤثراً في تاريخ إسبانيا، وانقلاباً مفاجئاً في حياة سكانها. إذ أجبر ريكارد القوط على تغيير مذهبهم الأريوسي إلى المذهب الكاثوليكي بعد نحو ثلاثة قرون من اعتناقه، وصار لرجال الدين الكاثوليك ومجالسهم الكنسية سلطة تفوق في كثير من الأحيان سلطة الملك نفسه<sup>(118)</sup>، إذ أصبحت مجالس دينية تشريعية يحضرها الملك والنبلاء، ويشاركون رجال الدين في سنّ القوانين<sup>(119)</sup>، وتبدّلت معيشة اليهود من رخاء وسلام نسبي في عهد القوط الأريوسيين إلى معيشة ضنكى، لم يعيشوا مثلها، منذ دخولهم هذه البلاد، حيث أصبح الشغل الشاغل للمجالس الكنسية هو إصدار القوانين المضيقّة على اليهود، ومراقبة تنفيذها<sup>(120)</sup>.

وصار تشدّد الملك القوطي مع اليهود، من أهم أسباب حصوله على رضا ودعم رجال الكنيسة، وكثيراً ما كانوا يفرضون على الملك قبل مبايعته. أن يقسم أمامهم، بأنّه سيُنقذ جميع القوانين السابقة والخاصّة باليهود، وأنّه سيواصل التضييق عليهم<sup>(121)</sup>.

---

(117) يرى البعض أنّ سبب تحوّل ريكارد إلى الكاثوليكية هو اقتناعه بها، بينما يرى آخرون أنّ السبب هو اقتناعه بأنّ اعتناقها وفرضها على جميع السكان هو أقصر طريق لتوحيد البلاد.

S.SCH, SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.220; ينظر:

ISIDOR, HISTORY OF THE KINGS, P.25-27;

BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.484;

طرخان، دولة القوط، ص 151. ولا يمكن الجزم بأحد الرأيين، لأن النوايا لا يعلمها إلا الله تعالى، ولا توجد القرائن التي تمكّن من الحسم.

S.SCH, SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.220. (118)

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL. 2, P.508; (119)

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.13.

(120) طرخان، دولة القوط، ص 151.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.508.

ELIYAHU ASHTOR, THE JEWS OF MOSLEM SPAIN (PHILADELPHIA, 1979), VOL.1, P.12; (121)

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.515.

وهدف رجال الدين من هذا التضييق، هو حملهم على التنصّر، وعقاباً لهم على ما اقترفه أجدادهم بحق المسيح وأمه عليهما السلام، وبحق النصرانية ورموزها في العصور السابقة، وهم يرون أن ما يصيب اليهود بأيدي النصارى من عذابٍ، إنما هو عقاب مسلط عليهم من الله بسبب كفرهم ومعاصيهم<sup>(122)</sup>.

صدرت أولى القوانين المضيقّة على اليهود عن المجلس الكنسي الثالث لطليطلة، والذي دعا إليه وحضره ريكارد سنة (589م)<sup>(123)</sup>، وكان الهدف الرئيسي من عقده، هو إعلان الكاثوليكية مذهباً رسمياً ووحيداً في البلاد، واعتبار الأريوسية كفراً، والحصول على دعم رجال الدين في نشر الكاثوليكية، وقد صدرت عن المجلس العديد من القوانين، التي تلغي المعتقدات الأريوسية، وتلعن من يؤمن بها<sup>(124)</sup>.

ولم يفت المجلس أن يذكر اليهود بالقانونين الآتين: -

القانون 14، ونصه: «توافقاً مع رأي المجلس، أمر ملكنا المجيد، بأن تُدرج ضمن القوانين، أنه لن يسمح لليهود بالتزوّج من النصرانيات، ولا أن يتخذوا منهنّ خليات، ويجب تعميّد كل الأطفال المولودين من مثل تلك العلاقات، ولن يُسمح لهم بشراء عبيد نصارى لخدمتهم، وإذا وجد لديهم عبيد مختونون، فيجب تحريرهم دون فدية، وردّهم إلى النصرانية، ولن يُسمح لهم بشغل أي منصب عام يمكن لهم من خلاله أن يؤذوا النصارى<sup>(125)</sup>.

والقانون 24، ونصّه: «لقد قرّنا عدم السماح لليهود الذاهبين لدفن موتاهم، بترديد المزامير، ولكن يحقّ لهم تطبيق عاداتهم القديمة بحمل موتاهم ودفنهم، وتبلغ الغرامة المفروضة على خرق هذا القانون ستّ أونصات من الذهب، تدفع إلى حاكم المدينة<sup>(126)</sup>.

ROYMOUND P. SCHEINDLIN, THE JEWS IN MOSLIM SPAIN, THE LEGACY OF MOSLIM (122) SPAIN, SALMA KHADRA JAYYUSI, (EDITOR) (LEIDEN, 1992), P.188;

طرخان، دولة القوط، ص 66.

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.11. (123)

(124) يُنظر: النص الكامل لمحضر مجلس طليطلة الثالث عند: أيبيريا، ص 266-314.

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.11-12. (125)

.IBID, P.12 (126)



وكان منع اليهود من امتلاك العبيد النصارى، أشد بنود هذين القانونين عليهم، وذلك لأنهم كانوا أصحاب تجارة وإقطاعات زراعية واسعة، وبحاجة ماسة إلى عبيد يخدمونهم، ولذلك تقدّموا بالتماس إلى ريكارد، لكي يلغي هذا البند، مقابل دفع مبلغ من المال لخزانة الدولة، لكنّه رفض طلبهم، وقد أثار برفضه هذا تقدير رجال الدين، وبعث إليه البابا جريجوري الأول رسالة، يمتدحه فيها على إخلاصه لعقيدته<sup>(127)</sup>.

لكنّ هذين القانونين لم يُطبّقا بحزم في عهد ريكارد الأول، الذي استمرّ حكمه إلى سنة (601م)، وذلك في ما يبدو لانشغال رجال الدين الكاثوليك في نشر وتوضيح تعاليم مذهبهم لمعتنقيه الجدد، ولوجود عددٍ من الأساقفة الذين مازالوا يوطنون الأريوسية، ويظهرون الكاثوليكية، وتربطهم باليهود علاقات حسنة سابقاً، فقام هؤلاء بحمايتهم، والتستر عليهم<sup>(128)</sup>. وربّما قاموا بذلك لشعورهم أنّ اليهود كانوا مثلهم ضحايا قوانين المرتد ريكارد، أو بفعل الرشوة التي تعودّ اليهود على استخدامها كلّما ضيّق عليهم، أو لأسباب سياسية واقتصادية، منها أن ريكارد لا يرغب في إثارة اليهود ضده، أو رحيلهم وفقدان البلاد لرؤوس أموالهم، في وقت ما يزال فيه كثير من النصارى غير مقتنعين بالعقيدة الجديدة التي فرضها عليهم فرضاً.

وفي أوائل عام (589م) طالب المجلس الكنسي لنربونة جميع سكانها بمن فيهم اليهود، أن يتخذوا يوم الأحد يوم عطلة للجميع، وفرضت غرامة مالية على المخالف الحرّ، والجلد على المخالف العبد، ومنع اليهود من الترنّم بترانيلهم أثناء المراسم الجنائزية<sup>(129)</sup>.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL. 2, P.508. (127)

IBID, VOL.2, P.507; BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, (128) P.484.

BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.484; LINDO, THE (129) JEWS OF SPAIN, P.12.

وخلف ريكارد ثلاثة ملوك لم يهتموا بتطبيق قوانينه، ولم تصدُر في عهدهم أيّة قوانين جديدة بشأن اليهود، وهؤلاء الثلاثة قَضَوْا نَحْبَهُمْ اغتيالاً<sup>(130)</sup>.

ثم خلفهم سايزبوت (SISEBUT) سنة 612 م، وبدأ عهده بتذكير رجال الدين وكبار الموظفين بضرورة تطبيق قوانين ريكارد الخاصة باليهود، ثم أصدر مرسوماً خاصاً بعد شهرٍ قليلةٍ من ولايته، جاء فيه: «إنَّ الكفر اليهوديَّ الملعون، ينبغي ألاَّ يكون له تأثير على النصرانية، لذلك نوَكِّد على أنَّه ابتداءً من سنة حكمنا السعيدة الأولى، لن يُسمح لأيّ يهودي، باستخدام أو التسلط على أي نصراني، سواء أكان هذا النصرانيُّ حرّاً أم عبداً، مستأجراً أم خاضعاً لرئاستهم، بغض النظر عن أي صك ملكية يحملون بهذا الشأن، وأنَّ جميع النَّصارى الذين استُخدموا كعبيد أو كخدم لليهود، ينبغي نقلهم إلى سادة نصارى أو تحريرهم، وسيعدم كلُّ يهوديٍّ قام بتهويد عبده النصراني، وتصادر أملاكه، وإذا رغب أحد أطفال الملعون في اعتناق العقيدة المقدسة، فسوف يُورث عدداً من العبيد الذين يصادرون من والديه، كحصة له، وعموماً إذا تحول اليهودي إلى العقيدة المقدسة فسوف ترفع عنه كل القيود»<sup>(131)</sup>.

وفي ختام مرسومه لم ينس سايزبوت أن يطلب من خلفائه في المستقبل أن يحذوا حذوه في القتال ضد الكفر، وحذر كل من ينتهك المرسوم بأن مصيره سيكون إلى الجحيم<sup>(132)</sup>.

كما أصدر سايزبوت سنة 613 م، قانوناً يقضي بخروج اليهود الذين رفضوا اعتناق الكاثوليكية من إسبانيا<sup>(133)</sup>، وكان صارماً في تنفيذ قوانينه، حيث قام بسجن العديد من أثرياء اليهود، وأمر بقتل كثير منهم، ولم يتمكن أصحاب الأراضي من زراعتها، فاضطر نحو تسعين ألف يهودي إلى التنصّر، وغادر آخرون إلى أفريقيا، وإلى بلاد الغال التي يحكمها الفرنجة<sup>(134)</sup>.

BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11 P.484; LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.12. (130)

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.509-510. (131)

IBID, VOL.2, P.509-510. (132)

(133) الموسوعة اليهودية، ص 286.

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.13. (134)

ويذكر العذري سايزبوت، لكنه يسميه ششغوط، ويتحدث عن تنصيره القسري لليهود، وعن العالم إيزيدور الإشبيلي الذي يسميه إشيذر العالم، حيث يقول: «وهو الذي ضمَّ اليهود إلى دين النصاري قسراً. وكان بصيراً بالكلام، عارفاً بالكتاب، وكان عصره عصر علوم، وأهله أهل تهّم، وفي أيامه كان إشيذر [إيزيدور] العالم بعلم الكتاب»<sup>(135)</sup>.

لقد أصرَّ سايزبوت على قوانينه الصَّارِمة، على الرَّغم من احتجاجات القديس إيزيدور الإشبيلي<sup>(136)</sup>، والبابا جريجوري الأول، وعدد من الأساقفة، حيث عدُّوا التَّنصير القسريّ مناقضاً للنَّصرانيَّة<sup>(137)</sup>.

تُوفِّي سايزبوت سنة (620م)، فخلفه ولده ريكارد الثاني، ولم تطل مدَّة حكمه، إذ توفي بعد أربعة أشهر<sup>(138)</sup>، وقد أظهر خلالها تسامحاً نسبياً مع اليهود، فرجع كثير من المنصَّرين اليهود إلى دينهم الذي كانوا يعتنقونه سراً<sup>(139)</sup>.

وخلفه سويتيتيلا (621-631م) (SUINTILA)، فأظهر مزيداً من التسامح معهم، وواصل المنصَّرون رجوعهم إلى اليهوديَّة، وعاد إلى الأندلس معظم الذين اضطُّروا لمغادرتها في عهد سايزبوت<sup>(140)</sup>، وأطلق عليه المنصرون لقب «أبو الفقراء»، وفي عهده ازدهرت البلاد، وتقلَّصت سلطات رجال الدين، وتمَّ القضاء على آخر وجود روماني في إسبانيا<sup>(141)</sup>.

(135) العذري، ترصيع الأخبار، ص 98.

(136) مؤنس، فجر الأندلس، ص 521؛

BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11 P.484;  
LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.12. (137)

(138) حتامله، أبييريا، ص 243-244.

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.13. (139)

S.SCH, SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15 P.220. (140)

BEAR, A HISTORY OF THE JEWS, VOL.1, P.19. (141)

لم يرض رجال الدين عن سويتيتلا، فأعانوا عليه سيسيناند (SISENANDO)، الذي حصل أيضاً على دعم ملك الفرنجة داغوبيرت، وتمكّن من اغتصاب العرش سنة (631م). ولكي يصير حكمه شرعياً دعا سنة (633م) إلى عقد المجلس الكنسي الرابع في طليطلة، فانعقد بحضور اثنين وستين أسقفًا، ورئاسة أسقف إشبيلية سان إيزيدور (SAN ISIDOR)، وقد أعطى المجلس حكمه صفة شرعية ومنع ذرية سويتيتلا من المطالبة بالحكم<sup>(142)</sup>، وخرج بعشرة قوانين، تقضي بمزيد من التضييق على اليهود<sup>(143)</sup>.

توفي سيسيناند سنة (636م)، فانتخب خنتيلا (636) (KHINTILA-640م) حسب قانون الانتخاب الذي شرعه مجلس طليطلة الرابع<sup>(144)</sup>.

وبدأ الملك الجديد عهده بالتركيز على اضطهاد الذين يظهرون النصرانية ويبطنون اليهودية، ودعا إلى عقد مجلس طليطلة الكنسي السادس، فالتأم سنة (638م)، وألقى خنتيلا خطاباً أمام المجتمعين، وعد فيه باستئصال الخيانة والتحيز لليهود، الذين يدعون النصرانية، وأعرب عن أمله بأن لا يبقى أي شخص غير كاثوليكي في مملكته في الوقت المناسب، وقد أثار هذا الحرص على النصرانية والتشدد مع اليهود إعجاب رجال الدين في المجلس، ومنحوه لقب «الملك المسيحي»<sup>(145)</sup>.

وأصدر المجتمعون في مجلس طليطلة السادس بخصوص اليهود القانون رقم 3<sup>(146)</sup>، الذي يؤكد على اعتماد القوانين الكنسية السابقة، وضرورة تطبيقها، ويضيف: «لقد قررنا بعد المشاورة، أنه في المستقبل يتوجب على كل من يحصل على السيادة الملكية وقبل ارتقائه العرش أن يقسم على عدم السماح لليهود بانتهاك حرمة هذا الدين المقدس، وألا يقبل إغواءهم تحت أي ظرف، فيحايهم ويسكت عن خيانتهم، إهمالاً منه أو طمعاً»<sup>(147)</sup>.

(142) حتامله، أيبيريا، ص 246.

(143) ينظر النصوص الكاملة لهذه القوانين عند:

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.14-18.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.513. (144)

IBID, VOL.2, P.515. (145)

(146) للاطلاع على النص الكامل للقانون. ينظر: LINDO, TH JEWS OF SPAIN, P.18-19.

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.19. (147)

وأمام هذه التشريعات القاسية هجر عددٌ من اليهود إسبانيا، بينما تظاهر معظمهم بقبول النصرانية<sup>(148)</sup>، وحاولوا أن يحصلوا على ثقة الملك ورجال الدين، فكتبوا إليهم تعهداً رسمياً، وعدوا فيه أن يكونوا نصارى طبيين، وأعلنوا أنَّهم يؤمنون بالله الواحد في الثالوث المقدس، وأنه بالرغم من ضلالهم مجدداً، إلا أنَّهم أدركوا الآن أن المسيح هو المخلص الذي بشرت به التوراة، وبشر به الأنبياء، وبعد أن حرروا أنفسهم من شبكة الشيطان، فإنَّهم مستعدون مستقبلاً لطاعة قوانين وتعاليم الكنيسة، وبعد أن تنكروا لعادات وخرافات اليهود، مثل طقوس التطهير الروحي، فإنَّهم قد نفروا من الكنيست (الكنيس اليهودي) وعاشوا وارتبطوا مع النصارى، ما عدا في ما وجدوه مسيئاً لهم من خلال النفور الطبيعي، وليس التحيز الديني، ووعدوا بألا تكون لهم علاقات اجتماعية، أو تزواج مع اليهود، وأنهم مستعدون لتسليم المجلس جميع المؤلفات اليهودية، ومستعدون أيضاً لتسليم كل من ينتهك ما تعهدوا به في كتابهم، إلى المسؤولين أو الأساقفة<sup>(149)</sup>.

توفي خنتيلا سنة (640م) وخلفه على العرش ولده تولجا (TULGA)، وكان شاباً صغيراً ضعيفاً، لم يرض طموح طبقة النبلاء، فاجتمعوا بقيادة واحد منهم هو خنداشفيتنو (KHINDASVINTO)، وعزلوه وسجنوه في أحد الأديرة سنة (641م)، حيث مات، وصار خنداشفيتنو هو الملك، واستمرَّ حكمه إلى سنة (652م)<sup>(150)</sup>.

ونعم اليهود في عهده وعهد من سبقه براحة قصيرة، إذ لم يتماش مع رغبة أساقفة مجلس طليطلة الكنسي، ولم يواصل خطتهم في استئصال اليهودية، ولم يمنع أولئك الذين اعتنقوا النصرانية بالإكراه، من العودة إلى اليهودية، لكنه عاقب بشدة أبناء اليهود الذين ولدوا أثناء تنصر آبائهم، ثم تحولوا إلى اليهودية.

خلف خنداشفيتنو (KHINDASVINTO) ولده ريثيسفتنو (652-RECESVINTO-672م) حيث أوصى له والده بالعرش سنة (649م)، مخالفاً تعليمات المجلس الكنسي الرابع لطليطلة بأن ينتخب الملك انتخاباً، وقد أدَّى ذلك إلى غضب النبلاء، وقيام بعض الثورات والاضطرابات في عهده<sup>(151)</sup>.

S.SCH, SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.221. (148)

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.515. (149)

(150) حتامله، أبييريا، ص 247؛

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.19.

IBID, P.20. (151)

وقد واصل ريشفنتو اضطهاد اليهود والمنصرين المنافقين خلال عهده الطويل، وقد عبّر عن سياسته تجاههم في خطابه الذي ألقاه أمام أعضاء المجلس الكنسي الثامن في طليطلة، المنعقد في كانون الأول سنة (653م)، والذي قال فيه: «إنني أرغب في إخباركم عن حياة وعادات اليهود؛ لأنني أدري بالبلاد التي أحكمها، المدنسة بهذه الآفة، ففي الوقت الذي استأصل فيه الله الجبار جميع أنواع الهرطقة من بلادنا، لم تبق سوى هذه الفئة التي يمكن تصحيحها إما بالثبات على تقوانا أو بالانتقام»<sup>(152)</sup>.

ونتيجة لهذا الخطاب أكد المجلس الكنسي الثامن على جميع القوانين الصارمة للمجلس الكنسي الرابع ضد النصراني المزيّفين، وقدّم اليهود المنصّرون إلى الملك التماساً أعلنوا فيه عن خضوعهم إلى الكنيسة، وقد قام بكتابتته أحد يهود طليطلة المنصرين حديثاً، واسمه أغوير (AGUIRRE)<sup>(153)</sup>.

### وفي ما يأتي النص الكامل لهذا الالتماس:

«إلى سيدنا الرحيم، والمبجل الملك ريكسفيثوس، نحن الموقعون أدناه، من كل يهود طليطلة، نتقدم إليك بالتحية. نحن نذكر أنه في الأوقات السالفة، وبأمر من الملك ختيلا، تعهدنا بصدق كتابياً، بأننا سنعتنق الدين النصراني ونطبق شعائره، ولكن آثام وضلالات آبائنا تقف حائلاً دون إيماننا المخلص بربنا يسوع المسيح [كذا]، وممارسة شعائر النصرانية، ولهذا السبب فإننا الآن وبكامل إرادتنا ورغبتنا، نعلن لسموكم بأننا مسؤولون عن أنفسنا وزوجاتنا وأبنائنا، وأننا من الآن فصاعداً، لن نمارس أية عادة يهودية، ولن نرتبط بأي شكل كان مع اليهود الرافضين للهداية، ولن نتزوج من أقربائنا من الدرجة السادسة، ولن نقترف إثم الزنى مع أي امرأة من عوائلنا، وأنه من الآن فصاعداً، سنتزوج نحن وأبنائنا وذرياتنا من الإناث والذكور من النصراني. وأننا لن نختنن، أو نقيم عيداً للفصح أو أي من الأعياد الأخرى،

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.516. (152)

IBID, VOL. 2, P.516. (153)

ولن نمتنع عن تناول اللحوم وفقاً للعادة اليهودية، ولن نحیی ونفعل مثلما يحيون ويفعلون، لكننا وبكل الإيمان المخلص والتقوى والرغبة، نعلن عن إيماننا بالمسيح ابن الرب الحي [كذا]، كما علمنا الرسل والمبشرون الذين نعرف بهم ونقدّسهم. وسوف نعتنق جميعاً وبإخلاص الدين النصراني المقدّس، وسنمارس شعائره في الأعياد والزواج والطعام وكل العادات الأخرى دون أي تردد أو تحفّظ، أو أي سبب يحول دون تحقيق وعدنا لكم. أما عن لحم الخنزير، فإننا نتعهد أنه على الرغم من عدم اعتيادنا على تناوله، فإننا ودون اعتراض أو تردد سنأكل أي شيء يمزج أو يطبخ معه، ولو تمّ اتهم أياً منا بخرق المذكور أعلاه، أو فعل أي شيء يتنافى مع الدين النصراني، سواء بالقول أو الفعل، أو التهاون في أداء ما تعهدنا به، فإننا نقسم باسم الأب والابن وروح القدس، الذين هم رب ثالث واحد [كذا]، بأننا سنرجم بالحجارة، ونحرق كل من يبلغنا عنه القيام بخرق لأي مما ذكر أعلاه. وإذا ما رغب سموكم العطوف بالإبقاء على حياته فإنه سيصبح عبداً على الفور، ولكم أن تمنحوه لمن تشاءون مع كلّ أملاكه، وأن تفعلوا به وبأملكه ما ترونه ملائماً، ليس فقط من منطلق السلطة التي تمتلكونها كملك للبلد، ولكن بموافقتنا بالفعل والقول، التي نقدّمها لكم عن طيب خاطر، بتاريخ الثاني عشر من غرة شهر آذار في العام السادس من حكمكم سنة (655م) <sup>(154)</sup>.

إلاً أن رجال الدين الكاثوليك لم يثقوا بصدق هذا الالتماس، وفرضوا رقابة شديدة على المنصرين اليهود <sup>(155)</sup>.

كما فرض المجلس الكنسي التاسع في طليطلة المنعقد سنة (655م) على جميع المنصرين اليهود أن يحضروا أمام الكنيسة عندما يقوم الأسقف بأداء المراسيم المقدسة، خلال الأيام النصرانية واليهودية معاً، حتى يستطيع التأكد بنفسه من أن اليهود أطاعوا المراسيم النصرانية، وامتنعوا عن يهود الكنيسة، ومن يتخلف عن الحضور منهم في مثل هذه الأيام يتعرّض للجلد، أو يؤمر بالصوم للتكفير عن خطيئته <sup>(156)</sup>.

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.34-35; (154)

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL. 2, P.517; ينظر:

ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.221; S.SCH, SPAIN  
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.517. (155)

IBID, VOL.2, P.517. (156)

لكن من الواضح أن كثيراً من رجال الكنيسة لم يخلصوا في تنفيذ قوانين المجالس الكنسية، إذ لم يصمدوا أمام رشاوى اليهود وإغراءاتهم، حيث أعلن المجلس الكنسي التاسع في طليطلة بأسى سنة (656م) أن بعض الكهنة يبيعون العبيد النصارى إلى اليهود، مخالفين القانون الأساسي للمملكة النصرانية<sup>(157)</sup>، ودعا إلى إصدار قانون ضد هذه التجارة<sup>(158)</sup>، أما ريشفنتو فقد ظلّ مخلصاً لقسمه حيث قرر أن يدخل في قانون الدولة قانون المجلس الكنسي وجميع قرارات الملوك السابقين ضد اليهود.

إنّ قسوة القوانين الصادرة ضد يهود إسبانيا، وحرص ملوك الإِسبان، ومجالسهم الكنسية على إصدارها، وتنفيذها، ومتابعتها، والتذكير المستمر بضرورة تطبيقها، لا يمكن أن يكون بسبب حقد قديم فقط على اليهود لقتلهم المسيح عليه السلام -كما يعتقد النصارى-، أو لاتهمهم أمه مريم عليها السلام بالزنا، أو لقتلهم عدداً من القديسين النصارى الأوائل، أو بسبب جرائمهم البشعة التي ارتكبوها ضد السكان في تمرداتهم على الرومان، على أهمية هذه الأسباب في صنع كره متراكم لليهود. ولكن أعتقد أنّ هناك ممارسات كثيرة مارسها يهود إسبانيا في عهد القوط، وظلّوا يمارسونها بالرغم من كل هذه القوانين. وهذه الممارسات هي التي كانت تنبه ملوك القوط، ومجالسهم الكنسية، وتذكرهم باستمرار بضرورة وضع حد لليهود بلدهم. وأمّيل إلى أنها ممارسات اقتصادية واجتماعية، أساسها استحلال اليهود أكل أموال غيرهم بالباطل، ومعتقداتهم التي تجعلهم يحتقرون ويهينون كل الأمم غير اليهودية. فضلاً عن الأسباب السياسية، كمشاركتهم في بعض المؤامرات التي قامت ضد ملوك القوط<sup>(159)</sup>.

وصل إلى العرش بعد موت ريشفنتو سنة (672م) وامبا (VAMBO)، الذي بدأ حكمه بالقسم الذي يتضمن فقرة تحتم عليه التضييق على اليهود، وأمر بطرد جميع اليهود غير المنصرّين من البلاد، ونُفِذَ القانون بحزم، فتوجّه الرافضون للتعميد إلى أفريقيا والبرانس وناربونه<sup>(160)</sup>.

(157) ينظر: IBID, VOL.2, P. 518; S.SCH. SPAIN, ENCYCLOPEDIA, VOL.15, P.221.

(158) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P. 20.

(159) عن مشاركة اليهود في بعض التمردات ضد ملوك القوط. ينظر: DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.519-520.

(160) حتامله، أبييريا، ص 248؛

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.21.



وحدث تمرُّدٌ على وامبا قاده هيلدرخ حاكم مدينة نيم، وقام يهود نربونه بتقديم المساعدة للمتمردين، الذين زادت قوتهم عندما انضمَّ إليهم القائد الذي أرسله وامبا لقمعهم. لكنَّ وامبا تمكن من القضاء عليهم بعد سنةٍ من القتال، وعاقب اليهود بطردهم من نربونه<sup>(161)</sup>.

تمكَّن أرفيخيو (ERVIGIO) من الوصول إلى العرش وإزاحة وامبا سنة (680م)<sup>(162)</sup>، ودعا سنة (681م) إلى عقد مجلس طليطلة الكنسي الثاني عشر، لكي يُبارك رجال الدين منصبه الذي اغتصبه من وامبا، فعقد المجلس برئاسة جليانوس (JULIANUS) اليهودي المرتد، وكبير أساقفة طليطلة، وكان صديقاً حميماً للملك، ومحرضاً له على اليهود<sup>(163)</sup>.

ولقد أظهر أرفيخيو في هذا المجلس حماساً شديداً ضدَّ اليهود، وذلك في ما يبدو من أجل كسب رضا رجال الدين، حيث وقف أمامهم خطيباً، وقال: «انهضوا، أتوسل إليكم أن تنهضوا، وفرِّقوا شبكة الكافر، وصحَّحوا عادات الآثمين، وأظهروا حماسكم ضدَّ الخونة، والأهمُّ من ذلك، استأصلوا جذور الآفة اليهودية»<sup>(164)</sup>.

ورجا الملك أعضاء المجلس أن يدرسوا بجدية التشريعات التي أعدَّها ضدَّ كفر اليهود، وحذَّروهم من التَّساهل مع اليهودية، حتى لا يكونوا مسؤولين أمام الله عن آثام هذه الأُمَّة<sup>(165)</sup>.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.519-520. (161)

(162) حتامله، أبييريا، ص 248؛

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.520.  
DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.523. (163)

IBID, VOL.2, P.520. (164)

IBID, VOL.2, P.520. (165)

وقد درس المجلس هذه التشريعات، وأقرّها، وكانت العقوبات الرّادعة هي أكثر ما يُميّز هذه التشريعات، إذ إنّ عقاب اليهودي الذي يمتنع أو يمنّع أبناءه أو خدمه من التعميد هو مئة جلدة، إضافة إلى قلع شعر رأسه، ونفيه من البلاد بعد مصادرة جميع ممتلكاته<sup>(166)</sup>. أما المرأة المنصّرة التي تسمح بتهود ولدها، فعقابها جدّج أنفها، ومصادرة أملاكها<sup>(167)</sup>. ويعاقب من يمارس أعمال الزراعة أو يحيك الصّوف في الأعياد النصرانية، بمئة جلدة، مع قلع الشعر، وكذلك يفعل بالعبيد والخادّات إذا انتهكوا حرمة أعياد النصارى، وبالذين يرفضون تناول طعامهم خصوصاً لحم الخنزير<sup>(168)</sup>.

ولم يكتف جليانوس الأكثر غلظةً على بني جلدته، بدوره في تشريعات مجلس طليطلة الكنسي الثاني عشر، بل حاول التشكيك في معتقداتهم، فناقشها، وفندها، ودحضها في كتاب سمّاه «حول دليل الحقبة السادسة ضد اليهود»؛ ولأنّه فقد الثّقة بيهود عصره، أهدها إلى الملك وكتب في الإهداء «إذا كان هذا الكتاب لا يُقوّم اليهود فليستفد منه النصارى على الأقل»<sup>(169)</sup>. وهذا يؤكّد أثر الخلاف العقائدي بين النصارى واليهود في وجود العداء بينهم واستمراره.

انتهى عهد إيرفيخيو، فخلفه إجيكا (EGICA) سنة (687م)<sup>(170)</sup>، وعقد المجلس الكنسي الخامس عشر في طليطلة سنة (688م)، ولم يصدر عنه أيّ ذكرٍ لليهود<sup>(171)</sup>.

وفي سنة (693م) تمّ عقد مجلس طليطلة الكنسي السادس عشر، وقد ناقش المجلس مدى فاعلية القوانين السابقة ضد اليهود، فتبيّن له عقمها، إذ ظلّ معظم اليهود المنصّرين يكتمون يهوديتهم، ويمارسونها سرا؛ ويورثونها لأبنائهم، وقد دفع ذلك إجيكا أن يجرب مع اليهود نوعاً من الترغيب، فخفّف كثيراً من القيود عن المنصّرين، وأعطى الذين يُظهرون صدقاً والتزاماً بالنصرانية الكثير من الامتيازات، بينما أبقى القوانين الخاصّة باليهود<sup>(172)</sup>، ولكن يمكن القول: إنّ إجيكا أيضاً انضمّ إلى قافلة الفاشلين في تنصير يهود إسبانيا، إذ ظلّ معظم اليهود على دينهم، بين مُعلنٍ لليهوديّة ومبطنٍ لها، ولم يستفد من إغراءات إجيكا إلا اليهود الذين أجادوا تمثيل دور النصارى الصادق الملتزم<sup>(173)</sup>.

IBID, VOL.2, P.520-521. (166)

IBID, VOL.2, P.521. (167)

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.522. (168)

IBID, VOL.2, P.521; BROYED, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, (169) P.485.

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.23. (170)

IBID, P.23- 25. (171)

IBID, P.23-25; DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.525-526. (172)

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.526. (173)

وظلَّ اليهود يعيشون هذا الوضع المحتمل نسبياً إلى أن انعقد المجلس الكنسي السابع عشر في طليطلة سنة (694م)، وأعلن إجيكا أمام أعضائه أنَّه على الرغم من أفضاله على اليهود، ووعوده الكثيرة إذا أخلصوا للنصرانية، إلا أنَّهم قابلوا ذلك بالجحود<sup>(174)</sup> حيث «علمنا مؤخراً من شهودٍ موثوقين أن اليهود دخلوا في مفاوضات مع يهود أجانب في البلاد التي وراء البحر لغرض التقدُّم نحو الشعب النصراني»<sup>(175)</sup>.

لقد كان هذا الإعلان الكارثة الكبرى التي حلت باليهود في إسبانيا، فعلى إثره أعلن المجلس في (9-11-694م)<sup>(176)</sup>، وبمصادقة الملك، القانون الثامن الذي يقضي باستعباد جميع يهود الأندلس، بما فيهم المنصرِّين المنافقين، ومصادرة جميع ممتلكاتهم، ويلزم أسيادهم النصراري بمراقبتهم، ومنعهم من ممارسة طقوسهم، كما يقضي بانتزاع أطفالهم منهم، إذا بلغوا سن السابعة، وتوزيعهم على عائلات نصرانية ليتنصروا في أحضانها، ويُزوّجوا عندما يكبروا من النصراري<sup>(177)</sup>.

وأرى أنَّ هذا القانون قد نُفذ؛ لأن إجيكا عاش بعد إصداره نحو سبع سنوات، وعندما توفي سنة (82هـ=701م)، وخلفه ولده غيطشة (WITIZA)، أوقف كثيراً من القيود المفروضة على اليهود، وسمح لهم بالعودة إلى إسبانيا<sup>(178)</sup>، واستمرَّ حكمه إلى أن قتل سنة (90هـ=709م)، وتمكن لذريق (LODRIGO) من الوصول إلى العرش، وظل يصارع منافسيه على الحكم، إلى أن جاء الفتح الإسلامي سنة (92هـ=711م)، فصرعه، وصرع معه كلَّ عهد الظلم والظلمات التي خيَّمت على إسبانيا قروناً طويلة من الزمان<sup>(179)</sup>.



DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.526. (174)

IBID, VOL.2, P.526. (175)

S SCH, SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.221. (176)

LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P. 26; (177)

BROYED, SPAIN, THE JEWS ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P. 485. (178)

(179) حتامله، أبييريا، ص 253 - 254.

## اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس

### الفصل الثاني

### الاستقرار اليهودي في الأندلس

## المبحث الأول تنظيم الاستقرار اليهودي في الأندلس

كان اليهودُ زمن الفتح الإسلامي للأندلس ينتشرون في معظم أنحاء شبه الجزيرة الأيبيرية<sup>(180)</sup>. ويتركزون في المدن الرئيسية، ولكن بعيداً عن قصباتها، وعندما فتح المسلمون الأندلس أجروا تغييراً على التوزيع السابق لليهود، فضموهم إلى قصبات المدن. يُفهم ذلك من خلال الروايات التي أوردها مؤلف مجهول، حيث يقول عن فتح المسلمين لإلبيرة: «فحصروا مدينتها، فافتتحت، فألفوا بها يومئذ يهوداً، وكانوا إذ ألفوا اليهود ببلدة ضموهم إلى مدينة البلد، وتركوا معهم من المسلمين طائفة، ومضى معظم الناس ففعلوا ذلك بغرناطة، مدينة إلبيرة، ولم يفعلوا ذلك بمالقة، مدينة رية؛ لأنهم لم يجدوا بها يهوداً ولا عمارة، وإنما كانوا لاذوا بها وقت حاجتهم»<sup>(181)</sup>. ويقول في معرض حديثه عن فتح قرطبة بقيادة مغيث الرومي: «وجمع يهود قرطبة فضمهم إليها»<sup>(182)</sup>. وفي معرض حديثه عن فتح إشبيلية بقيادة موسى بن نصير يقول: «فأتاها موسى بن نصير، حتى حصرها شهراً، ثم إن الله فتحها، وهرب العلوج إلى مدينة باجة، فضم موسى يهودها»<sup>(183)</sup>.

ويقول المقري عن فتح إشبيلية: «فامتنت أشهراً على موسى، ثم فتحها الله عليه، فهرب العلوج عنها إلى مدينة باجة، فضم موسى يهودها إلى القصبة، وخلف بها رجالاً»<sup>(184)</sup>.

BROYED, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.484; ELI DAVIS, (180) TORTOSA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1268; BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.825; BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1198; LINDO, THE JEWS, P.6.

(181) مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني)، ط1، 1401هـ-1981م)، ص21-22.

(182) م. ن. ص23.

(183) أخبار مجموعة، ص23.

(184) المقري، أحمد بن محمد، فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، م1، (بيروت، دار صادر، 1408هـ-1988م)، ص269.

كما يفهم أيضاً من رواية ابن عذاري عن فتح مدينة طليطلة حيث يقول: «وألفى طارق طليطلة خالية، ليس فيها إلا اليهود في قوم قلّة، وفرّ علجها مع أصحابه، ولحق بمدينة خلف الجبل. وتبعهم طارق، بعد أن ضم اليهود<sup>(185)</sup>. ومن رواية لسان الدين بن الخطيب التي يقول فيها: «ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه إلى البيرة فحاصروا مدينتها، وفتحوها عنوة، وألفوا بها يهوداً ضمّوهم إلى قصبة غرناطة، وصار لهم ذلك سنة متبعة متى وجدوا بمدينة يهوداً ضمّوهم إلى قصبتها، ويجعلون معهم طائفة من المسلمين يسدونها»<sup>(186)</sup>.

وكان هدف المسلمين من ضم اليهود إلى قصبات المدن هو الإفادة منهم في أعمال الحراسة<sup>(187)</sup>.

والظاهر أن إقامة يهود الأندلس قبل الفتح الإسلامي خارج أسوار المدن المهمة لم يكن باختيارهم، وإنما أجبرهم عليها القوط، إذ لا يعقل أن يختاره اليهود بأنفسهم، وقد عرف أنهم يميلون إلى حماية أنفسهم بالحصون والأسوار.

وتدل العديد من الإشارات التاريخية على وجود أحياء يهودية في كثير من المدن الأندلسية، وأنها استمرت طوال مدة الحكم الإسلامي للأندلس<sup>(188)</sup>.

وأرى أن المسلمين هم الذين منحوا اليهود أجزاء من المدن الأندلسية، وسمحوا لهم بإقامة أحياء خاصة بهم فيها، إذ لا يعقل أن يترك أمر مهم كهذا لليهود فيتخيرون ما شاءوا من مواقع لإقامة أحيائهم، دون إذن من السلطة الإسلامية.

(185) البيان المغرب، ج2، ص12.

(186) الإحاطة في أخبار غرناطة، م1، ق1، تحقيق: محمد عبد الله عنان، (القاهرة، الشركة المصرية للطباعة والنشر، 1393 هـ-1973 م)، ص101.

(187) ينظر: م.ن.، م1، ص101.

(188) سنشير إلى تلك الإشارات لاحقاً عندما نفصل الحديث عن الاستقرار في تلك المدن.

كما أرى أن تنظيم مواطن الاستقرار اليهودي في الأندلس قد تم في عصر الولاة (95-138 هـ=714-755 م)، الذي يعد العصر الذي وضعت فيه أسس الاستقرار والتنظيم في الأندلس. ومما يدل على ذلك أن أبا الخطار الحسام بن ضرار الكلبي عندما جاء والياً على الأندلس سنة (125 هـ=742 م)، «لم يقدم في ولايته الأندلس شيئاً على تفريق جميع العرب الشاميين الغالبين على البلد عن دار الإمارة قرطبة، إذ كانت لا تحملهم، وأنزلهم مع العرب البلديين على شبه منازلهم في كور شامهم، وتوسّع لهم في البلاد»<sup>(189)</sup>.

ولولا أن اليهود قد حصلوا على حيّ لهم في قرطبة قبل قدوم أبي الخطار، وهو الوقت الذي كانت فيه المدينة مزدهمة لا تتسع حتى لمزيد من المسلمين، لما حصل اليهود على حيهم الذي صرحت بوجوده الإشارات التاريخية اللاحقة لذلك العصر. إذ لا يمكن أن تُقدّم السلطة لليهود جزءاً من المدينة لإقامة حيهم عليه، بعد سنة (125 هـ=742 م) في الوقت الذي لا تستطيع فيه استقبال المسلمين.

وهناك إشارات أخرى تدلّ على وجود مبكر للحيّ اليهودي في قرطبة منها رواية ابن حيان التي يقول فيها: «توفي عبد الرحمن بن عثمان بن عفان القشيري في ذي الحجة من سنة (95 هـ=713 م)، ودُفِنَ بمقبرة حلال، بينها وبين مقبرة اليهود الطريق السالك بجوفي قرطبة»<sup>(190)</sup>، ورواية الخشني التي يقول فيها: «كان سعيد بن سليمان القاضي يحكم في المسجد الجامع، ويأتي إليه ماشياً، وأنه كان يوماً من الأيام مقبلاً ضحى، فلما أتى باب اليهود التقى بسعيد بن حسان الفقيه... ولبث سعيد بن سليمان قاضياً إلى أن مات الأمير عبد الرحمن بن الحكم... سنة ثمانٍ وثمانين ومائتين»<sup>(191)</sup>.

(189) ابن الأبار، محمد بن الله القضاعي، الحلة السراء، ج1، تحقيق: حسين مؤنس، (القاهرة، ط، 1963) ص 61.

(190) ابن بشكول، خلف بن عبد الملك الخزرجي الأنصاري، الصلة، ج2، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة، دار الكتاب المصري، بيروت دار الكتاب اللبناني، ط1، 1410 هـ=1989 م)، ص 462.

(191) الخشني، محمد بن الحارث، قضاة قرطبة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة، دار الكتاب المصري، ط1، 1402 هـ=1982 م)، ص 140.

ويقدم ابن حيان رواية تعود إلى سنة (361هـ=971م)، تبين مسؤولية السلطة الإسلامية عن تنظيم الاستقرار في المدن الأندلسية وتذكر باب اليهود في قرطبة، حيث يقول: «ركب الخليفة الحكم إلى دار الطراز، اعتناءً بمطالعتها، فدخلها وقد استقبله قوامها من الوكلاء والقوام بالأعمال فيها، فقصوا حقه وساء لهم، عن أشياء من أعمالهم، وأنعم توصيتهم، وكانت طريقه إليهم على مقبرة باب اليهود المنسوبة إلى أم سلمة، فأجال بصره فيها وتأمل ما بها من ضيقة لتكاثر الدفن فيها، فعهد بابتياح دور حجة منها، حذها كيما تهدم وتزاد فيها، فعمل بذلك»<sup>(192)</sup>.

إن وجود باب يحمل اسم «باب اليهود» في قرطبة، وفي مدن أندلسية أخرى كسرقسطة<sup>(193)</sup>، يدل في رأيي دلالة قاطعة على وجود حي لليهود في تلك المدن؛ لأنه جرت العادة في المدن الإسلامية، أن يطلق على أبواب المدن أسماء المواقع التي تؤدي إليها تلك الأبواب<sup>(194)</sup>، أو أسماء من يقيمون بالقرب منها. ومما يدل على ذلك قول العذري في معرض حديثه عن أبواب قرطبة: «ومنها باب عامر... وكان قد نزل قريباً منه عامر بن عمرو...، فنسب بهذا النسب إليه... ومن أبواب المدينة أيضاً: باب عبد الجبار، وعبد الجبار هذا الذي ينسب إليه... كان نزل بالقرب هذا الباب»<sup>(195)</sup>.

وعلى سبيل المثال ما يزال أحد أبواب مدينة القدس يحمل إلى الآن اسم «باب المغاربة»؛ لأنه قريب من الموقع الذي يسكن فيه المغاربة في مدينة القدس.

ولا يمكن أن يطلق مسلمو الأندلس اسم اليهود على أحد أبواب مدنهم، لأي سبب غير أن ذلك الباب يؤدي إلى حيهم، أو أنهم يقيمون بالقرب منه؛ لأن المسلمين ينفرون من اليهود، ولا يمكن أن يطلقوا اسمهم على أبواب مدنهم حباً فيهم، أو إكراماً لهم. إذ أنهم عندما لاحظوا أن اسم اليهود صار يتردد على ألسنة الناس، وهم يذكرون باب اليهود في قرطبة، كرهوا ذلك، وقرروا أن يغيروا اسم الباب إلى «باب الهدى»<sup>(196)</sup>.

(192) ابن حيان القرطبي، أبو مروان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، (بيروت، دار الثقافة، ط1، 1965 م)، ص 92.

(193) ابن الفريسي، عبد الله بن محمد بن يوسف، تاريخ علماء الأندلس، ق1، (القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966 م)، ص 127، ترجمة رقم: 391.

(194) العذري، ترصيع الأخبار، ص 18، 122، 165؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص 143.

(195) العذري، ترصيع الأخبار، 122.

(196) المقرئ، نفح الطيب، م1، ص 156.



وما يؤكد أيضاً وجود حي لليهود في قرطبة رواية ابن عذاري لحادثة وقعت في قرطبة سنة (529هـ=1134م)، يقول فيها: «وثارت العامة أيضاً بقرطبة في هذه السنة، في رجب على اليهود - لعنهم الله - بسبب قتل وجد بين أظهرهم، ففتحت منازلهم، وانتهبت أموالهم، وقتل نفر منهم»<sup>(197)</sup>.

وأرى في ورود كلمتي «أظهرهم» و«منازلهم» في الرواية دليلاً على أنهم كانوا يعيشون في حي خاص.

وقد سمح المسلمون لليهود في أليسانة أن يسكنوا منعزلين تماماً عن المسلمين حيث يقول الإدريسي: «واليهود يسكنون بجوف المدينة، ولا يداخلهم فيها مسلم البتة... ولليهود بها حذر وتحصن ممن قصدهم»<sup>(198)</sup>.

وأجد في الروايات الإسلامية التي تصف ما حل بيهود غرناطة أثناء ثورة المسلمين على يهودها دليلاً على أن معظم اليهود كانوا يسكنون فيها في حي خاص بهم. إذ يقول ابن عذاري: «وقتل في هذا اليوم من اليهود جملة عظيمة، ونهبت دورهم»<sup>(199)</sup>، ويقول أيضاً: «وفي هذه السنة كان القيام على يهود غرناطة، وقتل منهم نحو ثلاثة آلاف»<sup>(200)</sup>، ويقول الشنتريني: «وقد استطال الناس على يهود، وقتل منهم يومئذ نيف على أربعة آلاف»<sup>(201)</sup>. ولولا أن معظم اليهود كانوا يتجمعون في مكان واحد لما تمكن الثائرون الغاضبون من الإمساك بالآلاف منهم، هم أغلبية اليهود، وقتلهم في يوم واحد.

ولو أنهم كانوا منتشرين بين المسلمين، وفي جميع أنحاء غرناطة، لتمكن كثير منهم من الفرار، أو الاختباء، ولما وصل الغاضبون إلى دورهم بهذه السرعة، ولكان عدد القتلى أقل بكثير من العدد الذي تحدثت عنه الروايات الإسلامية.

وبالرغم من أن الأمثلة السابقة قد جاء معظمها من مدينة قرطبة، إلا أنها تعبر عن الوضع في المدن الأندلسية الأخرى التي تواجد فيها اليهود، إذ إن جميع تلك المدن كانت تابعة للحكم في قرطبة، وتطبق فيها جميعاً السياسة نفسها.

(197) البيان المغرب، ج3، ص266.

(198) الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الحمودي، المعروف بالشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م2، (بيروت عالم الكتب، ط1، 1409هـ-1989م)، ص571-572.

(199) البيان المغرب، ج3، ص266.

(200) م. ن.، ج3، ص231.

(201) الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، م2، (بيروت، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1399هـ-1979م)، ص769.

ومن الواضح أنَّ المسلمين لم يمنعوا اليهودَ من السكن خارج الحي اليهودي، إذ توجد إشارات عدة إلى يهود جاؤروا المسلمين في مساكنهم، وأنهم امتلكوا دوراً وأراضي بين دور المسلمين وأراضيهم. ومن هذه الإشارات قول القاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل مجيباً على نازلةٍ وُجِّهَتْ إليه سنة (464هـ=1071م): «شورى في بيتٍ متهدم بين دار حسن ودار شنوغة اليهود<sup>(\*)</sup>، خاطبنا بها صاحب السوق أبو طالب محمد بن مكي... قام عندي حسان بن عبد الله فذكر أنَّ له داراً بداخل مدينة قرطبة بحومة مسجد صواب، تلاصق داراً أخرى موقوفة على شنوغة اليهود، وأنه كان في داره بيتٌ صغيرٌ تهدم، وتهدم بهتهدم الجدار الذي كان حاجزاً بينه وبين دار الشنوغة، وأغفل بنيانه، فلما ذهب إلى إقامته اعترضه إسحاق اليهودي، وقال: إنَّ البيت المتهدم من حقوق دار الشنوغة، وأظهر إلى حسن عقد استرعاء، تاريخه رجب سنة أربع وستين...»<sup>(202)</sup>.

وذكر الونشريسي نازلة حول «رجل بجواره يهودي، قد ربي معهم، فربما جاءوه في حاجة، أو عرضت له إليهم حاجة، وربما مشى في طريق ملاصقةٍ لهم فيجري بينهم حديث أو ابتسام وكلام لين، وهذا الرجل يقول: الله عالم ببغضي لليهود، ولكن طبعي لئن، أتراه من هذا في حرج أم لا؟ وما يردُّ عليه إذا سلّموا عليه، أفتنا رحمك الله»<sup>(203)</sup>.

ولمَّح الجرسقي إلى مجاورة أهل الذمة للمسلمين في بيوتهم، عندما أفتى بأن «يمنع أهل الذمة من الإشراف على المسلمين في منازلهم والتكشيف عليهم»<sup>(204)</sup>.

(\*) شنوغة اليهود: بيت عبادتهم، وهذا اللفظ منقول عن اللاتينية SINAGOGA، وهو بدوره مأخوذ من الإغريقية، ومعناه أصلاً مكان الاجتماع، وقد خصص المعنى بعد ذلك بمكان اجتماع اليهود للعبادة، وقد انتقل اللفظ بعد ذلك إلى كل اللغات اللاتينية الأصل (بالإسبانية SINAGOGA، وبالفرنسية SYNAGOGUE). ابن سهل، أبو الأصبغ عيسى، الأحكام الكبرى، استخرجها وحققها ونشرها: محمد عبد الوهاب خلاف، (القاهرة، المركز العربي للدول والإعلام، 1410هـ-1980م)، ص 60-61، نشرت قطعة منها تحت عنوان: «وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل».

(202) ابن سهل، الأحكام الكبرى، ص 60-61.

(203) الونشريسي، أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيا، والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من العلماء بإشراف: محمد حجّج، ج1، 11، (بيروت، دار المغرب الإسلامي، 1981م)، ص 300-301.

(204) الجرسقي، عمر بن عثمان بن عباس، رسالة عمر بن عثمان بن العباس الجرسقي في الحسبة، نشرت ضمن كتاب «ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحاسب»، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، (القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1955م)، ص 122، 151.

ويبدو أنَّ مجاورة اليهود للمسلمين في السكن كانت ظاهرة عامة في جميع بلدان المسلمين. إذ يقول جوايتاين: «فكما نعرف الآن من وثائق الجنيزة التي جاءت من الفسطاط ومن القاهرة والإسكندرية والمحلة، ومن أماكن أخرى في مصر والتي جاءت من القيروان وبيت المقدس ودمشق وحلب، فإنَّ بيوت اليهود كانت متاخمة لبيوت المسلمين وبيوت المسيحيين، فلم يكن هناك جيتو، ولكن على العكس من ذلك كانت هناك فرص كثيرة للاختلاط اليومي»<sup>(205)</sup>.

وبالرغم من أنَّ السلطة الإسلامية لم تجبر اليهود في الأندلس على الاستقرار في الأحياء اليهودية، إلا أنَّ معظمهم كانوا يفضلون ذلك. لأنَّ الإنسان بطبعه يميل إلى الاستقرار بين قومه وأهل ملته وليس اليهود وحدهم هم الذين حُدِّتْ لهم أحياء خاصة بهم، بل تلك هي عادة المسلمين عند تنظيم الاستقرار في مدنها، إذ تعطى كل قبيلة أو عشيرة جزءاً من المدينة فيصبح مستقراً خاصاً بها، وقد يحمل اسمها<sup>(206)</sup>، لكن أفراد هذا الجزء أو ذاك لا يُمنعون من الاستقرار أينما شاءوا من الأندلس. وقد اتَّبع أبو الخطار هذه السياسة عندما نظم مواطن استقرار العرب الشاميين الغالبين على الأندلس، حيث حرص أن ينزل أبناء الجند الواحد معاً في منطقة واحدة<sup>(207)</sup> «وأنزلهم مع العرب البلديين على شبه منازلهم في كُور شامهم»<sup>(208)</sup>.

وأجد في سماح السلطة الإسلامية في الأندلس لليهود بالاستقرار في أحياء أو تجمعات خاصة بهم، تسامحاً من هذه السلطة، إذ ساوت في ذلك بينهم وبين أبناء القبائل العربية الذين دخلوا الأندلس.

والجدير بالذكر أن إسكان اليهود في أحياء خاصة بهم يختلف اختلافاً كلياً عن «الجيتو» الذي أجبر اليهود على السكن فيه في أوروبا في العصور الوسطى. لأنَّ تصرف المسلمين لم يكن من منطلق عنصري كما هو الحال في تنظيم الدول النصرانية للجيتو، بدليل أنه قد سمح لليهود بالإقامة خارج أحيائهم، وبين دور المسلمين،

(205) جوايتاين س.د، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق: عطية القوصي، (الكويت، وكالة المطبوعات، ط1، 1980)، ص151.

(206) عن توزيع كل قبيلة في دربٍ خاص بها ينظر: الدوري، عبد العزيز، «المؤسسات الحكومية» المدينة الإسلامية، ترجمة: أحمد محمد تلعب، أشرف على النشر: ر.ب سرجنت، (اليونسكو، السيكمور فجر، 1983م)، ص53.

(207) ينظر: ابن الأبار، الحلة السيرة، ج1، ص61-63.

(208) م. ن، ج1، ص61.

وإلى جوارهم. هذا بالإضافة إلى أن تنظيم الاستقرار لدى المسلمين كان يقوم على أساس قبلي، كما أنه كان يحقق المصلحة لليهود، ولم يحدث أي اعتراض عليه من قبل اليهود طوال مدة وجودهم في الأندلس. وقد اطلعت على العديد من الدراسات اليهودية الحديثة عن يهود الأندلس، فلم أجد اعتراضاً من أحد على طريقة المسلمين في تنظيم إسكان اليهود، ولم يتهموا المسلمين بالعنصرية، مثلما اتهموا النصارى الذين أجبروا يهود أوروبا على السكن داخل الجيتو، وعدم الإقامة خارجه.

وقد تمكّن اليهود بسبب إقامتهم في أحياء خاصة من حماية مجتمعهم اليهودي من الانصهار التام داخل المجتمع الإسلامي في الأندلس، الذي أثر فيهم تأثيراً كبيراً، لكنهم ظلوا محافظين على طقوسهم وشعائهم وكثير من عاداتهم وتقاليدهم<sup>(209)</sup>.

وتحدّث المصادر اليهودية عن أحياء اليهود داخل المدن الأندلسية، وتبيّن أنّ كثيراً من منازلها التي يسكنها اليهود تعود ملكيتها إلى مسلمين أو نصارى، وأنهم قد استأجروها منهم استئجاراً<sup>(210)</sup>. وإذا صحّ ذلك فإنه يعني أنّ السلطة الإسلامية عندما قامت بتحديد مواقع للأحياء اليهودية في المدن الأندلسية، لم تكن هذه الأماكن خالية من البناء والسكان، وأنه ليس اليهود هم أول من أسس هذه الأحياء، بل كانت مواقع تحتوي على العديد من البيوت. إذ يستبعد أن يُقبِل المسلمون والنصارى على تشييد منازل لهم في تلك الأحياء بعد أن خصصت لليهود.

وأعتقد أنّ سبب ملكية المسلمين والنصارى للعديد من البيوت داخل الأحياء اليهودية هو أن النصارى يملكون هذه البيوت قبل الفتح الإسلامي، وقد بقيت ملكاً لمن لم يهرب منهم، ورضي بالعيش تحت حكم المسلمين. أما المسلمون فقد حصلوا عليها غنيمة بعد أن فرّ عنها أصحابها. والظاهر أن المسلمين والنصارى الذين لا يرغبون بالعيش بين اليهود قد فضّلوا أن يؤجّروا بيوتهم لهم، وينتقلوا للعيش في أماكن أخرى، أو في الأماكن المخصصة لهم، وربما قام بعضهم ببيع تلك البيوت لليهود.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.64. (209)

IBID, VOL.3, P.59. (210)

نقلاً عن: RESPONSA ALFASI, NO, 171.

كما تبين المصادر اليهودية أن الحي اليهودي كان يطلق عليه في بعض المدن الأندلسية اسم «الجماعة»، وهو اختصار لـ «جماعة اليهود»، أو يُسمى «القاهال»، وهو المعنى العبري لكلمة «الجماعة»<sup>(211)</sup>.

وكانت بعض المدن الأندلسية تضم نسبة عالية من السكان اليهود، وقد أطلق بعض المؤرخين المسلمين على هذا النوع من المدن اسم «مدينة اليهود»<sup>(212)</sup>، للتعبير عن كثرتهم فيها.

وعندما يكون عدد اليهود في المدينة كبيراً فإنَّ حيَّهم فيها على الأغلب يكون كبيراً، وهو يحتوي في هذه الحالة على حارات صغيرة تُسمى «الدروب». أمَّا الأحياء الصغيرة فهي عبارة عن مجاميع من المنازل المحيطة بزقاق مسدود الطرف في العادة، وكانت نهايته المفتوحة تغلق بباب يقفل في المساء حفاظاً على أمن السكان.

وبما أنَّ ما يفصل الأحياء عن بعضها من كل الجهات كانت الأسوار الخارجية لمنازلهم، فإنَّ أمن السكان اعتمد كلياً على المراقبة المتيقظة للباب. وكان السكان في الواقع يستأجرون الحراس الذين تصحبهم الكلاب والمصاييح، وكانوا يمرون في دوريات طوال الليل، وقد أطلق على الحارس اسم «الدَّرَاب». وفي أوقات الاضطرابات والفتن الداخلية كان من السهل الدفاع عن الأحياء المغلقة، إذ لم يكن هناك حاجة إلا للقليل من الأشخاص للدفاع عن باب الدرب، حتى وإن زاد عدد المهاجمين على عدد المدافعين<sup>(213)</sup>.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.61. (211)

(212) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص734، ابن سعيد، أبي الحسن علي بن موسى، اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلي، اختصار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (دار الكتب الإسلامية، ودور أخرى، ط2، 1400هـ - 1989م)، ص149.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.62. (213)

وقد أحبَّ اليهود وكذلك النصارى طريقة المسلمين في الحفاظ على أسرار بيوتهم، والحرص على ألاَّ يطلع الغرباء على ما يجري بداخلها، وقد تبنا هذه الطريقة داخل أحيائهم، وصار أمراً مستنكراً أن يفتح الجار شباكاً أو باباً يؤدي إلى كشف بيت جاره. وقد حدثت مشاكل كثيرة بين اليهود داخل أحيائهم على قضايا من هذا النوع. وكان أحد الأسئلة الموجهة من يهود غرناطة إلى أحد كبار أحبار أليسانة يحمل تقريراً عن أشخاص طلبوا بعد موت والدهم من أرباب البيوت في أحد الدروب السماح لهم بالمرور عبر حيّهم. وتقَدَّموا بهذا الطلب على أساس أن سكان الدرب لم يبيعوا حقَّ المرور في الشارع لوالدهم المتوفى. وبالطبع فإنهم وجدوا أنه من الملائم الحصول على حكم بحق المرور في هذا الطريق الأقصر، ليوفروا على أنفسهم عناء الدوران لمرات عدَّة خلال النهار حول الحي الذي يقطع عليهم الطريق إلى أقرب شارع. ولكن الحبر الذي أرسلت إليه المشكلة عارض ذلك<sup>(214)</sup>.

وقد حافظ اليهود على ذلك حتى عندما أصبحوا تحت الحكم الإسباني، فقد ورد سؤال إلى أحد أحبار أرجون حول بيت يقع في زقاق مغلق له شباك واحد يفتح على الزقاق، وكان هناك رجل اسمه «سيمون» يعيش في الزقاق؛ وقد فتح شباك مقابل الشباك المذكور سابقاً، وقد طلب يعقوب من سيمون إغلاق شبابه لأنه يطلُّ على بيته ويكشفه، لكنَّ سيمون كان يرفض ذلك. وقد أفتى الحبر الأرجوني بضرورة إغلاق شباك سيمون<sup>(215)</sup>.

وكانت النزاعات أحياناً تثار لأن أحد أرباب البيوت يستخدم منزله لغير أغراض السكن، مما يزيد من عدد الداخلين والخارجين من الزقاق. فيحتج السكان عليه، ويرفعون مشكلتهم إلى أحبارهم ليفتوا بمنع ذلك<sup>(216)</sup>.

وفي ما يأتي بيان لأهم مراكز الاستقرار اليهودي في الأندلس.

تركز اليهود وسط الأندلس في مدينتين كبيرتين، هما قرطبة، وطليطلة. وفي ما يأتي بيان عن استقرار اليهود في هاتين المدينتين.



ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.63.(214)

IBID, VOL.3, P.64. (215)

IBID, VOL.3, P. 64. (216)

## المبحث الثاني مراكز الاستقرار اليهودي وسط الأندلس

أولاً: قرطبة (CORDOBA)

يقول الحميري في وصفها: «قاعدة الأندلس، وأُمُّ مدائنها، ومستقر خلافة الأمويين بها»<sup>(217)</sup>. وقد افتتحها المسلمون سنة (92هـ-711م)<sup>(218)</sup>، وخسروها سنة (33هـ-636م)<sup>(219)</sup>.

يقع الحي اليهودي في قرطبة في الجهة الجنوبية الغربية منها، قريباً من قصر الخلفاء والجامع الكبير<sup>(220)</sup>.

وهناك إشارة للخشني يمكن أن تدلّ على قربها من الجامع الكبير حيث يقول: «كان سعيد بن سليمان القاضي يحكم في المسجد الجامع (بقرطبة)، ويأتي إليه ماشياً، وأنه كان يوماً من الأيام مقبلاً ضحى، فلما أتى باب اليهود التقى بسعيد بن حسان الفقيه<sup>(221)</sup>. وما يزال الجزء الجنوبي الغربي من قرطبة يُعرف إلى الآن بالحي اليهودي، ومن الممكن مشاهدة بعض آثاره<sup>(222)</sup>، وهي تدلّ على أن البيوت القديمة التي سكنها اليهود خلال حكم المسلمين لقرطبة، قد هُدمت، وأن البيوت الموجودة فيه الآن، قد شُيّدت جميعها بعد القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي. ولكن على الرغم من إنشاء بيوت جديدة إلا أن شبكة الشوارع قد ظلت على حالها، ولذلك فإن كل الشوارع التي في ذلك الحي ما تزال ضيقة<sup>(223)</sup>، وما يزال بعضها يحمل أسماء تؤكد على أن هذه المنطقة كانت بالفعل حياً يهودياً.

(217) الحميري، الروض المعطار، ص 456.

(218) المقرئ، نفح الطيب، م 1، ص 261.

(219) ابن الأبار، محمد بن عبد الله القضاي، التكملة لكتاب الصلة، ج 1، (القاهرة، 1956)، ص 120، 323.

(220) كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، ص 46-47؛

HAIM BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.964;

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.296.

ينظر: الخارطة رقم: (1) التي نقلت بتصريف عن: الكواقي، اليهود في المغرب الإسلامي، ص 260.

(221) الخشني، قضاة قرطبة، ص 140.

(222) كحيلة، تاريخ النصارى، ص 46؛

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.295.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1 P.295. (223)

وأجد من الضروري ذكر الأسماء الحالية لشوارع ومعالم الأحياء اليهودية لأن هذه الشوارع أقيمت في أماكن الشوارع القديمة لتلك الأحياء -كما أسلفنا-، والتعريف بها وبأماكن وجودها يمكن المهتمين من تكوين صورة تقريبية عن تلك الأحياء في العهد الإسلامي، كما أنه يُسهّل لهم الوصول إلى تلك الأحياء للتعرف عليها<sup>(\*)</sup>.

فهناك شارع الحي اليهودي (CALLE JUDERIA)، الذي تشير الخارطة الرسمية لقرطبة سنة (1226هـ-1811م) إلى وجود باب الحي اليهودي فيه<sup>(224)</sup>. وهناك ساحة الحي اليهودي (PLAZA DE LAS JUDERIA)، وهي التسمية السابقة لساحة دي لاس بولاس (PLAZA DE LAS BULAS)، التي كانت في ما يبدو سوق الحي اليهودي. ومن هذه الساحة ينعطف شمالاً شارع أطلق عليه اسم العالم اليهودي الشهير موسى بن ميمون (CALLE MAIMONIDES)، وكان في السابق يُدعى شارع اليهود (CALLE DE LOS JUDIOS)<sup>(225)</sup>. وكان هذا هو الشارع الرئيس في الحي، وهو شارع يبلغ طوله 160 متراً، لكنه ضيق جداً، حيث يبلغ عرضه مترين أو ثلاثة أمتار. وإلى شمال الساحة، وعلى جهة الغرب يقع الكنيس اليهودي القديم الذي بناه إسحاق بن أفرام سنة (715هـ=1315م)، ربّما في موقع الكنيس الموجود منذ العهد الإسلامي<sup>(226)</sup>.

ويمكن تعيين حدود الحي اليهودي في قرطبة بشارع (ROMERO)، وامتداده الذاهب إلى الجزء الشمالي الغربي، والمعروف اليوم بشارع المنصور، وقد عُثِرَ في هذا الشارع على بقايا سور قوي، ربّما كان السور الداخلي للحي اليهودي الذي يفصله عن بقية أجزاء المدينة. وكان الحي يصل في إحدى جوانبه إلى الزاوية الشمالية الغربية من الجامع الكبير، ويصل من جانبه الآخر إلى باب المدور<sup>(227)</sup>.

(\*) ينظر: الخارطة رقم: (2)، التي نقلت هي وأمثالها من خرائط البحث التي تبين المعالم والحدود الحالية للأحياء اليهودية في المدن الأندلسية عن: ASHTOR, THE JEWS OF MOSLEM SPAIN. والتي نقلها بدوره عن الخرائط الإسبانية الرسمية القديمة للمدن الأندلسية، ومن خلال زيارته لمواقع الأحياء اليهودية في تلك المدن.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.295, 438. (224)

IBID, VOL.1, P.295-296; BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, (225) VOL.5, P.296.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.296; (226)

BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.964.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.296; (227)

BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.664.



والملاحظ أنَّ مساحة هذا الحيِّ كانت صغيرة، وهي أقل بكثير من مساحة الأحياء اليهودية في المدن الكبيرة الأخرى في الأندلس. وقد تناسبت هذه المساحة القليلة مع عدد اليهود في قرطبة في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، والذي كان قليلاً حسب قول أحد أحبار يهود العراق في معرض إجابته عن سؤال ورد إليه من يهود قرطبة<sup>(228)</sup>.

ونتيجةً للازدهار الحضاري والعمراني والعلمي في قرطبة في أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ولا سيما في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، تدفق إليها المهاجرون من مختلف الأجناس والأديان، وكان اليهود من بين أولئك المهاجرين<sup>(229)</sup>.

ولأن الحي اليهودي كان مزدحماً باليهود، ولا يمكن أن يستوعب القادمين الجدد، فقد سمح لهم بإقامة حيٍّ آخر في شمال المدينة<sup>(230)</sup>. وهناك إشارات مختلفة إلى ذلك الحيِّ.

حيث يقول الإدريسي في وصفه لقرطبة التي شاهدها في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي: «وطولها من غربيها إلى شرقيها ثلاثة أميال، وكذلك عرضها من باب القنطرة إلى باب اليهود بشمالها ميل واحد»<sup>(231)</sup>، ووجود باب لليهود في شمال المدينة يدلُّ على حيِّ لليهود هناك.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.294. (228)

ASHTOR, SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.664. (229)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.298; (230)

BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.665.

(231) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م2، ص575.

ويقول المقرئ: «ذكر ابن بشكوال أنَّ عدد أرباض قرطبة عند انتهائها في التوسيع والعمارة واحد وعشرون ربضاً منها...، وأمّا الشمالية فثلاثة: ربض باب اليهود، وربض مسجد أم سلمة، وربض الرصافة»<sup>(232)</sup>. وتحدّث الحميري عن مساحة مدينة قرطبة بعد التوسيع فقال: «وعرضها من باب القنطرة إلى باب اليهود ميل واحد»<sup>(233)</sup>. وبين كل من العذري<sup>(234)</sup>، والمقرئ<sup>(235)</sup>، أنَّ مسلمي الأندلس قد استقبحوا أن يُسمَّوا باب السور الشمالي لقرطبة باب اليهود، فأطلقوا عليه باب الهدى. وقد عرف هذا الباب أيضاً باب ليون نسبة إلى شخصية يهودية بهذا الاسم<sup>(236)</sup>، أو لأنَّ المتوجَّه إلى ليون في شمال الأندلس يمرُّ منه<sup>(237)</sup>.

والرأي الثاني هو الأصوب؛ لأنَّ الأبواب في الغالب تسمى بأسماء الأماكن المؤدية إليها. ولو أنه سُمي بالفعل على اسم شخصية يهودية، لكانت هذه الشخصية مشهورة، وعرفتنا بها المصادر الإسلامية أو اليهودية، لكننا لم نجد له فيها تعريفاً.

كما عُرِفَ باب اليهود في الحي الشمالي بباب طليبة، للسبب نفسه، إذ إنه يؤدي أيضاً إلى الطريق المتجه إلى طليبة<sup>(238)</sup>، وسماه النصارى باب أوساريو نسبة إلى مقبرة كان يؤدي إليها تسمى مقبرة أم سلمة، ثمَّ تحوَّلت بعد سقوط قرطبة في أيدي القشتاليين إلى مقبرة لليهود<sup>(239)</sup>.

وظلت هذه البوابة قائمة حتى سنة (1321 هـ = 1904 م)<sup>(240)</sup>، وموقعها في نهاية الشارع الذي ظلَّ يحمل اسمها، وهو شارع (DEL OSARIO)<sup>(241)</sup>.

(232) المقرئ، نفح الطيب، م 1، ص 465-466.

(233) الحميري، الروض المعطار، ص 456.

(234) العذري، ص 122.

(235) المقرئ، نفح الطيب، م 1، ص 156.

(236) سالم، السيد عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج 1، (الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1984 م)، ص 226.

(237) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.298.

(238) IBID, VOL.1, P.298.

(239) سالم، قرطبة، ج 1، ص 174.

(240) BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P. 946;

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.298.

(241) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.298.

وقد أشارت المصادر الإسلامية إلى يهود أقاموا في قرطبة طوال مدة الحكم الإسلامي لبني أمية في الأندلس، ومن تلك الإشارات قيام الفقيه طالوت عند خوفه من الحكم الأول (180 - 206 هـ = 796 - 822 م) بالاختفاء في بيت يهودي في قرطبة لمدة سنة<sup>(242)</sup>. وقيامه بإرسال المغني منصور اليهودي رسولا إلى زرياب كي يدعوه للقدوم إلى الأندلس<sup>(243)</sup>. وما أورده الونشريسي عن إحدى قضايا القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي<sup>(244)</sup>، المتعلقة باختلاف يهودي ويهودية في قرطبة على التقاضي عند المسلمين أو اليهود<sup>(245)</sup>.

أما بالنسبة لمقبرة اليهود في قرطبة، فقد كانت بُعِيدَ الفتح الإسلامي للأندلس داخل المدينة، حيث ذكر ابن حيان أن «عبد الرحمن بن عثمان بن عفان القشيري توفي في ذي الحجة من سنة 95 هـ، ودفن بمقبرة حلال، بينها وبين مقبرة اليهود، الطريق السالك بجوفي قرطبة»<sup>(246)</sup>. ثم تم نقلها إلى خارج أسوار المدينة بالقرب من الباب القريب للحي اليهودي الواقع في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة، وعندما أصبحت المقبرة اليهودية مزدحمة جداً، قام اليهود بشراء قطعة أرض شمال المدينة، وأقاموا مقبرة أخرى خارج باب ليون، بالقرب من الحي اليهودي الجديد، وهي قريبة من مقبرة أم سلمة الإسلامية، وتقع إلى الشمال منها<sup>(247)</sup>. وقد أطلق اليهود على مقبرتهم الجديدة اسم «بقوت راشة»<sup>(248)</sup>. وسبب ازدحام المقبرة القديمة، حركة التوسع العمراني في قرطبة، حيث تم بناء العديد من أحياء المسلمين في المنطقة الواقعة غرب سور المدينة<sup>(249)</sup>.

لقد أصبحت طائفة اليهود في قرطبة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي هي الأكبر والأكثر أهمية في عموم الأندلس من حيث السكان والمستوى الاجتماعي والثقافي. وأصبح كثير من يهود قرطبة أثرياء بسبب عمل كثير منهم بالصناعة والتجارة<sup>(250)</sup>.

(242) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، (بيروت، دار النشر للجماعيين، 1975)، ص 75-77.

(243) المقرئ، نفح الطيب، م 3، ص 124-125.

(244) خلاف، محمد عبد الوهاب تاريخ القضاء في الأندلس، (القاهرة، ط 1، 1413 هـ، 1992 م)، ص 191.

(245) الونشريسي، المعيار، ج 10، ص 128-130.

(246) ابن بشكوال، الصلة، ج 2، ص 264.

(247) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.117.

(248) سالم، قرطبة، ج 1، ص 174-226.

(249) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.117.

(250) الموسوعة العبرية، م 26، ص 381-383؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.299.

وكان ضمن هذه الطائفة الكبيرة عددٌ من العائلات المحترمة التي لعبت دوراً بالغاً الأهمية في حياة الطائفة. وإحدى هذه العائلات هي عائلة فُلَيْج (FALYADJ)، التي كانت متنفذة للغاية، وكانت إحدى فتيات هذه العائلة قد تزوجت من حنوخ ابن كبير أخبار قرطبة، وتزوجت ابنته من أحد رجال عائلة فُلَيْج<sup>(251)</sup>.

وكان أحد الوجهاء اليهود في قرطبة في القرن العاشر يُدعى فرجون، وكان هو وابن أخيه من الأثرياء، وقد قاموا بتغطية احتياجات الطائفة<sup>(252)</sup>.

ومن بين العائلات الشهيرة أيضاً، عائلة ابن قبرون الثرية، وكان أحد أفرادها الشاعر إسحاق بن قبرون، الذي تتلمذ على أيدي مناحيم بن ساروق، وعاصر حسداي بن شبروط، وكان أحد المقرّبين منه<sup>(253)</sup>.

وقد تركز العديد من المفكرين اليهود الأندلسيين في قرطبة؛ لأنها كانت المركز الثقافي الأكبر في الأندلس، ولأنه كان بوسعهم الإفادة من رعاية أثريائها اليهود<sup>(254)</sup>.

ومن بين هؤلاء المفكرين أبو عمر يقوى، وهاكوهين بن المدرّم، وكانا يكتبان الشعر، ومهتمان بعلم اللغة العبرية، وكذلك أبو زكريا بن حنيجا الذي عاش في نهاية القرن العاشر الميلادي، وعليّ بن مارحسن الذي عاش في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي، وكتب ثلاثة أبحاث عن التقويم اليهودي<sup>(255)</sup>.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.299.(251)

IBID, VOL.1, P.299. (252)

(253) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 30.

(254) م.ن، ص 21-22؛

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.299.

IBID, VOL.1, P.299.(255)

هجر معظم اليهود قرطبة بعد انقضاء عهد الخلافة<sup>(256)</sup>، وتوجه عدد من المهاجرين إلى الإمارات الجنوبية في الأندلس، التي تزعمها حكام من غير العرب، حيث قام هؤلاء الحكام بتقريب اليهود والاعتماد عليهم في وظائف الدولة، وذلك اعتقاداً منهم بأن اليهود لا يطمعون في منافستهم على الحكم كالمسلمين أو النصارى.

وقد استغلّ اليهود الذين حصلوا على المناصب الكبرى والوظائف الحكومية مواقعهم لإثارة مزيد من الفرقة والشقاق بين الدويلات الأندلسية المتنافسة، مثلما فعل صاموئيل بن جوزيف (إسماعيل بن نغدله) الذي هاجر من قرطبة إلى المريّة، ثم إلى غرناطة، وتسلم فيها منصباً كبيراً<sup>(257)</sup>. ومثل ما فعلته عائلة الشاعر اليهودي الشهير سليمان بن جايبرول التي هاجرت إلى مالقة<sup>(258)</sup>.

وقد ساعد على هجرة اليهود من قرطبة أيضاً الفتنة التي حدثت نتيجة للتنافس على الحكم، وأثرت على الأوضاع الاقتصادية والأمنية لليهود القرطبيين، فتوقف كثير من التجار الأثرياء عن تجارتهم، وتعطل معظم الحرفيين الذين كانوا يشتغلون في صناعة الحرير عن عملهم، وانتشرت بينهم البطالة والفقر، فخرج هؤلاء لممارسة نشاطاتهم وأعمالهم في مدن أصبحت أكثر أمناً وازدهاراً من قرطبة. ولحقهم المثقفون الذين هاجر بعضهم إلى الإمارات الجنوبية طمعاً في الوظائف الحكومية كما بينّا، أو إلى الإمارات النصرانية الإسبانية في الشمال، التي رحّبت بهم للإفادة من علومهم<sup>(259)</sup> التي تلقوها على أيدي أساتذتهم المسلمين.

(256) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 67

HAIM BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.215.

(257) ينظر: الشتريني، الذخيرة، ق 1، م 2، ص 766-767، ق 2، م 2، ص 562؛ ابن سعيد الأندلسي، عبد الملك، المغرب في حلّ المغرب، ج 2، تحقيق: شوقي ضيف، (القاهرة، دار المعارف، 1964م)، ص 114، ترجمة رقم: 426؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 160-161؛ المقرئ، نفح الطيب، م 4، ص 322؛

RAYMOND P. SCHEINDLIN, THE JEWS IN MOSLIM SPAIN, P.191.

(258) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 52.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.79, 214.(259)

ومن الإشارات الدالة على الفقر الذي أصاب يهود قرطبة، القصيدة التي تحدث فيها الحبر القرطبي إسحاق بن غايات عن موسى بن القرطبي، الذي طلب المساعدة بسبب فقره، حيث لم يكن يملك حتى الملابس الجيدة، وكان هذا الرجل هو ابن أحد اليهود الذين هربوا من قرطبة مثلما فعل الكثيرون مثله<sup>(260)</sup>.

وما يؤكد خراب قرطبة وتدهور أوضاعها قول ياقوت الحموي: «وخربت قرطبة وصارت كإحدى المدن المتوسطة، وقد رثوها فأكثرها فيها»<sup>(261)</sup>. وقول الحميري: «وبعد ذلك طحنتها النوايب، واعتورتها المصائب، وتوالت عليها الشدائد والأحداث، فلم يبق من أهلها إلا البشر اليسير»<sup>(262)</sup>.

وهناك رجالٌ يلقَّبون بالقرطبيين يرد ذكرهم في عددٍ من الوثائق التي كتبت في الأقاليم الإسبانية الشمالية بعد زوال عصر الخلافة عن الأندلس، ومن هؤلاء المهاجرين موسى بن السوفير بن ماريوسف ابن القرطبي<sup>(263)</sup>.

وهكذا انخفض عدد اليهود في قرطبة، وهجر الحي اليهودي الذي أقيم في شمال قرطبة، وصار الحي القديم الواقع في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة، زائداً عن حاجة اليهود الذين قدر عددهم عندئذٍ بنحو ألف يهودي فقط<sup>(264)</sup>.

ويصور ابن غالب البنسني أثر الفتنة على سكان قرطبة وأحيائها وقراها بقوله: «وبالفتنة الكائنة على رأس الأربع مئة سنة من الهجرة مُحيت رسوم تلك القرى، وغيَّرت آثار ذلك العمران، فصار أكثرها خلاءً، تندب ساكنيها»<sup>(265)</sup>.

IBID, VOL.1, P.214. (260)

(261) معجم البلدان، م4، (بيروت، دار صادر، 1376 هـ-1957 م)، ص324.

(262) الروض المعطار، ص458.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.79, 215. (263)

IBID, VOL.1, P.215. (264)

(265) ابن غالب البنسني، محمد بن أيوب، نص أندلسي جديد، قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق: لطفي عبد البديع، (القاهرة، 1951 م)، ص37.

لكن الوجود اليهودي في قرطبة استمر حتى نهاية الحكم الإسلامي لها. وتقدم المصادر الإسلامية العديد من الإشارات الدالة على ذلك، منها القضية التي ذكرها ابن سهل والتي تتعلق بدارٍ في قرطبة موقوفة على شنوغة اليهود<sup>(266)</sup>.

وما ذكره ابن الخطيب وهو يتحدث عن الصراع على السيطرة على قرطبة بين المعتمد بن عباد وابن ذي النون، حيث يقول: «وَقَرَّ ابن عكاشة يوم المدافعة، فقتله بالقنطرة يهودي من رجال قرطبة»<sup>(267)</sup>.

ومنها رواية ابن عذاري عمّا حدث في قرطبة سنة (529هـ=1134م) التي يقول فيها: «وثارت العامة أيضاً بقرطبة في هذه السنة في رجب على اليهود -لعنهم الله- بسبب قتل وجد بين أظهرهم، ففتحت منازلهم، وانتهبت أموالهم، وقتل نفر منهم»<sup>(268)</sup>.

وقول ابن قطان عن الحدث نفسه «وقتل يهودي مسلماً سنة 529هـ، فاستطال المسلمون على اليهود، فنهبت أموالهم، وهدمت ديارهم وذلك بقرطبة»<sup>(269)</sup>.

#### ثانياً: طليطلة (TOLEDO)

يصفها الحميري فيقول «هي مركز لجميع بلاد الأندلس ... عظيمة القطر، كثيرة البشر، وهي كانت دار المُلْك بالأندلس حين دخلها طارق، وهي حصينة، لها أسوار حسنة، وقصبة حصينة وهي أزلية من بناء العمالقة، وهي على ضفة النهر الكبير، وقلما يُرى مثلها إتقاناً وشماعة بنيان، وهي عالية القدر، حسنة البقعة... وكانت طليطلة دار مملكة الروم»<sup>(270)</sup>.

(266) الأحكام الكبرى، ص 60 - 65.

(267) ابن الخطيب، لسان الدين، أعمال الأعلام، حققه ونشره: إ. ليفي برونفسال، تحت عنوان: تاريخ إسبانيا الإسلامية، (بيروت، دار المكشوف، ط 2، 1956م)، ص 158-159.

(268) البيان المغرب، ج 4، ص 93.

(269) ابن القطان، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى الكتامي الفاسي، المعروف بابن القطان، نظم الجمان، تحقيق: محمود علي مكّي، (الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، د.ت)، ص 217.

(270) الحميري، الروض، ص 393.

ويصفها البكري بقوله: «ومدينة طليطلة قاعدة القوط ودار مملكتهم»<sup>(271)</sup>، ويقول الإدريسي: «ومدينة طليطلة كانت في أيام الروم مدينة الملك، ومداراً لولاتها»<sup>(272)</sup>.

وقد فتحها المسلمون بقيادة طارق بن زياد<sup>(273)</sup>، سنة (92هـ=711م)<sup>(274)</sup>، ثم سقطت في أيدي النصارى الإسبان سنة (477هـ=1084م)<sup>(275)</sup>. وقد وجد المسلمون في طليطلة يهوداً فضمّوهم إلى قصبة المدينة مثلما فعلوا بغيرهم من يهود المدن الأخرى. يخبرنا بذلك ابن عذاري حيث يقول: «وألقي طارق طليطلة خالية، ليس فيها إلا اليهود في قوم قلة، وفرّ علجها مع أصحابه ولحق بمدينة خلف الجبل، وتبعهم طارق بعد أن ضمّ اليهود، وخلّى معهم بعض رجاله وأصحابه بطليطلة فسلك إلى وادي الحجارة»<sup>(276)</sup>.

ويشير العديد من الوثائق والروايات التاريخية إلى استقرار اليهود في طليطلة طوال مدة الحكم الإسلامي لها. ففي وثيقة استخرجها محمد عبد الوهاب خلاف من كتاب الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأندلسي ونشرها مع وثائق أخرى تحت عنوان: «وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس»، هناك إشارة إلى يهودي عاش في طليطلة في نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي<sup>(277)</sup>. ومما جاء في هذه الوثيقة: «فهمنا -وفقك الله- ما ذكرت من رفع الرافع إليك أن غلاماً أقفل عليه في دارٍ يستغيث. ويقول إنه يكره على اليهودية.

(271) البكري، المسالك والممالك، «الجزء الخاص بالأندلس»، ص 87.

(272) الإدريسي، نزهة المشتاق، م 2، ص 536.

(273) ابن عذاري، البيان المغرب، ج 2، ص 12.

(274) م. ن، ج 2، ص 9، 12.

(275) ياقوت معجم البلدان، م 4، ص 40.

(276) البيان المغرب، ج 2، ص 12.

(277) تاريخ القضاء في الأندلس، ص 410.



فأرسلتُ من وثقت به، فكشفتُ عن ذلك. فانصرف ومعه يهودي وغلام بالغ. فأعلمتهما بما رفع إليك. فقال اليهودي: الغلام عبدي، ابتعته منذ أربعة أعوام من يهودي في طليطلة. والغلام حينئذٍ يهودي، وأنكر أن يكون ضربه، وأقفل عليه. وقال الغلام: أنا حر ابن حرين، مسلم ابن مسلمين من أهل مدينة طليطلة. قدمتُ منها منذ ثلاثة أعوام مع رجل من اليهود، فنزلنا فندقاً ثم انتقلتُ منه إلى هذا اليهودي فخدمته. وأني حين أظهرتُ الإسلام، وأردتُ الخروج عن خدمته، ضربني. وأقفل عليّ. وكشف الغلام ظهره، وبه آثار ضربٍ شديد. ولا يمكنه فعل ذلك بنفسه...»<sup>(278)</sup>.

وقال دنلوب: إنَّ المؤرخ اليهودي أبراهام بن داود (504-576هـ=1110-1180م) تحدّث عن وجود أشخاص يهود من أصلٍ خزري يقيمون في طليطلة<sup>(279)</sup>.

وهناك مجموعة من الوثائق والصكوك تصور حياة سكان طليطلة تحت حكم النصارى الإسباني، جمعها ونشرها المؤرخ الإسباني جونثالث بالثيا، تحت عنوان: «نصف العرب، أو موزاراب طليطلة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر»، وتحتوي هذه الوثائق على العديد من الإشارات الخاصّة باليهود تحت حكم النصارى في طليطلة<sup>(280)</sup>. وقد نقل شكيب أرسلان بعضاً من الوثائق الخاصّة باليهود. منها: «اشترى أبو إسحاق بن نحيمس اليهودي من جميلة بنت فرج زوجة البليوشي البناء، جميع حصّتها، وهو النصف من الكرم المعروف بالقوجال بحومة قرية جليكس من قرى مدينة طليطلة...»<sup>(281)</sup>، ومنها: «اشترى مرتين الأرجيد يامن بن يوسف بن يعيش اليهودي جميع الثلاثة جبال الكروم المتصلة التي له بمرطيلة...»<sup>(282)</sup>.

(278) ابن سهل، الأحكام الكبرى، ص 47-48.

(279) د.م. دنلوب، تاريخ يهود الخزر، ترجمة: سهيل زكار، (دار الفكر، ط 1، 1407هـ-1987م)، ص 171.

(280) أرسلان، الحلل السندسية، ج 1، ص 366.

(281) م. ن. ج 1، ص 367.

(282) م. ن. ج 1، ص 371.

وبالرغم من أن تاريخ هذه الوثائق يعود إلى زمن الحكم النصراني لطليطلة، إلا أنها تعبر عن استقرارٍ قديم لهم فيها يرجع إلى أيام الحكم الإسلامي، يدل على ذلك أن كثيراً من هذه الوثائق والصكوك قد كتبت باللغة العربية<sup>(283)</sup> التي أتقنها كثير من اليهود خلال الحكم الإسلامي.

واستقرَّ معظم أفراد الجالية اليهودية في طليطلة في الحي اليهودي الذي يقع في الجزء الغربي من المدينة<sup>(284)</sup>. وتؤكد وثيقة إسبانية تعود إلى سنة (526هـ=1131م)، أن اليهود قد عاشوا في هذا الحي حتى نهاية الحكم الإسلامي لطليطلة (478هـ=1085م)، إذ تُبين أن الملك ألفونسو السابع قد قام بنقل ملكية حمام عام يملكه اليهود في هذا الحي منذ العهد الإسلامي إلى دير سان كليمنت (SAN CLEMENT)<sup>(285)</sup>.

وما تزال بعض الشوارع والساحات في هذا الحي تحمل إلى الآن أسماء يهودية، فهناك شارع صاموئيل هاليفي (CALLE SAMUEL HALEVI)، وشارع دي لا جوديرا (CALLE DE LA JUDERIA)، أي شارع الحي اليهودي، وساحة دي لا جوديرا (PLAZA DE LA JUDERIA) التي تقع في مركز ذلك الحي<sup>(286)</sup>.

أما بالنسبة لحدود الحي اليهودي في طليطلة كما تقول المصادر اليهودية، فهي تمتد إلى الشمال الغربي حتى تصل إلى الباب المعروف باسم (CAMBRON)، وغرباً حتى تصل إلى منحدر حاد يؤدي إلى وادي تاجة، وجنوباً حتى تصل إلى جبل أطلق عليه اسم سان كريستوبال (SAN CRISTOBAL)، وشرقاً حيث ساحة باسيوديل ترانسيتو (PASEA DEL TRANSITO)<sup>(287)</sup>.

(283) م. ن، ج1، ص420؛ ابن سهل، الأحكام الكبرى، ص6 (الكلام لمقدم الكتاب محمود علي مكي).

(284) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.320; HAIM BEINART, TOTAL, ENCYLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1198.

ينظر: الخارطة رقم: (3).

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.320; (285)

HAIM BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1200.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.320-321; (286)

HAIM BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1198.

ينظر: الخارطة رقم: (4).

HAIM BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1198. (287)

وكان الشارع الرئيس في الحي اليهودي هو الشارع المعروف حالياً باسم كالي ديل إنجل (CALLE DEL ANGEL)، والذي كان يعرف سابقاً باسم شارع اليهود<sup>(288)</sup>.

وقد أحيط الحي اليهودي بسور بني سنة (205هـ=820م)، وكان يحتوي على قلعة يُعتقد أنها أقيمت في إحدى زوايا الحي الجنوبية الضيقة المطلة على نهر تاجة، لأنها لم تكن محمية كبقية أجزاء الحي<sup>(289)</sup>. وعن هذه القلعة يقول شكيب أرسلان: «وإلى الجنوب من بيعة سان جوان الملوك كانت في القديم حارة اليهود، التي يقال لها «الجديرة»، وكان هؤلاء اليهود بنوا هناك حصناً حصيناً يضعون فيه أموالهم»<sup>(290)</sup>.

وهناك اثنان من المعابد المشيدة في الحي اليهودي، والمحوّلة لاحقاً إلى كنائس ما يزالان قائمان في موقعيهما الأصليين. وأحد هذين المعبدتين هو المعبد الواقع بين كالي ديل إنجل (CALLE DEL ANGEL) وساحة الحي اليهودي (PLAZA DE LA JUDERIA)، وقد تحوّل لاحقاً إلى كنيسة دعيت سانتا ماريا لابلانكا (SANTA MARIA LA BLANCA)<sup>(291)</sup>. وعن ذلك يقول شكيب أرسلان: «وأمّا كنيسة ماريا البيضاء فكانت في الأصل كنيسة لليهود، بُني في القرن الثاني عشر ثم تحوّل إلى كنيسة للنصارى في بداية القرن الخامس عشر، ثم صارت محلّ خلوة للمتسكّين»<sup>(292)</sup>.

ولم يكن الحي اليهودي في طليطلة حياً تجارياً، لذلك فقد استأجر عددٌ من التجار اليهود محالاً لهم في مركز المدينة شمال المسجد الكبير الذي كان المركز التجاري يقع بينه وبين السور الشمالي للمدينة<sup>(293)</sup>.

IBID, VOL.15, P.1198; (288)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.324.

HAIM BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1198.(289)

(290) أرسلان، الحلل السندسية، ج1، ص432.

ASHTOR, THE JWES, VOL.1, P.326; (291)

HAIM BEINART, TOLEDO., ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1199.

(292) أرسلان، الحلل السندسية، ج1، ص432.

ASHTOR, THE JWES, VOL.1, P.326-327. (293)

كما امتلكوا المحال التجارية في حي القناة، الواقع بين الجامع الكبير وسوق تجار العطور، وكانت لهم هناك بعض المساكن التي كانت محصنة إلى حدٍّ ما<sup>(294)</sup>.

وكانت لليهود سوق خاصّة بالقرب من الحي اليهودي في جانبه الغربي، وتُدعى أيضاً القناة<sup>(295)</sup>.

ويقدر بينارت عدد اليهود المستقرين في طليطلة في العهد الإسلامي، خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، بنحو أربعة آلاف نسمة، وقد كانوا حينئذٍ مقسمين إلى طوائف منفصلة بشكل عام، وفقاً لأصولهم، أو للبلدان التي قدموا إلى طليطلة منها، فهناك يهود قرطبة، ويهود برشلونة، ويهود الخزرج، وهكذا<sup>(296)</sup>.

واشتهر في طليطلة العديد من العائلات اليهودية التي ينتمي بعضها حسب زعم أبنائها إلى ذريّة داود عليه السلام. ومن هذه العائلات شوشان، والفخار وهاليفي، وأبو العافية، والزادوك، وفيروزل، وأفن نحيماس<sup>(297)</sup>.

ويُنتمي إلى طليطلة العديد من المفكرين والأدباء والمشاهير اليهود، أمثال بنيامين الطوطيلي المتوفى سنة (586هـ=1190م)، وصاحب كتاب «همساعوث» أي الرحلات<sup>(298)</sup>، وإبراهيم بن داود الطليطلي صاحب كتاب «سفر هقبالة» أي كتاب التصوف، وإبراهيم بن عزرا الذي كان أديباً وشاعراً، وهو والد إسحاق بن عزرا الذي رحل إلى مصر في زمن الموحدين، ومنها هاجر إلى العراق حيث اعتنق الإسلام مع العالم اليهودي الشهير نتانييل المعروف بأبي البركة هبة الله<sup>(299)</sup>، وإسحاق بن قسطار الذي قال عنه صاعد الأندلسي: «كان بصيراً بأصول الطب مشاركاً في علم المنطق مشرفاً على آراء الفلاسفة، وكان متقدماً في علم العبرانية بارعاً في فقه اليهود، خبيراً في أخبارهم وتوفي بطليطلة سنة 448هـ، وهو ابن خمس وسبعين»<sup>(300)</sup>.



IBID, VOL.1, P.327. (294)

IBID, VOL.1, P.327. (295)

HAIM BEINART, TOLEDO., ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1200. (296)

(297) الموسوعة العبرية، 526، ص 384؛

BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P1200-1201.

(298) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 82.

(299) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 82-85.

HAIM BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1200;

MAYER KAYSERLING, TOLEDO, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.12, P.176.

(300) صاعد الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحمد، طبقات الأمم، نشر: لويس شيخو اليسوعي، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية

للأباء اليسوعيين، 1912م)، ص 89.

## المبحث الثالث مراكز الاستقرار اليهودي جنوبي الأندلس

استقر كثير من اليهود في المنطقة الجنوبية من الأندلس، وقد رغب اليهود بالإقامة فيها لخصوبة أرضها، واعتدال مناخها، ووقوع عدد من مدنها على الطرق التجارية والبحرية المهمة، وبسبب كثرة سكانها، وقربها من العاصمة قرطبة، ولقربها من الشمال الأفريقي التي يأتي منها وعبرها معظم المهاجرين اليهود إلى الأندلس<sup>(301)</sup>.

وقد تركز يهود جنوبي الأندلس في كل من غرناطة، وأليسانة، ومالقة، وبجانة، والمرية.

### أولاً: غرناطة (GNA)

تقع مدينة غرناطة بين سلسلتين من الجبال، واحدة في جهتها الجنوبية الشرقية، سماها المسلمون جبال الثلج لأن الثلج لا يذوب عن قممها أبداً، إذ «لا يزالون يرون الثلج نازلاً فيه شتاءً وصيفاً»<sup>(302)</sup>، ويبلغ ارتفاعها نحو 3480 متراً، واستمر هذا الاسم إلى الآن، لكنه ترجم إلى الإسبانية، فصارت تسمى «سيرانيفادا»، والسلسلة الأخرى تقع في جهتها الشمالية الغربية، موازية لجبال الثلج، وبينهما سهل خصبٌ تقع فيه المدينة<sup>(303)</sup>.

وقد فتح المسلمون غرناطة سنة (92هـ = 711م)، «فألفوا بها يهوداً ضمواهم إلى قصبة غرناطة»<sup>(304)</sup>، وتعاملوا معهم على وفق الأحكام الشرعية الخاصة بأهل الذمة، فنعم اليهود في غرناطة، كما في غيرها من مدن الأندلس بالتسامح والعدل والرخاء.

(301) الموسوعة اليهودية ص 273؛ الموسوعة العبرية، م 25، ص 478، م 26، ص 283؛ بوتشيش، المرابطون وسياسة التسامح، مجلة دراسات أندلسية، تونس، ع 11، 1984م، ص 24؛

MARTIN, GILBERT, THE JEWISH HISTORY ATLAS, (LONDON, 1969), P.15.

(302) البكري، المسالك والممالك، «الجزء الخاص بالأندلس»، ص 85.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.310. (303)

(304) ابن الخطيب، الإحاطة، م 1، ص 101.

وانتشرت أخبار ذلك التسامح بين اليهود في كل مكان، فأخذوا يتدفقون إلى مدن الأندلس عبر مضيق جبل طارق، وكان لغرناطة نصيب وافر من هؤلاء المهاجرين باعتبارها من المدن الأندلسية الكبرى الواقعة في طريق اليهود العابرين إلى الأندلس من الشمال الأفريقي. ومما يدل على كثرتهم فيها تسميتها بـ «أغرناطة اليهود»، حيث يقول الحميري: وتعرف بـ «أغرناطة اليهود لأن نازلتها كانوا يهوداً»<sup>(305)</sup>.

وأرى أن تسمية غرناطة بـ «أغرناطة اليهود» لا يعني أن غرناطة مدينة يشكّل اليهود فيها أكثرية السكان. إذ كان عددهم فيها في عهد باديس الذي يعد أزهى عهودهم هناك، لا يزيد كثيراً على الأربعة آلاف نسمة.

وتقديرنا لهذا العدد جاء من خلال الروايات التي تحدّثت عن عدد القتل اليهود في ثورة مسلمي غرناطة عليهم. إذ ذكر ابن عذاري بأنهم أكثر من ثلاثة آلاف يهودي<sup>(306)</sup>، وقدّرهم الشتريني بأكثر من أربعة آلاف<sup>(307)</sup>. والظاهر أن القتل كانوا أكثر من الناجين بكثير، إذ يقول ابن عذاري في معرض حديثه عن يوسف بن إسماعيل بن نغدة: «إلى أن حدثته نفسه الفاجرة بأشياء أخرجه لضرب رقبته وقتل جماعة عظيمة من أهل ملّته»<sup>(308)</sup>، ويقول أيضاً: «وقتل في هذا اليوم من اليهود جملة عظيمة، ونهبت دورهم»<sup>(309)</sup>. فإذا صحّ أن القتل كانوا أغلبية رجال اليهود، وهذا ما نميل إليه، فإن ذلك يعني أن عدد يهود غرناطة عندئذٍ يمكن أن يقدر ببضعة آلاف فقط.

(305) الحميري، الروض المعطار، ص 45.

(306) البيان المغرب، ج3، ص 261.

(307) الشتريني، الذخيرة، ق 1، م 2، ص 769.

(308) البيان المغرب، ج3، ص 265.

(309) م. ن، ج 3، ص 266.

وأرى أنَّ سبب تسمية غرناطة بـ «أغرناطة اليهود»، وتسمية العذري لروطة (RUEDE) بـ «روطة اليهود»<sup>(310)</sup>، وتسمية ابن سعيد لبيانة<sup>(\*)</sup> بـ «بيانة اليهود»<sup>(311)</sup>، وتسمية الإدريسي لأليسانة بـ «مدينة اليهود»<sup>(312)</sup>، ولطركونة بـ «مدينة اليهود»<sup>(313)</sup> و«طركونة اليهود»<sup>(314)</sup>، هو أنهم لاحظوا أنَّ اليهود يسكنون في هذه المدن بكثرة، على غير ما رأوه في المدن الأخرى التي كان وجود اليهود فيها قليلاً غير لافت للنظر.

لكنَّ هذه الكثرة التي لاحظها المؤرخون لم تكن كثرة في معظم الأحيان بالنسبة لسكان المدينة، بل بالنسبة للتواجد اليهودي في المدن الأندلسية الأخرى. ومن الممكن أن تستثنى أليسانة من ذلك، إذ سنبين لاحقاً أنَّ غالبية سكانها كانوا من اليهود.

وكانت طائفة اليهود في غرناطة تعدُّ من الطوائف المهمة في الأندلس، وكان الجاؤون سعدياً يكتب إليهم من العراق الرسائل التي يخصُّ بها الطوائف اليهودية الكبيرة في المدن الأندلسية<sup>(315)</sup>.

وشهدت غرناطة هجرة أخرى في أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، إذ توجه إليها العديد من اليهود القرطبيين في أعقاب الفتن والاضطرابات التي حدثت بعد انتهاء عصر الخلافة في الأندلس. وكان إسماعيل بن يوسف بن نغدة أحد هؤلاء المهاجرين، وقد صار الوزير الأول في غرناطة وقائداً للجيش في دولة باديس في عصر الطوائف، وخلفه بعد موته ولده يوسف. وقد سيطر اليهود في عهد هذين الوزيرين على معظم الوظائف المهمة في غرناطة، وظلموا المسلمين ظلماً شديداً<sup>(316)</sup>، وقد طال ظلم إسماعيل ولده يوسف عدداً من يهود غرناطة، الذين كانوا معارضين له، ففرّوا منها إلى إشبيلية<sup>(317)</sup>.

(310) ترصيع الأخبار، ص 35.

(\*) بيانة: «بالأندلس من أعمال قرطبة... وهي على نهر مريلة».

الحميري، الروض المعطار، ص 119.

(311) ابن سعيد، المغرب في حل المغرب، ج 1، ص 105، ترجمة رقم: 39.

(312) الإدريسي، نزهة المشتاق، م 2، ص 571.

(313) م. ن، م 2، ص 734.

(314) الإدريسي، نزهة المشتاق، م 2، ص 734.

(315) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.317.

(316) ينظر: الشتريني، الذخيرة، ق 1، م 2، ص 766-767؛ ق 2، م 2، ص 562؛ ابن سعيد، المغرب، ج 2، ص 114، ترجمة رقم: 426؛

ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 160-161؛ المقري، نفح الطيب، م 4، ص 322.

(317) HAIM BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.582.

وقد تزايد عدد اليهود في غرناطة بشكل ملحوظ خلال حكم الوزيرين اليهوديين<sup>(318)</sup>، لكنه عاد وتناقص بشكل كبير بعد ثورة المسلمين على ظلمهم وتجاوزاتهم، حيث قتل وشرّد معظم يهود غرناطة<sup>(319)</sup>.

وفي عهد المرابطين عاد كثير من اليهود إلى غرناطة<sup>(320)</sup>. ويقدم ابن عذاري إشارة تبين أن عمر بن علي بن يوسف بن تاشفين الذي كان والياً لأبيه على غرناطة قد «اتخذ له كاتباً يهودياً منها»<sup>(321)</sup>. وأرى في وصول يهوديٍّ من غرناطة إلى منصب لدى واليها مؤشّر على تواجد لليهود في المدينة. ولعلّ تسامح المرابطين وإنصافهم لأهل الذمة<sup>(322)</sup> هو الذي شجع اليهود على العودة إلى هذه المدينة.

ويقدم ابن الخطيب إشارة، يفهم منها أن كثيراً من يهود غرناطة المقيمين قرب الأحياء النصرانية قد طالهم النفي إلى المغرب سنة (520هـ=1126م) الذي تعرّض له المعاهدون النصارى عقاباً لهم على قيامهم بدعوة النصارى الإسبان لغزو غرناطة ومساعدتهم عند قدومهم، حيث يقول ابن الخطيب واصفاً ذلك النفي: «وأزعج منهم إلى بر العدو في رمضان من العام المذكور عددٌ جم، أنكرتهم الأهواء، وأكلتهم الطرق، وتفرقوا شذر مذر، وأصاب كثيرٌ من الجلاء جمعهم من اليهود، وتقاعدت بها منهم طائفة»<sup>(323)</sup>. ويبدو أن هؤلاء اليهود المجاورين للنصارى قد شاركوا في مساعدة الإسبان، مما دفع السلطة إلى عقابهم أيضاً.

وفي عهد بني الأحمر، كانت غرناطة ملجأ لليهود الهاربين من ردود فعل النصارى الإسبان ضدهم<sup>(324)</sup>، وقد استمر ذلك إلى أن سقطت في أيديهم سنة (897هـ=1492م).

(318) ينظر: ابن بلقين، الأمير عبد الله، التبيان، حققه ونشره: إ. ليفي بروفنسال، تحت عنوان: مذكرات الأمير عبد الله، (القاهرة، دار المعارف، 1955م)، ص32؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص232.

(319) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص231، 257-276؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص233؛ المقري، نفح الطيب، م4، ص322.

(320) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.728-729.

(321) البيان المغرب، ج4، ص77.

(322) ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص77.

(323) الإحاطة، م1، ص114.

(324) HAIM BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA, JUDAICA, VOL.7, P.825.



ويقول أشتور إن اليهود في غرناطة كانوا يقيمون في الأحياء الواقعة جنوب وغرب جبل مورور عند سفحه، وقد أقيم على الطرف الغربي لذلك الجبل الحصن المعروف بحصن مورور، وهو يُسمَّى الآن باسم سايديرو (CAIDERO)، ويقع هذا الجبل جنوب المرتفعات التي أقيمت عليها القصور الفخمة لملوك غرناطة، المعروفة باسمها القديم «الحمراء» كما انتشروا في المنطقة السهلية الواقعة جنوب هذه الجبال، والتي كانت تسمى فحس البونت، ويطلق عليها الآن اسم كامبوديل برنسيب (CAMPO DEL PRINCIPE)، وكانت محاذية لوادي دارو، الذي يمرُّ بغرناطة من الشمال إلى الشمال الغربي، ثم يصب في وادي شنيل، وكان هذا الوادي يجري في الشتاء ويجف في الصيف، وقد أقيم مكانه الآن ساحة بلازا نوفا (PLAZA NUEVE)، وشارع كالي دي لوس ريس كاتوليكوس (CALLE DE LOS REYES CATOLICOS) الذي يعد الشارع الرئيسي في غرناطة الحديثة<sup>(325)</sup>.

ومما يؤكِّد استقرار اليهود في هذه المنطقة قول البكري: «والحجر اليهودي في ناحية حصن البونت، وهو أنفع شيء»<sup>(326)</sup>، ويبدو أنَّ اليهود الذين كانوا يسكنون هذا المكان كانوا يستخدمون حجراً معيناً يوجد فيه بكثرة لأغراضٍ طبية، فحمل هذا الحجر اسمهم وصار يعرف بـ«الحجر اليهودي».

وعندما سقطت غرناطة في يدِ النصارى الإسبان سنة (897هـ=1492م)، وقام الملك القشتالي فرديناند بطرد اليهود منها، قام بهدم الحي اليهودي، وبني مكانه كنيسة سَمَّاها على اسم مريم العذراء<sup>(327)</sup>.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.314-315.(325)

ينظر: الخارطتان رقم: (5)، ورقم: (6).

(326) البكري، المسالك والممالك، «الجزء الخاص بالأندلس»، ص 128.

(327) فرحات، يوسف شكري، غرناطة في ظل بني الأحمر، (بيروت، المؤسسة الجامعية للنشر، 1982م).

وعندما فتحت غرناطة أبوابها للقشتاليين كانت المدينة تحوي نحو خمس مئة يهودي، مع العلم أنهم كانوا يُقدِّرون بعشرين ألفاً في عهد محمد الخامس (755-760، 763-792هـ=1354-1358م، 1361-1389م). ويمكن القول إنَّ اليهود لم يتجاوز عددهم الألف نسمة داخل سلطنة بني الأحمر في أواخر القرن التاسع الهجري/ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، وعندما أصدر الملكان إيزابيلا وفرديناند في (31-آذار-1492م) الوثيقة الخاصة باليهود، والتي خيرَوهم فيها بين الرحيل أو التنصر، رحل الذين أبوا تغيير دينهم إلى المغرب، واستقروا فيه<sup>(328)</sup>.

#### ثانياً: أليسانة (LUCENA)

تقع أليسانة جنوب مدينة قرطبة، على بعد نحو أربعين ميلاً منها<sup>(329)</sup>، وهي مدينة قديمة، تقول إحدى الأساطير اليهودية: إنَّ اليهود هم الذين أسسوها، وتدعى بعض العائلات الشهيرة فيها مثل عائلة المؤرخ اليهودي إبراهيم بن داود، أنَّ استيطانها في أليسانة يعود إلى زمن إشبان الذي جاء بهم من القدس أسرى بعد أن شارك في غزوها مع نبوخذ نصر. وقام أبرابانيل بربط اشتقاق اسم المدينة بمدينة لوز (LUZ) التي ورد ذكرها في الإنجيل<sup>(330)</sup>.

(328) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 40-41؛ GREATZ, HISTORY OF THE JEWS, VOL.3, P.263.

(329) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص 571 - 572.

HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550; (330)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.309.

وقد ورد اسم المدينة في المصادر الإسلامية بصورٍ مختلفة، فأكثرهم يقولون: «أَلْيَسَّانَة»<sup>(331)</sup>، وقد ذكرها الإدريسي بهذه الصورة، لكنه ذكرها في المصدر نفسه بصورة أخرى وهي «أَلْيَشَانَة»<sup>(332)</sup>، وذكرها ابن سعيد الأندلسي بـ«البيسانة»<sup>(333)</sup>، وتحدّث صاحب كتاب «نبذة العصر» في أخبار ملوك بني نصر عن معركة وقعت بين المسلمين والنصارى الإسبان سنة (888هـ=1483م)، وقال إنها «موقعة أَلْيَسَّانَة»<sup>(334)</sup>.

وأرى أن الاسم الصحيح هو «أَلْيَسَّانَة»، وهو ما اتفقت عليه معظم المصادر الإسلامية. والظاهر أن الاختلاف القليل عن هذا الرسم قد حدث بسبب التصحيف، في تحويل الشدة الواقعة على حرف السين في «أَلْيَسَّانَة» إلى حرف الشين في «أَلْيَشَانَة» وهكذا أدّت تصحيفات أخرى إلى رسومٍ أخرى للكلمة تختلف عنها قليلاً.

وتسميها المصادر اليهودية الحديثة «لوسينا»<sup>(335)</sup> تقليداً للأسبان الذين يطلقون عليها الآن اسم (LUCANA)<sup>(336)</sup>، بينما كان يهود الأندلس يسمونها «أَلْيَسَّانَة»<sup>(337)</sup> مثلما يفعل المسلمون.

(331) ابن حيان، المقتبس، نشره الأب ملشور م. أنطونية، (باريس، 1937)، ص 93؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن على الحجي، ص 149؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، م 2، ص 571، 572؛ ابن عبد الملك المراكشي، أبي عبد الله محمد بن محمد، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، السفر السادس، (بيروت، دار الثقافة، ط 1، 1973م)، ص 26؛ ابن السماك العاملي، الحل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار، (الدار البيضاء، دار الإرشاد الحديثة، د.ت)، ص 80.

(332) الإدريسي، نزهة المشتاق، م 2، ص 537.

(333) ابن سعيد الأندلسي، اختصار القدر المعلى في التاريخ المحلي، ص 149.

(334) مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، استخرجه الفريد البستاني، (المغرب، مطبعة الفنون المصورة، 1940م)، ص 12.

HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550; (335)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.308. ص 384؛ م 26، ص 26.

(336) أرسلان، الحلل السندسية، ج 1، ص 205.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.308; (337)

HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550;

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.623.

وتعد الطائفة اليهودية في أليسانة من الطوائف المهمة في الأندلس، إذ كانت حتى مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، تقوم بدور المركز الروحي لليهود في الأندلس. وفي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي صارت قرطبة هي التي تقوم بهذا الدور، ولكن حتى في ذلك الوقت كان لأليسانة علماء أولي شأن<sup>(338)</sup>.

وقد تحدّث بعض المصادر الإسلامية عن أليسانة، ووصفتها بأنها مدينة اليهود، فذكر ابن حيان أنّ «مدينة أليسانة يهود الذمّة»<sup>(339)</sup> قد تعرضت سنة (277هـ=890م) لحصار عمر بن حفصون<sup>(340)</sup> وكتب الإدريسي واصفاً لها في النصف الأول من القرن السادس الهجري: «مدينة أليسانة، وهي مدينة اليهود، ولها ربض يسكنه المسلمون وبعض اليهود، وبه المسجد الجامع، وليس على الربض سور، والمدينة مدينة متحصنة بسور حصين، ويطوف بها من كل ناحية حفير عميق القعر والسروب، وفائض مياهها قد ملأ ذلك الحفير. واليهود يسكنون بجوف المدينة ولا يداخلهم فيها مسلم البتّة، وأهلها أغنياء مياسير، أكثر غنى من اليهود الذين ببلاد المسلمين، ولليهود بها حذر وتحصن ممن قصدهم، ومن أليسانة إلى مدينة قرطبة أربعون ميلاً»<sup>(341)</sup>. وقال صاحب الحلل الموشية: «مدينة أليسانة، وهي مدينة منيعة سورها من أعظم الأسوار، انفرد بسكانها اليهود»<sup>(342)</sup>.

يتبين من الروايات السابقة أن مدينة أليسانة المسوّرة كانت تقتصر على السكان اليهود فقط. وأنّ المسلمين يقيمون في ربضها، أي خارج أسوارها ويشاركونهم الإقامة في هذا الربض بعض اليهود. وهذا يعني أنّ العلماء المسلمين الذين نسبوا إلى مدينة أليسانة<sup>(343)</sup>، كانوا من سكان ربض المدينة. والظاهر أنّ عدد المسلمين في ذلك الربض كان كبيراً، حيث ذكر الإدريسي أنّ «به المسجد الجامع»<sup>(344)</sup>، وذكر ابن عبد الملك المراكشي أنه كان للمسلمين فيها قاضياً،

(338) ينظر الموسوعة العبرية، م26، ص381؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.308.

(339) ابن حيان، المقتبس، ق3، نشر الأب منشور م. أنطونية، ص93.

(340) م.ن، ص93.

(341) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص571 - 572.

(342) ابن السماك العاملي، الحل الموشية، ص80.

(343) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص571.

(344) م.ن، م2، ص571.

وإماماً للصلاة وخطيباً، حيث يقول: «محمد ابن إبراهيم الحضرمي: يُسَّاني، أبو عبد الله روى عن أبي القاسم بن بشكوال وصحبه، وكان ذا حظ من العربية واللغة مع الصلاح والفضل، وقدم إلى الصلاة والخطبة ببلده، واستقضي به مدة طويلة»<sup>(345)</sup>. والظاهر أن اسم هذه المدينة قد ارتبط في أذهان مسلمي الأندلس باليهود، وصار بعض الحكام ينفون إليها الغاضبين عليهم بقصد معاقبتهم وإهانتهم. فقد نفى الخليفة الموحد أبو يوسف يعقوب (580-595هـ=1184-1198م) إلى أليسانة أبا الوليد محمد بن أحمد بن رشد، يحدثنا بذلك ابن عبد الملك المراكشي فيقول: «ثم أمر أبو الوليد بسكنى أليسانة، لقول من قال إنه ينسب في بني إسرائيل، وإنه لا يُعرف له نسب في قبائل الأندلس، وعلى ما جرى عليهم من الخطب، فما للملوك أن يأخذوا إلا بما ظهر... وتفرق تلاميذ أبي الوليد أيدي سباً»<sup>(346)</sup>. «... ثم عُفي عنه واستدعي إلى مراكش، فتوفي بها ليلة الخميس التاسعة من صفر خمس وتسعين وخمس مئة»<sup>(347)</sup>.

وذكر ابن سعيد الأندلسي في ترجمته لأبي القاسم بن حسان الإشيلي أن الأمير الموحد أبا العلاء إدريس، يوم كان حاكماً على إشبيلية، رأى أبا القاسم بن حسان، وقد «صار له في إشبيلية موارد ومصادر، فوجد من ذلك في نفسه أبو العلاء، حتى نفاه، وأسكنه البيسانة مدينة اليهود، وأدام فيها مداه أو (مدة)، إلى أن عفا عنه بالشفاعات، وأقام بإشبيلية مطرح الجانب غير آمن شر العواقب...»<sup>(348)</sup>.

(345) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ص 108، ترجمة رقم 287.

(346) م. ن، السفر السادس، ص 26، ترجمة رقم: 51.

(347) م. ن، السفر السادس، ص 31، ترجمة رقم: 51.

(348) اختصار الفتح المعلى، ص 149، ترجمة رقم: 34.

ولا يعني انفراد اليهود بالسكن داخل مدينة أليسانة، ونسبتها إليهم، أنهم كانوا يستقلون فيها عن حكم المسلمين، فهناك من النصوص التاريخية ما يؤكد أنها كانت دائماً تابعة لحكم المسلمين، وأنَّ يهودها كانوا يؤدون الجزية للحكومة الإسلامية التي توكل شخصاً من يهود المدينة بجمعها منهم وتسليمها لها. وعن ذلك يقول ابن حيان: أنه في يوم السبت لعشر بقين من ربيع الآخر من سنة ثلاثٍ وستين وثلاث مئة «سُجِّلَ الحجاج بن متوكل اليهودي على قسامة قومه يهود أليسانة»<sup>(349)</sup>. كما بين ابن حيان أنهم كانوا تحت الذمة عندما سماها «أليسانة يهود الذمة»<sup>(350)</sup>. وعندما امتنع يهود أليسانة عن دفع الجزية لإمارة غرناطة في عهد عبد الله بن بلقين أرسل إليهم جيشاً أجبرهم على دفعها<sup>(351)</sup>.

وقد أكدت المصادر اليهودية أيضاً على أنَّ سكان مدينة أليسانة كانوا من اليهود فقط، حيث كتب كبير أحبار اليهود في العراق الجاؤون نظروناي سنة (239هـ=853م) رداً إلى يهود أليسانة<sup>(352)</sup> يقول فيه: «أما بخصوص سؤالكم الذي تذكرون فيه أنَّ أليسانة مدينة يهودية ذات سكان يهود كثيرين ... دون وجود أي فردٍ غير يهودي بينكم»<sup>(353)</sup>.

كما كتب إليهم رداً آخر يدعوهم لممارسة نشاطاتهم الدينية، ويتساءل عن أسباب تقاعسهم عن ذلك، وهم يعيشون في مدينة لا يوجد فيها أحدٌ من غير اليهود<sup>(354)</sup>.

(349) المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص 149.

(350) المقتبس، نشر ملشور م. أنطونية، ص 93.

(351) ابن بلقين، التبيان، ص 130-132. تفاصيل هذه الحادثة توجد في الفصل الثالث من هذا البحث.

HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550; (352)

BEAR, A HISTORY OF THE JEWS IN CHRISTAIN SPAIN, VOL.1, P.23;

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.308.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.308.(353)

نقلاً عن: K'BHUSAT HAKHAMMIM, P.110-111.

HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550. (354)

أما عن سبب انفراد اليهود بالسكن في هذه المدينة، وعدم إقامة المسلمين بينهم فيها، فلم تسعفنا به المصادر الإسلامية ولا حتى اليهودية. لكننا نستطيع استنتاجه من خلال المعلومات القليلة المتوفرة. وهو في تصوري أنَّ المسلمين عندما فتحوا أليسانة وجدوا أن أكثر سكانها من اليهود. ولم يغادر هؤلاء اليهود منازلهم مثلما فعل كثير من النصارى في المدن الأخرى الذين فرّوا عن منازلهم، أو قتلوا في المعارك وتركوها. ولذلك لم يكن هناك متسع لكي يسكنها المستقرون الأوائل الذين من الطبيعي أن يفضلوا الاستقرار في بيوت جاهزة للسكن. وهو ما توفّر لهم في مدن أخرى.

كما أنَّ معرفة المسلمين بأخلاق اليهود وطبائعهم ونفورهم منها، لم تشجعهم على تشييد منازل لهم في مدينة يغلب على سكانها اليهود. ولذلك نجدهم يقيمون بيوتهم ومسجدهم الجامع في ربض المدينة خارج أسوارها، ولم يجاورهم فيها إلا بعض اليهود، كما هو الحال في المدن الأخرى. والذي يجعلنا نقول إنَّ الفاتحين وجدوا في أليسانة أغلبية يهودية، هو ما توفر لدينا من معلومات في المصادر اليهودية عن قدم وجودهم في هذه المدينة<sup>(355)</sup>. كما أنه من غير المعقول أن تكون هذه المدينة المحصنة بشكل متميز<sup>(356)</sup> قد أعطيت لليهود بعد الفتح الإسلامي، ولولا أنهم كانوا يستوطنونها قبل الفتح بأعداد كبيرة لخصّ المسلمون بها أنفسهم. ولو أنَّ عدد اليهود في المدينة كان قليلاً لا حتمل المسلمون الإقامة بينهم مثلما احتملوا اليهود في المدن الأندلسية الأخرى.

وكانت مهن يهود أليسانة متنوعة للغاية، حيث عملوا في كل فروع الصناعة والتجارة، وكان تجار أليسانة يبيعون المنتجات الزراعية الخاصة بالمدينة إلى بقية الأقاليم الأندلسية، وكان كبار التجار قد أقاموا علاقات عن طريق ميناء بجانة القريب ومع بقية الدول المحيطة بالبحر المتوسط. وقد حققوا أرباحاً كثيرة من تجارتهم<sup>(357)</sup>.

IBID, VOL.11, P.550; (355)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.309.

(356) ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص 571.

HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550; ASHTOR, THE JEWS, (357) VOL.1, P.309.

ويصف الإدريسي ثراءهم المادي بقوله: «وأهلها أغنياء مياسير أكثر غنى من اليهود الذين ببلاد المسلمين»<sup>(358)</sup>.

ومن مشاهير اليهود في أليسانة عرف أليعازر بن صاموئيل حرکا الذي كان معاصراً للجاءون عمرام، رئيس اليهود في العراق، وقد منحه هذا الجاءون في منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي لقب الألوف، ولقب (روش كالا)، وأصبح من أشهر أساتذة مدرسة أليسانة اليهودية. كما عاش في منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي في أليسانة حبر يهودي يدعى جوزيف، وقد تراسل أيضاً مع رؤساء المدارس اليهودية في العراق وكتب له الجاءون عمرام قائمة من مئة صلاة للبركة وعدداً من الردود<sup>(359)</sup>.

وكان رئيس الطائفة اليهودية في أليسانة في أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي يدعى ابن ميمون، وهو الذي حرّض يهود أليسانة على التمرد وعدم دفع الجزية لأمير غرناطة عبد الله بن بلقين آخر أمراء بني زيري في غرناطة<sup>(360)</sup>.

ومن مشاهير يهود أليسانة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي إسحاق بن يهودا بن غياث، وإسحاق الفاسي وجوزيف بن ميغاش، وقد تعاقب هؤلاء الأخبار على رئاسة المدرسة اليهودية في أليسانة<sup>(361)</sup>.

وكان إسحاق بن مرشاءول أحد أشهر أساتذة هذه المدرسة في أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وهو أستاذ النحوي اليهودي مروان بن جناح الذي كان هو والشعراء موسى وإبراهيم ابني عزرا، ويهودا هاليفي، وجوزيف بن سهل فاعلين جداً في أليسانة<sup>(362)</sup>.

(358) نزهة المشتاق، م2، ص 571 - 572.

(359) HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.

(360) ابن بلقين، التبيان، ص 130 - 131. ستذكر تفاصيل ذلك في فصل الثالث من هذا البحث.

(361) الموسوعة العبرية، م26، ص 384؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 61.

HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.

HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550. (362)



كما عاش في أليسانة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي الشاعر العبري الشهير أبو الربيع ابن باروخ<sup>(363)</sup>.

وكان طلاب العلم اليهود يتوجهون إلى أليسانة من جميع مدن الأندلس والشمال الإسباني ليتعلموا على أيدي أحبارها المشهورين، أمثال أبو الوليد بن حسداي وإبراهيم بن باروم وأبو سليمان بن راشلة<sup>(364)</sup>.

### ثالثاً: مالقة (MALAGA)

«مدينة على شاطئ البحر، عليها سور صخر، والبحر في قلبها»<sup>(365)</sup>، وقد فتحها المسلمون بقيادة طارق بن زياد سنة (92هـ=711م)<sup>(366)</sup>، واستمرَّ الحكم الإسلامي لها حتى سنة (893هـ=1487م)، حيث سقطت في يد الملكين الإسبانيين فرديناند وإيزابيلا<sup>(367)</sup>.

وكان الحي اليهودي في مالقة في العهد الإسلامي يقع في الجزء الشرقي من المدينة، وكانت المقبرة اليهودية على منحدرات جبل الفارو (GIBRAL FARO)<sup>(368)</sup>.

وكانت مالقة ملاذاً لإسماعيل بن نغدة ويهود آخرين، حيث وصلوا إليها من قرطبة سنة (404هـ=1013م)<sup>(369)</sup>، بعد الاضطرابات التي أعقبت سقوط الخلافة في الأندلس.

---

IBID, VOL.11, P.550 (363)

BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550. (364)

(365) ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص 517.

(366) ابن الخطيب، لسان الدين، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، (القاهرة، المطبعة السلفية، 1347هـ)، ص 177.

HAIM BEINART, MALAGA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.817. (367)

IBID, VOL.11, P.817. ينظر: الخارطة رقم: (7). (368)

IBID, VOL.11, P.817. (369)

وقد أنجبت الطائفة اليهودية في مالقة الشاعر العبري الشهير سليمان بن جابيرول، الذي ولد فيها حوالي سنة (412هـ=1021م)<sup>(370)</sup>.

ويُقدَّر عددُ اليهود في مالقة في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/منتصف القرن الحادي عشر الميلادي بنحو مائتي نسمة، وعدد غير اليهود بنحو عشرين ألف نسمة. وعندما سقطت المدينة في يد الإسبان سنة (893هـ=1487م)، كانت تعيش فيها مئة عائلة يهودية<sup>(371)</sup>.

وقد غادر المسلمون واليهود مالقة على أثر مرسوم أصدره الملكان الإسبانيان فرديناند وإيزابيلا سنة (896هـ=1490م)، وتمَّ توطين النصارى مكانهم<sup>(372)</sup>.

#### رابعاً: بجانة (PECHINA) والمرية (ALMERIA)

كانت بجانة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي مجرد قرية صغيرة يقيم فيها عدد من المسلمين الذين يتولون حراسة الساحل الشرقي للأندلس من هجمات النورمان وقد أنشأوا في أحد الخلجان القريبة من بجانة برجاً للمراقبة سموه المرية<sup>(373)</sup>.

وبمرور الوقت تطورت بجانة وأحيطت بسور، وصارت مدينة مزدهرة، وقد استمرت بالازدهار إلى أن قام الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة (344هـ=955م) ببناء مدينة في منطقة البرج سماها المرية، وقد أصبحت المرية مدينة مزدهرة وقاعدة بحرية، عظيمة وأثرت على مكانة بجانة، فظلت تتضاءل إلى أن صارت في بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي مجرد قرية صغيرة<sup>(374)</sup>، وهي ما تزال كذلك إلى الآن<sup>(375)</sup>.

يقول العذري: «ولست المرية بأوليّة العمارة، وإنما اتخذها العرب رباطاً، وابتنيت فيها محارس، وكان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها، ولا عمارة فيها يومئذ ولا سكنى. وعليها سور صخر منيع، بناه الناصر أمير المؤمنين عبد الرحمن سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة، ومن مدينة

HAIM BEINART, MALAGA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.817.(370)

IBID, VOL.11, P.817. (371)

IBID, VOL.11, P.817. (372)

(373) الحميري، الروض المعطار، ص 79، 537؛ IBID, VOL.1, P.307. ينظر: البكري، المسالك والممالك، «الجزء الخاص بالأندلس»، ص 128، (هامش المحقق). يتحدث الإدريسي عن قرب بجانة من المرية فيقول: «وهذا الوادي المنسوب إلى بجانة بينه وبين المرية أربعة أميال» الإدريسي، نزهة المشتاق، م 2، ص 562.

(374) ينظر البكري، المسالك والممالك، «الجزء الخاص بالأندلس»، ص 128؛ ياقوت، معجم البلدان، م 1، ص 339؛ الحميري، الروض المعطار، ص 79، 537، الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، (مصر، 1381هـ-1961م)، ص 35.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.318. (375)

بجاجة إلى مدينة المرية خمسة أميال وسدس<sup>(376)</sup>.

وقد استقرَّ في بجاجة - في مرحلة ازدهارها - مجموعة من اليهود عملوا في صناعة الحرير وتصديره. وعندما كتب الجاؤون سعديا إلى الطوائف المهمة في الأندلس، لم يغفل عن طائفة بجاجة.

وقد ظل اليهود يقيمون فيها حتى نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. وكان قائد الطائفة اليهودية في بجاجة في ذلك الوقت هو صاموئيل هاكوهين بن جوزيه، الذي يعود أصله إلى فاس بالمغرب. وكان صاموئيل ضليعاً في علوم الشريعة اليهودية، وله مراسلات مع الجاؤون شعيرة في العراق<sup>(377)</sup>.

وعندما اضمحل اسم بجاجة من بين أسماء المدن الأندلسية، اختفت الطائفة اليهودية منها<sup>(378)</sup>.

وما من شك بأنَّ معظم يهود بجاجة قد انتقلوا كبقية أهلها إلى مدينة المرية القريبة والتي حلت محلها في المكانة والأهمية. وعن ذلك يقول العذري: «وانتقل أهل بجاجة إلى المرية سنة اثنتين وأربع مئة»<sup>(379)</sup>.

ويتوفر العديد من الإشارات التاريخية التي تدل على استقرار لليهود في مدينة المرية. إذ يروي العذري الذي عاش في هذه المدينة، وتوفي سنة (487هـ=1094م)<sup>(380)</sup> حادثة شاهدها بنفسه، فيقول: «ومن الغرائب بمدينة المرية صبيٌّ ولد أعمى أصم أبكم. وهو ابن رجل من التجار، يجس بيده وجهه من قرب منه ولحيته وصدرة، ويخبر بالإشارة إلى صناعته وطريقته

(376) العذري، ترصيع الأخبار، ص 86.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.319. (377)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.319. (378)

(379) العذري، ترصيع الأخبار، ص 82.

سبب انتقال أهل بجاجة إلى المرية في هذه السنة، الفتنة التي حدثت فيها بسبب الصراع على ولايتها بين شخصيات بارزة فيها. ينظر العذري: ترصيع الأخبار، ص 82-83.

(380) العذري، ترصيع الأخبار، ص ب (مقدمة المحقق).

، رأيت ذلك منه مراراً عدّة وجربته لما قيل لي ذلك عنه، ورأيت يوماً وهو يضرب صبيّاً فقلت ماله معه ؟ فقيل لي: إن الصبي الذي يضرب يهودي، وأنه لما لمسه بيده بدأ يضربه. فهزّزته كالمنكر عليه ذلك، فأشار إليّ بيده أي أنه ليس بمسلم، وأنه مثل الذي يعبد الصليب يشير بذلك كله. وأخبرني جماعة أنهم رأوه صنع ذلك مراراً مع من لمس من اليهود والنصارى»<sup>(381)</sup>.

ويقول ابن حزم الأندلسي الذي عاصر عهد أمراء الطوائف وتوفي سنة (456هـ=1063م): «ولقد كنت يوماً بالمرية قاعداً في دكان إسماعيل بن يونس الطبيب الإسرائيلي»<sup>(382)</sup>.

ويشير الضبي إلى يهودي صار وزيراً لحاكم المرية في عصر الطوائف. حيث يقول: «كان الفقيه المقرئ أبو محمد بن سهل (ت: 480هـ=1087م) يقرئ بالمرية، وكان معظماً عند أهلها، فدخل الحمام ذات يوم، فوجد فيه اليهودي وزير صاحب المرية في ذلك التاريخ»<sup>(383)</sup>.

وجاء في خطاب أرسله تاجر يهودي من الإسكندرية إلى صديق له في القاهرة يقول فيه: «لقد وصلت توّاً من المرية»<sup>(384)</sup>.

وهناك رسالة أخرى بعث بها تاجر أندلسي في مدينة فاس إلى أبيه يافث اللافي بن علا في المرية في سنة (535هـ=1140م)<sup>(385)</sup>.

وأخرى بعث بها إسحاق بن باروخ المقيم بمدينة المرية إلى أبي سعيد خلفون بن نثيل بمدينة تلمسان بتاريخ 10-10-1138م<sup>(386)</sup>.

(381) العذري، ترصيع الأخبار، ص 87، 88.

(382) ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، جـ1، تحقيق: إحسان عباس، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1401هـ-1980م)، ص 114.

(383) الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، (دار الكتاب العربي، 1967م)، ص 345، ترجمة رقم: 928.

(384) جوايتاين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص 214.

(385) الكواطي، اليهود في المغرب، ص 252.

(386) GOITEIN, SOLOMON, DOB FREITZ, LETTERS OF MEDIEVAL, JEWISH TRADERS, (PRINCETON UNIVERSITY, 1900). P.259-263.

## المبحث الرابع مراكز الاستقرار اليهودي غربي الأندلس

تركز يهود غربي الأندلس في مدينتين كبيرتين هما، إشبيلية، وماردة، وفيما يأتي بيان لاستقرار اليهود فيهما.

أولاً: إشبيلية (SEVILLE)

تقع «غربي قرطبة، بينهما ثلاثون فرسخاً»<sup>(387)</sup>، وهي «قديمة البناء أولية»<sup>(388)</sup>، «ولها كورٌ جليلة، ومدن كثيرة، وحصون شريفة»<sup>(389)</sup>، وقد ساعد وقوعها على الوادي الكبير<sup>(390)</sup>، الذي ربطها بالمحيط الأطلسي على جعلها مركزاً تجارياً مهماً<sup>(391)</sup>.

وقد وجد المسلمون اليهود في إشبيلية منذ أن فتحوها بقيادة موسى بن نصير سنة (93هـ=712م) «فضمَّ موسى يهودها»<sup>(392)</sup>، أي جمعهم من مواقعهم المتفرقة في إشبيلية، وركزهم في قصبة المدينة، وفقاً للسياسة المتبعة معهم في المدن الأخرى<sup>(393)</sup>.

ومما يدلُّ على وجود اليهود في إشبيلية، ويشير إلى كثرتهم فيها في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (138 - 172هـ=788 - 796م)، أنهم جسروا على فتح أحد أبوابها ليتمكن جند الأمير من دخول المدينة وقمع الثائرين، «ودخلت الخيل على باب قرمونة، وفتحه لهم اليهود، فوضعوا أيديهم في قتل المولدين»<sup>(394)</sup>.

(387) ياقوت، معجم البلدان، م 1، ص 195.

(388) البكري، المسالك والممالك، «الجزء الخاص بالأندلس»، ص 107.

(389) م، ن، ص 114.

(390) م. ن، ص 109.

(391) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.300, 305.

(392) مجهول، أخبار مجموعة، ص 25.

(393) ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج 2، ص 12، مجهول، أخبار مجموعة، ص 23؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ص 101.

(394) العذري، ترصيع الأخبار، ص 102.

وقد عاش اليهود في إشبيلية خلال مُدَّة الحكم الإسلامي لها في مواقع عديدة، فقد أقاموا في الجانب الغربي من المدينة، في موقع الحي الحالي الذي توجد فيه كنيسة سانتا مجدولينا (SANTA MAGDLENA). وما يزال أحد الشوارع هناك يحمل اسم (CALLE DE CAL) و«CAL» هي التسمية الإسبانية لـ (KAHAL)، وهي كلمة عبرية بمعنى «الطائفة»<sup>(395)</sup>.

كما سكنوا أيضاً في القسم الشمالي الغربي من المدينة في مكان الحي الحالي الذي توجد فيه كنيسة سان لورينزو (SAN LORENZO)<sup>(396)</sup>.

وقد عاشت في إشبيلية في ظل الحكم الإسلامي طائفة يهودية كبيرة تضمَّ عدداً من العائلات المهمة، مثل عائلة تيبون وأبرابانيل وأبو درهم<sup>(397)</sup>، وابن الباطوم وابن كامنيل وابن المهاجر<sup>(398)</sup>.

ويزعم اليهود بأن بعض عائلاتها تنسب إلى النبي داود عليه السلام وأنهم جاءوا إليها بعد التدمير الأول للهيكل سنة (70م)<sup>(399)</sup>.

وقد شهد القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ازدياداً ملحوظاً على عدد اليهود في إشبيلية، إذ فضل عدد كبير من يهود قرطبة أن يستقروا في إشبيلية بسبب الفتن التي شهدتها قرطبة في أعقاب انتهاء عصر الخلافة في الأندلس، كما لجأ إليها المعارضون من يهود غرناطة لإسماعيل بن يوسف بن نغدة، وكذلك العديد من يهود غرناطة<sup>(400)</sup>، بعد ثورة المسلمين فيها على ظلم وتسلط اليهود.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.302; (395)

HAIM BEINART, SEVILLE, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.303; (396)

MKEYSERLING, SEVILLE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.209. ينظر: الخارطة رقم: (8).

(397) مقالة «إشبيلية»، الموسوعة اليهودية، «باللغة العبرية»، ص 273.

HAIM BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201. (398)

(399) مقالة «إشبيلية»، الموسوعة العبرية، م 25، ص 487؛

HAIM BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201.

(400) مقالة «إشبيلية»، الموسوعة العبرية، م 25، ص 487؛

HAIM BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201.

كما تدفّق إليها اليهود من الشمال الأفريقي للاستقرار في ظل التسامح والازدهار الاقتصادي والثقافي الذي شهدته إشبيلية في عهد بني عباد<sup>(401)</sup>.

وقد خَصَّ الحبر سعديا بن جوزيف كبير أحنبار اليهود في العراق في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي طائفة إشبيلية بالمراسلة، باعتبارها من الطوائف الكبيرة في الأندلس<sup>(402)</sup>.

ومن رؤساء الطائفة اليهودية في إشبيلية عُرفَ إسحاق بن باروخ البالية، وقد عمل منجماً لدى المعتمد (461-484هـ=1068-1091م)، وألّف كتاباً تلمودياً فلكياً، وإليه يرجع الفضل في جعل إشبيلية مركزاً للدراسات اليهودية<sup>(403)</sup>، وهو والد الحبر الإشبيلي باروخ بن إسحاق، وعم المؤرخ الشهير إبراهيم بن داود المولود في إشبيلية<sup>(404)</sup>.

---

HAIM BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201. (401)

(402) الموسوعة العبرية، م25، ص487؛

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.306;

HAIM BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201.

BROYDE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.208. (403)

BROYDE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, SEVILLE, VOL.14, P.1201. (404)

ومن الشخصيات اليهودية الإشبيلية البارزة في مطلع القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، الشعراء مير بن ميغاشي، وأبو الفتح إيعازر بن ناحمان بن أزهر الذي كان كبيراً للأخبار في إشبيلية<sup>(405)</sup> ويهودا بن بلعم مفسر كتاب العهد القديم<sup>(406)</sup>.

ثانياً: ماردة (MERIDA)

تقع ماردة على الضفة الشمالية لوادي يانه (GUADIANA)<sup>(407)</sup> «بجوفي قرطبة منحرفة إلى الغرب قليلاً»<sup>(408)</sup>، ويحدد ياقوت موقعها بقوله: «بين الغرب والجوف من أعمال قرطبة»<sup>(409)</sup>.

---

BROYDE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA , VOL.14, P.1201; (405)

BROYDE, SEVILLE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P208.

(406) الموسوعة العبرية، م25، ص487.

(407) البكري، المسالك والممالك، «الجزء الخاص بالأندلس»، ص119.

(408) م.ن، ص119. اعتاد الأندلسيون أن يطلقوا كلمة «جوف» على الجهة الشمالية.

ينظر: مؤنس، حسين، تاريخ الجغرافية والجغرافيين، (مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، ط1، 1967م)، ص290. (الهامش).

(409) ياقوت، معجم البلدان، م5، ص38-39.



وكانت ماردة مستقراً لأهم الطوائف اليهودية في الأقاليم الغربية لشبه الجزيرة الأيبيرية. وتمتاز تلك الأقاليم، بقلة عدد اليهود المستقرين فيها مقارنة مع أعدادهم في الجنوب، وفي منطقة وادي إبره. كما أن عدد المسلمين المستقرين في تلك الأقاليم كان قليلاً، وسبب قلّة المسلمين واليهود فيها، يرجع إلى أن الجزء الأكبر من المنطقة كان جافاً، كما أنّها كانت بعيدة في تلك الأيام عن الطرق التجارية المهمة<sup>(410)</sup>.

وقد أشار كلٌّ من ابن سعيد الأندلسي والنباهي إلى وجود يهودي في ماردة عندما تحدّثا عن قصة تاجر الرقيق اليهودي الذي احتجز الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن جاريته دون أن يدفع ثمنها لأنّ اليهودي تشطّط فيه<sup>(411)</sup>.

كما تمّ العثور فيها على شاهد قبرٍ لرجلٍ يهودي يعود إلى بداية الحكم الإسلامي<sup>(412)</sup>.

وفي القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي كان لماردة طائفة يهودية كبيرة، تعدّ الطائفة اليهودية الرئيسة في غرب الأندلس، وكان لقادة طائفة ماردة، سلطة تشريعية عليا على يهود تلك المنطقة<sup>(413)</sup>.

وكانت أكثر العائلات اليهودية شهرة وأهمية في ماردة، هي عائلة ابن بالية التي تعود بنسبها إلى حائك الستائر باروخ، الذي يقول المؤرخ اليهودي الأندلسي إبراهيم بن داود أنه أحد الأسرى اليهود الذين أرسلهم تيتوس إلى إسبانيا بعد أن دمّر القدس سنة (70م)<sup>(414)</sup>.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.350. (410)

ما يؤكّد جفاف هذه المنطقة قول الإدريسي عن نهر يانه الذي يعد النهر الرئيس في المنطقة الغربية: «وهو نهر كبير، ويسمى النهر الغوّور؛ لأنه يكون في موضع يحمل السفن، ثم يغور تحت الأرض حتى لا يوجد منه قطره، فسمي الغوّور لذلك»، نزهة المشتاق، م2، ص545. ويؤكد هذا النص أيضاً على صحة ما يقول آشتور بخصوص بعد ماردة عن الطرق التجارية. إذ إن نهرًا يغور مياهه لا يصلح استعماله طريقاً تجارياً بحرياً.

(411) ابن سعيد، المغرب في حلّ المغرب، ج1، ص151-152، ترجمة رقم: 91؛ النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نشر: إ. ليفي برونفسال، (القاهرة، دار الكتاب المصري، 1948م)، ص56-57.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.352. (412)

IBID, VOL.1, P.352. (413)

IBID, VOL.1, P.352. (414)

نقلًا عن: ABRAHAM B.DAUD. THE BOOK OF TRADITION, (PHILADELPHIA, 1967), P.79.

وقد ذكر الجاؤون سعديا يهود ماردة في رسالته الدواره إلى الطوائف اليهودية المهمة في الأندلس، لكنّ العديد من اليهود قد هجروا ماردة في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. إذ يذكر مؤرخ يهودي معاصر لتلك الهجرة أنّ أفراد عائلة ابن بالية قد هجروا ماردة، وتوجهوا إلى قرطبة للاستقرار فيها<sup>(415)</sup>.

وعلى الرغم من أنّ المدينة قد ضعفت، وأنّ الهجرة كانت واضحة المعالم، إلّا أنّ طائفة ماردة لم تنته، بل ظلّت موجودة إلى أن طرد الإسبان اليهود من الأندلس قبيل نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي<sup>(416)</sup>.

وكان الحي اليهودي في ماردة قريباً من كنيسة للنصارى بعد الطرد<sup>(417)</sup>، وفي شمال المدينة كان لليهود مقبرة على (PANICALIENTE MILL) ليس ببعيد عن وادي البرجس (ALBARREGAS).

وقد استمر الحكم الإسلامي لماردة حتى سنة (627=1128 م)، إذ احتلها الإسبان بقيادة ألفونسو السابع<sup>(418)</sup>.



---

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.352. (415)

نقلاً عن: IBN EZRA, SEFER SHIRAT YISRAEL, ED.B.Z, HALPER, LEIPZING, 1924.

(416) الموسوعة العبرية، م24، ص427؛

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.353.

(417) الموسوعة العبرية، م24، ص427؛

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.353.

BERNABE MORENO DE VARGAS, HISTORIA DE LA CIUDAD DE MERIDA (MADRID, 1633), P.259, AF. نقلاً عن:

(418) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص280.

## المبحث الخامس مراكز الاستقرار اليهودي شمالي الأندلس

انتشر كثير من اليهود في المناطق الشمالية من الأندلس، واستقروا في العديد من مدنها الرئيسية، وكان تواجدهم كبيراً في بعض هذه المدن.

وأهم مراكز استقرارهم في الشمال هي: سرقسطة، وبرشلونة، وطركونة، وقلعة أيوب، وروطة.

### أولاً: سرقسطة (SARAGOZA)

يقول عنها الإدريسي: «قاعدة من قواعد مدن الأندلس كبيرة القطر، أهلة ممتدة الأطناب، واسعة الشوارع والرحاب، حسنة الديار والمساكن، متصلة الجنان والبساتين، ولها سور مبني من الحجارة حصين، وهي على ضفة النهر الكبير المسمى «إبره»<sup>(419)</sup>. فتحها المسلمون سنة (95هـ=714م)<sup>(420)</sup>، وسقطت في يد الإسبان سنة (512هـ=1118م)<sup>(421)</sup>.

---

(419) نزهة المشتاق، م2، ص554.

(420) المقرئ، نفح الطيب، م1، ص273؛ الحجى، التاريخ الأندلسي، ص91.

(421) ابن الأبار، الحلة السيرة، ج2، ص248؛ ياقوت، معجم البلدان، م3، ص213.

وقد عاشت في هذه المدينة طائفة يهودية كبيرة، وسكن معظم أفرادها في الحي اليهودي الذي يقع في الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة، بين سور المدينة في الجنوب وشارع مايور (CALLE MAYOR) في الشمال، وكانت حدوده في الغرب هي شارع جيمي الأول وذلك حسب المصادر الإسبانية التي نقل عنها آشثور<sup>(422)</sup>. وحسب المصادر نفسها كان الحي اليهودي في سرقسطة كبيراً، بلغت مساحته نحو ربع مساحة المدينة<sup>(423)</sup>، وقد أحيط بسورٍ داخلي مزوّدٍ بعددٍ من الأبواب. كما بُني في الزاوية الجنوبية من هذا الحي حصن من أجل أن يلجأوا إليه إذا ما تعرّض الحي للهجوم. وبالقرب من الحصن على الجزء الغربي كان هناك بابٌ في سور المدينة يدعى باب الحي اليهودي، وكان يطلّ على الشارع الذي سُمّي لاحقاً (CALLE HIEDRA)، وقد اختفى بعد التغييرات التي حدثت في المدينة<sup>(424)</sup>.

وقد ذكر ابن الفرضي ذلك الباب عندما تحدّث عن موقع قبر حنش الصنعاني في سرقسطة حيث قال: «وقبره بها عند باب اليهود بغربي المدينة»<sup>(425)</sup>، وذكره المقرئ الذي نقل عن ابن الفرضي فقال: «إنّ حنشاً كان بسرّسطة، وأنه الذي أسس جامعها، وبها مات، وقبره بها معروف عند باب اليهود بغربي المدينة»<sup>(426)</sup>.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.334. (422)

نقلاً عن: TOMAS XIMENEZ DE EMBUN, DESCRIPCION HISTORICA DE LA ANTIGUA ZARAGOZA (SARAGOSSA, 1901), P.61;

ينظر: كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، ص 46 – 47؛ الخارطة رقم: (9)، والخارطة رقم: (10).

BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.336. (423)  
ENCYCLOPEDIA, VOL. 11, P.491.  
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.336; (424)

ينظر: كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، ص 46-47.

(425) تاريخ علماء الأندلس، ق 1، ص 127، ترجمة رقم: 391.

(426) المقرئ، نفح الطيب، م 3، ص 8.

وإلى الشمال الشرقي من الحصن سالف الذكر كان الكنيس الكبير لليهود سرقسطة، وكان يقع في المكان الذي أقيمت عليه لاحقاً مقبرة للرهبان، وهي ما تزال قائمة إلى الآن. وقد أقيم هذا الكنيس بالقرب من سور المدينة بعيداً عن الأحياء الإسلامية كما هي العادة في بقية المدن الإسلامية، حيث تبنى معابد اليهود بعيداً عن أحياء المسلمين<sup>(427)</sup> وكان هناك كنيس يهودي آخر في الطرف الغربي من الحي اليهودي، وهو الكنيس الذي صار لاحقاً كنيسة سان أندرس ( SAN ANDRES)<sup>(428)</sup>.

وكان يهود سرقسطة يكسبون رزقهم من مهن مختلفة، إذ عملوا في دباغة الجلود، وصناعة الأحذية، ونسج الأقمشة وامتلكوا الحقول والكروم، وعملوا في التجارة الخارجية وخصوصاً مع برشلونة وجنوب فرنسا، وكانوا تجاراً ناجحين<sup>(429)</sup>.

ومن الإشارات الدالة على وجود مبكر لليهود في سرقسطة ما يرويه ابن الفرضي عن أحد قضاة سرقسطة محمد بن عجلان من أنه كان «يحلف اليهود يوم السبت، والنصارى يوم الأحد، وقال: إني رأيتهم يرهبون ذلك»<sup>(430)</sup>.

وكان أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي من أشهر رجالات اليهود في سرقسطة، إذ عمل وزيراً وكاتباً في دولة المقتدر بن هود (438-447هـ=1046-1081م)<sup>(431)</sup>. ومن مشاهير اليهود في سرقسطة أيضاً «سليمان بن يحيى المعروف بابن جابريول من سكان سرقسطة، وكان مولعاً بصناعة المنطق، لطيف الذهن حسن النظر أخفر، وتوفي وقد أربى على الثلاثين، قريباً من سنة 450هـ»<sup>(432)</sup>، ومنجم بن الفوال<sup>(433)</sup>، «وكان معه بسرقسطة مروان بن جناح من أهل العناية بصناعة المنطق، والتوسع في علم لساني العرب واليهود»<sup>(434)</sup>.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.336. (427)

IBID, VOL.1, P.336. (428)

TOMAS XIMENEZ DE EMBUN, DESCRIPCION HISTORICA DE LA ANTIGUA ZARAGOZA , نقلاً عن: P.29.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.337. 384 ص، م 26، ص 384 (429)

(430) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق 1، ص 11، ترجمة رقم: 1122.

(431) ابن سعيد الأندلسي، المغرب، ج 2، ص 441، ترجمة رقم: 627.

(432) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص 89.

(433) م. ن، ص 89.

(434) م. ن، ص 89.

٤. ومن مشاهيرهم فيها في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي موشيه بن جيفتيلا، ويهوذا بن حيوج، ومروان بن جناح، وقاضي اليهود في سرقسطة دافيد بن الربيع سعديا<sup>(435)</sup>.

والشاعر أبو الفهم لاوي بن يعقوب بن التبان، وقد أنشأ لاوي مدرسة يهودية في سرقسطة، كان من مشاهيرها إسحاق بن بارون، ويهوذا اللاوي<sup>(436)</sup>.

وكانت سرقسطة مسرحاً للجدل الديني بين اليهود والنصارى في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، حيث اعتنق قس نصراني يدعى بودو اليهودية سنة (225هـ=839م)، وتحمس لها، وتقدم إلى أمير الأندلس عبد الرحمن الثاني بطلب يدعوه فيه إلى فرض الإسلام أو اليهودية على نصارى الأندلس<sup>(437)</sup>.

ومن المفارقات العجيبة أن القس النصراني بايلو الفاروس الذي كان على رأس المتصدين لبودو المتهود، يرجع بنسبه إلى جد كان يهودياً ثم تنصر<sup>(438)</sup>.

إن هذه المعلومات وأمثالها لم تسجلها المصادر الإسلامية لأنها لا تعد - في نظر مؤلفيها المسلمين - أموراً مهمة، بينما نجد المؤلفين اليهود يذكرونها لأنها من خصوصياتهم؛ ولذلك كان لابد من استقصاء ما في مصادرهم.

(435) الموسوعة العبرية، م26، ص384.

(436) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص70-71.

(437) الموسوعة العبرية، م26، ص383؛

ASHTOR, SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VO.15, P.222.

(438) الموسوعة العبرية، م26، ص384.

HAIM BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.963.

## ثانياً: برشلونة (BARCELONA)

يصفها الحميري فيقول: «مدينة للروم بينها وبين طركونة خمسون ميلاً وبرشلونة على البحر، ومرساها ترش لا تدخله المراكب إلا عن معرفة، ولها ربض، وعليها سور منيع، والدخول إليها والخروج عنها إلى الأندلس على باب الجبل المسمى بهيكل الزهرة، ويسكن برشلونة ملك إفرنجة، وهي دار ملكهم. وله مراكب تسافر وتغزو، ولإفرنج شوكة لا تطاق»<sup>(439)</sup>.

وقد فتحها المسلمون بقيادة موسى بن نصير سنة (95هـ=714م)<sup>(440)</sup>. واستمر الحكم الإسلامي لها حتى سنة (185هـ=801م)، حيث احتلها النصارى بقيادة لويس التقي ملك جنوب الغال<sup>(441)</sup>.

وقد عاشت في برشلونة خلال هذه المدّة، طائفة يهودية مهمة، يستتج ذلك من خلال الرسائل المتبادلة في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي بين يهود برشلونة وأحبار اليهود في العراق. ومع أنّ هذه المراسلات قد حدثت بعد خروج برشلونة من يد المسلمين، إلا أنها تشير إلى وجود اليهود فيها قبل سقوطها بيد النصارى؛ لأنه من غير المعقول أن يكون النصارى قد احتلوا المدينة ثم أحضروا هذا العدد الكبير من اليهود الذي دفع أحبارهم في العراق للاهتمام بمراسلتهم، والرد على تساؤلاتهم<sup>(442)</sup>، والذي جعل البكري وبنيامين التيطلي والحميري يتحدثون عن كثرتهم فيها، حيث يقول البكري (ت: 487هـ=1094م) عنها: «مُسورة على ساحل البحر. واليهود بها يعدلون النصارى كثرة»<sup>(443)</sup>. كما يذكر يهود برشلونة، وهو يروي قصة حاكمها رايمند بن بلنكير بن بُرّيل الذي «خرج يريد بيت المقدس سنة ست وأربعين وأربع مئة، فنزل في مدينة نربونة على رجل من كبراء أهلها، فتعشّق امرأته، وتعشّقته، ثم تمادى في سفره حتى وصل بيت المقدس، ثم رجّع حتى أتى نربونة فنزل على ضيفه بها وليس له همٌّ إلا امرأته، فحكم ذلك التعاشق بينهما، واتفق معها على أن تعمل الحيلة في الهروب إليه من بلدها فيزوجها من نفسه، فلما وصل إلى برشلونة أرسل إليها قوماً من اليهود في ذلك...»<sup>(444)</sup>.

(439) الروض المعطار، ص 86-87.

(440) ابن خلدون، العبر، ج4، ص 255؛ المقري، نفح الطيب، م1، ص 233.

(441) المقري، نفح الطيب، م1، ص 339؛

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.338;

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.338-339. (442)

(443) البكري، المسالك والممالك، «الجزء الخاص بالأندلس وأوروبا»، ص 96.

(444) م. ن، ص 97.

ويقول بنيامين التطيلي الذي زارها سنة (569هـ=1173م)<sup>(445)</sup>: «وفيها طائفة من اليهود وجماعة من العلماء والحكماء والرؤساء الكبار، منهم الربيون ششت، وشئالتيال وسليمان بن إبراهيم بن حسداي، والمدينة على صغرها جميلة»<sup>(446)</sup>.

ويقول الحميري: «وبرشلونة كثيرة الحنطة والعسل. واليهود بها يعدلون النصارى كثرة»<sup>(447)</sup>.

وكانت برشلونة مدينة صغيرة سداسية الشكل بصورة عامة<sup>(448)</sup> «عليها سورٌ منيع»<sup>(449)</sup>، بناه الرومان، وما تزال آثاره باقية إلى اليوم. ولكن من الممكن القول بأنَّ برشلونة القديمة هي فقط المنطقة المحيطة بساحة سان جييمي (SAN JAIME)، وهي ما تزال ذات شوارع ضيقة ومظلمة، وقصورٍ محصنة ذات ساحات صغيرة. ومن ساحة سان جييمي يجري في الاتجاه الجنوبي الشرقي للمدينة شارع (DEL CALL)؛ أي شارع الطائفة، وكان هذا الشارع في أواخر القرون الوسطى هو الشارع الرئيسي للحي اليهودي، ولهذا أطلق عليه اسم (CAL MAYOR)<sup>(450)</sup>.

وكانت المقبرة اليهودية تقع في جنوب المدينة، على منحدرات الجبل الذي ما يزال إلى الآن يُدعى جبل اليهود<sup>(451)</sup>. وهناك العديد من شواهد القبور التي تحمل كتابات من أواخر القرون الوسطى، وقد أزيلت الشواهد الأخرى من الجبل بعد طرد اليهود من المدينة، وتمَّ استخدام الحجارة في بناء بناياتٍ جديدة.

(445) بنيامين التطيلي، بن يونه النباري الأندلسي، رحلة بنيامين، ترجمة: عزرا حداد، (بغداد، ط1، 1364هـ-1945م)، ص22.

(446) م. ن، ص50.

(447) الروض المعطار، ص87.

(448) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.339.

(449) الحميري، الروض المعطار، ص87. قارن: البكري، المسالك والممالك «الجزء الخاص بالأندلس وأوروبا»، ص96.

(450) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.339.

نقلًا عن: CCORNET Y MAS, GUIA DE BARCELONA, (BARCELONA, 1882), P.198.

(451) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.340.

نقلًا عن: CCORNET Y MAS, GUIA DE BARCELONA, (BARCELONA, 1882), P.198.



ومن بين شواهد القبور التي تمّ العثور عليها في برشلونة، شاهد عليه نقوش وكتابات تعود وفقاً لرأي الخبراء إلى القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي. ويؤكد هذا الاكتشاف أن الطائفة اليهودية قد تواجدت في برشلونة خلال الحكم الإسلامي لها<sup>(452)</sup>.

#### ثالثاً: طركونة (TARRAGONA)

يصفها الحميري فيقول: «بالأندلس، بينها وبين لاردة خمسون ميلاً. وطركونة مدينة أزيّة، قاعدة من قواعد العمالقة... وهي مبنية على ساحل البحر الشامي، ومعالمها باقية لم تتغير، وأكثر سورها باق لم يتهدم، وهي أكثر البلاد رخاماً محكماً، وسورها من رخام أسود وأبيض، وقليل ما يوجد مثله<sup>(453)</sup>».

أتم المسلمون فتحها سنة (95هـ=714م)<sup>(454)</sup>، وفي سنة (193هـ=808م)، سقطت في يد لويس التقي، ولكن سرعان ما أجبره المسلمون على إخلائها، فعادت إلى حكم المسلمين.

وظل المسلمون والنصارى يتبادلون السيطرة عليها؛ لأنها كانت مدينة حدودية، ففي سنة (340هـ=950م) سقطت في يد النصارى، وبعد سنوات عدة استعادها المسلمون، وبعد بضع سنوات سقطت نهائياً في أيدي النصارى الإسبان<sup>(455)</sup>.

«وكانت حاجزاً بين المسلمين والأفرنج إلى أن استولى الأفرنج عليها، فهي في أيديهم إلى الآن في ما أحسب، وكانت قد استولى عليها الخراب، فاستجدها عبد الرحمن الناصري الأموي<sup>(456)</sup>»، «وكانت في قديم الزمان خالية؛ لأنها كانت في ما بين حد المسلمين والروم<sup>(457)</sup>».

IBID, VOL.1, P.340. (452)

(453) الحميري، الروض المعطار، ص392.

(454) مجهول، وصف الأندلس، «نشر نصوصاً منه حسين مؤنس في تاريخ الجغرافية والجغرافيين»، (مدريد، ط1، 1967م)، ص598.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.340; (455)

الموسوعة العبرية، م26، ص381.

لم أجد في ما اطلعت عليه من مصادر إسلامية تاريخاً محدداً لسقوطها النهائي في أيدي الإسبان.

(456) ياقوت، معجم البلدان، م4، ص37-38.

(457) الحميري، الروض المعطار، ص392.

وتدل النقوش اليهودية التي وجدت في طركونة ومحيطها على وجود طائفة يهودية كبيرة تعيش في تلك المنطقة منذ العهد الروماني<sup>(458)</sup>.

ويذكر الإدريسي يهود طركونة في نصين يقول في أحدهما:

«ومدينة طركونة على البحر، وهي مدينة اليهود، ولها سور رخام وبها أبنية حصينة، وأبراج منيعة، ويسكنها قوم قلائل من الروم، وهي حصينة منيعة، ومنها إلى برشلونة في الشرق ستون ميلاً<sup>(459)</sup>. ويقول في الآخر: «ومن مدينة طرطوشة إلى مدينة طركونة اليهود خمسة وأربعون ميلاً<sup>(460)</sup>».

وبالرغم من أن الإدريسي قد كتب هذين النصين في العقد الثالث أو الرابع من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي<sup>(461)</sup>، أي أثناء الحكم النصراني لطركونة، التي سقطت نهائياً قريباً من منتصف القرن الرابع الهجري إلا أنَّهما يقدمان - في رأيي - وصفاً للمدينة إبان الحكم الإسلامي لها. لأنَّ الإدريسي لم يكن يسجل لنا مشاهداته وهو يكتب عن المدينة، إذ كانت محتلة ولا يستطيع زيارتها في عصره الذي كثرت فيه الحروب بين مسلمي الأندلس وإسبانيا النصرانية. بل نقل إلينا وصف هذه المدينة عن جغرافيين مسلمين شاهدوها. وأرى أنه قد نقل عنهم وصف طركونة بـ «مدينة اليهود» و«طركونة اليهود».

ويقول عزرا حدّاد: «وكان يقال لطركونة أيام حكم العرب: «مدينة اليهود» لكثرتهم فيها<sup>(462)</sup> ومما لاشك فيه أن هذين التعبيرين يعبران عن كثرة اليهود في طركونة.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.340. (458)

(459) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص555.

(460) م.ن، م2، ص734.

(461) فرغ الإدريسي من تأليف كتابه سنة (548هـ=1154م)، بعد أن أمضى في كتابته خمسة عشر عاماً. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، م1، ص ب. (مقدمة الناشر).

(462) بنيامين التيطلي، رحلة بنيامين، ص49 (هامش المترجم).

والسبب في هذا التفوق العددي لليهود في طركونة، يرجع إلى أنَّ عدد المسلمين الذين استقروا في هذه المدينة منذ فتحها كان قليلاً؛ لأنها كانت مدينة حدودية متنازعٌ عليها باستمرار كما أنَّ أعداد النصارى هناك قد تناقصت إلى درجة كبيرة، إذ قتل العديد منهم أثناء فتح المدينة، وهجرها الكثيرون»<sup>(463)</sup>.

وقد أشار الإدريسي إلى قلة النصارى فيها بقوله: «ويسكنها قومٌ قلائل من الروم»<sup>(464)</sup>. ويمكن أن يكون سبب زيادة سكانها اليهود أنَّ الكثير من يهود برشلونة قد لجأوا إلى طركونة بعد سقوط برشلونة في يد النصارى سنة (185هـ=801م)، وذلك خوفاً من انتقام النصارى الذين يتهمونهم بمساعدة المسلمين في فتح برشلونة، كما يقول آشور<sup>(465)</sup>.

ولعل حصانة أسوار طركونة كانت أحد أسباب كثرة اليهود فيها. إذ من الملاحظ أنهم يكثرون في المدن المحصنة تحصيناً محكماً. فعن تحصينات طركونة يقول الإدريسي: «وطركونة مدينة على نحر البحر، لها سورٌ من رخام أسود وأبيض، قليلاً ما يوجد مثله صفة»<sup>(466)</sup>. ويقول بنيامين التطيلي: «وبلغت بعد مسيرة يومين مدينة طركونة القديمة ذات الأبواب والجسمة من بناء الجبابرة وأسلاف الإغريق، مما لا نظير له في جميع بلاد الإسبان، وموقعها على شاطئ البحر»<sup>(467)</sup>.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.341.(463)

(464) نزهة المشتاق، م2، ص555.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.341.(465)

(466) نزهة المشتاق، م2، ص734. ص126.

(467) بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، ص49.

وعن أليسانة التي سميت أيضاً «بمدينة اليهود»<sup>(468)</sup> يقول الإدريسي: «والمدينة مدينة متحصنة بسور حصين، ويطوف بها من كل ناحية حفير عميق القعر والسروب، وفائض مياهها قد ملأ ذلك الحفير. واليهود يسكنون بجوفي المدينة... وليهود بها حذر وتحصن ممن قصدهم»<sup>(469)</sup>. ويقول عن سورها صاحب الحلل الموشية: «مدينة أليسانة، وهي مدينة منيعة سورها من أعظم الأسوار، انفرد بسكنائها اليهود»<sup>(470)</sup>. وعن برشلونة التي كان «اليهود بها يعدلون النصرارى كثرة»<sup>(471)</sup> يقول الحميري: «وعليها سور منيع»<sup>(472)</sup>.

وسبب حرص اليهود على السكن في مدن وأحياء محصنة، هو في رأيي جنبهم وحرصهم الشديد على الحياة، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الطبع القديم فيهم بقوله: ﴿وَلَنَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ﴾<sup>(473)</sup>، ويقول تعالى: ﴿لَا يَقْنَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾<sup>(474)</sup>.

وكان اليهود في طركونة يقطنون في معظم شوارع المدينة العليا التي كانت محاطة بسور شمال شرق المنطقة المشيدة حالياً، وبمرور الوقت صارت هذه المنطقة مستقراً لليهود، وكانت أكثر ازدحاماً في الحافة الجنوبية للمدينة<sup>(475)</sup>.

ولم أجد في ما اطلعت عليه من مصادر عربية وأجنبية إسهاماً في النهضة الأدبية والعلمية لليهود طركونة. كما لم أعر لهم على عالم أو مفكر أو أديب برز خلال الحكم الإسلامي للمدينة<sup>(476)</sup>.

(468) نزهة المشتاق، م2، ص 571.

(469) م. ن، م2، ص 571-572.

(470) ابن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص 80.

(471) الحميري، الروض المعطار، ص 87.

(472) م. ن، ص 87.

(473) سورة البقرة، من الآية 96.

(474) سورة الحشر، من الآية 14.

(475) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.341.

(476) IBID, VOL.1, P.341.

نقلاً عن: B. HERNANDEZ, SANAHUJA, TARRAGONA BAJO EL PODER ED LOS ARABES (TARRAGONA, 1882), P. 17.

وفي اعتقادي أنَّ السبب يرجع إلى أنَّ طركونة لم تشهد حركة علمية نشطة للمسلمين، كغيرها من المدن الأندلسية، وقد انعكس ذلك على يهود المدينة الذين كانوا يتأثرون بالحركة العلمية التي تسود في المدن التي يعيشون فيها.

#### رابعاً: طرطوشة (TORTOSA)

يصفها الإدريسي فيقول: «مدينة حسنة على نهر إبره، وبينها وبين البحر الشامي عشرون ميلاً، ولها قلعة حصينة، وبنيت بجبالها من خشب الصنوبر ما ليس بمعمور الأرض مثله»<sup>(477)</sup>، فتحت سنة (95هـ=713م)<sup>(478)</sup>، وسقطت في يد الإسبان سنة (543هـ=1148م)<sup>(479)</sup>، وقد عاش اليهود في هذه المدينة خلال الحكم الإسلامي<sup>(480)</sup>.

وكان الحي اليهودي في العهد الإسلامي يقع في الجزء الشمالي من المدينة، شمال غرب حي ريمولينز (REMOLINS). وما يزال أحد شوارع الحي اليهودي في طرطوشة يحمل اسم مدينة القدس، إذ يسمى (JERUSALIM)، وهناك أحد الممرات في هذا الحي يحمل هذا الاسم أيضاً<sup>(481)</sup>.

وكانت المقبرة اليهودية تقع شرقي سور المدينة، ولم يسلم منها إلا القليل من شواهد القبور<sup>(482)</sup>. وقد قدر عدد سكان المدينة من اليهود في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بنحو ثلاثين عائلة<sup>(483)</sup>.

واشتغل يهود طرطوشة بالزراعة والتجارة البحرية المزدهرة، حيث أقاموا علاقات تجارية مع يهود برشلونة، وجنوب فرنسا<sup>(484)</sup>.

(477) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص734.

(478) لم أجد في مصادرنا ذكر لتاريخ فتح مدينة طرطوشة، ولكنني أعتقد أن فتحها كان سنة (95هـ=713م)، باعتبار أنها إحدى مدن الثغر الأعلى، الذي فتح في هذا التاريخ، ينظر الحجي، التاريخ الأندلسي، ص91-92.

(479) ياقوت، معجم البلدان، م4، ص30.

ELI DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL. 15, P.1268; (480)

الموسوعة العبرية، م26، ص381.

ELI DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1268; ASHTOR, (481) THE JEWS, VOL.1, P.343.  
ينظر: الخارطة رقم: (11).

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.343. (482)

ELI DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1268; ASHTOR, (483) THE JEWS, VOL.1, P.343.

ELI DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1268. (484)

وكانت المدينة مركزاً للتعليم اليهودي، كما هو ظاهر في ردود الأخبار في القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين، والتي تدل على مستوى عالٍ من المعرفة التلمودية، وعلى حرص شديد من يهود هذه المدينة على التقيد بالتعاليم الدينية اليهودية<sup>(485)</sup>.

وكان الشاعر والنحوي واللغوي مناحيم بن يعقوب بن ساروق من يهود طرطوشة، وقد عاد إليها من قرطبة، بعد أن خسر حظوته لدى حسداي بن شبروط<sup>(486)</sup>.

وثمة يهودي آخر من طرطوشة هو الطبيب والجغرافي إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطرطوشي<sup>(487)</sup>، وهو من معاصري مناحيم بن ساروق. وقد كلفه الخليفة الأندلسي الحكم الثاني (المستنصر بالله) برحلة جغرافية إلى أوروبا الوسطى والشرقية لجمع المعلومات عن تلك البلاد<sup>(488)</sup>. وقد أدّى هذه المهمة بنجاح وعاد بمعلومات قيمة، اعتمد عليها البكري وغيره عندما كتبوا عن تلك البلاد وسكانها<sup>(489)</sup>. كما عاش في هذه المدينة في مطلع القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي الشاعر العبري ليفي بن إسحاق بن مارشاؤول<sup>(490)</sup>.

---

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.344. (485)

IBID, VOL.1, P.344. (486)

(487) ينظر: البكري، المسالك والممالك، «الجزء الخاص بالأندلس»، ص 80.

(488) لقد رجحت ذلك عندما ناقشت هذه المسألة في الفصل الثالث من هذا البحث.

(489) ينظر: م. ن، ص 80، 155، 174؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص 7-8.

ELI DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPIDIA JUDAICA, VOL.15, P.1268. (490)

### خامساً: قلعة أيوب (CALATAYUD)

«وقلعة أيوب محدثة»<sup>(491)</sup> بناها المسلمون إلى الغرب من المدينة الإسبانية المهمة بلبلس (BILBILIS)<sup>(492)</sup>، وإلى الجنوب الشرقي من سرقسطة<sup>(493)</sup>، وهي تسمى الآن في إسبانيا (CALATAYUD)<sup>(494)</sup>.

وقد استقرت طائفة يهودية في هذه المدينة في عصر الإمارة، وصارت بمرور الوقت من الطوائف اليهودية المهمة في الأندلس<sup>(495)</sup>.

وفي سنة (1300هـ=1882م) تمّ العثور بالقرب من هذه المدينة على نصب ليهودي يُدعى صاموئيل بن سولومون، مات في (9/10 / سنة 991 م)<sup>(496)</sup>.

وقد سقطت قلعة أيوب في يد النصارى سنة (504هـ=1110م)<sup>(497)</sup> لكنّ اليهود ظلّوا تحت الحكم الإسباني يقطنون في المنطقة نفسها التي كانوا يقيمون فيها في عصر الخلافة<sup>(498)</sup>.

وتقع هذه المنطقة في الجزء الشمالي من المدينة الذي هو أعلى مناطقها. وكان اليهود يعيشون في الشوارع الواقعة في الجهة الشمالية الغربية من المسجد الرئيسي، الذي أقيمت مكانه كنيسة سانتا ماريا دي مريافيللا (SANTA MARIA DE MEDIA VILLA)<sup>(499)</sup>.

ويدلّ العدد الكبير لليهود الذين غادروا المدينة، ويحملون اسم القلعي على كثرة أعداد اليهود الذين كانوا يقيمون فيها أثناء الحكم الإسلامي، وعلى وجود العديد من المثقفين والأثرياء بينهم<sup>(500)</sup>.

(491) البكري، المسالك والممالك، «الجزء الخاص بالأندلس»، ص 91.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.328. (492)

(493) البكري، المسالك والممالك، «الجزء الخاص بالأندلس»، ص 91 (هامش المحقق).

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.328. (494)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.330. (495)

IBID, VOL.1, P.330. (496)

(497) ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص 55.

IBID, VOL1, P.330. (498)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.330. (499)

ينظر: الخارطة رقم: (12).

IBID, VOL1, P.330. (500)

## سادساً: روطه (RUEDE)

تحدثت بعض المصادر الإسلامية عن حصن روطه (RUEDE) القريب من سرقسطة، ودعته «روطة اليهود»<sup>(501)</sup>. ويبيّن نص العذري استقرار اليهود في روطه منذ وقت مبكر، حيث يقول: «وفي آخر السنة [260هـ=873م] خرج هاشم بن عبد العزيز [قائد جيش الأمير المنذر بن محمد] إلى الثغر [سرقسطة]، وصار فيه، وقد دخلت سنة إحدى وستين، فابتاع محمد بن لب سرقسطة بخمسة عشر ألفاً... على يدي حوشب بن القاضي، وابتاع روطه اليهود من عبد الواحد الروطي»<sup>(502)</sup> ويقول أيضاً: «قال عيسى بن أحمد بن محمد الرازي: ورأيت في تواريف الثغر أن محمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز التجيبي دخل سرقسطة يوم الأربعاء بعد الظهر لثماني عشرة خلت من شهر رمضان سنة ست وسبعين ومائتين... ودخل روطه اليهود يوم الأحد لعشر خلون من شهر رمضان سنة ثلاث وثلاث مئة»<sup>(503)</sup>. ويظهر النص الأول أن اليهود لم يكونوا مستقلين بروطة. إذ عملت الحكومة الأموية على استعادتها إلى الدولة من يد عبد الواحد الروطي، فدفعت له مبلغاً مقابل التخلي عنها، وليس هناك سبب في رأيي يدعو إلى تسميتها بروطة اليهود إلا كثرتهم فيها. ويقدم ابن الكردبوس وصفاً مفيداً لروطة فيقول: «وهو معقل على مقربة من سرقسطة، مساوٍ لأعناق السماء، وفي غاية من المنعة والارتقاء»<sup>(504)</sup>، وهو يعقب على قول أحمد بن المستعين بن هود بالتنازل عن هذا الحصن للأسبان مقابل أرض في قشتالة<sup>(505)</sup> بقوله: «وتخلى له عن معقل ما أبصر مثله من يعقل»<sup>(506)</sup>. وقد سقطت روطه في يد ألفونسو المحارب سنة (512هـ=1118م)<sup>(507)</sup>.

(501) العذري، ترصيع الأخبار، ص 35، 42، 159؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ج2، 246.

(502) العذري، ترصيع الأخبار، ص 35.

(503) م. ن، ص 42.

(504) ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: أحمد مختار العبادي، (مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، 1971م)، ص 119. نشر تحت عنوان: «تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط».

(505) م. ن، ص 120.

(506) م. ن، ص 120.

(507) م. ن، ص 121.



والظاهر أنَّ حصون روضة المنيعه هي التي جلبت إليها اليهود بكثرة. وهذا يضاف إلى الأمثلة التي ذكرناها آنفاً، والتي تؤكد ميل اليهود إلى الاستقرار في المدن والمناطق المحصنة.

ولم يقتصر الوجود اليهودي في الأندلس على المدن التي ذكرناها آنفاً، بل تواجدوا في مناطق أخرى. لكننا لا نملك عن استقرارهم فيها إلا القليل من المعلومات، وهي تشير بالرغم من قلَّتْها إلى كثرة اليهود في بعض تلك المناطق.

ويقدم ابن خلدون رواية تشير إلى وجود العديد من اليهود في قرمونة التي تقع إلى الـ«شرق من إشبيلية وغرب من قرطبة»<sup>(508)</sup>، يذكر فيها أنَّه في الحرب بين المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس ومحمد البرزالي الوالي على قرمونة، تغلب إسماعيل بن المظفر بن الأفطس على البرزالي، ودخل قرمونة وقتله، وقتل معه خلقاً من اليهود، وذلك سنة 459 هـ<sup>(509)</sup>.

ويتحدث الإدريسي عن حصون قرمونة فيقول: «وهي مدينة كبيرة يضاها سورها سور إشبيلية وهي حصينة وعلى رأس جبل حصين منيع»<sup>(510)</sup>. وهذا يضاف إلى ما لاحظناه من ميل يهود الأندلس للاستقرار في الأماكن المحصنة.

ويروي كلُّ من السلفي، وابن أبي أصيبعة ما يدل على تواجد يهودي في دانية، وعلى أنَّهم تقلدوا فيها بعض وظائف الدولة وذلك في عصر الطوائف. حيث يقول السلفي: «... أنشدني أبو حفص العروضي الزكري بأفريقية مما قاله بالأندلس، وقد طولب بمكس كان يتولاه يهودي:

(508) ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص 138.

(509) ابن خلدون، العبر، ج4، ص 156-157.

(510) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص 572.

يا أهل دانية لقد خالفتُم      حكم الشريعة والمرورة فينا  
مالي أراكم تأمرون بضد ما      أمرت به، تُرى نسخ الإله الدينا  
كنا نطالب لليهود بجزية      وأرى لليهود بجزية طلبونا<sup>(511)</sup>  
ويقول ابن أبي أصيبعة متحدثاً عن إسحاق بن قسطار: «كان يهودياً، وخدم الموفق مجاهداً العامري، وابنه إقبال الدولة علياً، وكان إسحاق بصيراً بأصول الطب ... حبراً من أحبارهم»<sup>(512)</sup>. وكان مجاهد أحد أمراء الطوائف حيث «غلب على دانية»<sup>(513)</sup>.

كما استقرَّ عدد كبير من اليهود في بيانة القريبة من قرطبة<sup>(514)</sup>. يفهم ذلك من رواية لابن سعيد يذكر فيها أنها «مدينة اليهود»، وأنها كانت المدينة التي نُفي إليها ابن رشد. حيث يقول: إنَّ منصور بن عبد المؤمن «أمر بنفيه إلى بيانة مدينة اليهود»<sup>(515)</sup>، وقد نفي عقاباً له «على قوله عن الزرافة: وقد رأيتها عند ملك البربر، فقرَّعه على ذلك، فاعتذر أنه ما قال إلا: ملك البرين»<sup>(516)</sup> لكن عذره لم يُقبل<sup>(517)</sup>.

وقد أشرنا من قبل إلى رواية ابن عبد الملك المراكشي التي يبين فيها أنَّ نفي ابن رشد كان إلى أليسانة، وأنَّ هناك سبباً آخر للنفي غير الذي ذكره ابن سعيد الأندلسي. وليس من شأننا الخوض في تفاصيل روايتي ابن سعيد وابن عبد الملك، والتحقيق في أسباب النفي وفي المدينة التي تمَّ إليها. وما يهمنا هنا هو أنَّ ابن سعيد يسمِّي بيانة «مدينة اليهود». مما دفعنا إلى القول بأنها كانت مستقرّاً لعدد كبير منهم. وكانت بيانة مدينة محصّنة، كغيرها من المدن الأندلسية التي أطلق عليها «مدينة اليهود».

(511) السلفي، أحمد بن محمد بن سلف، أخبار وتراجم أندلسية، مستخرجة من معجم السفر للسلفي، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الثقافة، ط1، 1963)، ص37-38.

(512) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص498.

(513) الضبي، بغية الملتبس، ص473.

(514) عن قربها من قرطبة، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص537؛ الحميري، الروض المعطار، ص119.

(515) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلي المغرب، ج2، ص105. ترجمة رقم 39.

(516) م. ن، ج1، ص105، ترجمة رقم: 39.

(517) م. ن، ج1، ص105، ترجمة رقم: 39.

لقد أشرنا من قبل إلى رواية ابن عبد الملك المراكشي التي يبين فيها أنَّ نفي ابن رشد كان إلى أليسانة، وأرى أن نفيه كان إلى أليسانة وليس إلى بيانة، لأن الهدف من نفيه كان المبالغة في إهانته، وتأكيد الاتهام الذي أشاعه عنه أعداؤه أنه من أصول يهودية. وسوف يتحقق لأعدائه ذلك لو أنَّ النفي كان إلى أليسانة التي ينفرد بسكانها اليهود، والمرتبطة في أذهان الأندلسيين باليهود أكثر من بيانة.

حيث يصفها الإدريسي بقوله: «وبيانة حصن كبير، في أعلى كدية تراب، قد حفت بها أشجار الزيتون الكثيرة، ولها مزارع الحنطة والشعير، ومن حصن بيانة إلى قَبْرِهِ مرحلة خفيفة»<sup>(518)</sup>. ويصفها الحميري فيقول: «ولها حصن منيع»<sup>(519)</sup>

وكان لليهود وجود في مرسية، حيث يقول المَقْرِي: «وكان محمد بن أحمد بن أبي بكر القرموطي المرسي من أعرف أهل الأندلس بالعلوم القديمة: المنطق والهندسة والعدد والموسيقى، والطب، فيلسوفاً طبيباً ماهراً، آية الله في المعرفة بالأندلس، يقرئ الأمم بالسنتهم فنونهم التي يرغبون فيها، وفي تعلّمها، ولما تغلب طاغية الروم على مرسية عرف له حقه، فبنى له مدرسة يقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود»<sup>(520)</sup>.

كما مكثوا أيضاً في بلنسية. يظهر ذلك من رواية لابن عذاري، يتحدث فيها عن سقوط بلنسية بيد الكبيطور، وارتكابه الفظائع في أهلها، وقتل عدد كبير منهم<sup>(521)</sup>، فيقول: «ثم قال: انظروا إليّ في سبع مئة ألف مثقال وإلاّ هلكتم، وأحلت السيوف عليكم، ثم خرج وبقي المسلمون في القصر، وأغلق عليهم الباب، فصاروا في سجن، والروم تحفّهم بالأسلحة، فرأوا الموت، ووقع البهت، وخرست الألسنة، ثم رجع اليهودي وزيره إليهم، وقال لهم: لم أزل ألافه حتى قاطعته عليكم بمئتي ألف مثقال، فبادروا بتوزيعها، وافدوا أنفسكم منه، فتوزّع العدد على الأحوال، واشتدّ ثقاف الأغنياء. وبلغ اليهودي - لعنه الله - من المسلمين مبلغ الغاية في العذاب، وسُلّط اليهود على الإسلام، فبلغوا النهاية في النكال والنكاية، ومنهم الأمناء الموكلون، والمنصرفون، وأصحاب الرسوم، وخدام البر والبحر. وجلس اليهودي للقبض بصاحب المدينة من الضرب بالعصا والسوط، وقبض لكل منهم شيطاناً يخرج معه كل عدد، فإن جاء بشيء، وإلاّ أخذ بالسوط والعذاب، وتمادت هذه المحنة مدة، فلا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم»<sup>(522)</sup>.

(518) نزهة المشتاق، م2، ص571.

(519) الروض المعطار، ص119.

(520) نفح الطيب، م4، ص130.

(521) البيان المغرب، ج4، ص39-40.

(522) م.ن، ج4، ص41.

ولدينا إشارة أخرى تؤكد استقرار اليهود في بلنسية. فقد ترجم ابن سعيد الأندلسي للشاعر أبي الحسن علي بن إبراهيم، المشهور بابن الزقاق<sup>(523)</sup>، وذكره مع كتاب مملكة بلنسية<sup>(524)</sup>، وذكر له بيتين من الشعر كتبهما في غلام يهودي<sup>(525)</sup>، كان يجلس معه ويناديه يوم سبت. والظاهر أن هذا الغلام من بلنسية أيضاً.

كما استقروا في بياسة، التي تقع شمال شرق جيان، وتبعد عنها عشرين ميلاً<sup>(526)</sup>، يستتج ذلك من قول ابن صاحب الصلاة: «في سنة 553 هـ كان في بياسة عالم غرناطي يدعى عبد الله بن سهل، كان يحضر دروسه جمع كبير من المسلمين والنصارى واليهود»<sup>(527)</sup>.

وهناك إشارات إلى شاعر وطبيب يهودي ينتسب إلى رنده<sup>(528)</sup>، مما يدل على أنهم سكنوا هذه المدينة. يقول المقرئ: «وكان في زمن إلياس بن المدور اليهودي الطبيب الرندي طبيب آخر، كان يجري بينهما من المحاسبة ما يجري بين مشتركين في صناعة»<sup>(529)</sup>. وقد ظل اليهود يعيشون في رنده حتى سقوطها في يد النصارى. إذ كان المترجم الوسيط بين المسلمين والإسبان في اتفاقية تسليم رنده سنة (890 هـ-1485 م) هو اليهودي عذرا الرندي<sup>(530)</sup>.

ويقدم المقرئ رواية يظهر فيها بسام بن شمعون اليهودي الوشقي، وهو يتلقى رسالة من صديق له يدعى أيوب بن سليمان المرواني<sup>(531)</sup>، مما يدل على استقرار يهودي في وشقة القريبة من سرقسطة. «ومن مدينة سرقسطة إلى وشقة أربعون ميلاً»<sup>(532)</sup>.

(523) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص323، ترجمة رقم: 567.

(524) م. ن، ج2، ص297، ترجمة رقم: 548.

(525) م. ن، ج2، ص328، ترجمة رقم: 567؛ المقرئ، نفح الطيب، م4، ص19.

(526) حدد هذه المسافة بين المدينتين الإدريسي. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص568.

(527) ابن صاحب الصلاة، عبد الملك، المن بالإمامة، تحقيق: عبد الهادي التازي، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط3، 1987م)، ص400.

(528) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص336. ترجمة رقم: 241؛ المقرئ، نفح الطيب، م3، ص528.

(529) نفح الطيب، م3، ص528.

(530) فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص99-100.

(531) نفح الطيب، م3، ص529.

(532) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص554.

كما استقرّوا في شوذر ومرتش. يفهم ذلك من رسالة شعرية بعث بها الشاعر الأندلسي إبراهيم بن محمد النفزي، يستحث فيها أمير المسلمين في المغرب على العبور إلى الأندلس لتخليص المسلمين في هاتين المدينتين من حكم النصارى، وتسلب اليهود. حيث يقول:

وشوذر ثمّ مرتش لو تراها      ونار الكفر يضرّ بها اليهود<sup>(533)</sup>

وكان عددهم كبيراً في مدينة برغش الواقعة شمالي الأندلس<sup>(534)</sup>، وقد أشار الإدريسي إلى كثرتهم في هذه المنطقة المحصّنة بقوله: «ومدينة برغش مدينة كبيرة يفصلها نهر، ولكل جزء منها سور، والأغلب على الجزء الواحد منها اليهود. وهي حصينة منيعة ذات أسوار وتجار وعدد وأموال»<sup>(535)</sup>. أي أنها مقسمة إلى أجزاء يتواجد اليهود بكثرة في كل جزء منها.

وكان لليهود وجود في جرنده التي تسمى الآن جيرونه (GERONA)<sup>(536)</sup>. وقد ذكرها بنيامين التيطلي في رحلته، حيث زارها في سنة (561هـ=1165 م). وقال إن «فيها طائفة صغيرة من اليهود»<sup>(537)</sup>.

(533) الحسين، يعقوبي، قصائد غير منشورة في الاستصراخ والإصراخ، دراسات أندلسية، ع5، (1411هـ-1990م)، ص80.

(534) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص725، 732.

(535) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص732.

(536) بنيامين التيطلي، رحلة بنيامين، ص51. يسمي بنيامين هذه المدينة جرنده، مثلما كانت تدعى في العهد الروماني. لكن اسمها الآن جيرونه. ينظر: بنيامين التيطلي، رحلة بنيامين، ص51 (المتن والهامش).

ويتفق الإدريسي مع بنيامين فيسميها جرنده. نزهة المشتاق، م2، ص583، 735. وقد فضلت أن أسجلها مثلما سجلها الإدريسي «جرنده» لأن الترجمة من العبرية إلى العربية هي التي تسببت في اختلاف رسم الكلمة عند بنيامين عما لدى الإدريسي. كما أن هذه التسمية هي الشائعة في الوقت الذي نتحدث عنه بخصوص استقرار اليهود فيها.

(537) م. ن، ص51.

وبالرغم من أنَّ بنيامين التطيلي يتحدَّث عن جرنده بعد مُضي أكثر من ثلاثة قرون ونصف على سقوطها في يدِ النصارى الذين احتلوها سنة (184 هـ=800 م)، إلَّا أنَّ اليهود في هذه المدينة قد عاصروا - في رأيي - الحكم الإسلامي لها. لأنَّ وجودهم فيها يرجع إلى القرن الخامس الميلادي، حيث «أقام اليهود في جرنده منذ القرن الخامس الميلادي في حي «خاص» بهم كان يدعى (CALLE DE CALLE JUDAICA) بجوار القلعة»<sup>(538)</sup>، ومن غير المعقول أن يكونوا قد خرجوا منها عندما فتحها المسلمون، ثم رجعوا إليها بعد عودة النصارى؛ لأنَّ يهود الأندلس عموماً كانوا ينتظرون من يخلصهم من ظلم القوط النصارى<sup>(539)</sup>، ولذلك وجدناهم يسهمون مع المسلمين في حراسة بعض المدن بعد أن تمَّ فتحها<sup>(540)</sup>. وما ينطبق على يهود جرنده ينطبق على اليهود في معظم المدن الأندلسية التي وصفها لنا الرحالة والمؤرخون بعد سقوطها في أيدي الإسبان النصارى.

ويتحدَّث عزرا حداد في هامشه على رحلة بنيامين عن يهود هذه المدينة تحت الحكم الإسباني فيقول: «وأشهر من انتسب إليها من علمائهم في القرن الثاني عشر موسى بن نحمنا الجرندي المفسر الطبيب الفيلسوف الكبير [ولد في جرنده سنة 1194 م، وتوفي في فلسطين سنة 1270 م]، وابن عمه يونه بن إبراهيم الجرندي الملقب بالمتقي، تولَّى زعامة معارضة فلسفة موسى بن ميمون بين علماء اليهود في فرنسا، وأحرق كتبه في باريس سنة 1233 م»<sup>(541)</sup>.



(538) بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، ص 51 (هامش المترجم).

(539) ينظر: الفصل الأول من هذا البحث.

(540) ينظر: مجهول، أخبار مجموعة، ص 21-22؛ لسان الدين بن الخطيب، اللوحة البدرية في الدولة النصرانية، ص 16؛ لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، م 1، ص 107.

(541) بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، ص 51 (هامش المترجم).

## اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس

### الفصل الثالث

### اليهود والسلطة في الأندلس

## المبحث الأول موقف اليهود من الفتح الإسلامي للأندلس

احتوت بعض المصادر الإسلامية التي تحدثت عن الفتح الإسلامي للأندلس على العديد من الروايات التي تعبر عن موقف اليهود من ذلك الفتح. إذ يقول مؤلف مجهول في معرض حديثه عن فتح البيرة: «فحصروا مدينتها فافتتحت، فألفوا بها يومئذ يهوداً، وكانوا إذا ألفوا اليهود ببلدة ضموهم إلى مدينة البلد، وتركوا معهم من المسلمين طائفة، ومضى عظم الناس، ففعلوا ذلك بغرناطة مدينة البيرة، ولم يفعلوا ذلك بمالقة مدينة رية؛ لأنهم لم يجدوا بها يهوداً ولا عمارة»<sup>(542)</sup>. ويقول في معرض حديثه عن فتح قرطبة على يد السرية التي قادها مغيث الرومي: «وجمع يهود قرطبة، فضمهم إليها»<sup>(543)</sup>. وعن فتح موسى بن نصير لإشبيلية يقول: «فأتاها موسى بن نصير، حتى حصرها أشهراً، ثم إن الله فتحها، وهرب العلوج إلى مدينة باجة، فضم موسى يهودها»<sup>(544)</sup>. وعن فتح طليطلة يقول ابن عذاري: «وألفى طارق طليطلة خالية ليس فيها إلا اليهود في قوم قلة، وفر عالجها مع أصحابه، ولحق بمدينة خلف الجبل، وتبعهم طارق، بعد أن ضم اليهود، وخلّى معهم بعض رجاله وأصحابه بطليطلة، فسلك إلى وادي الحجارة»<sup>(545)</sup>. ويقول لسان الدين بن الخطيب: «ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه إلى البيرة، فحاصروا مدينتها وفتحوها عنوة، وألفوا بها يهوداً ضموهم إلى قصبة غرناطة، وصار لهم سنة متبعة متى وجدوا بمدينة فتحوها يهوداً، يضمونهم إلى قصبتها، ويجعلون معهم طائفة من المسلمين يسدون بها، ثم مضى الجيش إلى تدمير»<sup>(546)</sup>.

والواضح من هذه الروايات أن يهود الأندلس قد قدموا العون للمسلمين في حراسة بعض المدن التي تم فتحها، وأنهم لم يتولوا وحدهم أعمال الحراسة، بل كان معهم دائماً عدد من المسلمين، ومن الطبيعي أن يكون المسلمون هم القادة لحاميات الحراسة تلك. ولا توجد أية إشارة في المصادر الإسلامية إلى نوع آخر من المساعدة قدمها اليهود لمسلمي الأندلس.

(542) أخبار مجموعة، ص 21، 22.

(543) م. ن، ص 23.

(544) م. ن، ص 25.

(545) البيان المغرب، ج 2، ص 12.

(546) الإحاطة في أخبار غرناطة، م 1، ص 17.



ومن المؤكد أن أسباباً عدة قد حملت اليهود في الأندلس على اتخاذ هذا الموقف من المسلمين الفاتحين، وهذه الأسباب على ما أعتقد هي:

1- رغبة اليهود في التخلص من حكم القوط الذين أرهقوهم بكثرة القوانين المضيقّة عليهم والتي وصلت في عهد الملك إجيكا إلى حد استعبادهم جميعاً<sup>(547)</sup>.

2- يحصل اليهود من خلال هذا الموقف على الفرصة للانتقام من القوط الذين اضطهدوهم منذ أن تحول الملك القوطي ريكارد إلى المذهب الكاثوليكي سنة (587م)<sup>(548)</sup>. كما يعطيهم شعوراً بالسيادة والتسلط بعد مدة طويلة من الإهانة والإذلال.

3- من المؤكد أن الأخبار عن أحوال اليهود الذين يعيشون تحت الحكم الإسلامي قد وصلت إلى يهود الأندلس، فرغبوا في حكم المسلمين، وفضلوه على حكم القوط. إذ لا يتصور أن يجهل يهود الأندلس أخبار إخوانهم في مصر والشام، وقد مضى على حكم المسلمين لهم أكثر من نصف قرن، ومن غير الممكن ألاّ تصلهم أخبار اليهود في المغرب وهي لا يفصلها عن الأندلس إلا مضيق مائي صغير.

4- تشجع اليهود على اتخاذ هذا الموقف، لأنهم توقعوا أن مشاركتهم في حراسة مدن قد تم فتحها، وفرّ أو قتل معظم جنودها وقادتها لن يكلفهم إلا القليل من الجهد والتضحية، بينما سيحقق لهم الكثير من المكاسب.

كما كان للمسلمين أسباب دفعتهم لقبول العون من اليهود، وأعتقد أن هذه الأسباب هي:

1- يبدو أن اليهود أظهروا رغبة قوية في تقديم العون للمسلمين، ولولا حدوث ذلك لما قام المسلمون بإشراكهم في حاميات الحراسة للمدن المفتوحة، فليس من عادتهم أن يكرهوا أحداً على مساعدتهم.

2- من المؤكد أن المسلمين الفاتحين قد علموا بالعداء القائم بين اليهود والقوط، وأدركوا أهداف اليهود من وراء هذا الموقف، ففضلوا توظيف هذا الوضع لخدمة الفتح.

(547) عن القوانين الخاصة باستعباد اليهود. ينظر:

P.26; LINDO, THE JEWS OF SPAIN, ASHTOR, SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.221.

ASHTOR, SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.220. (548)

3- وجد الفاتحون المسلمون أنه ليس في استخدام اليهود في حراسة المدن المفتوحة تحت إمرة المسلمين، أية مخالفة للإسلام الذي يُحرّم أن ينتظم غير المسلمين في صفوف الجيش الإسلامي، ويقاتلوا معه تحت راية الإسلام، أو تحت أية راية غير إسلامية، ولكنه يسمح بالاستعانة بهم، إذا كانوا في موقع وضع، ويخضعون لهيمنة وإمرة المسلمين، بحيث لا يطلّعو على خططهم، أو يكشفوا أسرارهم، أو يكون لهم شأن، يمكن أن يعزّ من خلاله الكفر<sup>(549)</sup>. وقد أفتى لاحقاً بذلك الفقيه المالكي محمد بن القاسم، مستنداً على الأصول نفسها التي من المؤكد أنها لم تغب عن قادة الفاتحين وفقهائهم، حيث قال: «ولا أرى أن يستعينوا بهم يقاتلون معهم، إلا أن يكونوا نواتية أو خدماً فلا أرى بذلك بأساً»<sup>(550)</sup>.

والروايات التي تتحدث عن استخدام الفاتحين لليهود في حراسة المدن التي يتم فتحها، تؤكد على عدم تجاوز الفاتحين لموقف الإسلام، الذي عبر عنه محمد ابن القاسم في فتواه. فالإهود لم ينتظموا في صفوف المقاتلين المسلمين، ولم يشاركوا في عمليات الفتح، ولم يقاتلوا تحت راية إسلامية أو يهودية، ولم يكونوا أكثر من نواتية أو خدوم يحرسون المدن المفتوحة. وحتى هذه المهمة لم يتولوها وحدهم، بل كانوا دائماً تحت إمرة المسلمين، الذين كانوا يتركون معهم عدداً من المجاهدين، بالرغم من حاجتهم الشديدة إليهم<sup>(551)</sup>.

(549) بني هذا الحكم على عدد من النصوص الشرعية منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم لمن لحقه يوم بدر من المشركين يريد القتال مع المسلمين: «ارجع فلن أستعين بمشرك» ينظر: ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ق1، ص210.

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم للأَنْصار الذين قالوا له يوم أحد، ألا نستعين بحلفائنا من يهود: «لا حاجة لنا فيهم» ينظر: مالك بن أنس الأصبحي، وآخرون، المدونة الكبرى، م2، ج3، (مصر، مطبعة السعادة، بغداد، مكتبة المثنى، 1323هـ)، ص40-41.

(550) مالك وآخرون، المدونة، م2، ج3، ص40-41.

(551) ينظر: مجهول، أخبار مجموعة، ص22، 23، 25؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص12؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م1، ص101.

4- لم يكن عدد المسلمين الذين دخلوا الأندلس كبيراً، إذ كانوا نحو اثني عشر ألفاً مع طارق<sup>(552)</sup>، وثمانية عشرة ألفاً مع موسى بن نصير<sup>(553)</sup>، وقيل: بل عشرة آلاف<sup>(554)</sup>، ولذلك وجد المسلمون أن استخدام اليهود في أعمال الحراسة لا يضطرهم إلى ترك عدد كبير من الجنود لحراسة المدن التي تم فتحها، في الوقت الذي يواصلون فيه الفتح ويحتاجون إلى أكبر قدر من جنودهم.

وقد خاض بعض المؤرخين المعاصرين من اليهود في موضوع المساعدة التي قدمها يهود الأندلس للمسلمين الفاتحين، وجعلوا لهم دوراً كبيراً في فتح الأندلس، ولم يكتفوا بالمبالغة وتضخيم الدور اليهودي، وإنما لجؤوا أحياناً إلى الاختلاق، وقلب الحقائق، فمثلاً يقول سيمون دوبنوف (SIMON DUBNOV): «وتضمن الجيش الإسلامي الكتيبة البربرية اليهودية المنضمة إليهم، والتي يقودها المحارب الذي يحمل اسماً يهودياً وهو خولان اليهودي، الذي فتح الجزء الأكبر من قطلونيا»<sup>(555)</sup>.

ولا يوجد لمزاعم سيمون أي أساس من الصحة، فليس هناك قائد يهودي يحمل اسم خولان، ولم يشارك اليهود مطلقاً في فتح قطلونيا أو غيرها، لا مشاركة فردية، ولا على شكل كتيبة مستقلة. وهذه المعلومات لم أجدها في أي مصدر عربي أو إسباني أو يهودي، ولم يشر سيمون نفسه إلى مصدرها، ولا يستطيع أن يفعل؛ لأن خياله المغرض فقط هو مصدر هذه الاختلاقات.

ويغضُّ سيمون الطرف عن الحقائق الجلية التي ذكرتها المصادر الإسلامية بخصوص استخدام اليهود في حراسة المدن<sup>(556)</sup>، ويجعل منهم مقاتلين أكفاء يختارهم كل من موسى وطارق، ويضعانهم في مقدمة المقاتلين المسلمين، إذ يقول: «قام القائدان طارق وموسى بتسليح المجموعات اليهودية، وجعلاهم حراساً يعتمدان عليهم، كما وضعاهم في مقدمة قواتهم العادية»<sup>(557)</sup>. وهو أيضاً لم يشر إلى أية مصادر<sup>(558)</sup>.

(552) مجهول، أخبار مجموعة، ص 17؛ ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص 44.

(553) مجهول، أخبار مجموعة، ص 24.

(554) ابن الشباط، صلة السمط، ص 144-145؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص 13.

(555) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.527.

(556) عن استخدام اليهود في حراسة المدن الأندلسية المفتوحة. ينظر: مجهول، أخبار مجموعة، ص 21-23، 25؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م 1، ص 101؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص 12؛ الحميري، الروض، ص 394.

HISTORY OF THE JEWS VOL.2, P.527. (557)

IBID, VOL.2, P.527. ينظر: (558)

ويتحدث أيضاً عن فتح طليطلة فيقول: «وعملت الكتيبة اليهودية في طليطلة كرمز للتمرد التاريخي، وأصبح اليهود والمسلمون سادة المدينة»<sup>(559)</sup>. والملاحظ أنه يستخدم مصطلحات توحي بأن اليهود هم الذين حققوا الانتصار على القوط، فهو يسمي المستخدمين من اليهود في أعمال الحراسة «بالكتيبة اليهودية» وَيَعِدُّهُمْ رمزاً للتمرد التاريخي، مع أنهم لم يتحركوا ضد قسوة القوط عليهم إلا بعد أن تم فتح المناطق والمدن التي يعيشون فيها، ولم يكن تحركهم بعد الفتح أكثر من عرض خدماتهم على المسلمين، الذين وافقوا على استخدامهم في أعمال الحراسة فقط.

ويقول: إنهم أصبحوا هم والمسلمون سادة المدينة، حتى أنه يقدم ذكرهم في موضوع السيادة على المسلمين. والعجيب أنه يسمي اليهود سادة، وهم والنصارى أمام القانون الإسلامي سواء<sup>(560)</sup>، وعليهم كالنصارى أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون<sup>(561)</sup>.

أما إيلياهو آشتور (ELYAHU ASHTOR) فقد كان أكثر اعتدالاً من دوينوف إذ يعترف أن دور اليهود في عملية الفتح لم يتجاوز أعمال الحراسة، مع احتمال تقديم المعلومات المفيدة للفتاحين<sup>(562)</sup>، ولكنه يجعل لهذه الحراسة أثراً كبيراً في عمليات الفتح<sup>(563)</sup>، ويعد استخدام المسلمين لليهود في أعمال الحراسة دليلاً على كفاءتهم القتالية، وأنهم شعب محارب متميز ومختلف عن بقية يهود العالم، ويخوض في هذه المسألة باحثاً عن الأسباب التي جعلت يهود الأندلس شعباً مقاتلاً<sup>(564)</sup>، ثم يقول: «إن رجالاً من هذا النوع يعدون حلفاء ملائمين للشعوب المقاتلة والفتاح»<sup>(565)</sup> ويقول: «هكذا كان يهود إسبانيا لمئات السنين، وهكذا كانوا عندما فتح المسلمون هذه الأرض»<sup>(566)</sup>.

IBID, VOL, 2, P.527. (559)

(560) ينظر: مالك، المدونة، م5، ج2، ص135؛ ج3، ص201.

(561) ينظر، سورة التوبة، آية: 29.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.16. (562)

IBID, VOL.1, P.16. (563)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.24-25. (564)

IBID, VOL.1, P.25. (565)

IBID, VOL.1, P.25. (566)

وأختلف مع آشتور في هذه المسألة، وأرى أنه مبالغ في تضخيم أثر يهود الأندلس على الفتح، وفي جعلهم شعباً مقاتلاً، يحرص الفاتحون على كسبهم إلى جانبهم، وذلك للأسباب الآتية:-

أولاً: لو كان يهود الأندلس شعباً مقاتلاً شجاعاً، لانتفض على القوط الكاثوليك الذين ظلوا يصدرن القرارات القاسية ضده على مدى أكثر من مئة سنة، لكنه لم يحرك ساكناً حتى عندما صدر قرار بتحويلهم جميعاً إلى عبيد، وتوزيعهم على أسياذ نصارى، وانتزاع أبنائهم منهم، وتسليمهم للأديرة والعائلات النصرانية ليتربوا على أيدي النصارى<sup>(567)</sup>.

ولم يكن ينقصهم في ذلك الوقت العدد أو المال، إذ كانوا أضعاف عدد الفاتحين المسلمين<sup>(568)</sup>، وكانوا يملكون الثروات والإقطاعات الواسعة<sup>(569)</sup>.

ثانياً: لو كان يهود الأندلس شجعاناً مقاتلين منذ مئات السنين، لتمكنوا من تكوين حكم لهم، ولو في جزء صغير من هذه البلاد التي يتواجدون فيها قبل الرومان والوندال والقوط<sup>(570)</sup>، لكننا نلاحظ أنهم كانوا يسعون فقط للتقرب من حكام كل عهد جديد، ويهنئون بالعيش في خدمتهم، إذا سمح لهم بذلك<sup>(571)</sup>.

ثالثاً: هاجم النصارى الإسبان في مدينة إشبيلية حامية الحراسة التي شارك فيها اليهود وقد عجز اليهود الذين تباهى آشتور بقدراتهم القتالية عن صد مهاجميها، واستشهد نحو ثمانين مسلماً، ولم تشر المصادر التي ذكرت هذا الخبر إلى سقوط قتلى من الحراس اليهود<sup>(572)</sup>.

(567) LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.26.

(568) ينظر: جوزيف ماك كيب، مدنية المسلمين في إسبانيا، ترجمة: محمد تقي الدين الهلالي، (الرباط، 1985م)، ص 95.

(569) BEAR, A HISTORY OF THE JEWS IN CHRISTIAN SPAIN, VOL.1, P.17-18.

(570) لقد ناقشنا ذلك في الفصل الأول من هذا البحث، ورجحنا أن اليهود يسكنون في إسبانيا منذ عهد إشبان في القرن السادس قبل الميلاد، أي قبل مجيء الرومان والوندال والقوط.

(571) ينظر: عبد العليم، اليهود في مصر في عهدي البطالمة والرومان، ص 139.

(572) مجهول، أخبار مجموعة، ص 18؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج 2، ص 15.

ولا أجد تفسيراً مقبولاً لعدم سقوط قتلى منهم إلا أن عددهم في حامية الحراسة كان قليلاً، وأنهم لاذوا بالفرار، وتركوا مواقعهم، وبقي المسلمون يقاتلون وحدهم، فسقط منهم كل هذا العدد. وهم في ما أظن معظم رجال الحامية المسلمين الذين تركهم موسى في المدينة، فقد كان موسى بحاجة لجنوده في عمليات الفتح الأخرى، ولا أعتقد أنه ترك فيها أكثر بكثير من ثمانين رجلاً.

وقد ظلت المدينة تحت سيطرة المهاجمين من دون أن تشهد مقاومة من سكانها اليهود الذين يعدهم آشور شعباً مقاتلاً وحلفاء ملائمين، ولم تعد إلى المسلمين إلا بعد أن انتهى موسى بن نصير من فتح ماردة، حيث أرسل إليها ولده عبد العزيز فأعاد فتحها، وأدب المتمردين. وعن ذلك يقول صاحب كتاب أخبار مجموعة: «ثم إن عجم أهل إشبيلية تحيلوا على من بها من المسلمين، وجأؤوا من مدينة يقال لها لبله، ومدينة يقال لها باجه، فقتلوا من بها من المسلمين، قُتل فيها ثمانون رجلاً، فقدم فلهم على موسى بن نصير بماردة، فلما فتح ماردة بعث ابنه عبد العزيز على جيش إلى إشبيلية، فافتتحها ورجع»<sup>(573)</sup>. ويقول ابن عذاري: «لما اشتغل موسى بن نصير بحصار ماردة ثار عجم إشبيلية، وارتدوا على من كان فيها من المسلمين. وتجالب فلهم من مدينتي لبله وباجه، فقتلوا من المسلمين نحو ثمانين رجلاً وبلغ الخبر بذلك إلى موسى بن نصير، فلما استتم فتح ماردة، بعث ابنه عبد العزيز بجيش إلى إشبيلية فافتتحها، وقتل أهلها»<sup>(574)</sup>.

رابعاً: يتناقض آشور مع نفسه في موضع آخر، فيقول: «من الصعب التصديق بأن المسلمين قد تحالفوا مع جماعة من الناس، لم يكونوا من إحدى الزمر المقاتلة قبل الفتح»<sup>(575)</sup>.

خامساً: لم يكن طارق يعلم، وهو يتقدم بجيشه نحو المدن الأندلسية، أنه سوف يجد فيها يهوداً سيساعدونه في حراستها، وكان مع ذلك يتقدم بسرعة وحماس، وهو على ثقة بأن جنوده وحدهم يمكنهم أن يؤدوا كل ما يتطلبه الفتح من احتياجات.

(573) مجهول، ص 26.

(574) البيان المغرب، ج2، ص 15.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.22. (575)

ولو أنه شعر بقلّة جنوده لما تقدم على أمل أن يجد يهوداً يمكن أن يساعده، ولقام على الفور بالتوقف وطلب المدد من قائده موسى، وقد فعل ذلك بعدما يقارب السنة على دخوله الأندلس، حيث لم يركن إلى مساعدة اليهود، بل أرسل إلى موسى بن نصير يطلب الغوث<sup>(576)</sup>، وذلك بعد أن لاحظ أن العديد من جنوده قد استشهدوا، وأن كثيراً منهم قد توزعوا على المدن المفتوحة لحراستها، وقد هب موسى لنجدته، ودخل الأندلس بنفسه على رأس نحو ثمانية عشر ألف مجاهد<sup>(577)</sup>.

سادساً: لم تتحدث المصادر الإسلامية عن وجود يهود في المدن التي فتحها موسى بن نصير إلا في إشبيلية ويصرح آشور أن ذلك لخلو تلك المدن منهم<sup>(578)</sup>، ومع عدم وجودهم، وقلة عدد الجيش الإسلامي مقارنة بجيوش القوط، كان هذا الجيش يحقق الانتصارات والفتح السريع<sup>(579)</sup>، مثلما فعل طارق وجيشه.

سابعاً: لم يتقدم الجيش الإسلامي ذو العدد القليل بهذه السرعة في قلب الأندلس، لأنه كان مستفيداً من خدمات اليهود كما يقول إياهو، ولكن لأن هذه هي طبيعة المجاهدين المسلمين، منذ أن بدأت سرايا الجهاد والفتح تجوب الأرض شرقاً وغرباً، تنشر نور الإسلام، فقد كانوا في معظم معاركهم أقل بكثير من أعدائهم، وكانوا دائماً يحققون الانتصار، ويتوغلون بسرعة وسط الجموع الكثيفة من الأعداء.

(576) ابن خلدون، العبر، ج4، ص254.

(577) مجهول، أخبار مجموعة، ص24.

THE JEWS, VOL.1, P.16. (578)

(579) مجهول، أخبار مجموعة، ص24-25؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص4-19.

فقد هزم طارق بنحو اثني عشر ألف مجاهد<sup>(580)</sup>، حوالي مئة ألف مقاتل قوطي حسب إحدى الروايات، يقودهم حاكم إسبانيا لذريق في معركة كورة شذونة<sup>(581)</sup>. واقتحم عمرو بن العاص مصر بنحو ثلاثة آلاف وخمس مئة مجاهد<sup>(582)</sup>. وحقق المسلمون انتصاراً ساحقاً على الروم في معركة اليرموك بالرغم من التفوق الروماني الكبير على المسلمين في العدد والعُدَّة<sup>(583)</sup>. وكان القادة في ميادين القتال، يرسلون إلى الخليفة في المدينة المنورة، يطلبون المدد، فيرسل إليهم أحياناً رجلاً واحداً، ويقول: «لا يهزم جيش فيهم مثل هذا»، فترجح به كفة المسلمين، ويتحقق النصر<sup>(584)</sup>.

إن مسألة التساوي في القوى المادية بين الجيشين المتحاربين لم تكن قانوناً معتبراً عند الفاتحين المسلمين<sup>(585)</sup>، فهم مطالبون أن يعدوا لأعدائهم ما استطاعوا من هذه القوى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾<sup>(586)</sup>، لكنهم مطالبون قبل ذلك أن يعمقوا إيمانهم ويرسخوا عقيدتهم، ويلتزموا بتعاليم دينهم، بحيث يصبح الموت عندهم في سبيل الله أحب إليهم من الحياة.

(580) مجهول، أخبار مجموعة، ص 17.

(581) م. ن، ص 18-19.

(582) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، ق 1، نشره ووضع ملاحظته وفهارسه: صلاح الدين المنجد، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1957م)، ص 249.

(583) ينظر: م. ن، ص 141؛ الطبري، تاريخ، ج 3، ص 402.

(584) كما حدث عندما طلب خالد بن الوليد رضي الله عنه - النجدة من أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - أثناء حربه للفرس، فأرسل إليه برجل واحد، هو القعقاع بن عمرو التميمي، وقال: «لا يهزم جيش فيهم مثل هذا». الطبري، تاريخ، ج 3، ص 346-347.

(585) لقد عبر المسلمون الأوائل عن هذه الحقيقة، فخاطب عبد الله بن رواحة المسلمين في معركة مؤتة، وكانوا نحو ثلاثة آلاف مجاهد يواجهون حوالي مئة ألف من الروم بقوله: «وما نقاتل الناس بعدد ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين، إما ظهور، وإما شهادة» ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، السيرة النبوية، ج 2، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي (القاهرة، 1375هـ-1955م)، ص 375. وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «إن الله لم ينصرنا مع نبيه صلى الله عليه وسلم بكثرة العدد، ولا بكثرة الجنود». الكاندهلوي، محمد يوسف، حياة الصحابة، ج 4، (دمشق، 1389هـ-1996م)، ص 640.

(586) سورة الأنفال، من الآية 60.



وقد نجح المسلمون في تحقيق ذلك فوصفوا بأنهم: «بالليل رهبان، وبالنهار فرسان»<sup>(587)</sup>، وأنهم «لا يثبت لهم العدو فواق ناقة عند اللقاء»<sup>(588)</sup>، وأنهم يحرصون على الموت حرص أعدائهم على الحياة<sup>(589)</sup>، وأنهم حسب قول «قاره» أعظم ملوك الإفرنج زمن الفتح الإسلامي للأندلس<sup>(590)</sup>: «كالسيل يحمل من يصادره، وهم في إقبال أمرهم، ولهم نيات تغني عن كثرة العدد، وقلوب تغني عن حصانة الدروع»<sup>(591)</sup>.

لقد صنع هؤلاء الفاتحون ما يشير الإعجاب، الذي يصل أحياناً بأشتور وغيره إلى عدم التصديق بأن آلافاً عدة من المسلمين، يمكن أن يحققوا هذا الانتصار الساحق خلال هذه المدة القصيرة، في تلك البلاد الواسعة، ذات السكان الذين يصل عددهم إلى بضعة ملايين، دونما مساعدة فاعلة من اليهود وغيرهم.

ولقد فصلت في الرد على هذه الكتابات، لأني وجدت من الكتاب العرب من يقول متأثراً بها: «لا شبهة أن لليهود ضلعاً كبيراً في فتح إسبانيا، وإن أهمل ذكرهم مؤرخو العرب والإسبان»<sup>(592)</sup>.

ولا أدري كيف يسمح هذا لنفسه أن يقبل ادعاءات كتاب يهود لم يقدموا عليها دليلاً، ويتحمس لها أكثر من أصحابها، ولا يكتفي بعدم تصديق جمهور المؤرخين المسلمين، بل يتهمهم بالتعمد في إهمال دور اليهود في الفتح!

(587) الكاندهلوي، حياة الصحابة، ج4، ص 640.

(588) م. ن، ج4، ص 644.

(589) الطبري، تاريخ، ج3، ص 344، 346، 348.

(590) المقري، نفع الطيب، م1، ص 274.

(591) م. ن، م1، ص 275.

(592) النصولي، أنيس زكريا، الدولة الأموية في قرطبة، (بغداد، 1926م)، ص 10-11.

حقاً لقد ابتلي التاريخ الإسلامي بكثير من أبناء العرب والمسلمين، الذين كانوا بكتاباتهم معول هدم في أيدي المغرضين، يؤثرون فيهم، ثم يتركونهم يخربون بيوتهم بأيديهم. لقد كتب الكثير عن التاريخ الإسلامي، بأيدي هؤلاء المتأثرين بالشبهات، فخرجت كتاباتهم تقدم تاريخاً مشوهاً منفراً، وكادت أن تغيب الحقيقة الناصعة المشرقة لهذا التاريخ التي يمكن أن تسهم بشكل فاعل في بعث جديد لخير أمة أخرجت للناس.



## المبحث الثاني

### اليهود والسلطة من الفتح إلى نهاية عصر الخلافة (92 - 399هـ = 711-1008م)

بالرغم من قلة الروايات التاريخية التي تتحدث عن علاقة يهود الأندلس بحكامها من الفتح إلى نهاية عصر الخلافة، إلا أن الإشارات القليلة المتوفرة تدل على أنها كانت علاقة هادئة وحسنة. والأسباب والإشارات التالية هي التي تقودنا إلى هذا الاستنتاج:-

أولاً: لم يقيم اليهود طوال هذه المدة التي تزيد على ثلاثة قرون بأي تمرد على السلطة الحاكمة في الأندلس، كما لم تثبت مشاركتهم في أي من التمردات العديدة، وحركات الخروج على الحكم التي قام بها غيرهم<sup>(593)</sup>، بل كانوا يتعاونون في بعض الأحيان مع السلطة ضد الخارجين عليها. إذ يروي العذري أن خروجاً على السلطة قد حدث في إشبيلية سنة (155هـ = 772م) في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (138-172هـ = 788-796م)، وأن الخارجين زحفوا إلى قصر واليها محمد بن عبد الله، وحاربوه أشد الحرب وتغلبوا على الكثير من دوره، وحاصروه. وعندما جاء جند الأمير فتح اليهود لهم باب قرمونة، وهو أحد أبواب إشبيلية<sup>(594)</sup>، «فوضعوا أيديهم في قتل المولدين، ولما سمع المحاصرون لمحمد الطبول حلوا حربهم عن القصر، وخرجوا هاربين من المدينة»<sup>(595)</sup>.

(593) عن حركات التمرد والخروج. ينظر: ابن حيان، المقتبس، نشر: الأب ملشور م. أنطونيه، ص 9-147؛ ابن الخطيب، أعمال

الأعلام، ق 2، ص 18، 22، 25، 27-28، 31-34.

(594) ترصيع الأخبار، ص 101-102.

(595) م. ن، ص 102.

وعندما حدث التمرد الكبير للمولدين في الأندلس، والذي حرض عليه وقاده عمر بن حفصون في أواخر عهد الأمير محمد الأول (238-273هـ=852-886م)، خضعت الكثير من المناطق والمدن الواقعة جنوبي قرطبة لسيطرة ابن حفصون، وأعطاه الكثير من سكانها ولاءهم<sup>(596)</sup>، بينما ظلت مدينة أليسانة التي تقطنها أغلبية من اليهود<sup>(597)</sup>، موالية للسلطة في قرطبة، ومن أجل ذلك تعرضت في سنة (278هـ=891م) لحصار ابن حفصون. يقول ابن حيان: «وتماذى انتفاض عمر بن حفصون في عقب سنة سبع وسبعين ومئتين، وأقام بحصن بلاي مصطفىا يحصنه ويقويه ويحاصر من تلقائه كورة قبرة وحصونها ومدينة أليسانة يهود الذمة، وغيرها من المدن والحصون المجاورة لأحوار قرطبة»<sup>(598)</sup>.

وبالرغم مما يظهره هذين الموقفين لليهود من ولاء للحكومة المركزية في قرطبة، إلا أنني أعتقد أنهما لم يصدرا عنهم، بدافع من الوفاء أو الالتزام بالعهد والمواثيق، بل لأن هذين الموقفين وأمثالهما من المواقف التي اتخذها اليهود في ذلك الوقت، تحقق المصلحة لهم، إذ من مصلحتهم أن تكون هناك حكومة قوية توفر لهم الأمن، وتعطيهم حقوقهم كأهل ذمة، وليس من مصلحتهم أن يخضعوا لمجموعة من المشاغبين والعصاة فيعتدوا على أموالهم ويضيعوا حقوقهم.

كما فضل اليهود أن يتخذوا مواقف تحفظهم، وتحسب لهم في المستقبل، إذ توقعوا أن الهزيمة هي مصير الخارجين على الحكومة المركزية التي تحظى بدعم غالبية المسلمين، وليس من الحكمة أن يتخذوا موقفاً يربط مصيرهم بالمصير السيئ الذي ينتظر هؤلاء الخارجين.

ولاشك أن يهود أليسانة قد اتعظوا بما فعله ابن حفصون بسكان بيانة التي كان يقطنها عدد كبير من اليهود<sup>(599)</sup>، إذ يقول ابن عذاري أنه في سنة (276هـ=889م): «نقض ابن حفصون، وقصد بيانة، فحارب أهلها، ثم أعطاهم العهد، فلما نزلوا إليه غدرهم وقتلهم، وأخذ أموالهم، وسبى ذراريهم»<sup>(600)</sup>.

(596) ابن حيان، المقتبس، نشر: الأب ملشور م. أنطونية، ص 52-50؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص 106-119؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص 31؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 134-135؛

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.108-109.

(597) الإدريسي، نزهة المشتاق، م2، ص 571-572؛ ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص 80؛

H. BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.

(598) ابن حيان، المقتبس، نشر: ملشور م. أنطونية، ص 93.

(599) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 105، ترجمة رقم: 39.

(600) البيان المغرب، ج2، ص 122.

وفي معرض تفسيره لموقف يهود أليسانة من تمرد ابن حفصون يقول أشثور: «كانت مصالح التجار والصناع تتطلب أن تظل تلك الوحدة الاقتصادية الكبيرة التي كانت قرطبة بؤرتها خالصة من الأذى، ومن هنا يمكننا الاستدلال أن اليهود الذين كان من بينهم العديد من التجار والصناع، لم يكونوا مهتمين بمساندة ابن حفصون»<sup>(601)</sup>.

ثانياً: شهدت الأندلس منذ فتحها وحتى نهاية عصر الخلافة هجرة يهودية واسعة إليها<sup>(602)</sup>، حتى أن الأحياء اليهودية في بعض مدن الأندلس لم تعد تتسع للمزيد منهم، مما دفعهم إلى اتخاذ أحياء أخرى كما حدث في قرطبة<sup>(603)</sup>. وقد قدر بعض الباحثين عددهم في الأندلس في عصر الخلافة بأكثر من نصف مليون نسمة<sup>(604)</sup>. وقدرهم الباحث اليهودي أشثور بمئات الآلاف<sup>(605)</sup>.

واعتقد أن هذه الأرقام مبالغ فيها، ولا تدل عليها مساحات أحيائهم التي سبق أن بينا حدودها في معظم مراكز تجمعهم في الأندلس. ولا تتوفر معلومات دقيقة تمكننا من تحديد عددهم، لكننا نستطيع القول أن تواجدهم كان واضحاً وكبيراً. ولولا أن اليهود كانوا راضين عن القدر الذي يعطيه لهم حكام الأندلس من الحقوق، وعما يفرضون عليهم من واجبات لما هجروا بلدانهم التي نشأوا فيها واعتادوا عليها، وتوجهوا للاستقرار في الأندلس.

ثالثاً: عجب الحكم الأول (180-206هـ=796-822م) من تصرف اليهودي الذي أخفى في بيته لمدة سنة الفقيه طالوت، المطلوب للسلطة، بسبب مشاركته في ثورة الربض سنة (202هـ=817م)، وقال للوزير الذي دله وحرّضه عليه عندما لجأ إليه طالوت ليشفع له: «يا أبا البسام، رجل من اليهود حفظ فيه علة من العلم والدين، وخاطر معنا بنفسه وماله وأنت غدرته، وقد وثق بك، أردت أن تهلكه هو وأهله، اخرج عني، فوالله لا رأيت لي وجهاً أبداً»<sup>(606)</sup>، وعفا عن طالوت وعن اليهودي وعقبه من بعده وعزل أبا البسام<sup>(607)</sup>.

THE JEWS, VOL.1, P.108. (601)

IBID, VOL.1, P.29-32 ; ASHTOR, SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, (602) P.222.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.298; H. BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.665. (603)

(604) ينظر: التل، عبد الله، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، (بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1979م)، ص 117؛ الكواقي، اليهود في المغرب، ص 212.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.30. (605)

(606) ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا، م 1، ص 243-244؛ ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق 2، ص 15.

(607) ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 70-72؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 21-22؛ ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا، ص 243-244.

إن تقدير الحكم الأول لموقف اليهودي وعفوه عنه بالرغم من إيوائه شخصاً مطلوباً للأمر نفسه دليل على الإنصاف والإحسان الذي تعامل به الحكام في ذلك الوقت مع اليهود. وهو مؤثر أيضاً على ثقة السلطة في ذلك الوقت باليهود، فلو كان لهم ضلع في مؤامرة سابقة ضد الأمراء الأمويين في الأندلس لأساء الحكم تفسير تصرف اليهودي. كما تشير هذه الحادثة إلى التقدير الذي كان يلقاه الفقهاء حتى من قبل اليهود، فلو أن الفقهاء كانوا يحرضون الحكام على اليهود كما اتهمهم بعض الكتاب<sup>(608)</sup>، لساءت العلاقة بينهم، ولما لجأ الفقيه ابن طالوت إلى بيت اليهودي؛ لأنه لن يتوقع أن يجد عنده ملجأ، ولما خاطر اليهودي بنفسه وماله من أجل حفظ حياة فقيهه المطلوب للسلطة الحاكمة. ولولا أن يهود ذلك العصر كانوا مسالمين وموالين للسلطة، لكان الفقهاء أول المحرضين عليهم، ولما حصلوا على تقدير مثل هذا اليهودي.

رابعاً: لم يطالب حكام الأندلس طوال هذه المدة اليهود بالالتزام بزبي خاص، ولم يفرضوا عليهم قيوداً في مسكنهم أو مركبهم، وذلك لأنهم لم يجدوا منهم ما يحملهم على تطبيق أحكام يُعَدُّ إلزامهم بها في حكم المستحب<sup>(609)</sup>، ولم يطالب فقهاء ذلك العصر الحكام بإلزام اليهود بتلك الأحكام، إذ كان الوفاق بين المسلمين واليهود حينذاك هو الغالب على العلاقة بينهم، وقد طالب الفقهاء بتطبيق تلك الأحكام في العصور اللاحقة في الأندلس عندما تطاول اليهود على المسلمين، وتآمروا عليهم مع أعدائهم، ونقضوا عهد الذمة.

خامساً: عمل يهودي يدعى منصور مغنياً لدى الحكم الأول، وعندما علم الحكم بوصول زرياب إلى المغرب أرسل إليه منصوراً اليهودي ليدعوه للعمل لديه، وقبل زرياب الدعوة وغادر هو وأفراد أسرته واليهودي المغربي، وتوجهوا إلى الأندلس، وقبل وصولهم علموا بوفاة الحكم، فهُمَّ زرياب بالرجوع<sup>(610)</sup>، لكن منصوراً «ثناه عن ذلك، ورغبه في قصد القائم مقام الحكم، وهو عبد الرحمن ولده، وكتب إليه بخبر زرياب، فجاءه بكتاب عبد الرحمن يذكر تطلعه إليه والسرور بقدمه، وكتب إلى عماله أن يحسنوا إليه، ويوصلوه إلى قرطبة»<sup>(611)</sup>.

(608) ينظر: مؤنس، حسين، فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الأموية، (القاهرة، 1959م)، ص 454؛ حركات، إبراهيم، النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، (الدار البيضاء، منشورات مكتبة الوحدة العربية، د.ت)، ص 129؛ حركات، إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، ج1، (الدار البيضاء، دار الإرشاد الحديثة، ط2، د.ت)، ص 217؛ بو تشيش، إبراهيم القادري، المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس، مجلة دراسات أندلسية، (تونس، ع11، 1984م)، ص 23.

(609) ينظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، (بغداد، 1409هـ-1989م)، ص 229.

(610) المقرئ، نفح الطيب، م3، ص 124-125.

(611) م. ن، م3، ص 125.

إن سماح الحكم ليهودي بالعمل في قصره مغنياً، وإرساله إلى زرياب رسولاً، يدل على ثقة الحكم بهذا اليهودي، كما أن حرص اليهودي على مجيئ زرياب إلى قرطبة للعمل عند عبد الرحمن بن الحكم، بالرغم من علمه بقدرات زرياب في مجال الغناء، وأنه سيكون منافساً قوياً له، وربما يضعف مكانته، دليل على إخلاص ذلك المغني اليهودي لهذين الحاكمين، وحرصه على التقرب منهما، وكسب ودهما.

سادساً: شكّا تاجر يهودي من مارده أميرها محمد بن عبد الرحمن إلى القاضي سليمان بن أسود؛ لأنه أخذ جارية منه دون أن يسدد ثمنها أو يردّها إليه فهدد القاضي الأمير بالسفر إلى قرطبة لإبلاغ والده الأمير عبد الرحمن الأوسط (206-238هـ=822-852م) إذا لم يعط اليهودي حقه، فاستجاب الأمير ودفع ثمن الجارية<sup>(612)</sup>. إن عدم تهيب اليهودي من رفع تظلمه إلى القضاء، مع أن خصمه هو الوالي نفسه وابن حاكم الأندلس، دليل على أن اليهود كانوا يعاملون فيها بالعدل، ولا يتوقعون من حكامها وقضاها إلا الإنصاف.

سابعاً: يتحدث مؤرخ لاتيني عن حملة قام بها المسلمون سنة (247هـ=861م) لفتح مدينة برشلونة، ويذكر أن اليهود ساعدوا المسلمين على دخول المدينة<sup>(613)</sup>.

فإذا صحت هذه الرواية فإنها تدل على أن اليهود الذين كانوا يعيشون تحت حكم النصارى في الشمال الإسباني، كانوا يفضلون حكم المسلمين على النصارى، ومن المؤكد أن هذا الموقف قد تكوّن لدى يهود برشلونة بناء على معلومات عن العدل والتسامح الذي ينعم به إخوانهم اليهود في الأندلس.

ثامناً: حصل اليهود في الأندلس على الحرية الدينية، ولم يجبروا على الدخول في الإسلام، كما تركّ المنصّرون من اليهود في عهد الحكم القوطي يعودون إلى دينهم، إذ تذكر النصوص اللاتينية أن حركة تهوّد كبيرة قد حدثت بين المنصرين اليهود في بداية الحكم الإسلامي<sup>(614)</sup>.

(612) ابن سعيد، المغرب، ج1، ص151، ترجمة رقم: 91؛ النباهي، المرقبة، ص56-57.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.100. (613)

SALO, ASOCIAL AND RELIGIOUS HISTORY OF THE JEWS, VOL.1, P.34;

كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، ص45.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.34. (614)

نقلاً عن:

A. G VEGA, UNA HEREJA, JUDAIZANTE DE PRINCIPIOS DEL SIGLO, VIII, EN ESPANA, CIUDAD DE DIOS 153 (1941): 57.

وقد أقلق ذلك النصارى خارج الأندلس، فطالب هديران الأول (HADRIAN) سنة (169هـ=785م) من أساقفة الأندلس الحد من نشر النفوذ الديني لليهود على طوائفهم<sup>(615)</sup>.

تاسعاً: روى كل من ابن حيان وابن عذارى أن عبد الرحمن الداخل مر وهو في طريقه إلى المغرب بأفريقية، وكان واليها حينئذ عبد الرحمن بن حبيب الفهري، وكان عنده يهودي قد خدم مسلمة بن عبد الملك، وقد أخبر هذا اليهودي عبد الرحمن بن حبيب أنه سمع من مسلمة بأن قرشياً من بني أمية سوف يتغلب على الأندلس اسمه عبد الرحمن وله ضفيرتين، فتمنى عبد الرحمن بن حبيب أن يكون هو ذلك الرجل، «فاتخذ ضفيرتين»<sup>(616)</sup>، فلما جيئ بعبد الرحمن ونظر إلى ضفيريته قال لليهودي: «ويحك هذا هو، وأنا قاتله، فقال له اليهودي: إنك إن قتلته فما هو به، وإن غلبت على تركه إنه هو»<sup>(617)</sup>، «ثم صار ابن حبيب يقتل الواصلين إليه من بني أمية، ويأخذ أموالهم، فهرب عبد الرحمن عن القيروان»<sup>(618)</sup>.

وواضح من خلال هذه الرواية أن اليهودي خذّل عبد الرحمن بن حبيب عن قتل عبد الرحمن الداخل. ويذكر برويد في الموسوعة اليهودية، أن هذا اليهودي قد توجه إلى الأندلس عندما أصبح عبد الرحمن الداخل أميراً لها، فاتخذ عبد الرحمن مستشاراً له<sup>(619)</sup>.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.160. (615)

(616) ينظر: ابن عذارى، البيان المغرب، ج2، ص 61؛ المقري، نفح الطيب، م3، ص 28-29، (رواية ابن حيان).

(617) المقري، نفح الطيب، م3، ص 29.

(618) ابن عذارى، البيان المغرب، ج2، ص 61.

BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.485. (619)



ولم أجد في المصادر الإسلامية ما يشير إلى اتخاذ عبد الرحمن لهذا اليهودي مستشاراً له.

عاشراً: هناك راهب نصراني من أصل ألماني يدعى بودو عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وقد ارتقى في المناصب الكنسية حتى صار كاهناً في بلاط الملك الإسباني لويس التقي، ثم تشكك في عقيدته، والتقى بعدد من التجار اليهود الذين كانوا يترددون على بلاط الملك، واقتنع بدينهم، وعندما قرر اعتناق اليهودية، احتال على الملك، وتوجه إلى الأندلس، وفي احتفال ديني لليهود في سرقسطة سنة (224هـ=838م) أعلن عن اعتناقه اليهودية، وتسمى أليعازر، وتزوج يهودية من سرقسطة. وقد أزعج ذلك الحدث النصراني في الأندلس وغيرها، وزاد من شوكة اليهود عليهم. وخاض بودو صراعاً فكرياً عنيفاً ضد النصراني<sup>(620)</sup>، وأرسل إلى أمير الأندلس عبد الرحمن الأوسط يطالبه أن يكره النصراني في بلاده على الإسلام أو اليهودية، وأن يعاقب بالموت النصراني الذين يرفضون ذلك<sup>(621)</sup>. وفي سنة (233هـ=847م) أرسل نصراني الأندلس رسالة إلى إمبراطور فرنسا، وإلى الأساقفة في مملكته يطالبونه، أن يطالب أمير قرطبة بتسليم بودو له<sup>(622)</sup>.

ونرى في توجه بودو إلى الأندلس لإعلان يهوديته، وفي تجرئه على مطالبة الأمير عبد الرحمن الأوسط بتهويد النصراني، وفي المناظرات الفكرية والدينية بينهم وبين اليهود، مؤشراً على علاقة حسنة لليهود بالسلطة، وعلى حرية دينية وفكرية منحتها السلطة الإسلامية في العهد الأموي لليهود.

أحد عشر: ظهرت بين نصراني الأندلس في عهد عبد الرحمن الأوسط (206-238هـ=822-853م) حركة غريبة، حيث قام عدد من الرهبان والنصارى المتحمسين بشتيم الإسلام وسب الرسول ﷺ وذلك على أبواب المساجد وفي أوقات الصلاة.

(620) لمزيد من التفاصيل ينظر:

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.69-80; BROYDE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.485;

الموسوعة العبرية، م26، ص383.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.80. (621)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.80. (622)

وقد تعرض من يفعل ذلك للجلد أو القتل، لكن ذلك لم يردعهم، واستمروا في ممارساتهم، فأطلق عليهم «المنتحرون». وكان معظم نصارى الأندلس يرفضون تصرفات هؤلاء المنتحرين ويستنكرونها، وقام عدد من الأساقفة بدعوة من عبد الرحمن الأوسط بعقد مؤتمر في قرطبة سنة (238هـ=852م) لمعالجة هذا الموضوع، وقرروا فيه رفض هذه الأعمال<sup>(623)</sup>. لكن هذه الأعمال تواصلت في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ=852-886م) فتعامل مع الذين يمارسونها بحزم، وتمكن من القبض على قائد الحركة إيلوغيوس (EULOGIUS) وقتله، وقد أضعف ذلك أتباعه، إلى أن قضى على حركتهم تماماً<sup>(624)</sup>.

وفي أثناء معالجة النصارى المعتدلين لهذا الموضوع، ولموضوعات عقدية أخرى، عقدوا مؤتمراً آخر في قرطبة تحت قيادة سيرفاندو (SERVANDO)، رئيس طائفة النصارى في قرطبة، و هوستجيسيس (HOSTEGESIS) أسقف مالقه، وذلك سنة (249هـ=863م) وقد حضر هذا المؤتمر عدد من علماء المسلمين واليهود<sup>(625)</sup>.

ولاشك أن مشاركة اليهود في مؤتمر كنسي خاص بالنصارى لمعالجة موضوع يهم السلطة الإسلامية، يدل على ثقة هذه السلطة باليهود، ويؤكد على علاقتها الحسنة بهم.

ويعلق أشتور على هذه المشاركة بقوله: «ودارت الدنيا، ففي المؤتمر نفسه الذي شرع في السابق تشريعات مضطهدة لليهود، يجلس الآن فيه في منتصف القرن التاسع الميلادي يهود، ويتخذون قرارات حول صحة التعاليم النصرانية، وما هو مطلوب لرفاهية الكنيسة»<sup>(626)</sup>.

اثني عشر: كان الحكام الأمويون يختارون يهودياً من كل مدينة يوجد فيها اليهود ويوكلونه بجمع الجزية المفروضة على قومه وتسليمها لهم، إذ يروي ابن حيان أنه في سنة (363هـ=973م) وأثناء حكم الخليفة الحكم الثاني (350-366هـ=961-976م) «سُجِّل الحجاج بن متوكل اليهودي على قسامة قومه يهود أليسانة»<sup>(627)</sup>، وذلك لأنهم الأقدر على جمع الجزية من أبناء جلدتهم، ولمعرفتهم بهم، وبواقع حالهم، وبإمكاناتهم المادية.

(623) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص 242-243؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.81-90.

(624) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.87-90.

(625) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.92.

نقلاً عن: RAMADOR DE LOS RIOS, HISTORIA SOCIAL POLITICA Y RELIGIOSA

DE JUDIOS DE ESPANA Y PORTOGAL (MADRID, 1875-6), VOL.1, P.132;

ينظر: الموسوعة العربية، م 26، ص 383.

(626) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.91-92.

(627) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، ص 149.

وتحمل هذه الإشارة أيضاً دلالة على الثقة التي أولاها الأمويون في الأندلس لليهود، فهم ليسوا بحاجة إلى جباة مسلمين، يتولون هذه المهمة بأنفسهم، ولو لاحظ الأمويون تفريطاً من وكلائهم، أو عدم تجاوب من اليهود الذين تجمع منهم الجزية، لما أوكلوا هذه المهمة لواحد من اليهود.

ثلاثة عشر: اعتمد بعض الخلفاء الأمويين في الأندلس على اليهود في تأدية أعمال ومهمات لصالح الدولة، ومن ذلك قيام الخليفة عبد الرحمن الثالث (الناصر لدين الله) (300-350هـ=912-961م) بتقريب يهودي اسمه حسداي بن شبروط. وقد بدأ ابن شبروط عمله في بلاط الخليفة طبيياً في حدود سنة (329هـ=940م)، وذلك بعد أن ذاع صيته في قرطبة على إثر اكتشافه طريقة تركيب الدواء الذي صنعه أندروماكوس الكريتي للإمبراطور الروماني نيرون من واحد وستين عنصراً، وصار يستخدم علاجاً في الإمبراطورية الرومانية لأمراض كثيرة، ثم فقدت طريقة تركيبه بمرور الوقت، وأصبح اكتشافها همّ كثير من الأطباء المسلمين وغيرهم، وقد سماه المسلمون «الفاروق»، وكان الرومان يسمونه «الترياق» (THERIACA)، وسماه أطباء اليهود «المخلص»<sup>(628)</sup>. ويبدو أن معرفة ابن شبروط باللغة اللاتينية<sup>(629)</sup> هي التي مكنته من التوصل إلى طريقة تركيب هذا الدواء.

ثم وضعه الخليفة الناصر على رأس إدارة مالية، وهي في ما يبدو الإدارة التي تعرف الآن بالجمارك<sup>(630)</sup>، حيث تحدث عن منصبه في إحدى رسائله إلى ملك الخزر كمسؤول عن الدخل الصادر عن التجارة الأجنبية<sup>(631)</sup>. وكان هذا المنصب مهماً لأن الأموال التي تجبى من السفن القادمة إلى الأندلس والمغادرة منها، كانت تشكل مصدراً رئيسياً لخزينة الدولة<sup>(632)</sup>.

(628) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص 89، ابن جلجل، سليمان بن حسان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، (القاهرة، المعهد الفرنسي، 1955م)، ص 23؛ ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، (بيروت، مكتبة الحياة، 1965م)، ص 494، 498؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 22-23؛

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1. P.161-162; DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.610.

(629) الكواقي، اليهود في المغرب، ص 207؛

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.610.

(630) أبو رميلة، هشام، نظم الحكم في عصر الخلافة الأموية في الأندلس، (1400هـ-1980م)، ص 140؛ الموسوعة العبرية، م 26، ص 383.

ASHTOR, SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.222; (631)

د. م. دنلوب، تاريخ يهود الخزر، ترجمة: سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر، ط 1، 1407هـ=1987م)، ص 189.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.162. (632)

وبالرغم من أهمية العمل الذي كان يؤديه ابن شبروط، إلا أن الناصر لم يمنحه لقب وزير أو أي لقب رسمي. والسبب في ذلك حسب تصوري أن الناصر أراد أن يستفيد من مواهب حسداي ولا سمياً من كونه ملماً بلغات أجنبية مختلفة، من دون أن يجعل في حكومته وزيراً يهودياً أو موظفاً رسمياً كبيراً يشوّه سمعتها الحسنة، ويعرّضها لانتقادات جمهور المسلمين وفقهائهم<sup>(633)</sup>.

وعندما حدث التقارب بين القسطنطينية وقرطبة، أرسل الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع (334-348هـ=945-959م) إلى الخليفة الناصر رسائل مع هدايا ثمينة، واشتملت الهدايا على نسخة من الكتاب الإغريقي الخاص بـ دايو سكوريدس (DIOSCORIDES) عن الأعشاب الطبية، وقد أثار الكتاب اهتمام الخليفة وطيبه حسداي، ولأنه لم يكن في قرطبة عالم ضليع بالإغريقية، طلب الناصر من قسطنطين السابع عالماً يتقن الإغريقية ليقوم بترجمة الكتاب إلى اللغة اللاتينية، ومنها تمت ترجمته إلى العربية بمساهمة حسداي، وكان هذا الكتاب أساساً لتطور العلوم الطبية في الأندلس<sup>(634)</sup>.

وقد ازداد تقدير الخليفة الناصر لدين الله لحسداي، وصار يعتمد عليه في بعض سفاراته إلى الممالك الفرنجية، ويصف ابن حيان إحدى المهمات الدبلوماسية التي كلف بها حسداي في سنة (328هـ=939م)، فيقول: «وفيها عقد حسداي بن إسحاق الإسرائيلي الكاتب، السلم مع شنير بن غيفريد الإفرنجي، صاحب برشلونة وأعمالها، على الشروط التي ارتضاها الناصر لدين الله وحدها، وأشخص حسداي إلى برشلونة لتقريرها مع شنير، صاحبها، واتفق أن جاء الأسطول المتحرك من مرسى المرية، عقب رجب من هذه السنة مع إبراهيم بن عبد الرحمن الباجي، على مدينة برشلونة، يوم الجمعة، لعشر خلون من شوال،

(633) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 23؛ الموسوعة العبرية، م 26، ص 283؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.162.

(634) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 494؛ ابن جليل، طبقات الأطباء والحكماء، ص 23؛

DUBNV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.164-168.  
ينظر: ابن خلدون العبر، ج 4، ص 142.

فعرّفهم حسداي بما عقده من سلم شنيير، صاحبها، واستكفهم عن حرب، فرحل الأسطول عن مرسى برشلونه من يومه. ودعا حسداي عظماء برشلونه إلى طاعة الناصر لدين الله وسلمه، فأجابه جماعة من ملوكهم، منهم أنجة، أحد عظمائهم، ودار قراره... وسلكت قر [ر] كلة بنت بُرّيل المملكة على وقومها من الإفرنج، سبيل أنجة هذا في سلم الناصر لدين الله فأرسلت إليه برناط الإسرائيلي، ثقتها بغرائب من طرائف بلدها المستحسنة فقبلها الناصر لدين الله منها، وكافأها بأنفس منها وأكرم رسلها، ثم قدم حسداي بن إسحاق الإسرائيلي على الناصر لدين الله من برشلونه في عقب ذي القعدة منها [سنة 328 هـ] بعد أن أحكم ذلك كله، ومعه غدمار رسول شنيير، على الشروط التي اشترطها عليه...» (635).

ثم بعثه الناصر في جمادى الآخرة من سنة (328 هـ = 941 م)، إلى جليقية، لعقد صلح مع رذمير الثاني (318-340 هـ = 930-951 م)، وإطلاق سراح محمد بن هاشم التجيبي المأسور هناك منذ سنتين. وقد نجح حسداي في مهمته التي شارك فيها عدد من الأساقفة النصارى، أرسلهم الناصر في ما بعد بناء على طلب التجيبي (636).

وعن معاهدة الصلح هذه يقول ابن حيان: «وتولى إبرام ذلك وإقامة حدوده حسداي ابن إسحاق الإسرائيلي، المقيم بحضرة رذمير، فتمّ على أصلح الوجوه، وارتفعت به الحرب بين أهل الملتين» (637).

(635) ابن حيان، المقتبس، ج5، اعتنى بنشره ب. شالميتا، بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع ف. كورنيطي وم. صبح وغيرهما، (مدريد، المعهد الإسباني العربي للثقافة، 1979 م)، ص 454-455.

(636) كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، ص 157.

(637) المقتبس، ج5، ص 467.

وعندما تعرضت مملكة ليون لهجمات المسلمين المتكررة، بعد وفاة ملك ليون راميرو الثاني (RAMIRO) سنة (339هـ=950م)، قام ملكها الجديد أوردونيو الثالث (ORDONIO) بإرسال مبعوثين إلى قرطبة سنة (344هـ=955م)، مقترحاً على الخليفة الهدنة فوافق الناصر على هذا الاقتراح، وأرسل سنة (345هـ=956م) وفداً إلى أوردونيو الثالث برئاسة محمد بن حسين ومشاركة حسداي بن شبروط، للاتفاق على شروط الهدنة. وانتهت المفاوضات بسرعة، وعاد مبعوثا الخليفة برفقة مبعوثين من الملك النصراني ومعهم مسودة المعاهدة، وكانت الشروط مرضية للخليفة، فتم توقيع المعاهدة، وعاد مبعوثا أوردونيو الثالث إلى بلدهم<sup>(638)</sup>.

ثم قام أمير قشتالة بعقد هدنة مع الخليفة، وقبل أن ينعم النصراني في الممالك النصرانية في شمالي الأندلس بالراحة والهدوء دب الخلاف بينهم، إذ مات الملك أوردونيو الثالث في ربيع سنة (346هـ=957م)، وخلفه أخوه سانشو الأول (SANCHO) الذي كان ابناً لراميرو الثاني ولكن من زوجته الثانية، وكانت أمه تيريزا (TERESA) أميرة نافار أخت غارسيا ملك نافار<sup>(639)</sup>. ورفض الملك الجديد لليون الاعتراف بالمعاهدة المعقودة بين الخليفة وأوردونيو الثالث، ولهذا شن المسلمون حملة جديدة على مملكة ليون في سنة (346هـ=957م)<sup>(640)</sup>. وظهرت معارضة ضد سانشو بين نبلاء ليون، وادعى معارضوه بأنه ليس مؤهلاً للحكم بسبب بدانته المفرطة التي أورثته الغباء، وتأمروا عليه وخلعوه في ربيع سنة (347هـ=958م)<sup>(641)</sup>.

(638) ابن عذارى، البيان المغرب، ج2، ص221؛

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.176-177.

ينظر: ابن خلدون، ج4، ص143.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.172. (639)

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.611. (640)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.177. (641)

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.611.

ينظر: ابن خلدون، العبر، ج4، ص143.

وهرب الأمير المخلوع إلى مدينة بنبلونة حيث تعيش جدته الملكة تودا النافارية<sup>(642)</sup>. وكانت هذه الملكة مشهورة بسبب حربها مع خلافة قرطبة، وقد عازمت على إعادة حفيدها إلى العرش بمساعدة عدوها السابق الخليفة عبد الرحمن الناصر، وطلبت من قرطبة تقديم المساعدة لسانشو، والدعم العسكري ضد المتآمرين على حفيدها في ليون<sup>(643)</sup>. وسرّ الخليفة من هذا الطلب، إذ وجد فيه فرصة لفرض شروطه على تودا، واختار حسداي بن شبروط لنقل شروطه التي يشترطها مقابل تلبية طلباتها، وهي أن تحضر لمقابلة الخليفة، إضافة لاستعدادها للتنازل للمسلمين عن عشرة مدن محصنة على حدود الأندلس. وقد نجح حسداي في مهمته، ووافقت تودا على شروط الخليفة، وجاءت مع حفيدها سانشو إلى قرطبة، وكان معها حاشية كبيرة من النبلاء والكهنة، ووقعت الاتفاقية بين خليفة الأندلس وتودا سنة (347هـ=959م)، وظل سانشو يخضع للعلاج على يد حسداي بن شبروط إلى أن عاد رشيماً وذكياً مثلما كان قبل مرضه<sup>(644)</sup>.

وفي سنة (348هـ=959م) توجهت قوات عبد الرحمن الناصر إلى ليون، وكان معهم سانشو، وهرب أوردونيو الرابع إلى أشتوريه، وصمدت ليون عاصمة المملكة النصرانية لبعض الوقت، ولكنها سقطت في أيدي المسلمين الذين سلموها إلى سانشو حسب الاتفاق في سنة (349هـ=960م)، وحصل المسلمون على الحصون العشرة<sup>(645)</sup>.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.611. (642)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.177.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.611; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, (643) P.178;

سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج1، ص70، ينظر: ابن خلدون، العبر، ج4، ص143.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.178-180. (644)

ينظر: ابن خلدون، العبر، ج4، ص143.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.612; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.180. (645)

ينظر: ابن خلدون، العبر، ج4، ص143؛ سالم، قرطبة، حاضرة الخلافة، ج1، ص70.

وقد ابتهج يهود قرطبة وعموم الأندلس كثيراً بهذا الحدث، إذ عدوه انتصاراً دبلوماسياً لحسداي<sup>(646)</sup>. وقد عبر عن مشاعرهم الشاعر اليهودي دوناش بن لبرط الذي كان يحظى بالرعاية من حسداي، حيث كتب قصيدة بالعبرية يمجّد فيها ما قام به حسداي<sup>(647)</sup>.

لقد اعتمد الخليفة الناصر على حسداي في مفاوضاته مع ملوك النصارى بسبب حنكته التي يعبر عنها ابن حيان بقوله: «فرمى العليج رذمير بحسداي هذا، وهو واحد العصر، الذي لا يعدل به خادم ملك، في الأدب وسعة الحيلة، ولطف المدخل وحسن الولوج»<sup>(648)</sup>.

ولكن الصفة الأهم التي تميز بها حسداي، وجعلت الخليفة يعتمد عليه، ويكلفه بتلك المهمات الدبلوماسية، هي تمكنه من لغات عدة، إذ كان يجيد العبرية والعربية واللاتينية والإسبانية<sup>(649)</sup>، إضافة إلى الإغريقية التي تعلمها على يد الراهب البيزنطي نيقولا<sup>(650)</sup>. وتظهر طبيعة المهمات التي أسندها الخليفة لحسداي، صحة ذلك، إذ كان يرسله فقط إلى البلدان الأجنبية، وجعله مسؤولاً عن شؤون التجار الأجانب، وتلك مهمات يتطلب إتقانها إحاطة بلغات أجنبية عدة.

ولولا هذه القدرة اللغوية، لما كُلف حسداي بمهمات من السهل أن يجد الخليفة بين المسلمين من يقوم بها، فالمسلمون في عهد الناصر لم يكن ينقصهم الجرأة والشجاعة والذكاء والحنكة وغيرها من الصفات التي يجب أن يتحلّى بها السفراء<sup>(651)</sup>. وقد كُلفوا أيضاً بسفارات إلى تلك البلدان ونجحوا في أدائها، وقد لاحظنا في سفارة الناصر إلى أوردونيو الثالث، التي شارك فيها حسداي، أنه جعل فيها محمد بن حسين رئيساً<sup>(652)</sup>.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.180; DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS VOL.2, (646) P.612.

(647) ينظر:

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.612; ASHTOR; THE JEWS, VOL.1, P.256, 259;

عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 29-30.

(648) المقتبس، ج5، ص 466.

(649) الكواقي، اليهود في المغرب، ص 207؛ DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.610.

(650) ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 494؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.168-169.

(651) ينظر: المقرئ، نفح الطيب، م2، ص 258؛ الكواقي، اليهود في المغرب ص 207.

(652) ينظر: ابن عذارى، البيان المغرب، ج2، ص 221.



وقد أظهر يحيى بن الحكم، الملقب بالغزال قدرة فائقة في هذا المجال، وذلك قبل نحو قرن ونصف من عهد الناصر، حيث نجح في عقد هدنة بين الأمويين والفرنجة لمدة ثلاث سنوات، وذلك سنة (197هـ=812م)، أثناء حكم الأمير الحكم الربضي<sup>(653)</sup>، كما قام بسفارة إلى ملك الروم «فأعجبه حديثه، وخف على قلبه»<sup>(654)</sup>، وقد نقل المقرئ عن ابن حيان طرائف تبين ما تحلى به الغزال من خلق وعفة وسرعة بديهة وذكاء وحكمة ومرونة لتحقيق الأهداف التي سافر من أجلها<sup>(655)</sup>.

أربعة عشر: ترك الخليفة عبد الرحمن الناصر حسداي بن شبروط يستفيد من كونه موظفاً كبيراً مقرباً من حاكم أعظم دولة في ذلك العصر، وذلك في خدمة اليهود خارج الأندلس، إذ كان على اتصال دائم باليهود في عدد من الأقطار، يرأسهم، ويتساءل عن أخبارهم، ويتلقى منهم الرسائل، ويحاول أن يتدخل عند رؤساء وملوك بلدانهم ليحل مشكلاتهم.

فقد وصلته رسالة من يهود جنوب إيطاليا، يشرحون له فيها سوء أوضاعهم تحت الحكم البيزنطي<sup>(656)</sup>. وبالرغم من أن كاتب الرسالة لم يطلبوا من حسداي أن يفعل لهم شيئاً، إلا أنه انتهز فرصة البعثة التي عزم الخليفة الناصر على إرسالها إلى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع (347هـ=948م)، وقام بتحميل مبعوثي الخليفة رسالتين. والرسالتان منشورتان بالعبرية، وهي اللغة التي يُعتقد أن ابن شبروط قد كتبهما بها<sup>(657)</sup>.

(653) ينظر: الكواقي، اليهود في المغرب، ص 207؛ رينو، الفتوحات الإسلامية، ص 128-129.

(654) المقرئ، نفح الطيب، م 2، ص 258.

(655) م. ن، م 2، ص 258-259.

J. MANN, TEXTS AND STUDIES IN JEWISH HISTORY, VOL.1, P.23-24; (656)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.183-184.

J. MANN, TEXTS AND STUDIES IN JEWISH HISTORY AND LITERATURE. (657)

VOL.1, P.12-13;

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.188.

ويبدو أنه استأذن الخليفة قبل أن يكتبها، فأذن له على أن يكتب بالعبرية، وباسمه شخصياً حتى لا يفهم الإمبراطور أن الرسائل موجهة إليه باسم الدولة الإسلامية.

وكانت واحدة من الرسالتين موجهة إلى إحدى النبيلات<sup>(658)</sup>، ويطلب فيها حسداي أن تتصرف بالنيابة عن اليهود، ولصالحهم، ويناشدها بعدم إجبارهم على فعل شيء ضد رغبتهم، واقترح أن تقوم متلقي الرسالة بوضع اليهود تحت حمايتهم، وأن تعين أحد موظفيها للتعامل معهم، وذكر أنه يستطيع أن يفعل الخير للنصارى الساكنين في الأندلس، وأنه في الواقع يفعل ذلك سلفاً<sup>(659)</sup>.

أما الرسالة الأخرى فهي موجهة إلى الإمبراطور قسطنطين السابع، وهي للأسف مشوهة وغير واضحة، ولم يسلم منها إلا عبارات التبجيل مثل «الملك العظيم الممجد في علاه»، إضافة إلى جملة يبين فيها للإمبراطور أن الرسالة التي أرسلها للخليفة قد أسعدته كثيراً<sup>(660)</sup>.

وخلال عهد قسطنطين السابع تم تخفيف الضغط على اليهود، بحيث كان بوسعهم ممارسة طقوس دينهم سرّاً، وهذا يعني أن رسائل حسداي قد حققت بعض أهدافها<sup>(661)</sup>.

(658) يعتقد عدد من المؤرخين أن هذه المرأة هي هيلينا (HELENA) بنت رومانس الإمبراطور البيزنطي السابق، وزوجة الإمبراطور قسطنطين السابع، وكانت مهتمة بالشؤون الإدارية للإمبراطورية.

ينظر: مقالة «إسبانيا» الموسوعة العبرية، م 26، ص 383؛

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.190;

RAMOND P.SCHEINDLIN, THE JEWS OF MOSLIM SPAIN, P.189.

J. MANN, TEXTS AND STUDIES IN JEWISH HISTORY AND LITERATURE, VOL.1P.12-13; (659)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.188-189;

ينظر: الموسوعة العبرية، م 26، ص 383؛

RAMOND P.SCHEINDLIN, THE JEWS IN MOSLIM SPAIN, P.189.

J. MANN, TEXTS AND STUDIES IN JEWISH HISTORY AND LITERATURE, (660)

VOL.1, P.12-13;

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.190.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.190. (661)

وعندما انهارت مدرستي سورا<sup>(\*)</sup> وبومبيديتا<sup>(\*\*)</sup> اليهوديتين في العراق، وانتقل المركز الثقافي والديني لليهود إلى الأندلس، توالى الرسائل من رؤساء وأحبار يهود العراق إلى حسداي بن شبروط، يستغيثون به، ويتوسلون إليه بطريقة مهينة، لكي يرسل إليهم دعماً مادياً يسد حاجة المعلمين في هاتين المدرستين، إذ أصابهم الفقر والجوع بعد انقطاع المعونات التي ترسل إليهم من يهود الأندلس والعالم<sup>(662)</sup>.

ولم يقصّر حسداي في إرسال الأموال إلى أحبار العراق، فجازاه أحبار مدرسة بومبيديتا بمنحه لقب ريش كالا (RESH KALLA) أي رأس العرش، وهو لقب عظيم عندهم لا يمنحونه إلا لصاحب فضل كبير وعلم غزير<sup>(663)</sup>.

وأرى في سماح الناصر لحسداي بالاستفادة من منصبه في خدمة اليهود خارج الأندلس دليلاً واضحاً على التسامح الذي لقيه يهود الأندلس من السلطة الإسلامية في العهد الأموي.

(\*) مدرسة سورا: تأسست هذه المدرسة (سنة 219 ق.م في مدينة سورا، التي تقع في بابل، بالقرب من نهر الفرات، وكان أشهر أساتذتها في العصر الإسلامي هو الجاؤون سعديا (ت: 331هـ=942م)، وقد ضعفت هذه المدرسة ثم أغلقت في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

ينظر: ISAAC LANDMAN, SURA, THE UNIVERSAL JEWISH ENCYCLOPEDIA, (KTAV PUBLISHING HOUSE, INC, NEW YORK, 1969), VOL.10, P.104-105.

(\*\*) مدرسة بومبيديتا: تأسست نحو عام (260 ق.م) في مدينة بومبيديتا الواقعة في بابل، بالقرب من نهر الفرات، وهي متخصصة في الدراسات اليهودية الدينية، واستمرت إلى العصر الإسلامي، وكان آخر رؤساء هذه المدرسة هما الجاؤون شعيريا، ومن بعده ابنه حي، وقد أغلقت المدرسة بوفاته حي (سنة 340هـ=1038م).

ينظر:

ISAAC LANDMAN, PUMBEDITHA, THE UNIVERSAL JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.9, P.35. ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.237-239. (662)

IBID, VOL.1, P.240. (663)

كما أفاد حسداي بن شبروط من موقعه كمسؤول عن التجارة الأجنبية، ومن مكانته في بلاط الخليفة، في جمع معلومات عن اليهود في البلدان الأخرى، وفي التواصل معهم. ومثال ذلك يهود الخزر الذين علم حسداي من خلال التجار عن وجود مملكة لهم<sup>(664)</sup>، فأخذ يبحث ويتقصى عن أخبار هذه المملكة، ويسأل مبعوثي الملوك إلى قرطبة، حتى تمكن من جمع معلومات مهمة عنها<sup>(665)</sup>، وقام بمراسلة ملكها<sup>(666)</sup>، وتلقى منه رسالةً تعرّف بمملكة الخزر، وكيف تهود كثير من سكانها<sup>(667)</sup>.

أربعة عشر: أتاحت السلطة الإسلامية في الأندلس لليهود وخصوصاً في عهد عبد الرحمن الناصر وخلفائه، أن يشاركوا في النهضة العلمية والفكرية التي شهدتها الأندلس، فبعد أن كان اهتمامهم مقتصرًا على الجوانب الثقافية والدينية فقط، صارت لهم اهتمامات لغوية وأدبية وفكرية<sup>(668)</sup>.

---

(664) د. م. دنلوب، تاريخ يهود الخزر، ص 189؛ ينظر: الإصطخري، المسالك والممالك، ص 129-130.

(665) دنلوب، تاريخ يهود الخزر، ص 189. ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.198-199.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.613-614;

(666) دنلوب، تاريخ يهود الخزر، ص 189؛

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.614; ASHTOR, THE JEWS VOL.1, P.199.

نشر J.MANN النص الكامل لرسالة حسداي إلى ملك الخزر.

ينظر: J. MANN, TEXTS AND STUDIES IN JEWISH HISTORY AND LITERATURE, VOL.1, P.22.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.210, 217. (667)

عن يهود الخزر. ينظر: الإصطخري، المسالك والممالك، ص 128-132؛ دنلوب، تاريخ يهود الخزر.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.613; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, (668) P.243;

ينظر: صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص 89؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 498.

وقد أسهم حسداي بن شبروط بدور كبير في تشجيع اليهود وجذبهم إلى سفينة الفكر والأدب التي يقودها المسلمون، معتمداً في ذلك على علاقته الحسنة بالسلطة في عهدي الناصر والحكم الثاني (المستنصر بالله)، فقد جعله الناصر رئيساً لكل يهود الأندلس، وظل كذلك إلى عهد الخليفة المستنصر بالله، ومكنته الدولة من جمع ثروة كبيرة من خلال وظيفته ومهامه الدبلوماسية، فاستطاع أن يوظف ما أعطي له من جاه ومال في دعم الثقافة اليهودية، حيث أخذ يقلد الأمراء المسلمين الذين دعوا العلماء والأدباء إلى مجالسهم، وجعلوها منتديات للعلم والفكر والأدب<sup>(669)</sup>.

لقد تدفق المبرزون من المثقفين اليهود إلى مجلس حسداي، فوجدوا لديه التشجيع المادي والمعنوي، وقد أثر ذلك بمرور الوقت على الثقافة اليهودية، التي نمت وتطورت، ومهدت لظهور العصر الذي سماه اليهود العصر الذهبي للثقافة اليهودية<sup>(670)</sup>.

خمسة عشر: استمرت العلاقة الحسنة بين اليهود والسلطة بعد وفاة عبد الرحمن الناصر، وظلت كذلك حتى انقضاء عصر الخلافة الأموية في الأندلس. فقد ظل حسداي يشغل في عهد المستنصر (350-360هـ=961-976م) المنصب الذي شغله في عهد الناصر، وظل يقوم بالمهام الدبلوماسية نفسها، إلى أن توفي في نهاية عهد المستنصر<sup>(671)</sup>.

(669) الموسوعة العبرية، م26، ص380-382، 398؛

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.613;

H. BEINART, GORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA VOL.5, P.963.

H. BEINART, GRNADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.963; ASHTOR, THE JEWS, (670)

VOL.1, P.243؛ الموسوعة اليهودية، ص286.

(671) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص89؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص498؛

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.613.

وقام المستنصر باستخدام يهودي آخر، هو إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطرطوشي، وقد كلفه بسفارات عدة، أهمها تلك التي اتجه فيها نحو روما سنة (350هـ=961م) لمقابلة البابا يوحنا الثاني عشر. وأرسله في سفارتين إلى الإمبراطور الألماني أوتو الأول. الأولى سنة (351هـ=965م)، والثانية سنة (362هـ=972م)<sup>(672)</sup>. كما كلفه المستنصر برحلة جغرافية إلى أوروبا الوسطى والشرقية، لجمع معلومات عن تلك البلاد وسكانها<sup>(673)</sup>، وقد أدى هذه المهمة بنجاح، وعاد بمعلومات قيمة، اعتمد عليها البكري وغيره عندما كتبوا عن تلك البلاد<sup>(674)</sup>.

وفي أواخر عصر الخلافة، قام المنصور بن أبي عامر بتعيين صانع الحرير اليهودي يعقوب بن جاو رئيساً للطوائف اليهودية في الأندلس، ومنحه السلطات نفسها التي منحت لحسداي بن شبروط في عهد الناصر<sup>(675)</sup>.

(672) الكواقي، اليهود في المغرب، ص 208.

ELI DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1268. (673)

تعددت الآراء حول شخصية إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي. فقال حسين مؤنس: «هو تاجر ممن كانوا يعملون في جلب الرقيق الأوروبي إلى الأندلس». مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص 76. وقال الحجي: «لكن الذي يظهر أن الطرطوشي لم يكن تاجراً بل كان رحالة، وأن مقابله لأوتو الأول أو لغيره لم تكن تحمل أي طبيعة رسمية أو شبه رسمية، بل كانت مقابلات شخصية بدافع من اهتمامه الذاتي لمثل هذه المقابلات»، البكري، المسالك والممالك «الجزء الخاص بالأندلس»، ص 172 (هامش المحقق).

وقال بعض المستشرقين: «إن الطرطوشي كان قد عين رسمياً سفيراً للخليفة القرطبي عبد الرحمن الناصر، أو لابنه الحكم المستنصر لدى الإمبراطور الألماني أوتو الأول بصحبة رئيس الوفد ربيع بن زيد الأسقف القرطبي (ريثموندو، RECEMUNDO). البكري، المسالك والممالك، «الجزء الخاص بالأندلس»، ص 172 (هامش المحقق).

وسواء كان الطرطوشي تاجراً أو رحالة أو الاثنين معاً فالذي يهمنا هو هل كان اتصاله بالإمبراطور أوتو وكتابه التقارير عن رحلاته مبادرة ذاتية منه أو بتكليف من المستنصر. والذي أراه أن ذلك قد تم بتكليف من = المستنصر، وقد استنتجت ذلك من خلال المعلومات التي نقلها الطرطوشي عن أوتو، والتي تدل على مجالسة الطرطوشي لهذا الإمبراطور. إضافة إلى قول الإمبراطور له ذات مرة: «إني أريد أن أرسل إلى أمير المؤمنين بالأندلس قوماً حاذقاً هدية، وإن من أعظم حوائجي عنده وأجل مطالبتي قبله» جثمان أحد شهداء النصارى في لورقة. العذري، ترصيع الأخبار، ص 7؛ قارن: الحميري، الروض، «صفة جزيرة الأندلس»، ص 171. فلا يمكن لإمبراطور مثل أوتو أن ينسب لتاجر أو رحالة، فيجالسه أو يحدثه عما يجول في خاطره ويزوده بمعلومات مهمة، ويذكر أمامه المستنصر بلقب أمير المؤمنين، مع أن الطرطوشي يهودي وليس مسلماً دون أن يكون سفيراً من المستنصر إليه ومكلفاً أيضاً بجمع معلومات عن تلك البلاد.

(674) البكري، المسالك والممالك، «الجزء الخاص بالأندلس»، ص 178-179؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص 7-8؛

ELI DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1268.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.621; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, (675) P.377.

وهناك إشارة إلى قيام يهودي بتأليف كتاب في تريب العسل، وإهدائه للمنصور بن أبي عامر<sup>(676)</sup>. وهي تدل على أن مثقفي اليهود في ذلك الوقت كانوا يحرصون على التقرب من السلطة.



---

(676) الشتريني، الذخيرة، ق1، م1، ص551-552.

## المبحث الثالث اليهود والسلطة في عصر الطوائف

شهدت الأندلس بعد سنة (399هـ=1008م) صراعاً عنيفاً على السلطة، أدى إلى انحلال الخلافة، ونشوء دويلات متنافسة يحكمها ملوك ينتمون إلى أصول عربية أو بربرية أو صقلبية، وقد أطلق عليهم ملوك الطوائف<sup>(677)</sup>.

وتضرر من هذا الصراع ولا سيما في بداياته الأولى جميع سكان الأندلس بمن فيهم اليهود، وكان سكان قرطبة هم الأكثر تضرراً، إذ صارت مدينتهم ساحة حرب لأولئك المتنافسين على الحكم، وتعرضت مرات عدة لسيطرة البربر، ولسيطرة النصاري الأسبان الذين استعان بهم أهل قرطبة لقتال البربر، فدخلت جيوش الأسبان قرطبة وعاثت فيها فساداً، وكذلك فعل البربر عندما سيطروا عليها<sup>(678)</sup>.

وفي رسالة بعث بها أحد يهود قرطبة إلى تاجر يهودي يدعى أبا الفرج جوزيف بن يعقوب بن عوقل، ووجدت في جنيزة القاهرة، يتحدث ذلك اليهودي عن الدمار والجوع الذي حل بجميع سكان قرطبة، أثناء الحصار الذي فرضه عليهم منافسون على الحكم من شمال أفريقيا سنة (401هـ=1010م)، واستمر نحو ثلاث سنوات<sup>(679)</sup>، ومن الطريف أن نذكر «أن أحد وزراء المنصور كان يرى في منامه يهودياً يمشي في أزقة الزاهرة بخرجه على عنقه وهو ينادي خروّوش خروّوش، فسأل المعبر عن ذلك، فأخبره باقتراب خرابها»<sup>(680)</sup>.

(677) ينظر تفاصيل ذلك عند: ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص1-314؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص149-155.

(678) ينظر: ابن خلدون، العبر، ج4، ص151؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.20.

(679) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.20.

(680) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص65.



لقد أدت هذه الحروب إلى هجرة كثير من يهود قرطبة وغيرها من مناطق الأندلس التي امتد إليها الصراع<sup>(681)</sup>. ويذكر كاتب يهودي عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أن العديد من اليهود القرطبيين هاجروا إلى طليطلة وإلى سرقسطة، وأنه حتى في عصره كان نسل أولئك المهاجرين يشكلون في المدن التي هاجروا إليها طوائف منفصلة خاصة بهم<sup>(682)</sup>.

وعرف من مهاجري قرطبة عدد من المثقفين اليهود، منهم الشاعران إسحاق بن خلفون، وأبو زكريا حنيجة، اللذان هاجرا إلى طليطلة<sup>(683)</sup>.

وقد أصاب التشتت كثيراً من المهاجرين، بابتعادهم عن أسرهم وعائلاتهم، وقد عبر أحد الشعراء المهاجرين عما حل به بعد هجرته بقوله: إن الزمن قد جعله وحيداً. كما عبر عن معاناته في رحلته الطويلة وهو يبحث عن مكان آمن، بقوله:

لقد قست وجه الأرض بقدمي كما لو أنهما مسطرتي قياس<sup>(684)</sup>.

وتكشف قوائم الجنيزة الخاصة بتوزيع الصدقات من قبل يهود مصر عن وصول عدد من يهود الأندلس إليها خلال تلك الفتنة التي أعقبت سقوط الخلافة في الأندلس، إذ تحتوي هذه القوائم على إشارات مثل «الشاب الأندلسي»، أو «اليتيم الأندلسي»، أو «الرجل القادم من الأندلس»<sup>(685)</sup>.

وكان للإمارات والممالك الإسبانية نصيب وافر من المهاجرين اليهود، الذين وجدوا فيها فرصاً كثيرة للكسب، حيث كانت تفتقر إلى الحرفيين الماهرين، والتجار القادرين على استيراد المنتجات المصنعة من الأندلس وغيرها من الدول الإسلامية<sup>(686)</sup>.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P, 622-623 ; ASHTOR, THE JEWS, (681) VOL.2, P.28-29.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.29.: نقلًا عن: (682)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.29. (683)

IBID, VOL.2, P.30. (684)

IBID, VOL.2, P.30. (685)

(686) ينظر: علي أحمد، «اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى»، مقالة في مجلة: آفاق الثقافة والتراث، (دولة

الإمارات، السنة الخامسة، ع17، محرم-1418هـ-مايو 1997م)، ص72؛

IBID, VOL.2, P.31.

ويشير العديد من الوثائق الإسبانية التي تعود إلى أواخر القرن الخامس الهجري/ أوائل القرن الثاني عشر الميلادي إلى يهود أندلسيين استقروا في تلك الإمارات، وملكوا المزارع والعقارات، وإلى أن عدداً منهم قد عمل في بلاط ملك نافار سانشو المايور (SANCHO AL MAYOR 1004-1035 م) <sup>(687)</sup>. وذكرت بعض عقود البيع المحررة في مملكة ليون في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي أسماء عربية لليهود تدل على أنهم مهاجرون جدد، أو أبناء مهاجرين من الأندلس <sup>(688)</sup>.

لقد دفع تيار الهجرة اليهودية الذي خرج من قرطبة، بشاب يهودي يدعى صاموئيل ابن جوزيف هاليقي (إسماعيل بن يوسف بن نغله) إلى مالقه، فوصلها سنة (404هـ=1013م) <sup>(689)</sup>، وكان لهذا الشاب أثر كبير في حياة يهود الأندلس في عصر الطوائف، وكذلك على الصراع بين دول الطوائف في عصره.

وقد ولد إسماعيل بن نغله في قرطبة في ربيع سنة (383هـ=993م)، وكان أبوه قد هاجر إليها من ماردة. وتلقى ابن نغله تعليمه التلمودي في قرطبة بمدرسة الحبر حنوخ بن موسى، ودرس النحو العبري على يد كبير النحويين اليهود في عصره يهودا حيوج <sup>(690)</sup>، وتمكن من الأدب العبري والعربي، وأصبح قادراً على نظم الشعر بالعربية والعربية، كما تضلع من علم الفلك والهندسة والمنطق، وقرأ القرآن الكريم، وعدداً من كتب الفقهاء المسلمين، وألمَّ ببعض دراسات النصارى عن الإنجيل <sup>(691)</sup>.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.30-31. (687)

IBID, VOL.2, P.33. (688)

(689) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 39؛

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.623, 625;

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.97-98.

(690) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 39؛

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.391; DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.623.

(691) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص 264-265؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ص 438-439؛

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.623.

استقر إسماعيل في ماله، واكتسب رزقه من محل صغير كان يبيع فيه التوابل، وقد طلبت منه جارية أن يكتب لها خطاباً ترفعه إلى أمير غرناطة حبوس بن ماكسن، فكتبه لها وعندما وصل الخطاب إلى وزير حبوس أبي العباس بن العريف، أعجب بالخط والأسلوب الذي كتب به، وسأل عن كاتبه، وعرف أنه إسماعيل، وأن دكانه يقع بالقرب من البيت الذي كانت عائلة الوزير تسكن فيه. قابل الوزير أبو العباس إسماعيل، فازداد به إعجاباً، وعرض عليه أن يعمل مساعداً له في خدمة أمير غرناطة حبوس، فوافق إسماعيل ورحل معه إلى غرناطة، حيث عينه الوزير جابياً لأموال الدولة.

وقد حقق إسماعيل نجاحاً في جباية الأموال، وكسب ثقة الوزير، وصار بإمكانه تعيين موظفين يساعدونه في مهمته<sup>(692)</sup>. وعندما علم باتهام يهود ماله لقاضيهم الحبر يهودا، ونشوب شجارات بينهم نتيجة لذلك، قام بدعوته للعمل معه في جباية الأموال لدولة غرناطة، فجاء يهودا وأولاده وعملوا مع إسماعيل في هذه المهنة<sup>(693)</sup>.

جنى ابن نغدله أموالاً كثيرة من هذه الوظيفة، لكنه كسب معها كره كثير من يهود غرناطة، الذين وجدوه متسلطاً، يأخذ منهم فوق ما يطبقون في سبيل أن يظهر قدراته للمسؤولين، ولكي يبقى لنفسه جزءاً من هذه الأموال. كما كرهوه أيضاً لأنهم رأوا أن يهودياً من أهل غرناطة أولى من شخص غريب عنهم بهذه الوظيفة، ولأنه عين معه لجباية الأموال يهوداً غرباء عن غرناطة.

---

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.52, 56-57; (692)

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.622-623;

قارن: عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 39-40.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.58. (693)

وقرر يهود غرناطة أن يضعوا حداً لوجود إسماعيل في مهنته المرهقة والمهينة لهم، فكتبوا فيه تقارير عدة، كشفوا فيها كثيراً من تجاوزاته وطرقه غير المشروعة لتحقيق الغنى الفاحش الذي وصل إليه، ورفعوا هذه التقارير إلى شخصيات متنفذة في حكومة غرناطة. وقد أثبت التحقيق مع إسماعيل صحة ما جاء في التقارير، فتم اعتقاله وأدخل السجن، سنة (411هـ=1020م). وفي الوقت نفسه قام يهود غرناطة باستئجار أشخاص قتلوا الحبر يهودا وابن أخيه، ثم أطلق سراح إسماعيل بعد مدة قصيرة، ولكن فرضت عليه غرامة كبيرة، وجرّد من منصبه. وقد تلقى على إثر ذلك رسالة شعرية ونثرية من صديقه إسحاق بن حلفون، يواسيه فيها<sup>(694)</sup>.

ظل إسماعيل في غرناطة بعد خروجه من السجن يعيش على المال الكثير الذي تبقى معه بعد دفع الغرامة، ويأمل ويحاول أن يعيده الوزير إلى وظيفته، وقد تحقق أمله، إذ أعاده الوزير إلى وظيفته، وظل يرفعه إلى أن جعله في سنة (418هـ=1027م) مسؤولاً عن جمع الجزية من كل اليهود في إمارة غرناطة<sup>(695)</sup>.

توفي الوزير أبو العباس فعين حبوس ولده الأكبر مكانه، ولم يكن الولد مهتماً بوظيفته كأبيه. واستغل إسماعيل ذلك وصار يقابل حبوس نيابة عنه، ويظهر بدهاء خبرته وقدراته، إلى أن أصدر حبوس أمراً بتعيين إسماعيل وزيراً للمالية. فشغل هذا المنصب في أوائل العقد الثالث من القرن الحادي عشر الميلادي، وبذلك أصبح إسماعيل بن نغدله أول يهودي في الأندلس يتقلد منصب الوزارة<sup>(696)</sup>.

وقد تحدثت المصادر الإسلامية عن إسماعيل بعد أن أصبح وزيراً، وذكرته باسمه العربي الذي عرف به بين المسلمين، وكان من عادة اليهود والنصارى في الأندلس أن يحملوا اسماً عربياً إضافة إلى اسمهم الذي يعرفون به بين قومهم<sup>(697)</sup>.

IBID, VOL.2, P.59. (694)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.61. (695)

(696) الأمير عبد الله، التبيان، ص 30-31؛

IBID, VOL.2, P.64-65; H. BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA, JUDAICA VOL.7, P.852.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.145. (697)

وقد اختلفت هذه المصادر في ضبط اسمه فالشتريني يقول عنه: «إسماعيل بن النغريلي»<sup>(698)</sup>، وصاعد الأندلسي يقول: «إسماعيل بن الغزال»<sup>(699)</sup>. وابن سعيد الأندلسي يقول: «إسماعيل بن نغرة»<sup>(700)</sup>، وابن عذارى يقول: «إسماعيل بن نغزلة»<sup>(701)</sup>، وابن الخطيب يقول: «إسماعيل بن نغزلة»<sup>(702)</sup> و ابن خلدون يقول: «إسماعيل بن نغزلة»<sup>(703)</sup>، والمقري يقول: «إسماعيل بن نغذلة»<sup>(704)</sup>.

والظاهر أن عدم إحاطة معظم المؤرخين المسلمين بأصل ومعنى التسمية في اللغة العبرية قد أسهم في وقوعهم في هذا الخطأ. وأصل التسمية في رأيي يعود إلى اللقب الذي أطلقه إسماعيل على نفسه، وهو ناغيد والكلمة عبرية تعني حاكم، أو آمر، أو قائد، أو أمير<sup>(705)</sup>.

وهذا يعني أن المقري كان الأقرب إلى التسمية الصحيحة عندما نسب إسماعيل إلى لقب «ناغيد»، فقال: «ابن نغذلة»<sup>(706)</sup>. وقد أشار الشتريني إلى هذا اللقب بالرغم من عدم توفقه في ضبط الاسم عندما سماه ابن النغريلي، حيث يقول عنه: «وتسمى من خططهم الشرعية بالناغيد» معناه المدبر بالعربية، خطة تحامها قدماءهم، وتطأطأ عنها قديماً زعماءهم، اجترأ هو عليها»<sup>(707)</sup>. وفي ذلك يقول إحسان عباس: «فإذا كان من صلة بين الاسم وبين اللقب فالأقرب أن الاسم هو «الناغيدلي» أو الناغيدله».

وأرى أن إسماعيل كان يُعرف بإسماعيل الناغيد، أي إسماعيل الحاكم أو الأمير، وأن ابنه يوسف الذي خلفه بعد موته، وصار وزيراً مثله، هو الذي سُمّي ابن الناغيد، ولكن القرابة بينهما، والمنصب نفسه الذي شغلاه لباديس، أديا إلى هذا الخلط، فعرف الاثنان باسم ابن الناغيد.

(698) الشتريني، الذخيرة، ق 1، م 2، ص 761-764.

(699) طبقات الأمم، ص 90.

(700) المغرب في حلى المغرب، ص 132-133.

(701) البيان المغرب، ج 3، ص 261-264.

(702) أعمال الأعلام، ق 2، ص 230.

(703) العبر، ج 4، ص 160-161.

(704) نفح الطيب، م 4، ص 422.

(705) الكلية العسكرية، قاموس التحرير العبري العربي (بغداد، ط 1، 1973 م)، ص 529.

(706) نفح الطيب، م 4، ص 322.

(707) الذخيرة، ق 1، م 2، ص 767.

وعند التأمل في كتابة المؤرخين المسلمين للقلب هذين اليهوديين نجد أنهم يختلفون في رسم المقطع الأول منه. ويبدو لي أن التصحيف الناتج عن التقارب بين كتابة حربي الدال والراء، والسكون والنقطة، قد تسبب أيضاً في وقوع بعض المؤرخين في الخطأ وهم ينقلون عن كتب غيرهم، فقالوا: إنه ابن نغزاه أو نغراه أو نغرله أو نغزله أو الغزال أو النغري، وجعلهم يتعدون قليلاً عن اللقب الصحيح الذي نرجح أنه ابن نغذله أو ابن نغذال، وذلك لقرب هاتين التسميتين من الأصل العبري للكلمة، كما أشرنا سابقاً؛ ولأن إضافة اللام والهاء أو الألف واللام إلى الاسم صيغتان تستخدمان في اللغة العبرية للتدليل والتصغير، فهم يقولون لمن اسمه «موشي» «موشله»، وهكذا. وذلك كقولنا في العربية «عمير» تصغيراً وتدليلاً لمن اسمه «عمر»<sup>(708)</sup>. وقد مرت بنا رواية الصبي التي يتحدث فيها عن اليهودي وزير صاحب المرية، الذي سمعه أحد الفقهاء وهو يقول لصبي مسلم اسمه محمد، وكان يخدم اليهودي في حمام عام للمسلمين: يا محمدال، فغضب الفقيه، وقتل اليهودي، لاعتقاده أن اليهودي يتعمد تصغير اسم الصبي محمد إهانة للرسول ﷺ<sup>(709)</sup>.

وتجمع المصادر الإسلامية على المكانة الرفيعة التي بلغها إسماعيل في عهد حبوس، وعلى أنه كان وزيراً مفوضاً متصرفاً في شؤون الدولة، وليس مجرد وزير تنفيذي، أو كاتب يحمل لقب وزير فقط، إذ يقول ابن عذاري: «وقد أصبح هذا اليهودي لحبوس على وزرائه، وكتابته، وسائر أعماله، ورفعته فوق كل منزلة»<sup>(710)</sup>. ويقول ابن خلدون: «واستولى على سلطانه كاتبه وكاتب أبيه إسماعيل بن نغزلة»<sup>(711)</sup>، ويتحدث الشنتريني عن سلطته في عهد حبوس فيقول: «قد نصبه مكانه من السلطان غيظاً للأحرار»<sup>(712)</sup>. ويقول في موضع آخر: «وأما ما بلغ من المنزلة عند صاحبه وغلبته عليه فما لا شيء فوقه»<sup>(713)</sup>.

(708) قدم لي هذه المعلومة اللغوية مختصّ باللغة العبرية، رجعت إليه وأنا أحقق في هذه المسألة، وقد ذكر إحسان عباس أن «له» أو «لي» الموجودة في الاسم صيغة تصغير لاتينية. ينظر: ابن حزم، الرد على ابن النغريه، ص 9 (هامش المحقق).

(709) الضبي، بغية الملتبس، ص 345-346.

سوف أطلق في هذه الرسالة على هذا الوزير اليهودي اسم إسماعيل بن نغذله، وعلى ابنه اسم يوسف بن إسماعيل، وفي حالة نقل النصوص عن المصادر الإسلامية فسوف ألتزم بالاسم مثلما ورد في النص.

(710) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص 264.

(711) العبر، ج4، ص 160-161.

(712) الذخيرة، ق1، م2، ص 766.

(713) م. ن، ق1، م2، ص 767.

ولم يُقدّر إسماعيل مشاعر المسلمين الذين رفعوه إلى هذا المنصب الكبير، بل تكبر عليهم وتناول على دينهم ومقدساتهم، إذ يروي الشنتريني شيئاً من تجاوزاته فيقول: «ألف كتاباً في الرد على الفقيه أبي محمد بن حزم، المتقدم الذكر، وجاهر بالكلام، في الطعن على ملة الإسلام، فما دفع عن ذلك بتأنيب، ولا أستطيع تغييره عليه إلا بالقلوب»<sup>(714)</sup>. ويروي ابن سعيد أن إسماعيل بن نغدله استهزأ بالمسلمين، «وأقسم أن ينظم جميع القرآن في أشعار وموشحات يغنى بها. ومن شعره الذي نظم فيه القرآن قوله:

نقشت في الخد سطرًا      من كتاب الله موزون

لن تنالوا البر حتى      تنفقوا مما تحبون»<sup>(715)</sup>

كما لاحق الفقهاء واضطهدهم، فاضطروا للهرب من غرناطة<sup>(716)</sup>. ومن هؤلاء الفقهاء محمد بن سعيد بن عمر ذي النون الثعلبي الإلبيري الذي رحل إلى طليطلة فراراً بنفسه ودينه<sup>(717)</sup>.

وبسبب سلطته، وسطوته، وإغراءاته، صار بعض ضعفاء وجبناء المسلمين الذين لا يخلو منهم زمان ينافقونه «حتى كان يغسل يده من القبل، وَيَتَمَدَّحُ بالطعن على الملل»<sup>(718)</sup>.

ومن أولئك المنافقين لإسماعيل بن نغدله، ابن خيرة القرطبي المشهور بالمنفل الذي مدحه في قصائد عدة منها قوله:

قرن الفضائل والفواضل      فشأى الأواخر والأوائل<sup>(719)</sup>

وقوله في قصيدة أخرى يمدح فيها إسماعيل وذوي المناصب من يهود غرناطة:

بدور ولكننا أمنّا سرارها      بحور ولكن لا نرى لها برًا<sup>(720)</sup>

ويعقب الشنتريني على هذه الأبيات، بعد أن يوردها بقوله: «وأبعد الله المنفل في ما نظم فيه وفصل، وقبحه وقبح ما أمّل»<sup>(721)</sup>.

(714) م. ن، ق 1، م 2، ص 766.

(715) المغرب في حلى المغرب، ج 2، ص 114، ترجمة رقم: 426.

(716) م. ن، ج 2، ص 132-133، ترجمة رقم: 444؛ خلاف، تاريخ القضاء في الأندلس، ص 132.

(717) خلاف، تاريخ القضاء في الأندلس، ص 132.

(718) الشنتريني، الذخيرة، ق 1، م 2، ص 766.

(719) م. ن، ق 1، م 2، ص 762-763.

(720) م. ن، ق 1، م 2، ص 764.

(721) م. ن، ق 1، م 2، ص 764.

ويورد أيضاً أبياتاً لابن خيرة من قصيدة أخرى، ويعلق عليها قبل أن يذكرها بقوله: «وله في هذه القصيدة من الغلو في القول، مانبراً منه إلى ذي القوة والحوّل»<sup>(722)</sup>.

ومن هذه الأبيات:

ومن يك موسى منهم ثم صنوه      فقل فيه ماشئت لن تبلغ العُشرا  
فكم لهم في الأرض من آية تُرى      وكم لهم في الناس من نعمة  
ومن منافقي الوزير اليهودي إسماعيل أيضاً ابن الفراء الأخفش بن ميمون، الذي يقول عنه المقري:  
إنه «من حصن القبذاق، من أعمال قلعة بني سعيد، تأدب في قرطبة، ثم عاد إلى حضرة غرناطة، واعتكف بها على مدح وزيرها اليهودي، وقال في مدحه:

صاحب محياه تلق النجح في الأمل      وانظر بنادييه حسن الشمس في الحمل»<sup>(724)</sup>  
وقال أيضاً:

أهوى الذي تيمني حبه      ومادري أني أهواه<sup>(725)</sup>  
ولم يسلم من ظلم إسماعيل بن نغدله حتى اليهود، إذ يقول الشتريني: «واليهود مع ذلك تشاءم باسمه، وتتظلم من جور حكمه، على ما كان قد رضح لهم من الحطام، ووطأ لهم من مراكب الأمور العظام، وهو مع ذلك متماد في غلوائه، غافل عن عادة الله في نظرائه، فغصب يهود أحكامها، وذلّل أعلامها»<sup>(726)</sup>. وقد وصفه الوزير القرطبي إبراهيم بن محمد بن السقاء، المعاصر له بقوله: «لا بأس بإسماعيل لولا أنه نسي اليهودية»<sup>(727)</sup>.

(722) م. ن، ق 1، م 2، ص 765.

(723) الشتريني، الذخيرة، ق 1، م 2، ص 765.

(724) نفح الطيب، م 3، ص 387-388.

(725) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج 2، ص 182، ترجمة رقم: 473.

(726) الذخيرة، ق 1، م 2، ص 767.

(727) م. ن ق 1، م 2، ص 767، 963.



وتذكر المصادر اليهودية أنه كان لإسماعيل معارضون في غرناطة، وقد هربوا منها عندما حصل على منصبه الكبير فيها<sup>(728)</sup>.

كما أدى تعيين إسماعيل وزيراً في حكومة حبوس بغرناطة، ومجاهرته بالعداء للإسلام، وتكبره على المسلمين، وإصرار حبوس وولده باديس من بعده على بقاء إسماعيل في منصبه، إلى خسارة غرناطة لأكثر وأهم دولة محالفة لها، وهي دولة المرية القوية، التي تسيطر على كل الأقاليم الساحلية في جنوب شرق الأندلس، وإلى تورطها معها، ومع غيرها من دول الطوائف المجاورة في حروب عدة أرهقتها حكومة، وجيشاً، وسكاناً<sup>(729)</sup>.

كان وزير المرية أبو جعفر أحمد بن عباس أشد المعارضين في دولة المرية لوجود إسماعيل في حكومة غرناطة، وقام هذا الوزير الذي يعود بنسبه إلى الأنصار، بتوجيه رسالة خطية إلى حبوس يطلب منه فيها طرد وزيره اليهودي، كما بعث برسالة أخرى إلى رؤساء قبيلة صنهاجة التي ينتمي إليها حبوس، يبين لهم فيها أنهم يخالفون أوامر الله ورسوله بتركهم اليهودي في منصبه. وعلى الرغم من دعوته إلى إبعاد جميع اليهود عن وظائف الدولة، إلا أنه ركز في رسالته على إسماعيل، مذكراً بأنه أصل الشر<sup>(730)</sup>.

لم يستجب حبوس ولا رؤساء صنهاجة لمطلب وزير المرية أبي جعفر، فقام الأخير بإقناع ملك المرية الصقلي زهير، بإلغاء معاهدة الدفاع المشترك مع غرناطة، فألغيت المعاهدة التي كانت في غاية الأهمية بالنسبة لغرناطة، الإمارة الصغيرة التي تتعرض لأطماع الإمارات المجاورة لها<sup>(731)</sup>.

كما وجه وزير المرية ضربة أخرى لحبوس، عندما دفع زهيراً حاكماً المرية لعقد معاهدة صداقة مع حاكم قرمونة (CARMONA) محمد بن عبد الله، الذي يعود بنسبه إلى قبيلة زناته المنافسة لصنهاجة<sup>(732)</sup>.

H. BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.852. (728)

(729) ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص166، 167؛

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.76.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.70-71. (730)

IBID, VOL.2, P.72. (731)

ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص169؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص216-217.

IBID, VOL, 2, P.72. (732)

ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص169.

ترى ما هي الصفات التي تميز بها إسماعيل، فجعلت حبوس وقيبلته يتمسكون به بالرغم من إهانتهم، وتعرض دولتهم لمقاطعة حلفائها، ولحروب عدة بسببه؟

يجيب الأمير عبد الله بن بلقين حفيد حبوس عن هذا التساؤل فيقول: «وكان في اليهودي من الكيس والمدارة للناس ما طابق الزمان الذي كانوا فيه، والقوم الذين يرمونهم، فاستعمله لذلك استيحاشاً من غيره، ولما كان يرى من طلب بني عمه، ولأن هذا اليهودي ذمي، لا تشره نفسه إلى ولاية، ولا هو أندلسي، فيتقي منه إدخال داخله مع غير جنسه من السلاطين، ولا احتياجه إلى الأموال التي يطبي بها بني عمه ويحاول بها أمر الملك، لم يكن بد من مثله أن يجمع له من الأموال ما يدرك معها الآمال. ولم يكن له تسلط على مسلم في حق ولا باطل، ولأن الرعايا أكثرهم بتلك البلدة، والعمال إنما كانوا يهوداً، فكان يجبي منهم الأموال ويعطيه، فيلقي ظالماً منهم إلى ظلمة، ويأخذ منهم ما يملأ به بيت المال، وإقامة أود المملكة أولى به منهم<sup>(733)</sup>.

كما يجيب عنه ابن حيان عندما يصفه بقوله: «وكان هذا اللعين في ذاته على ما زوى الله عنه من هدايته، من أكمل الرجال علماً وحلماً وفهماً وذكاءً ودماثةً وركانةً ودهاءً ومكرًا، وملكاً لنفسه، وبسطاً لمن خلفه، ومعرفة بزمانه، ومدارة لعدوه، واستسلاً لحقودهم بحلمه، [ناهيك] من رجل كتب بالقلمين واعتنى بالعلمين، وشغف باللسان العربي، ونظر فيه، وقرأ كتبه، وطالع أصوله، فانطلقت يده ولسانه، وصار يكتب عنه، وعن صاحبه بالعربي، في ما احتاج إليه من فصول التحميد لله تعالى، والصلاة على رسوله محمد ﷺ، والتزكية لدين الإسلام، وذكر فضائله ما يريده، ولا يقصر في ما ينشئه عن أوسط كتاب الإسلام، وجمع لذلك السجيج<sup>734</sup> في علوم الأوائل الرياضية، وتقدم منتحليها بالتدقيق للمعرفة النجومية، ويشارك في الهندسة والمنطق، ويفوق في الجدل كل مستولٍ منه على غاية، قليل الكلام مع ذكائه، ماقناً للسباب، دائم التفكير، جماعة للكتب<sup>(735)</sup>.

(733) الأمير عبد الله، التبيان، ص 31-32.

(734) السجيج: السهل الحسن. ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط 1، ج 2، ص 475.

(735) ابن الخطيب، الإحاطة، م 1، ص 438-439 (رواية ابن حيان).

طالب زعماء صنهاجة حبوس أن يعين خليفة له يتولى إمارة غرناطة بعد موته، وقد أثار هذا الطلب قلق إسماعيل بن نغدله، مثلما أثار قلق أثرياء اليهود في غرناطة. لقد كان المرشحون لخلافة حبوس هم ولده باديس، المعروف بجراته وقوة شخصيته. وولده الأصغر بلقين، المعروف بطيبته، وعدم ميله للحكم، وابن أخيه يَدِير الذي يجمع بين القوة والاستقامة والنباهة والإقبال على العلم ومجالسة الفقهاء. وكان إسماعيل يخشى من تولي يدير؛ لأنه يعلم أن خلقه ودينه لن يبقيا يهودياً في منصب وزاري في حكومته، وقد سبق أن طرد ابن صديق إسماعيل اليهودي من وظيفته الحكومية. وهو يخشى أيضاً من تولي بلقين؛ لأن صغر سنه وطيبته ستمكن رؤساء صنهاجة من التدخل في شؤون الحكم، ومن المؤكد أنهم لن يسكتوا عن رؤية يهودي في منصب وزاري مهم في دولتهم. كما أن تولي بلقين يحقق رغبة أغنياء اليهود أمثال جوزيف بن ميجاش ونحمياه أشكافا، الذين يتوقعون أن مصالح زعماء صنهاجة المرتبطة بمصالحهم، ستجعل لهم نصيباً في وظائف الدولة، وستمكنهم من إبعاد إسماعيل الذي ما يزالون يضمرون له الكره والعداء<sup>(736)</sup>.

لقد أحب إسماعيل أن يكون عرش غرناطة من نصيب باديس، وبذل كل ما في وسعه لتحقيق ذلك، حيث أسهم في إقناع حبوس بالتوصية لباديس من بعده، كما حث بلقين على التنازل لأخيه، وأقنع من استطاع من زعماء صنهاجة بمناصرة باديس<sup>(737)</sup>. وعندما مات حبوس سنة (437 هـ = 1045 م) قام عدد من زعماء صنهاجة بمبايعة بلقين، لكنه رفض قبول البيعة وأعلن أنه سيبايع لأخيه باديس حسب رغبة والده<sup>(738)</sup>. وهكذا تحققت رغبة إسماعيل التي عمل من أجلها، وصدق ظنه في باديس الذي قدر جهوده في خدمة والده، وفي العمل من أجل وصوله إلى الحكم<sup>(739)</sup>، فقام بتثيته في منصبه الوزاري الكبير<sup>(740)</sup>.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.72. (736)

ينظر: الأمير عبد الله، التبيان، ص 27-29، 36.

IBID, VOL.2, P.73; BEAR, A HISTORY OF THE JEWS, VOL.1, P.33; (737)

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.624.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.72. (738)

IBID, VOL.2, P.72. (739)

(740) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، م 1، ص 438؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق 2، ص 230.

بدأ وزير المرية أحمد بن عباس محاولاته لإقناع باديس بإبعاد الوزير اليهودي عن منصبه، فبعث إليه برسالة يبين فيها الإثم الكبير الذي يقترفه بتولية يهودي على رقاب المسلمين، ويؤكد أن إبعاده سيؤدي إلى إحلال السلام بين المملكتين، وأن بقاءه سيؤزّم العلاقة بين غرناطة ومن حولها من الملوك المتحالفين، في إشارة إلى معاهدة المرية مع إمارة قرمونة التي تقع غربي غرناطة، والتي كان باديس يخشى من خطرهما على مملكته<sup>(741)</sup>.

رفض باديس إبعاد إسماعيل، وأرسل قاضي غرناطة أبا الحسن علي بن محمود بن ثوبة إلى زهير حاكم المرية، ليقنعه بتجديد معاهدة التحالف بين إمارتيهما، لكن زهيراً رفض طلب باديس<sup>(742)</sup>.

وفي شوال من سنة (429هـ=1038م) ظهر زهير فجأة في غرناطة، ومعه وزيره ابن عباس وفرقة من جيشه وعسكر على تل قرب غرناطة، وكان يهدف من زيارته المفاجئة هذه إلى إهانة باديس وإخافته<sup>(743)</sup>.

استقبل باديس زهيراً، بالرغم من الطريقة المهينة التي دخل بها إلى غرناطة، وذلك لأنه كان يخشى من القوة العسكرية التي عرفت بها إمارة المرية، وعقد مباحثات مطولة مع زهير، إلا أنها باءت بالفشل<sup>(744)</sup>، فقد كان المطلب الوحيد لزهير ووزيره هو إزاحة الوزير اليهودي الذي يرفض أن يتخلى عنه<sup>(745)</sup>.

(741) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.73-74.

عن خشية حبوس وباديس من تحالف المرية مع قرمونة. ينظر: الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص656.

(742) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص656؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص169؛

IBID, VOL.2, P.74.

(743) ابن بلقين، التبيان، ص32-35؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص169؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص216؛

IBID, VOL.2, P.75; DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.625.

(744) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص675؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص169-170؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص216-217.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.75 (745)

توجه زهير ومن معه عائدين إلى المرية، لكنهم فوجئوا بكمين أعده لهم الغرناطيون بإحكام في إحدى الممرات الضيقة بين جبال غرناطة، وقد تمكن جنود باديس من قتل حاكم المرية زهير<sup>(746)</sup>، وأسر الوزير أحمد بن عباس، ونقله إلى السجن في غرناطة، حيث حاول أن يفدي نفسه بمبلغ كبير، وجاء مبعوث من ابن جهور ليتوسط في الإفراج عنه<sup>(747)</sup>، لكن باديس رفض وقام بقتله<sup>(748)</sup>، «متأولاً لإثارته الفتنة»<sup>(749)</sup>.

وكان من بين الأسرى الذين أسرهم الجيش الغرناطي ابن حزم الأندلسي المعروف بمناظراته ومعاداته لإسماعيل بن نغدله. وكان ابن حزم قد شارك هو والباجي وفقهاء وكتاب آخرون مع الجيش الذي دخل غرناطة وطالب بإزاحة اليهودي عن منصبه «وظفر باديس على قوم من وجوه رجال زهير، فعجل على الفرسان والقواد بالقتل، وشمل الأسار حملة الأقالام وفيهم وزيره الكبير أحمد بن عباس الجارّ لحرّ هذه النائرة، فأمر بحبسه، وشفأؤه الولوغ في دمه، وعفّ باديس عن دماء حملة الأقالام دونه، إلا من أصيب منهم في الحرب، وأطلق ابن حزم والباجي وغيرهما»<sup>(750)</sup>.

سُرَّ إسماعيل بمقتل أحمد بن عباس، ومَجَّدَ هذه المعركة التي شارك فيها بنفسه، بقصيدة طويلة، شبه فيها سقوط ابن عباس بتحرر اليهود من قبضة هامان، وأرسل القصيدة مع رسالة إلى الطوائف اليهودية في الشمال الأفريقي ومصر وفلسطين، ليشاركوه الفرح بهذا الانتصار<sup>(751)</sup>.

(746) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص 170-171؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص 216-217.

(747) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص 664؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص 171-172.

(748) ابن بلقين، التبيان، ص 35؛ الشنتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص 664؛ ابن سعيد الأندلسي، المغرب، ج2، ص 206، ترجمة رقم: 491.

(749) ابن بلقين، التبيان، ص 35.

(750) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص 171.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.626; (751)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.79;

BEAR, A HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.34.

استطاع إسماعيل بن يوسف أن يحوز على ثقة باديس وأن يقنعه بأهمية وجوده في إدارة الدولة. وقد ازدادت ثقته به عندما دبر بعض زعماء صهناجة وعلى رأسهم ابن عمه يدير خطة لقتل باديس. إذ قرر هؤلاء الزعماء أن يشركوا معهم الوزير إسماعيل، وذلك حتى لا يتسرب إليه خبرهم وهو بعيد عنهم فيعين باديس عليهم. ولكي يورطوه قرروا أن يكون اجتماعهم في منزله، لكن إسماعيل الذي لا يثق أصلاً بيدير فهِمَ ما يرمون إليه، وأبلغ باديس بالأمر، وجاء به إلى منزله ليسمع بنفسه من مكان خفي زعماء صهناجة وهم يخططون لقتله<sup>(752)</sup>. ومما قاله الأمير عبد الله بن بلقين في رواية هذه الحادثة: «وتقدم إلى باديس وأخبره الخبر، وأتى معه إلى المنزل، وقال له: ليس الخبر كالعيان، اسمع بأذنك وع بقلبك. وهو بموضع مرتفع على البيت الذي يرومون فيه عملهم، وأبو إبراهيم [إسماعيل بن نعدله] في ذلك كله يقول عند محاورتهم كالمخاطب للبارئ: يا من يرى ولا يرى، وهو يعني بذلك باديس جدنا الذي يراهم ولا يرونه، فشكر ذلك باديس لأبي إبراهيم. وأيقن بثقته وأمانته. وصار له خادماً من ذلك النهار، وشاوره في أكثر رأيه مع بني عمه»<sup>(753)</sup>. وعندما اكتشف باديس أن أكثر من مئتي رجل من أكابر صهناجة يكتبون يدير الذي لجأ إلى إشبيلية، ويدبرون معه الخطط للإطاحة به «غضب لذلك وهمم بقتلهم وشاور أبا إبراهيم في الأمر، فقال له: أرى من الرأي ألا تؤنب أحداً على هذه الكتب، ولا تعلمهم أنها صارت إليك، وأن تأمر الآن بنار تحرقها بها وتطفئ أثرها، ورأس العقل مداراة الناس، فإن عاقبت كم عسى أن تعاقب، وهم أجنادك وأجنحتك، فاحتل للأمر بغير هذا الوجه. فقبل بنصيحتته، واستعان ببعضهم على بعض، وأفشى فيهم العطايا، وضرب الابن بأبيه والأخ بأخيه»<sup>(754)</sup>.

خاضت إمارة غرناطة حروباً أخرى مع إمارتي إشبيلية وقرمونة، ومع يدير الذي حظي بدعم إمارة إشبيلية، وصار يهاجم غرناطة، وشارك إسماعيل في معظمها، وقادها بنفسه في بعض الأحيان، وكان كلما حقق انتصاراً يكتب قصيدة بالعبرية، يصور فيها أحداث المعركة ودوره فيها، وكان أحد أهم الانتصارات التي حققتها إمارة غرناطة، هو الانتصار على إمارة إشبيلية سنة (431هـ=1039م)، وقد صور إسماعيل أحداث تلك المعركة التي شارك فيها بقصيدة اشتملت على 149 بيتاً<sup>(755)</sup>.

(752) ابن بلقين، التبيان، ص 31؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.80-81.

(753) التبيان، ص 31.

(754) م. ن، ص 33-34.

(755) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.84-86.

وبالرغم من أن عدداً من أغنياء ووجهاء اليهود في إمارة غرناطة لم يكونوا على وفاق مع إسماعيل بسبب أنه ساد عليهم، وفاقهم جاهاً وغنى، إلا أن معظم اليهود في هذه الإمارة قد أفادوا من احتلال وزير يهودي لهذا المنصب الكبير. يتضح ذلك من خلال رواية ابن عذاري التي يقول فيها: « فاتخذ هذا اليهودي عمالاً ومتصرفين في الأشغال من أهل ملته، واكتسبوا الجاه والمال في أيامه، واستطالوا على المسلمين »<sup>(756)</sup>.

لقد أصبح وزير غرناطة اليهودي ذائع الصيت ليس في غرناطة وحدها، وليس بين يهود الأندلس فحسب، وإنما في كثير من المناطق والبلدان خارج حدود الأندلس<sup>(757)</sup>.

مرض الوزير اليهودي إسماعيل بن نغدله، ومات في ربيع سنة (448هـ = 1056م)<sup>(758)</sup>، فأحزن موته يهود الأندلس والخارج، وأقاموا صلواتهم عليه، وأرسلوا التعازي إلى أسرته، وكتب حبر أليسانة إسحاق بن غايات قصيدة طويلة، ألقاها خلال القداس المقام على روحه<sup>(759)</sup>. وتحدث عن موته ابن حيان فقال: « هلك في العشر الثاني لمحرم سنة تسع وخمسين وأربع مئة، فجلل اليهود نعشه، ونكسوا لها أعناقهم خاضعين، وتفاقدوه جازعين، وبكوه معلنين »<sup>(760)</sup>. وعن موته أيضاً قال ابن عذاري: « فدام أمره كذلك إلى أن هلك، وترك ابناً له اسمه يوسف »<sup>(761)</sup>.

خلف إسماعيل في منصبه ولده يوسف، وكان والده قد هبأه لذلك منذ صغره، يقول ابن حيان: « وكان قد حمل ولده يوسف المكنى بأبي حسين على مطالعة الكتب، وجمع إليه المعلمين والأدباء من كل ناحية، يعلمونه، ويدارسونه، وأعلمه بصناعة الكتب ورشحه لأول حركته لكتابة ابن مخدومه بلقين، برتبة المترشح لمكانه، تمهيداً لقواعد خدمته، فلما هلك إسماعيل في هذا الوقت، أدناه باديس إليه، وأظهر الاغتياب به، والاستعاضة بخدمته عن أبيه »<sup>(762)</sup>.

(756) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص 264.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.626; (757)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.134-136, 164-165;  
BEAR, A HISTORY OF THE JEWS, VOL.1, P.34.

(758) أخطأ ابن سعيد الأندلسي عندما قال: إن إسماعيل بن يوسف قتل في ثورة المسلمين على اليهود في غرناطة، إذ خلط بين إسماعيل ولده يوسف الذي تجمع المصادر الإسلامية واليهودية أنه هو الذي قتل في تلك الثورة. ينظر: ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 114-115، ترجمة رقم: 426.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.157-158. (759)

(760) ابن الخطيب، الإحاطة، م1، ص 439.

(761) البيان المغرب، ج3، ص 264

(762) ابن الخطيب، الإحاطة، م1، ص 439.

لقد أصبح يوسف بن إسماعيل كبيراً للوزراء في غرناطة، ومسؤولاً عن جمع الجزية من اليهود، رئيساً أو ناغداً للطائفة اليهودية في غرناطة، وذلك على الرغم من أن عمره لم يكن يتجاوز إحدى وعشرين سنة<sup>(763)</sup>.

وقد حقق يوسف نجاحاً باهراً في تحصيل المزيد من الأموال لخزينة الدولة، وكان يقول لباديس: «أنا رجل ذمي لا همّة لي إلا خدمتك، وجمع الدراهم لبيت مالك»<sup>(764)</sup>، وحصل على ثقة باديس، فأوكل إليه قيادة الجيش عند الحرب<sup>(765)</sup>. وهناك قصيدة لشاعر يهودي من غرناطة كتبها بعد عودة يوسف من إحدى المعارك مع مملكة إشبيلية<sup>(766)</sup>. وكان يوسف يصحب باديساً في زيارته المتكررة إلى قرطبة، فيحظى معه بالإكرام والتبجيل<sup>(767)</sup>. ويقول الشنتريني أخبرني «من رآه يساير صاحبه بساحة قرطبة في بعض قدماته عليها لبعض الشؤون المضلة والفتن المصمّلة: [المذهلة]، قال [المحدث]: فرأيت مع باديس فلم أفرق بين الرئيس والمرؤوس»<sup>(768)</sup>.

قلد يوسف الملوك في ملبسهم ومركبهم ومسكنهم وفي كل مظاهر ترفهم، فقد اتخذ قصراً فخماً على التل العالي في غرناطة، الذي أقيمت عليه قصور الملوك النصريين في ما بعد<sup>(769)</sup>. وقد أشار إلى ذلك أبو إسحاق الإلبيري في قصيدته التي دعا فيها قبيلة صنهاجة إلى الثورة على اليهود في قوله:

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.159. (763)

(764) الأمير عبد الله، التبيان ص 38.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.159. (765)

IBID, VOL.2, P.161. (766)

IBID, VOL.2, P.162. (767)

(768) الذخيرة، ق 1، م 2، ص 767.

ASHTOR, THEJEWS, VOL.2, P.165. (769)

وردت إشارة عن هذا القصر عند: الأمير عبد الله، التبيان، ص 47.



ورخم قـردهم داره وأجرى إليها نـمير العيون  
وصارت حوائجنا عنده ونحن على بابـه قائمون<sup>(770)</sup>

كما أحاط نفسه بحاشية كبيرة من اليهود الذين سلّمهم أرفع مناصب الدولة، وكانوا يتصرفون وكأنهم فوق كل القوانين<sup>(771)</sup>. وأقام في قصره الحفلات الماجنة، دون مراعاة لمشاعر المسلمين من حوله، وكان يغدق بالأموال على الشعراء العرب واليهود الذين كانوا يكتبون القصائد في مدحه<sup>(772)</sup>. ووسع المكتبة التي ورثها عن أبيه<sup>(773)</sup>، فأصبحت تضم كتباً في مختلف العلوم الإسلامية<sup>(774)</sup>، «وكان له وراقون ينسخون له الكتب بالنفقات والمرتبات»<sup>(775)</sup>.

وشهد مؤرخ يهودي أندلسي على كبر يوسف وغروره وغطرسته<sup>(776)</sup>. وقدم ابن عذاري السبب الذي ولد هذه الصفة عنده بقوله، إن إسماعيل «ترك ابناً له اسمه يوسف لم يعرف ذلة الذمة ولا قدر اليهودية»<sup>(777)</sup>، بمعنى أن نشأته في بيت أبيه الوزير الثري، خلقت فيه كبراً وغطرسة غير معهودة عند غيره من يهود الذمة. كما دفع الكبر بيوسف للسير على نهج أبيه في سخريته من المسلمين ودينهم، وشاركه في ذلك الكثير من اليهود، ولا سيما أصحاب الوظائف والمناصب الذين ازدادوا في عهده زيادة ملحوظة<sup>(778)</sup>. وقد جاء في قصيدة أبي إسحاق الإلييري أبيات تبين هذا السلوك منها قوله:

(770) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص232.

(771) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص232-233؛

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.166.

ASHTOR, THE JWS, VOL.2, P.165. (772)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.162. (773)

ASHTOR, THE JEWS, VOL2, P.162. (774) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص276؛

(775) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص276.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.164. (776)

(777) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص264.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.166. (778) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص232-233؛

فإننا إلى ربنا راجعون<sup>(779)</sup>.

ويضحك منا ومن ديننا

وقوله:

فما يمنعون وما ينكرون<sup>(780)</sup>.

وقد ناهضوكم إلى ربكم

كما اعترفت المصادر اليهودية بأنه كان يتهجم على القرآن الكريم<sup>(781)</sup>. وقد شاع بين يهود غرناطة أن يوسف لم يراع حتى تعاليم التوراة<sup>(782)</sup>، وأنه يحتقر كل الأديان.

لقد أثار استهتار يوسف بن نغدله وتجاوزاته كره مسلمي غرناطة، وشاركهم في هذا الشعور كثير من قادة صنهاجة، وكان يوسف يعلم بذلك، ولهذا قام ببث جواسيسه في كل مكان داخل قصر باديس، وصارت تصله أدق أخباره، يقول ابن عذاري: «وكانت له عيون عليه في قصره من نساء وفتيان شغلهم الملعون بالإحسان إليهم، والإنعام عليهم فكان لا يخفى عليه شيء من أمور باديس، من كل ما يجري في منزله من شراب وهو وجد وهزل إلا ويعلمه، ويُعلم اليهود به، فلا يكاد باديس يتنفس إلا ويعلم اليهودي ذلك»<sup>(783)</sup>.

وهذه الاحتياطات تمكن يوسف أن يحبط محاولة للتخلص منه، بدأ بتدبيرها بلقين بن باديس، وبدعائه وغدره تخلص من بلقين، ومن معظم الذين يعتقد أنهم يعادونه. يقول ابن بلقين عن قتل يوسف لأبيه: «فشرب يوماً عنده على عادته، فلم يخرج عنه، حتى قذف ما كان في جوفه، واستلقى على الأرض، فلم يستطع المشي إلى منزله إلا عن مشقة، ولبت يومين وجود بنفسه حتى مات»<sup>(784)</sup>، ويقول ابن عذاري: «وكان لباديس ولد اسمه بلقين، وكان عاقلاً نبيلاً فرشحه للأمر من بعده، ولقبه سيف الدولة، وكان له خاصة من المسلمين يخدمونه، وكان مبغضاً في هذا اليهودي، فبلغه أنه تكلم فيه عند أبيه، فبلغ ذلك من اليهودي كل مبلغ،

(779) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص233.

(780) م. ن، ق2، ص233.

(781) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.166.

(782) IBID, VOL.2, P.167.

(783) البيان المغرب، ج3، ص264؛ قارن: ابن الخطيب، الإحاطة، م1، ص440.

(784) التبيان، ص40.

ودبر الحيلة عليه، فدخل اللعين يوماً على الفتى، وقبل الأرض بين يديه، فقال له ما تريد، فقال له: يرغب عبدك منك أن تدخل داره مع من أحببت من رجالك يستشرف العبد بذلك، فدخل إليه، فقدم له ولرجاله طعاماً وشراباً وجعل السم في الكأس لابن باديس، فرام القيئ فلم يقدر عليه، فحمل إلى قصره، فقضى نحبه في غد يومه، ولم يعلم أبوه سبب موته، فقرر اللعين عنده أن أصحابه وبعض جواريه سموه، وتفرق أمره فقتل باديس من جواريه ولده ومن فتيانه وبني عمه جماعة كبيرة، وخافه سائرهم ففروا عنه»<sup>(785)</sup>.

وأصاب الغم والهم باديس بفقده ولده، وبقتله كثيراً من أقاربه وخاصته الذين ظن أنهم خانوه «وأقبل باديس على شرابه ليتسلى به عن مصابه»<sup>(786)</sup>، وخسر ولاء الكثير من رجال دولته، إذ «فروا عنه، وفسدت له قلوبهم، وخبثت ضمائرهم»<sup>(787)</sup>.

وصار اليهودي يصول ويجول في دولة باديس الذي كان لا يكاد يفيق من سكره، وأصبح هو الحاكم الفعلي لغرناطة. إذ يقول ابن الخطيب: «وعظم استيلاء اليهودي وزير باديس»<sup>(788)</sup>. ويقول ابن عذاري: «وصارت لليهود صولة على المسلمين في دولته»<sup>(789)</sup>. ويقول الشتريني: «وكان آخر أمره قد حجب صاحبه عن الناس، وسجنه بين الدن والكأس»<sup>(790)</sup>.

ويقول الأمير عبد الله بن بلقين: «وكبرت عند ذلك سن جدنا، وأخلد إلى الراحة، وزهد في طلب البلاد لكبر سنه، وموت ابنه، وألقى بمقاليدته إلى اليهودي في الخدمة عنه، فتمكن بما شاء من الأمر والنهي»<sup>(791)</sup>. وخشي الوزير اليهودي يوسف بن إسماعيل من وصول ماكسن بن باديس إلى السلطة بعد موت أبيه، فأراد التخلص منه أيضاً، وقد لاحظ ماكسن ذلك فقال له: «أتريد أن تقتلني كما قتلت أخي؟»<sup>(792)</sup>.

(785) البيان المغرب، ج3، ص 265-266.

توجد تفاصيل أكثر عن هذه الحادثة عند الأمير عبد الله بن بلقين، كتاب التبيان، ص 39-42.

(786) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص 265.

(787) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص 231.

(788) م. ن، ق2، ص 231.

(789) البيان المغرب، ج3، ص 265، 266.

(790) الذخيرة، ق1، م2، ص 767.

(791) التبيان، ص 42.

(792) م. ن، ص 48.

وخطط يوسف للتخلص من ماكسن مستفيداً من كونه سريع الغضب فافتري على أم ماكسن عند باديس، وأشهد على ذلك جماعة من أهل الدولة ممن يعادون ماكسن «حتى جعلته الأنفة من مكروهه مانقل إليه أن يأمر بقتل أمه وداياته وبعض من انتمى»<sup>(793)</sup>. ثم أقنع باديس أن ولده ماكسن يدبر للإطاحة به والاستيلاء على الحكم. فأوكل باديس لليهودي مسألة نفي ماكسن، فسلمه إلى مجموعة من العبيد، وأوصى أحدهم أن «يصل معه إلى موضع سماه بحيث يخفي أمره، فيضرب فيه عنقه»<sup>(794)</sup>. ويروي ذلك الأمير عبد الله بقوله: «وخرج عمنا على أسوأ حال، مذعوراً خائفاً بعضهم يشير بقتله، وبعضهم يأبى إلا إزاحته عن النظر كله، حتى صار ببعض الطريق، وأنحلَّ عن غمومه بهلاك اليهودي»<sup>(795)</sup>. كما بلغ السوء بيوسف بن إسماعيل أن قام بقتل خاله اليهودي أبي الربيع بن الماطوني غدرًا في مجلس شراب. وحتى لا يؤاخذه باديس على ذلك أسكته بمبلغ من المال. وأحد أسباب هذا القتل كما يروي الأمير عبد الله في مذكراته أن أم ماكسن كانت تترك التعامل مع يوسف وتلجأ إلى خاله «وكان قابض الوجيبة، فتخاطبه أبداً، وتطلب منه مالاً باسم السلف. فغار الوزير لذلك»<sup>(796)</sup>.

لم يكتفِ الوزيرُ بالخراب الذي أحله بمملكة غرناطة، بل قرر أن يواصل أعماله التخريبية، وأن يقيم لليهود دولة، يقول ابن عذاري: «وذلك أن هذا اللعين طلب أن يقيم لليهود دولة، فسدَّ إلى ابن صمادح صاحب المريّة في السرّ أن يدخله غرناطة، ويكون اليهودي في المريّة»<sup>(797)</sup>. ويقول الششتريني: «ووعده جاره ابن صمادح بالمريّة، أن يقعه مكانه، ويخلع على أعطافه سلطانه، فسرّب إليه ابن صمادح صميم الأموال، وجلا عليه وجوه الآمال، وإنما كان أراد أن يثلّ عرش الباديسي بالصمادحي، لما كان يعلم من كلاله، ويتيقن من قلّة استقلاله، وقد عزم ساعة يخلو له وجه ابن صمادح بعد باديس، أن يتمرّس بجانبه

(793) التبيان، ص 48. بمعنى أنه صار يأمر بقتل مربياته العاملات في القصر، وبعض من انتمى إلى أسرة بني زيري.

(794) التبيان، ص 49.

(795) م. ن، ص 49.

(796) م. ن، ص 48.

(797) البيان المغرب، ج3، ص 266.

، ويلحقه بصاحبه<sup>(798)</sup>. ويقول أيضاً: «وقد كان اليهودي ملك ابن صمادح أكثر حصون غرناطة باحتجاز أموالها، وإفساد قلوب رجالها، فأضافها ابن صمادح إلى بلده، وباديس لا يشعر بخروجها عن يده، واليهودي أثناء ذلك يريش وييري، وشفرتة في أديم صاحبه تحلق وتفري»<sup>(799)</sup>. ويقول ابن الخطيب: «وكثر فيه الأقوال، ورُمي بمداخلة ابن صمادح، صاحب المرية في تصيير ملك باديس إليه»<sup>(800)</sup>. أما الأمير عبد الله بن بلقين فيقول: «وكتب اليهودي إلى ابن صمادح يخبره بخروج القوم الغوغاء من المدينة، وأنه لم يبق فيها إلا من لا يؤبه له، ويحصدهم سيفه إذا دخلها، وأنه متهى لفتح أبوابها متى جسر وطرقها، وضيع النظر في سائر الحصون غير القواعد، وأهمل ما يرتقبون به من الرجال والعُد على وجه الغفلة حتى خلت، والمظفر [باديس] في هذا كله، لا خبر عنده إلا الإقبال على الشرب والدعة»<sup>(801)</sup>.

وتؤكد الدراسات اليهودية أن يوسف كان قد عزم فعلاً على إقامة دولة لليهود في المرية، يكون هو ملكاً عليها<sup>(802)</sup>. وتبين أنه أقدم على ذلك لأنه غير آمن على مستقبله ومستقبل قومه يهود غرناطة الذين قد يتعرّضون لانقلاب باديس أو من سيخلفه عليهم<sup>(803)</sup>، وتقول بأن يوسف رأى دولاً من حوله يحكمها الصقالبة والبربر مع أنهم ليسوا أكثرية، ووجد أنهم بجنود مرتزقة يخضعون هذه الدول، ويدين لهم سكانها، فأحب أن يقلدهم في ذلك<sup>(804)</sup>. كما تحدثت عن سبب اختياره المرية، وبينت أن ذلك لأنها مدينة صناعية غنية، وذات سواحل طويلة على البحر، تمكن اليهود من الاتصال بسهولة بيهود الخارج، كما تجعلهم قادرين على الهرب عبر البحر إذا تعرّضوا لهجوم، وعجزوا عن صدّه<sup>(805)</sup>.

(798) الذخيرة، ق1، م2، ص767-768.

(799) الذخيرة، ق1، م2، ص768-769.

(800) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص231.

(801) التبيان، ص53.

(802) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.182.

(803) IBID, VOL.2, P.178.

(804) IBID, VOL.2, P.178-179.

(805) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.181.

عن مميزات وأهمية مدينة المرية. ينظر: سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، (الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1984م)، ص13-50.

وبالرغم من أن ابن عذاري وحده من بين المصادر الإسلامية هو الذي ذكر صراحة أن يوسف كان يريد إقامة دوله يهودية في الميرية<sup>(806)</sup>، إلا أن عزم يوسف على إقامة دولة يمكن أن يفهم بوضوح من خلال الروايات الأخرى. إذ من غير المعقول أن يسلم يوسف أراضٍ وحصونٍ غرناطية لابن صمادح، ويعده بعرش غرناطة ويعرض نفسه لغضب المسلمين دون مقابل. بل إن رواية الشتريني تدلُّ على أنه كان يخطط للسيطرة على الميرية ثم القضاء على ابن صمادح، وضمَّ غرناطة إليه، وذلك بعد أن تكون الحرب قد أنهكت الطرفين<sup>(807)</sup>، «وقد عزم ساعة يخلو له وجه ابن صمادح بعد باديس أن يتمرس بجانبه، ويلحقه بصاحبه، كأنه نظر خبر عبید الله بن ظبيان حين وضع رأس المصعب [ابن الزبير] بين يدي عبد الملك بن مروان، فسجد عبد الملك، قال ابن ظبيان: فقمْتُ في ركابي، وأحسَّ بي ورفع رأسه وقال: ما الذي أردت أن تصنع؟ قلت: هممتُ أن أقتلك، فأكون قد قتلْتُ ملكي العرب في يوم واحد، فقال: لولا متنتك علينا برأس المصعب، لكان عنقك أهون ما يضرب. فأراد هذا اليهودي على انحطاطه عن الرجال، وانخراطه في سلك ربات الحجال، أن يستدرك على ابن ظبيان بقتل رئيسين من رؤساء ذلك الزمان»<sup>(808)</sup>.

ويبدو أن اختيار يوسف لابن صمادح من بين ملوك دول الطوائف لهذه المهمة يرجع إلى ضعفه عسكرياً، إذ من السهل أن يتغلب عليه بعد أن يقيم دولة يهودية في الميرية<sup>(809)</sup>، إضافة إلى نفوذ يوسف في الميرية، ومجاورتها لغرناطة، فضلاً عن مميزات الميرية التي ذكرت سابقاً.

تسرب خبر المؤامرة التي دبرها يوسف مع ابن صمادح لتسليم غرناطة مقابل أن تكون الميرية دولة لليهود، عن طريق بعض قادة جيش ابن صمادح، الذين احتلوا المناطق الشرقية والوسطى من مملكة غرناطة، دون أن يجدوا مقاومة تذكر<sup>(810)</sup>. وقد انتشر هذا الخبر بسرعة بين مسلمي غرناطة. ولأنهم لم يعودوا يرون باديس المحتجب في قصره، ظنوا أن وزيره اليهودي قد قام أيضاً بقتله، فامتلات نفوسهم غضباً على يوسف وحاشيته.

(806) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص266.

(807) الذخيرة، ق1، م2، ص767-768.

(808) الشتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص768.

(809) ينظر: ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.183.

(810) ASHOTR, THE JEWS, VOL.2, P.184.

وصلت أخبار المؤامرة إلى أبي إسحاق الإلييري، وكان قد أبعد عن غرناطة بأمر من يوسف<sup>(811)</sup>، فكتب قصيدة يحرض فيها باديس وقبيلة صنهاجة على الثورة على يوسف والمتسلطين اليهود. وقد انتشرت القصيدة بين المسلمين انتشاراً واسعاً، وزادت من غضبهم على اليهود<sup>(812)</sup>.

وتعدُّ قصيدة أبي إسحاق وثيقة مهمة مصورة لحال المسلمين واليهود في غرناطة تحت حكم وزيرها اليهودي يوسف بن إسماعيل، ولذلك فإنني سأوردها كاملة<sup>(813)</sup>:

<p>ألا قل لصنهاجة أجمعين مقاللة ذي مقلة مشفق لقد زل سيدكم زلة تخير كاتبه كافراً فعز اليهود بها وانتخوا ونالوا منهاهم وجازوا المدى فكم مسلم راهب راغب وما كان ذلك من سعيهم فهلا اقتدي فيهم بالأولى وأنزلهم حيث يستاهلون وطافوا لديننا بأفواجهم ولم يستخفوا بأعلامنا أباديس أنت امرؤ حاذق فكيف تحب فراخ الزنا وكيف استنمت إلى فاسق وقد أنزل الله في وحيه فلا تتخذ منهم خادماً</p>	<p>بدور الزمان وأسد العرين يعدُّ النصيحة زلفى ودين تقرُّ بها أعين الشامتين ولو شاء كان من المؤمنين وتأهوا وكانوا من الأرذلين وقد جاز ذاك وما يشعرون لأرذل قرد من المشركين ولكن منا يقوم المعين من القادة الخيرة المتقين وردهم أسفل السافلين عليهم صغار وذل وهون ولم يستطيلوا على الصالحين تصيب بظنك مرمى اليقين وقد بغضوك إلى العالمين وقارنته وهو بسئس القرين يحذر من صحبة الفاسقين وذرههم إلى لعنة اللاعنين</p>
---	---

(811) ابن سعيد الأندلسي، المغرب، ج2، ص132-133، ترجمة رقم: 444. IBID, VOL.2, P.186.

(812) ابن سعيد الأندلسي، المغرب، ج2، ص133، ترجمة رقم: 444.

(813) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص231-233.

فقد ضجت الأرض من فسقهم  
وكيف انفردت بتقريبهم  
على أنك الملك المرتضى  
وأن لك السبق بين الورى  
وإني احتللت بغرناطنة  
وقد قسموها وأعمالها  
وهم يقبضون جباياتها  
وهم يلبسون رفيع الكسا  
وهم أمناكم على سرهم  
ويأكل غيـرهم درهماً  
وقد ناهضوكم إلى ربكم  
وقد لابسوكم بأسـحارهم  
وهم يذبـحون بأسواقنا  
ورخـم قـردهم داره  
وصارت حوائجنا عنده  
ويضحك منا ومن ديننا  
ولو قلت في ماله إنه  
فبادر إلى ذبحه قربـة  
ولا ترفع الضغط عن رهطه  
وفرّق عـراهم وخـذ مالهم  
ولا تحسبن قتلهم غـدرة  
فقد نكثوا عهدنا عندهم  
وكيف تكون لنا همـة  
ونحن الأدلة من بينهم  
فلا ترصّ فينا بأفعالهم  
وراقب إلهك في حزبـه

وكادت تميدُ بنا أجمعين  
وهم في البلاد من المبعدين  
سليل الملوك من الماجدين  
كما أنت من جلة السابقين  
فكنت أراهم بها غابـثين  
فمنهم بكل مكان لعين  
وهم يخصمون وهم يقصمون  
وأنتم لأوضاعها لابسون  
وكيف يكون أميناً خـؤون  
فَيَقْصِي وَيُذْنُونُ إِذْ يَأْكُلُونَ  
فما يمنعون وما ينكون  
فما تسمعون ولا تبصرون  
وأنتم لإطـريرفهم آكلون  
وأجرى إليـها نـمير العيون  
ونحن على بابـه قائمون  
فإننا إلى ربنا راجعون  
كمالك كنت من الصادقين  
وضحّ به فهو كبش سمين  
فقد كنزوا كل علقِ ثمين  
فأنتم أحق بما يجمعون  
بل الغدر في تركهم يعثون  
فكيف تلام على الناكثين  
ونحن خمول وهم ظاهرون  
كأننا أسأنا وهم يحسنون  
فأنت رهين بما يفعلون  
فحزب الإله هم المفلحون



التقى يوسف بعدد من رجال حاشيته مساء الجمعة (10 - صفر - 459هـ = 30 - 12 - 1066م) في بيت مؤقت اتخذته بالقرب من قصر باديس. وكان الخوف يسيطر على المجتمعين، بسبب حالة الغضب الشديد بين مسلمي غرناطة، والتي أججت قسيدة أبي إسحاق الإليري. وكان من بين رجال يوسف عبيد مسلمين يخفي بعضهم كرههم له. وقد حاول يوسف أن يهدئ رجاله ويطمئنهم، فقدم إليهم الطعام والخمر، وأخبرهم أن جيش ابن صمادح على وشك دخول المدينة<sup>(814)</sup>، فقال له أحد العبيد المسلمين: «قد علمنا هذا، فأخبرنا على تسويغك هذه الإنزالات، أهو مولانا حي أم ميت؟»، فرد عليه بعض حاشية اليهودي، ووبخه على قوله، فأنف ذلك العبد وخرج فاراً على وجهه، وهو سكران يصيح بالناس ويقول: يامعشر من سمع بالمظفر [باديس]، قد غدره اليهودي، وهذا ابن صمادح داخل في البلدة، فتسامع لذلك الناس أجمع خاصتهم وعامتهم وأتوا عازمين على قتل اليهودي فتحيل على المظفر حتى أخرجه إليهم، وقال: هذا سلطانكم حي، ورام الرئيس تسكينهم فلم يقدر، واتسع الخرق على الراقع، وهرب اليهودي بنفسه إلى داخل القصر، واتبعته العامة<sup>(815)</sup>. فلجأ إلى غرفة الفحم وسود به وجهه وتنكر حتى لا يعرف، لكنهم عرفوه وقتلوه<sup>(816)</sup>.

وتقول المصادر اليهودية: إن المسلمين هاجموا القصر في اليوم التالي، وسحبوا جثة يوسف عبر شوارع غرناطة وعلقوه بالقرب من باب المدينة، ثم توجهوا إلى دور اليهود وفتكوا بهم ونهبوا دورهم وأموالهم<sup>(817)</sup>.

وتحتوي المصادر الإسلامية على تفاصيل متشابهة عن هذا الموضوع<sup>(818)</sup>. إذ يقول الشنتريني: «فلما كان اليوم الذي أراد الله فيه إزالة نعمته عنه، وإراحة عباده وبلادهم منه، نذر به أولئك المغاربة، فأعلنوا بالصياح، وثاروا إلى السلاح، وأتى الصريخ بقية الجند، وعامة أهل البلد، ونادى مناديتهم: غدر اليهودي وخان، وطاح المظفر وحان، فدخلوا القصر من كل باب، وهتكوا حرمة اليهودي دون حجاب، فقتل في بعض خزائن الفحم...»

(814) ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.187-189

(815) ابن بلقين، التبيان، ص 54؛ ينظر: ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.187-189.

(816) الشنتريني، الذخيرة، ق 1، م 2، ص 769، ابن عذاري، البيان المغرب، ج 3، ص 266؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 266.

(817) ينظر: HBEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.852.

(818) ابن عذاري، البيان المغرب، ج 3، ص 231، 266؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م 1، ص 440؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق 2، ص 233.

وقد استطال الناس على يهود، وقُتل منهم يومئذ نيف على أربعة آلاف، ملحمة من ملاحم بني إسرائيل، باءوا بذلها، وطال عهدهم بمثلها. ورجع ابن صمادح قد صفرت يدها، وأخلفه ما تمناه، وانقلب اليهودي مذموماً مدحوراً، لم يتمتع بدنياه، ولا خلص إلى ما رجاه<sup>(819)</sup>. ويقول المقري: « فثارت إذ ذاك صنهاجة على اليهود، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وفيهم الوزير المذكور<sup>(820)</sup> ».

وبمقتل يوسف بن إسماعيل بن نغدله ومعظم رجالات اليهود في غرناطة، فقد اليهود مركزهم الثاني في الأندلس، وكانوا قد فقدوا مركزهم الأول في قرطبة بانتهاء عصر الخلافة، وانتقل من تبقى من يهود غرناطة إلى إشبيلية التي أصبحت المركز الثالث لليهود الأندلس بعد غرناطة<sup>(821)</sup>.

لم يكن إسماعيل وولده يوسف هما اليهوديان الوحيدان في الأندلس اللذان يحصلان في دويلاتها في عصر الطوائف على منصب كبير. فقد كان وزير صاحب المرية ابن صمادح يهودياً<sup>(822)</sup>، ووزير المقتدر بن هود في سرقسطة يهودياً يُدعى أبو الفضل حسداي ابن يوسف<sup>(823)</sup>، وليس يهود غرناطة وحدهم هم الذين حصلوا على وظائف مهمة في ذلك العصر، وتسَلَّطوا على المسلمين. فقد حصل عليها يهود آخرون في دويلات أخرى، ومارسوا تسلَّطهم على المسلمين بدرجات متفاوتة<sup>(824)</sup>. ومثلما استنكر مسلمو غرناطة هذا التسلط ورفضوه، استنكره أيضاً المسلمون في تلك الدويلات. وعبروا عن رفضهم له بطرق مختلفة.

(819) الذخيرة، ق1، م2، ص769.

(820) نفع الطيب، م4، ص322.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.622; (821)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.194.

(822) الضبي، بغية الملتبس، ص345.

(823) الشتريني، الذخيرة، ق1، م1، ص27-28؛ السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، ص128؛ ابن سعيد الأندلسي، المغرب، ج2، ص441، ترجمة رقم: 627.

(824) الشتريني، الذخيرة، ق2، م2، ص562؛ السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، ص33، 38؛ ياقوت، معجم البلدان، م3، ص145، 146.

فهناك حادثة وقعت في المرية، أشرنا لها سابقاً، تبين أن أحد فقهاء المشهورين ويُدعى عبد الله بن سهل بن يوسف (ت: 480هـ=1087م) قد رأى وزيرها اليهودي، يستحم في حمام للمسلمين وبين يديه صبي يخدمه اسمه محمد، واليهودي يناديه يا محمد! ، فغضب الفقيه، إذ لاحظ أن الوزير اليهودي يتعمد أن يصغر اسم محمد إهانة للرسول ﷺ وللمسلمين، وقام بضرب اليهودي بحجر على رأسه فقتله<sup>(825)</sup>.

ومرَّ أبو حفص العروضي الزكري بدانية، فطولب بمكس كان يتولاه يهودي، فأزعجه ذلك، واستنكره بقوله:

يا أهل دانية لقد خالفتم	حكم الشريعة والمرّة فينا
مالي أراكم تأمرون بضدّ ما	أمرت به ترى نسخ الإله الدينا
كنا نطالب لليهود بجزية	وأرى اليهود بجزية طلبونا
ما إن سمعنا مالكا أفتى بذا	لا ولا من بعده سـحـنونا
هذا ولو أن الأئمة كلهم	حاشاهم بالمكس قد طلبونا
ما واجب مثلي يمكّس عدله	لو كان يعدل وزنه قاعونا
ولقد رجونا أن ننال بمدحكم	رفداً يكون على الزمان معينا
فالآن نقنع بالسلامة منكم	لا تأخذوا منا ولا تعطونا <sup>(826)</sup>

كما عبر شعراء أندلسيون آخرون عن رفضهم لتولية يهود على رقاب المسلمين فقال الحسن بن الجعد:

تحكمت اليهود على الفروج	وتاهت بالبغال وبالسروج
وقامت دولة الأندال فينا	وصار الحكم فينا للعلوج
فقل للأعور الدجال هذا	زمانك إن عزمت على الخروج <sup>(827)</sup>

\*\*\*

(825) الضبي، بغية الملتمس، ص 345-346.

(826) السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، ص 33، 38.

(827) الششتري، الذخيرة، ق 2، م 2، ص 562.

وقال ابن عتبة الإشبيلي عندما سُئل عن حاله في مصر بعد أن رحل إليها من سرقسطة التي كان أبو الفضل حسداي بن يوسف يشغل فيها منصب الوزير للمقتدر بن هود:

أصبحت في مصر مستضاماً      أرقص في دولة القـرود  
واضيعة العمر في أخيرٍ      مع النصارى أو اليهود  
بالجدّ رزق الأنعام فيهم      لا بذوات ولا جـدود  
أودُّ من لؤمهم رجوعاً      للغرب في دولة ابن هود<sup>(828)</sup>

وغضب الشاعر أبو القاسم خلف بن فرج الليبيري المعروف بالسميسير، عندما قام باديس بتولية نصراني يدعى أبا الربيع، بعد ثورة مسلمي غرناطة على الوزير اليهودي يوسف بن إسماعيل وقتله<sup>(829)</sup>. وعبر الشاعر عن سخطه، وسخط مسلمي غرناطة، بنظم ثلاثة أبيات شعرية، وكتابة نسخ عدة منها، وإلقائها في طرقات وشوارع غرناطة، وسار من ساعته إلى المرية معتصماً بأمرها المعتصم بن صمادح، وطارأت الأبيات في أقطار الأندلس، ولما وقف باديس عليها، أرسل وراءه أصحاب الخيل فقاتهم ولم يلحقوه. والأبيات هي:

كل يوم إلى ورا      بُدّل البول بالخرأ  
فزماناً تهـوداً      وزماناً تنصّـرا  
وسيصبـو إلى المجـو      س إن الشـيخ عمّـرا<sup>(830)</sup>

إنّ تولية يهود على رقاب المسلمين في بعض دويلات الطوائف، لا يمكن أن يُعدّ تسامحاً، بل هو في رأيي انحراف عن شريعة الإسلام التي نهت المسلمين عن موالاته اليهود والاستعانة بهم. والنصوص الشرعية التي تبين ذلك كثيرة، نذكر منها قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(831)</sup>.

(828) المقرئ، نفع الطيب، م، 2، ص 663-664.

(829) ابن بلقين، التبيان، ص 66.

(830) السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، ص 83-84.

(831) سورة المائدة، آية: 51.

وقول الرسول ﷺ: «لا تأمنوهم إذ خونهم الله»<sup>(832)</sup>، وقوله للأَنْصار الذين قالوا له يوم أحد ألا نستعين بحلفائنا من يهود: «لا حاجة لنا فيهم»<sup>(833)</sup>، وكتب أحد عمال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتاباً إليه يقول فيه: إن المــــــــــــــال قـــــد كثر ، وليس يحصيه إلا هم، فاكتب إلينا بما ترى ، فكتب إليهم: «لا تدخلوهم في دينكم، ولا تسلموهم ما منعهم الله منه، ولا تأمنوهم على أموالكم، وتعلموا الكتابة، فإنما هي حلية الرجال»<sup>(834)</sup>.

---

وقد لاحظنا ما جناه مسلمو الأندلس في بعض دويلات عصر الطوائف من وراء هذا الانحراف. لقد أهينوا وأهين دينهم، وصاروا محكومين لليهود مع أنهم يعيشون في دار الإسلام وتحت حكمه، وصار بعض الضعفاء والجبناء من المسلمين مضطرين لنفاق اليهود ورؤسائهم ومدحهم مدحاً وصل في بعض الأحيان إلى حدّ الكفر، كقول ابن خيرة لإسماعيل بن نغدلة:

أدين بدين السبت جهرًا لديكم وإن كنت في قومي أدين به سرًّا (835)

وكانت نتائج هذا الانحراف سيئة أيضاً على يهود الأندلس أنفسهم، فبعد أكثر من ثلاثة قرون من العلاقات الحسنة بين السلطة واليهود في الأندلس في العهد الأموي، عاشها المسلمون في ظل الالتزام بشريعتهم، وعاشها اليهود ملتزمين بعهودهم، حدث لليهود في غرناطة مذبحة كبيرة، قام بها عامة المسلمين ردًّا على تجاوزات اليهود الكثيرة وتسلبهم الكبير الذي ما كان له أن يحدث لولا الانحراف الذي أوصلهم إلى المناصب العليا.

والمسؤول الأول عن هذا الانحراف ونتائجه على المسلمين واليهود هم الحكام المنحرفون عن شريعة الله، فهم الذين «وكلوا أمور المسلمين إلى اليهود، فعاثوا فيهم عيث الأسود وجعلوهم حجاباً ووزراء وكتاباً»<sup>(836)</sup>. وقد تحدّث ابن حزم عن هؤلاء الحكام المنحرفين الذين عاصروهم بقوله: «إن كل مدبر مدينة أو حصن في شيء من أئدلسنا هذه، أولها عن آخرها، محارب لله تعالى ورسوله

(832) أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين، الأحكام السلطانية، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، ص 32.

(833) مالك وآخرون، المدونة، م2، ج3، ص40-41.

(834) ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ق1، ص210-211.

(835) الشنتريني، الذخيرة، ق 1، م 2، ص 765.

(836) ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص 78.

وساع في الأرض بفساد؛ والذي ترونه عياناً من شَنِّهم الغارات على أموال المسلمين من الرعية التي تكون في ملك من ضارَّهم، وإباحتهم لجندهم قطع الطريق على الجهة التي يقضون على أهلها، ضاربون للمكوس والجزية على رقاب المسلمين، مسلَّطون لليهود على قوارع طرق المسلمين في أخذ الجزية والضريبة من أهل الإسلام، معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرَّم الله، غرضهم فيها استدّام نفاذ أمرهم ونهيمهم<sup>(837)</sup>.

ووصف ابن الكردبوس هذا النوع المنحرف من الحكام الذين صار اليهود في عهدهم وزراء وموظفين كباراً يتحكمون بالمسلمين ويسخرون من دينهم بقوله: « وضعف بعضهم عن بعض إلا بمعونة الروم، فبدلوا للفنش ما يحبه من الأموال، ليعينهم على مناوئتهم بأنجاد الرجال، واللعين في أثناء ذلك لما بينهم من الفتنة مسرور، وهم مع ذلك مشغلون بشرب الخمر، واقتناء القيان وركوب المعاصي وسماع العيدان، وكلُّ واحد منهم يتنافس في شراء الذخائر المملوكية متى طرأت من المشرق كي يوجهها إلى الفنش هدية، يتقرب بها إليه<sup>(838)</sup>.

وتعبّر رواية أخرى لابن الكردبوس عن معدن هذا النوع من الحكام، إذ بيّن أن ابن رزين حسام الدولة صاحب شتمرية، حمل الهدايا النفيسة، وتوجّه بها إلى الملك الأسباني ألفونسو ليهنته على احتلاله لطليطلة، فجازاه ألفونسو بإعطائه قرداً، احتقاراً له، لكن حسام الدولة عدّ ذلك مفخرة له<sup>(839)</sup>.

وقد هان هؤلاء الحكام حتى على أعدائهم، إذ روي أن ألفونسو قال لابن مشعل اليهودي رسول ابن عبّاد إليه: « كيف أترك قوماً مجانين، تسمّى كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم وأمرائهم المعتضد والمعتد والمعتصم والمتوكل والمستعين والمقتدر والأمين والمأمون، وكل واحد منهم لا يسأل في الذب عن نفسه سيفاً، ولا يرفع عن رعيته ضيماً ولا حيفاً، قد أظهروا الفسوق والعصيان واعتكفوا على المغاني والعيدان؟ وكيف يحلّ لبشر أن يقرّ منهم على رعيته أحداً، وأن يدعها بين أيديهم سدى<sup>(840)</sup>.

(837) ابن حزم الأندلسي، الرد على ابن النغريلة اليهودي، ورسائل أخرى، ص 173-174.

(838) الاكتفاء، ص 77.

(839) م. ن، ص 88.

(840) الاكتفاء، ص 89.

إن هذا النوع من الأحكام هم الذين مكنوا اليهود من رقاب المسلمين ، وتركوهم يعيشون فساداً في ديارهم. ومن ضيَّع دينه لا يهमे بعده أعراض للمسلمين تنتهك، ولا حرمان لهم تُدنَّس ، ولا يهتم إلا بشهواته الرخيصة فقط.

وإن ما أصاب بعض مسلمي الأندلس من ذلٍّ وهوان على أيدي اليهود في عصر الطوائف وما حلَّ باليهود أنفسهم ، كان نتيجة طبيعية للانحراف عن أحكام الشريعة الإسلامية التي شرعها الله سبحانه وتعالى، لتحقيق للملتزمين بأحكامها من المسلمين السعادة والعزة والحياة الفاضلة، ولمن رضي بالعيش تحت حكمها من غير المسلمين ، وعمل بأحكامها ، العدل والأمن والتسامح. ولن يجني المنحرفون عنها إلا التعاسة والشقاء والخسران المبين. ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هَذَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١١٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴿٨٤١﴾.

تولى ملك غرناطة بعد باديس ابن ابنه عبد الله وهو ابن بلقين الذي سبق أن قتله يوسف بالسم<sup>(٨٤٢)</sup>، وقد سمح لليهود بالعودة إلى غرناطة، ومنع أي اعتداء عليهم<sup>(٨٤٣)</sup>. وقد امتنع يهود أليسانة التابعة له عن دفع الجزية المفروضة عليهم، حوالي سنة (483هـ=1090م)<sup>(٨٤٤)</sup>.

ويروي الأمير عبد الله هذه الحادثة في مذكراته، ويبين أن هناك سببين لامتناع اليهود عن دفع الجزية. يقول: إن أولهما يرجع إلى أننا «فرضنا على أهل أليسانة ذهباً كثيراً باسم التقوية، لم تجر عاداتهم به، وحملناهم في ذلك على الصحة والانطباع فنفرت لذلك أنفسهم»<sup>(٨٤٥)</sup> وثانيهما: قيام الأمير عبد الله باستدعاء ابن أبي الربيع اليهودي ليدله على أموال الدولة التي تبين أن والده أبو الربيع قد سرقها عندما كان خازناً للأموال في عهد باديس بن حبوس. وقد عرف ذلك بعد أن وجد المسلمون صندوقاً مملوءاً بالذهب في دار أبي الربيع أثناء حفرهم لأساس سور يتصل بالحمراء، أمر ببنائه الأمير عبد الله. وكان ابن أبي الربيع صهراً لليهودي ابن ميمون الذي عينه الأمير عبد الله مسؤولاً عن جمع الجزية من يهود أليسانة،

(٨٤١) سورة طه، آية: ١٢٣-١٢٤.

(٨٤٢) ابن بلقين، التبيان، ص 40.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.193. (٨٤٣)

H. BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550. (٨٤٤)

(٨٤٥) التبيان، ص 131.

فقام ابن ميمون بمنع ابن أبي الربيع من الاستجابة للدعوة خوفاً عليه من التعذيب، وقام بتحريض اليهود على العصيان. «وجد ابن ميمون المذكور السبيل إلى إغرائهم، وحملهم على النفاق، فأجابوه، ودخلوا في السلاح، ونادى فيهم أن: جدوا معشر بني إسرائيل في حماية أموالكم»<sup>(846)</sup>.

وكان لابد من إنهاء هذا العصيان، ومعاقبة ابن ميمون الذي سبق أن ارتكب جريمة أخرى، عندما أقدم على قتل عامل الأمير ابن أبي لولا؛ أرسل الأمير عبد الله جيشاً إلى أليسانة، تحت قيادة رجل يدعى مؤمل، ففرض حصاراً عليها، وقبل أن يقتحمها حدثت مفاوضات بينه وبين ابن ميمون<sup>(847)</sup>، مثل اليهود فيها الحبر إسحاق بن غياث<sup>(848)</sup>. وقد تم الاتفاق على أن يدفع يهود أليسانة الجزية وأن ترفع عنهم الأموال التي فرضت عليهم زيادة عليها. وعندما رجع مؤمل بجيشه التقى بالأمير عبد الله الذي كان قد خرج إليه بنفسه على رأس جيش آخر، ليسهم في القتال ضد يهود أليسانة، وشرح مؤمل للأمير تفاصيل الاتفاق، ونصحه بالعودة، خشية من قيام ابن ميمون باستدعاء المعتمد بن عباد الذي صار قريباً من أليسانة عندما ضم إليه قرطبة، وكان ابن ميمون يشجع يهود أليسانة على الصمود بقوله: إنه سيستدعى ابن عباد ويدعمه ليسقط دولة غرناطة، ويضمها لمملكته. وأخذ الأمير بنصيحة مؤمل ليس خوفاً من التحالف الذي يهدد به ابن ميمون، إذ كان يستبعد أن يستجيب ابن عباد لليهود، وإنما لأن ما حدث من حصار لأليسانة كان كافياً لإرهاب يهودها المتمردين<sup>(849)</sup>. لكنه قرر أن ينتهج أسلوباً جديداً في التعامل مع ابن ميمون ومع يهود أليسانة مستفيداً من كره هؤلاء اليهود لابن ميمون، الذي ظلمهم عندما «استمال بها أقواماً من الغرباء، يصول بهم على أهل ملته»<sup>(850)</sup>.

(846) م. ن، ص 131.

(847) م. ن، ص 131.

(848) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 62.

(849) ابن بلقين، التبيان، ص 131.

(850) م. ن، ص 131.



وهو يحدثنا عن سياسته الجديدة معهم وكيفية قضائه على ابن ميمون بقوله: «ووجست نفسي من ابن ميمون لإظهاره الخلاف والإعلان بذلك، وعلمت أن هذه هدنة على دخن، وأن لا طاعة تصح لي معه، وسيؤثر أمثال هذه، فدبت إليّ المداخلة من اليهود المخمولين في زمانه، ووعدتهم بالإحسان، وتكرر في الوساطة ابن سيعي، حتى أبرمت من ذلك ما أملت. وكان أخذ ابن ميمون يسيراً. لا عصبه له، وهو غافل. وكان الوساطة أيضاً ابن المرة مع أبي العباس الحكيم. وكان ذلك مما نقمه مؤمل لانحياشه عن ذلك، إلى أن وردوا الحضرة على عاداتهم، وأمرت بثقافه مع ابنه برضاء من الشيوخ، وأمرت أن لا زعيم فيهم بعد اليوم إلا الكل منهم أمناء مَنُوهُ بهم، فشكروا ورضوا. وخاطبت عامتهم نُعلمهم بما لهم في ذلك من الصلاح. وتهدنت الأحوال وقرت إلى أن تلف الكل»<sup>(851)</sup>.

أما عن علاقة اليهود بالسلطة في إشبيلية التي أصبحت أهم مركز لليهود في الأندلس بعد التمزق الذي حل بيهود غرناطة، فيمكن التعرف عليها من خلال المعلومات القليلة التي تقدمها كل من المصادر الإسلامية واليهودية.

يروي الشنتريني أن مسلماً بطش بيهودي وجرحه وحرك عليه العامة وسط السوق في إشبيلية، بحجة أن هذا اليهودي سبَّ شريعة الإسلام. فقام صاحب المدينة عبد الله ابن سلام بالقبض على المسلم وحبسه، فأنكر الناس عليه ذلك، وأظهروا تدمراً من تصرفه، فخاف ابن سلام وأرسل إلى حاكم إشبيلية المعتمد بن عباد الذي كان في قرطبة، يستشيريه ويطلب تعليماته، فسارع المعتمد إلى إرسال ولده سراج الدولة إلى إشبيلية، وبعث معه جيشاً كثيفاً يضم نخبة من علمائه وخيرة رجاله ووزيره الوليد بن زيدون، بالرغم من مرضه. وكان القصد من إرسال هؤلاء إلى إشبيلية تهدئة العامة، والحيلولة دون حدوث اعتداء على يهود المدينة، أو على حاكمها الذي عاقب المسلم وترك اليهودي<sup>(852)</sup>.

(851) م. ن، ص 132.

(852) الذخيرة، ق 1، م 1، ص 418.

إن تصرف كل من عبد الله بن سلام والمعتمد بن عباد في هذه القضية يدل على حرص حكومة إشبيلية على العدل، وبالرغم من كون القضية بين مسلم ينتصر للشرعية، ويهودي يعتدي عليها، وبالرغم من أن الحاكم كان مسلماً، ويغضبه أن تمس الشريعة بأذى، إلا أنه سجن المسلم الذي ثبت عليه البطش باليهودي. لأن معاقبة المذنبين يهوداً أو مسلمين ليست من اختصاص أحد غير الدولة. وقانونها الإسلامي يقضي برفع الشكاوى إلى القاضي المسلم الذي يتحقق من صحتها إما باعتراف المتهم، أو بشهادة أخرى، فإذا ثبتت التهمة فعندئذ يتولى القاضي نفسه تقرير العقوبة. وأعتقد أن عدم وجود شاهد آخر على تهمة اليهودي هو الذي دفع ابن سلام إلى تركه. وما يفهم من رواية الشتريني أن التهمة لم تكن ثابتة ولذلك قال: «فزعم أنه سب الشريعة»<sup>(853)</sup>.

ولأن دولته كانت حريصة على العدل الذي يضمن لأهل الذمة الحماية، والأمان ولا يجيز معاقبتهم جميعاً بجرم أحدهم، سارع المعتمد إلى احتواء تلك الفتنة بكل ما أوتي من قوة، وذلك من أجل أن يمنع حدوث تطورات في إشبيلية قد تنزل باليهود كارثة، كتلك التي حدثت في غرناطة منذ عهد قريب، وتسبب في وقوعها غياب السلطة الحازمة التي تمنع اليهود من نقض عهودهم وتجاوز حدودهم، ولا تتجاهل مشاعر المسلمين وتذمرهم. وكان المعتمد حريصاً أيضاً على تهدئة اليهود الذين بطش بواحد منهم وجرح دون أن تثبت للدولة جريمته. ولذلك أصر على إرسال وزيره أبو الوليد بن زيدون، بالرغم من مرضه؛ لأنه خبير بالسياسة، وبشؤون أهل الذمة أيضاً، إذ سبق للمعتمد أن «قدمه إلى النظر على أهل الذمة، لبعض الأمور العارضة»<sup>(854)</sup>. فحقق في هذا المجال نجاحاً كبيراً، إذ يصفه الشتريني بأنه صاحب «اشتداد في رعاية متقادم الذمة»<sup>(855)</sup>.

(853) الشتريني، الذخيرة، ق 1، م 1، ص 418.

(854) الشتريني، الذخيرة، ق 1، م 1، ص 337.

(855) م. ن، ق 1، م 1، ص 419-420.

وقد سُمح لليهود بالخدمة في قصور بني عباد ملوك إشبيلية ذوي النسب العربي، فعمل الحبر اليهودي إسحاق بن باروخ بن الباليه منجماً لدى المعتضد (415-462هـ = 1024-1069م)<sup>(856)</sup>. كما خدم لديه أيضاً جوزيف بن ميغاش، وهو أحد الهاربين اليهود من غرناطة<sup>(857)</sup>. وعندما تولى المعتمد بن عباد حكم إشبيلية، قام باستدعاء إسحاق بن باروخ الباليه للعمل لديه منجماً، ثم قام بتعيينه رئيساً للطائفة اليهودية في مملكته<sup>(858)</sup>. فتولى جمع وتسليم الجزية المفروضة على اليهود للدولة. فأصبح إسحاق من أثرياء اليهود في إشبيلية، وصار الطلاب والمثقفون اليهود الذين يفدون لطلب العلم في هذه المدينة المزدهرة المتحضرة، يحظون بدعمه ورعايته<sup>(859)</sup>، كما استعمل إسحاق مركزه الذي منحه له المعتمد، في إنشاء مكتبة ضخمة، أنفق عليها أموالاً كثيرة، ووظف العديد من اليهود ليجمعوا له الكتب، وتمكن بماله وبجهود موظفيه من جمع كثير من كتب مكتبة يوسف بن إسماعيل التي فقدت في أحداث غرناطة<sup>(860)</sup>.

وكانت بعض العائلات اليهودية الإشبيلية الثرية مقربة من حكام إشبيلية، وحصل بعض أبنائها على وظائف حكومية، مثل عائلة كامنيل التي ظلت قريبة من السلطة لمدة طويلة. وعائلة ابن مهاجر التي ينتمي إليها أبو إسحاق إبراهيم بن مير بن مهاجر، الذي شغل منصباً مهماً في حكومة إشبيلية، ومنح لقب الوزير إضافة إلى ألقاب رنانة أخرى. وقد مدحه الشعراء اليهود المعاصرون له، وعدّوه مخلصاً لشعبه، وراعياً للطوائف اليهودية في مملكة إشبيلية والبلدان البعيدة أيضاً. وكان أبو إسحاق عالماً ومتمرساً بالتعاليم اليهودية وخبيراً بعلم الفلك. وسخر سلطاته لفرض الانضباط الديني على يهود إشبيلية<sup>(861)</sup> وثمة عائلة أخرى احتلت موقع التقدير بين يهود إشبيلية في ختام القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وهي عائلة ابن يانوم، لكنها لم تكن مقربة من حكام إشبيلية<sup>(862)</sup>.

H. BEINART, SEVILLE. ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201. (856)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.173 (857)

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.629.

DUBNOV. HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.629; 487، 25م (858) الموسوعة العبرية،

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3. P.170.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.170. (859)

H. BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL. 14, P.1201.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.170. (860)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.172. (861)

IBID, VOL, 3, P.172; BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL, 14, P.1201. (862)

لقد تدفق اليهود من معظم مناطق الأندلس والخارج إلى إمارة إشبيلية للاستقرار في ظل الحرية والتسامح والازدهار الاقتصادي والثقافي الذي وفره الحكام من بني عباد، لجميع السكان على اختلاف عناصرهم وأديانهم، فزادت أعداد اليهود هناك زيادة كبيرة<sup>(863)</sup>.

وبالرغم من قلة مشاركة اليهود في الأحداث السياسية التي مرت بها إمارة إشبيلية إلا أنهم لم يغبوا عنها تماماً. فبعد أن ضعفت دولة بني جهور في قرطبة نتيجة للصراع على حكمها بين الأخوين عبد الرحمن وعبد الملك ابني محمد بن جهور، طمع في السيطرة عليها كل من المأمون بن ذي النون حاكم طليطلة، والمعتمد بن عباد حاكم إشبيلية، وتمكن حكم بن عكاشة من السيطرة على المدينة، وفتح أبوابها لابن ذي النون، الذي دخلها ثم ما لبث أن توفي، فاستنجد أهل قرطبة بابن عباد، وعندما دخلها هرب حكم بن عكاشة، وتمكن منه يهودي من رجال قرطبة فقتله عند قنطرتها، وذلك سنة (467هـ=1075م)<sup>(864)</sup>. ولم يخبرنا ابن الخطيب صاحب هذه الرواية بدوافع اليهودي من قتل ابن عكاشة، ولا بالكيفية التي تم فيها الحادث. ولكن تزامنه مع دخول ابن عباد إلى قرطبة، ومع هروب ابن عكاشة منها يؤكد على أن دوافع سياسية تقف وراءه، وهي على الأغلب رغبة هذا اليهودي في تسجيل موقف لليهود يحفظه لهم ابن عباد.

وقد شغل اليهود مناصب مهمة ووظائف حكومية في دول أخرى داخل الأندلس أثناء عصر الطوائف. ففي سرقسطة صار أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي وزيراً في عهد حاكمها المقتدر بالله بن محمد بن هود الجذامي (438-474هـ=1016-1081م)<sup>(865)</sup>. وكان حسداي يزعم أنه من ولد النبي موسى عليه السلام، وقد أعلن إسلامه<sup>(866)</sup>.

(863) ينظر: IBID, VOL, 3, P.171.

(864) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص 159.

(865) الشنتريني، الذخيرة، ق3، م1، ص 458-459؛ السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، ص 128.

(866) المقرئ، نفح الطيب، م3، ص 293-294.

لكن روايات المؤرخين المسلمين عن دوافعه وممارساته، تشككنا في صدقه، إذ يقول الشنتريني: «وذهبوا أن جارية ذهبت بلبه، وغلبته على قلبه، فجن بها جنونه، وخلع إليها دينه، وعلم بذلك صاحبها، فزفها إليه ووضع زمامها بين يديه، فتجافى عن موضعه من وصلها، أضيع ما كان بين دلالها ودلها، أنفةً من أن يظنّ الناس أن إسلامه كان من أجلها، فحسن ذكره، وخفي على كثير من الناس أمره»<sup>(867)</sup>.

وكان صديقه المسلم أبو الفضل بن الدباغ الذي عرفه عن قرب يلمح في حديثه إليه، وتندرته عليه أنه لم يكن إلا مدّعياً للإسلام<sup>(868)</sup>.

وقد استطاع حسداي بن يوسف بما أوتي من ذكاء وبلاغة أن يحظى بمكانة مرموقة لدى حاكم سرقسطة المقتدر بالله. وقد جمع ابن بسام في كتابه الذخيرة، كثيراً مما كتبه حسداي في مدح المقتدر، وهو مدح يدل على نفاقه الشديد، ويصور عقلية هذا الحاكم الذي يقرب يهودياً من أجل مديح كاذب. لقد امتدح حسداي كل شيء في المقتدر<sup>(869)</sup>، حتى وصل إلى عورِهِ، فجعله ميزة يحسده عليها المبصرون، وساق إليه قول القائل:

شمس الضحى يعشي العيون ضياؤها	إلا إذا نظرت بعين واحدة
فلذاك تاه العور واحتقروا الورى	فاعرف فضيلتهم وخذها فائدة
نقصان جارحة أعانت أختها	فكأنما قويت بعين واحدة <sup>(870)</sup>

(867) الذخيرة، ق3، م1، ص458؛ المقرئ، نفح الطيب، م3، ص293-294، 401.

(868) ينظر: العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم، (القاهرة، دار نهضة مصر)، ق4، ج2، ص353-354؛ المقرئ، نفح الطيب، م3، ص401-402.

(869) الشنتريني، الذخيرة، ق3، م1، ص479-485.

(870) الشنتريني، الذخيرة، ق3، م1، ص482.

وظل حسداي بن يوسف بالرغم من إعلانه للإسلام ووصوله إلى منصب رفيع، يمارس فسقه ومجونه، وكان ابن الدباغ أحد أصدقائه الذين يجتمع معهم على موائد الخمر، وعندما غادر سرقسطة، أرسل إلى حسداي وأصحابه، يعلمهم أنه اعتزل الخمر وتاب إلى الله تعالى<sup>(871)</sup>، ومما قاله لهم: «وأنتم سادتي أخلاء النبيذ برئت منكم كما برئ المسيح من اليهود<sup>(872)</sup>»، فرد عليه حسداي برسالة يزين له فيها الفسق، ويرغبه في الخمر، ويؤكد له أنه هو الذي انحرف عندما ترك شرب الخمر<sup>(873)</sup>، ويقول: «فاعلم أن الغي ما أنت فيه منذ اليوم»<sup>(874)</sup>.

وكان حسداي يكتب للمقتدر رسائله<sup>(875)</sup>، ويشاركه في رحلاته<sup>(876)</sup>، ويزكي عنده من رضي عنهم، إذا رغبوا في الحصول على وظيفة في دولة المقتدر<sup>(877)</sup> ويهجو بقلمه من كلفه المقتدر بهجائه<sup>(878)</sup>.

وقد لجأ إليه الأديب أبو الحسن الحصري<sup>(879)</sup> يشكو إليه ابن عباس اليهودي صهر حسداي، الذي رفض أن يعيد إليه رهنه، بالرغم من أن الحصري رد إليه المال الذي استدانه منه في الوقت المحدد<sup>(880)</sup>.

(871) م. ن، ق3، م1، ص282-284.

(872) م. ن، ق3، م1، ص283.

(873) م. ن، ق3، م1، ص284-290.

(874) م. ن، ق3، م1، ص285.

(875) م. ن، ق3، م1، ص468-469.

(876) م. ن، ق3، م1، ص493.

(877) م. ن، ق3، م1، ص468.

(878) م. ن، ق3، م1، ص905.

(879) هو الأديب أبي الحسن علي بن عبد الغني الكفيف المعروف بالحصري، دخل الأندلس في منتصف المئة الخامسة من الهجرة، بعد خراب وطنه القيروان، وكان شاعراً وأديباً متميزاً، وبعد أن خلع ملوك الطوائف استقر في طنجة. ينظر: الشنتريني، الذخيرة، ق3، م1، ص245-447.

(880) الشنتريني، الذخيرة، ق3، م1، ص453-454.

وبحكم موقعه في دولة المقتدر بسر قسطة صارت لحسداي بن يوسف علاقات وطيدة مع شخصيات مرموقة في الإمارات والممالك المجاورة. وكان أبو بكر محمد ابن عمار أحد الذين توثقت به علاقاتهم، وقد كتب إليه رسالة من سجنه يقول فيها:

أدرك أخاك ولو بقافية      كالطل يوقظ نائم الزهر  
فلقد تقاذفت الركاب به      في غير موماة ولا بحر<sup>(881)</sup>

وقد أثنى حاكم بلنسية أبو عبد الله بن طاهر على أبي الفضل حسداي، وذلك في رسالة بعث بها إلى المقتدر يقول فيها: «الوزير الكاتب أبو الفضل، وحيد الفضل، وينبوع النبل، وما عداه قول القائل:

إن أبا الفضل له فضله      وأين في الناس فتى مثله<sup>(882)</sup>

غادر أبو الفضل حسداي سر قسطة دون أن يعلم المقتدر بعزمه على الرحيل، ثم أرسل إليه رسالة، لم يوضح فيها أسباب تركه لسر قسطة<sup>(883)</sup>، ورد عليه المقتدر يعاتبه على رحيله عنه من دون أن يخبره<sup>(884)</sup>. ويتضح من الرسالتين أن الرجلين ظلا حافظين لل صداقة والود<sup>(885)</sup>. وانقطعت منذ تلك المراسلة أخبار أبي الفضل حسداي بن يوسف الإسرائيلي.

(881) الشتريني، الذخيرة، ق2، م1، ص401، عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص128.

(882) م. ن، ق3، م1، ص458-459.

(883) الشتريني، الذخيرة، ق3، م1، ص461، 462، ص494.

(884) م. ن، ق3، م1، ص494.

(885) م. ن، ق3، م1، ص461-462، ص494.

وبالرغم من الازدهار الاقتصادي والثقافي الذي تميزت به دول الطوائف في الأندلس<sup>(886)</sup>، إلا أن النزاعات المستمرة بين حكام هذه الدول قد أضعفتهم، وجعلتهم يفشلون في صد الهجمة الصليبية التي تعرضت لها الأندلس من قبل الممالك والإمارات النصرانية في الشمال، فسقطت بعض المدن الإسلامية في شمال الأندلس، واضطر حكام عددٍ من دول الطوائف إلى دفع الجزية لملوك النصارى. وكان لليهود موقف سلبي من المسلمين، حيث وقفوا إلى جانب ملوك النصارى وقدموا لهم العون. ففي سنة (448هـ=1056م)، استولى الكبيطور المعروف بالسيد على مدينة بلنسية بعد حصار دام عشرين شهراً، وحينما دخلها صلحاً غدر بها وأحرقها، وعاث فيها فساداً. ووقف يهود المدينة إلى جانب الجيش النصراني، فعين الكبيطور يهودياً لجمع الجزية من المسلمين، وأطلق يد اليهود للتنكيل بهم<sup>(887)</sup>. يقول ابن عذاري: «وبلغ اليهودي -لعنه الله- من المسلمين مبلغ الغاية في العذاب، وسلط اليهود على الإسلام، فبلغوا النهاية في النكال والنكابة، ومنهم الأمناء الموكلون، والمتصرفون، وأصحاب الرسوم، وخدام البر والبحر. وجلس اليهودي للقبض بصاحب المدينة من الضرب بالعصا والسوط، وقبض لكل منهم شيطاناً يخرج معه كل عدو، فإن جاء بشيء، وإلا أخذ بالسوط والعذاب، وتمادت هذه المحنة مدة<sup>(888)</sup>».

وبالرغم من تنكيل يهود بلنسية بأهلها المسلمين، إلا أن المصادر التاريخية لم تقدم أية إشارة إلى قيام المسلمين بالانتقام من يهود بلنسية بعد أن استعادها المرابطون سنة (495هـ=1102م).

(886) ينظر: عنان، محمد عبد الله، دول الطوائف، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1، 1380هـ-1960م)، ص407-421.

(887) ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص41.

(888) م. ن، ج4، ص41.



وعندما اضطرّ المعتمد إلى القبول بدفع الجزية لملك قشتاله أذفونش بن فرذلاند، أرسل أذفونش مع النصاري الذين بعثهم لقبض الجزية يهودياً اسمه عمرام بن شاليب بارع في شؤون النقد، وعندما وصلوا<sup>(889)</sup> «حلوا باب من أبواب إشبيلية فوجه لهم المعتمد المال، مع جماعة من وجوه دولته، فقال اليهودي: والله لا أخذت هذا المعيار، ولا آخذه منه إلا مشجراً، وبعد هذا العام لا آخذ منه إلا أجفان البلاد، ردوه إليه، فرد المال إلى المعتمد، وأعلم بالقصة، فدعا بالجند، وقال اتوني باليهودي وأصحابه، واقطعوا حبال الخباء، ففعلوا وجاءوا بهم، فقال: اسجنوا النصاري، واصلبوا اليهودي الملعون، فقال اليهودي: لا تفعل، وأنا أفتدي منك بزنتي مالا، فقال: والله لو أعطيتني العدو والأندلس ما قبلتهما منك، فصلب، فبلغ الخبر النصراني، فكتب فيهم، فوجه إليه بهم، فأقسم النصراني، أن يأتي من الجنود بعدد شعر رأسه حتى يصل إلى بحر الزقاق»<sup>(890)</sup>. وهناك روايات أخرى لهذه الحادثة<sup>(891)</sup> منها رواية الحميري التي يقول فيها: «وسفر بذلك بينهما يهودي كان وزيراً لابن فرذلند،

فتكلم بين يدي المعتمد ببعض ما جاء به من عند صاحبه فأياسه ابن عباد من جميع ذلك، فأغلظ له اليهودي في القول، وشافهه بما لم يحتمله، فأخذ ابن عباد محبرة كانت بين يديه، فأنزلها على رأس اليهودي، فألقى دماغه في حلقه، وأمر به فصلب منكوساً بقرطبة»<sup>(892)</sup>.

لقد فجرت غطرسة اليهودي وعداؤه الأعمى للمسلمين الذين طالما أحسنوا إلى قومه، غضبة إسلامية عربية في نفس المعتمد، فلم يحتمل الإهانة والذل الذي يتعمد اليهود والنصارى أن يلحقوه به وبالمسلمين، فقام بقتل هذا اليهودي، ودعا أمير المرابطين في المغرب يوسف بن تاشفين لدخول الأندلس لمساعدته في التصدي للصليبيين،

(889) المقري، نفح الطيب، م 4، ص 246؛

ينظر: DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.631

(890) ابن خلدون، العبر، جـ 4، ص 158؛ المقري، نفح الطيب، م 4، ص 246.

(891) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق 2، ص 244-245؛ ابن خلدون، العبر، جـ 4، ص 158.

(892) الحميري، الروض المعطار، ص 288.

وعندما قال له ولده: «يا أبت أَدْخُلْ عَلَيْنَا فِي أُنْدَلُسْنَا مِنْ يَسْلُبُنَا مَلَكُنَا، وَيَيْدِدْ شَمْلَنَا؟»، رد عليه بقوله: «أي بني والله لا يسمع عني أبداً أني أعدت الأندلس دار كفر، ولا تركتها للنصارى، فتقوم اللعنة عليّ في منابر الإسلام مثل ما قامت على غيري. حَرَزُ الْجَمَالِ عِنْدِي وَاللَّهُ خَيْرٌ مِنْ حَرَزِ الْخَنَازِيرِ»<sup>(893)</sup>. ودخل المرابطون إلى الأندلس، وتوحدت دول الطوائف. وكان النصر في معركة الزلاقة (12-رجب-479هـ=23-تشرين أول-1086م) على أدفونش بن فرذلند وجنده من النصارى<sup>(894)</sup>، واليهود الذين شاركوا معهم في القتال بأعداد كبيرة<sup>(895)</sup>، نصراً مبيناً، ودرساً مهماً، يعلم المسلمين في كل وقت كيف يصنعوا من إهانة أعدائهم لهم، وتسلبهم عليهم، وحدة، وجهاداً، وانتصارات عظيمة.



---

(893) ابن سماء العاملي، الحلل الموشية، ج1، ص 27-28؛ فارن: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص 245.

(894) ابن الأبار، الحلة السيرة، ج2، ص 100-101؛

ينظر: الحجي، التاريخ الأندلسي، ص 403-409.

(895) ينظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 134؛ ابن سماء العاملي، الحلل الموشية، ج1، ص 57؛ الحميري، الروض المعطار، ص 289-290؛ كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، ص 63-64.

## المبحث الرابع اليهود والسلطة في عهود المرابطين والموحدين وسلطنة غرناطة

أولاً: المرابطون واليهود:

قامت دولة المرابطين في المغرب على أساس الالتزام بأحكام الإسلام، والجهاد في سبيل الله. وقد رزقت هذه الدولة بقيادة جمعوا بين التقوى والجهاد<sup>(896)</sup>، وكان على رأس هؤلاء يوسف بن تاشفين الذي لبي استغاثة مسلمي الأندلس وعبر إليهم بجيشه، فوحد ملوكهم وقادهم للنصر في معركة الزلاقة<sup>(897)</sup>، ثم قفل راجعاً إلى المغرب سنة (479هـ=1086م) بعد أن جمعهم ووعظهم وأخذ منهم عهداً بالعمل معاً ضد الهجمة الصليبية على الأندلس<sup>(898)</sup>.

لكن ملوك الطوائف عادوا إلى منافساتهم وفرقتهم وضعفهم، وأصبحوا غير قادرين على حماية المسلمين وديارهم، فعاد إليهم سنة (483هـ=1090م)، فخلعهم وضم الأندلس إلى حكمه<sup>(899)</sup>.

وكان حكام المرابطين متسامحين بوجه عام في تعاملهم مع اليهود، يفهم ذلك من خلال الإشارات الآتية:

أولاً: عين أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين (500-537هـ=1106-1142م) اليهودي أبا أيوب سليمان بن المعلم طبيباً خاصاً له، وكان يحمل لقب الوزير الفخري، وكان هو والطبيب اليهودي إبراهيم بن كامينال وكيلين ماليين للدولة يعملان في مجال جمع الجزية المفروضة على اليهود.

(896) ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص7-17؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص245.

(897) ابن بلقين، التبيان، ص104-106؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ج2، ص100-101؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص246.

(898) ابن بلقين، التبيان، ص106؛ الحججي، التاريخ الأندلسي، ص421-422.

(899) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق3، تحقيق: أحمد مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني، (الدار البيضاء، 1964م)، نشر تحت عنوان: «تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط»، ص353.

وقد أتيح لابن كامينال أن يخدم اليهود من خلال عمله في الدولة، ولذلك حصل على ثناء الشاعر اليهودي المعاصر له موسى بن عزرا الذي قال إنه كان درعاً لقومه عند حصول مشكلات لهم، وأنه بالرغم من وجوده في الأندلس إلا أن رعايته تصل إلى اليهود في العراق ومصر<sup>(900)</sup>.

ثانياً: ذكر ابن عذاري أن مُعَاهِدَةَ غرناطة شكوا إلى الأمير علي بن يوسف عند قدومه إليها، ولده حاكم غرناطة عمر بن علي، «فأمر بمحضره معهم في مجلس نظره، فأدلوأ بحجج في ظلمه فسجنه لهم حتى أنصفهم من ظلامتهم<sup>(901)</sup>». ثم بعد ذلك أصابه طاعون كان سبب حتفه<sup>(902)</sup>.

وبالرغم من أن الرواية تحدثت عن المعاهدة الذين قد يكونون نصارى أو يهوداً أو كلاهما، إلا أنها تحمل دليلاً على سياسة إنصاف أهل الذمة التي انتهجها المرابطون.

ثالثاً: كان لعمر بن علي بن يوسف كاتب يهودي، وقد عينه في هذا المنصب بالرغم من أنه كان مكروهاً لمسلمي غرناطة، ويبدو أنه كان كثير الإساءة إليهم<sup>(903)</sup>، إذ يبين ابن عذاري أنه يهودي ليس في أصوله فحسب، بل في أخلاقه السيئة أيضاً

« وكان له كاتب يهودي الأعراق والأخلاق يبغض الناس ويبغضونه، أشأم قسمة على نفسه ورئيسه ومن اتصل به. فبدأ بشؤمه أميره يناله، فجبرَّ إليه العزل وأورده السجن وأدَّاه إلى الهلكة، وغدا شؤمه عليه، فاستؤصل ماله، ونهبت داره، وطلب ليقوع به، ففرَّ وهلك بعد ذلك، وكان أشقر أزرق دميم الخلق في وجهه خال<sup>(904)</sup> ».

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.728-729; (900)

BROYDE, SEVILLE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.208;

الموسوعة العبرية، م 25، ص 487 .

(901) ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص 77.

(902) م. ن، ج4، ص 77 .

(903) م. ن، ج4، ص 77 .

(904) م. ن، ج4، ص 77 .

ومن المحتمل أن يكون اليهود قد تقلدوا وظائف أخرى لم تكشف عنها المصادر، بدليل ما جاء في إحدى الرسائل الرسمية المرابطية التي بعثها تاشفين بن علي إلى القضاة والفقهاء يأمرهم بعدم إسناد وظائف الدولة لأهل الذمة<sup>(905)</sup>. غير أن قراره الذي صدر سنة (538هـ=1143م) جاء متأخراً، أي قبل ثلاث سنوات فقط من سقوط دولة المرابطين، وهو يعكس على كل حال ما حدث على صعيد الواقع.

رابعاً: أعاد المرابطون العائدون من معركة الزلاقة إلى اليهود أملاكهم التي سبق أن فقدوها أثناء الثورة على الوزير اليهودي يوسف بن إسماعيل، وقد فعلوا ذلك بالرغم من مشاركة يهود المناطق الإسلامية المحتلة مع النصارى في تلك المعركة<sup>(906)</sup>.

خامساً: شهدت بعض المصادر اليهودية على تسامح المرابطين مع اليهود، إذ يقول برويد في الموسوعة اليهودية في مقالة له عن يهود إشبيلية: «لقد عاش يهود إشبيلية في سلام تحت حكم المرابطين»<sup>(907)</sup>. وقد أشار إلى ذلك كل من دوبنوف<sup>(908)</sup> والموسوعة العبرية<sup>(909)</sup>.

سادساً: ذكر صاحب الحلل الموشية أن فقيهاً قرطبياً قال للأمير يوسف بن تاشفين عندما جاء إلى قرطبة: أنه وجد مجلداً من تأليف ابن مسرة الجبلي القرطبي يضم حديثاً مرفوعاً إلى النبي محمد ﷺ يبين: «أن اليهود ألزمت نفسها، أنها إذا جاءت الخمس مئة عام من بعد مبعث رسول الله ﷺ، ولم يجئهم نبي منهم على ما زعموا، فإن الإسلام لازم لهم؛ لأنهم وجدوا في التوراة قول الله تعالى لموسى عليه السلام أن النبي الرسول الذي معناه محمد لابد من ظهور الحق على يده، ونوره متصل باتصال الساعة، فرعمت اليهود أنه منهم، وأنه إن لم يجئ على رأس الخمس مئة عام، وإلا فهو هذا.

(905) مؤنس، حسين، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، (520-540هـ=1126-1145م)، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، (مدريد، 1954م)، م6، ع3، رسالة رقم1، ص113.

(906) الكواتي، اليهود في المغرب، ص216؛

H. GRAETZ, LES JUIFS D' ESPAGNE TRADUIT DE L' ALLEMEND PAR GEORGES STENNE (PARIS, LIBRAIRIE HOUELLE, 1872), P.183.

SEVILLE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.208. (907)

HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.728-729. (908)

(909) الموسوعة العبرية، م25، ص487.

فرع هذا الفقيه القرطبي الأمر إلى أمير المسلمين. فاجتاز إلى مدينتهم [أليسانة] ليرى ما يصنع فيهم»<sup>(910)</sup>. ويكمل صاحب الحلل الموشية روايته لهذا الخبر «فيذكر أنه استخلص منهم جملة مالٍ بسبب ذلك، وأن قاضي الجماعة أبا عبد الله محمد بن علي بن حمد بن التغلبي أجرى مسألتهم معه على وجه تركهم ففعل»<sup>(911)</sup>. وتؤكد بعض المصادر النصرانية هذا الخبر، وتبين أن وجهاءهم خرجوا إليه، ورجوه أن يعفيهم من هذا الالتزام، واستعدوا مقابل ذلك أن يدفعوا إليه مبلغاً كبيراً، فوافق ولم يكرههم على الإسلام، وكان ذلك في سنة (500هـ=1106م)<sup>(912)</sup>.

وأرى في عدم إجبار يوسف بن تاشفين اليهود على الوفاء بالتزام أجدادهم دليلاً على تسامحه وحكمته. فقد كان بإمكانه أن يكرههم على الإسلام دون أن يجد معارضة من فقهاء المسلمين، بسبب وجود ذلك الحديث. لكنه رأى أن قبوله لمالٍ يتقوى به المسلمون على أعدائهم، خير من أن يضم إلى صفوفهم مجموعة من المنافقين الهاربين من الحق، لن يزدوا المسلمين إلا خبالاً.

وقد خاض بعض المؤرخين اليهود المعاصرين في هذه الحادثة، وصوروها على أنها محاولة لإكراههم على الإسلام، قد نجوا منها برشوة يوسف بن تاشفين بأموالهم<sup>(913)</sup>.

(910) ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص 80.

(911) م.ن، ص 80.

(912) نقلاً عن: ضياء باشا، الأندلس الزاهية، دول الطوائف ودولة المرابطين وبداية دولة الموحدين، ج2، (عمان-1989م) ص 118؛

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.728; H. BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.

(913) ينظر: DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.728,

H. BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA VOL.11, P.550.

سابعاً: لم تمنع سياسة التسامح التي انتهجها المرابطون مع اليهود أن يأخذوا حذرهم منهم، يدل على ذلك قول الحميري: «وكان علي بن يوسف منع اليهود من سكنى مراکش، فلا يدخلها أحد منهم إلا نهاراً، ثم ينصرفون في العشية، وليس دخولهم إياها إلا لأموه وما يختص به، ومتى عثر على أحد منهم بات بها استبيح ماله ودمه»<sup>(914)</sup>.

ولا أجد في تصرف الأمير المرابطي تعصباً أو خروجاً عن سياسة التسامح. لأن من حق المرابطين بل من واجبهم أن يتخذوا كل الإجراءات الضرورية لحفظ أمنهم. وأرى أن المرابطين قد خصوا مراکش من بين مدن المغرب والأندلس بهذا الإجراء لأنها كانت «دار مملكة المرابطين»<sup>(915)</sup>، ولأنها خصصت لأمرائهم وجندهم، حيث «اتخذ يوسف بن تاشفين مدينة مراکش لنزوله ونزول عسكره»<sup>(916)</sup>. ولذلك يجب أن تبقى بعيدة عن غير الموثوقين الذين يمكن أن ينقلوا أسرارها وأخبارها لأعداء المسلمين، ويمكن أن يشتركوا معهم في مؤامرات ومكائد خطيرة. وقد خصوا اليهود بهذا الإجراء لأنهم يعلمون أن التآمر والخيانة والإفساد ومعاداة المسلمين صفات ملازمة لليهود، لا يزيلها تسامح معهم، أو طول إحسان إليهم. وقد استمد المرابطون هذه التصورات من خلال التاريخ الطويل لليهود في معاداة الإسلام والمسلمين. ومن خلال القرآن الكريم الذي يُحذّر منهم كثيراً.

لقد تعامل المرابطون مع اليهود بهذه الروح المتسامحة بالرغم من علمهم بالتجارب المريعة التي عاناها المسلمون من اليهود في عصر الطوائف عندما وصلوا إلى مناصب عليا في بعض دولها، وبالرغم من علمهم بما فعله يهود بلنسية بالمسلمين عندما سقطت في يد النصاري<sup>(917)</sup>، وبالرغم من مشاركة اليهود الذين سبق أن نعموا بعدل المسلمين، في معركة الزلاقة إلى جانب النصاري<sup>(918)</sup>، ومشاركتهم أيضاً في معركة أقلش الشهيرة (16-شوال-501هـ = 29-مايو-1108م) إلى جانب الجيش القشتالي الذي هزم

(914) الروض المعطار، ص 76-77. أكد ذلك الإدريسي فقال: «وكانت اليهود لا تسكن مراکش عن أمر أميرها علي بن يوسف».

الإدريسي، وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية. مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تصحيح ونشر: هنري بيريس، (الجزائر، دار الكتاب، 1957م)، ص 45.

(915) النصاري، الاستقصاء، ج2، ص 23.

(916) النصاري، الاستقصاء، ج2، ص 23.

(917) ينظر: ابن الأبار، الحلة السيرة، ج1، ص 422، ترجمة رقم: 1198؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص 41.

(918) ينظر: ابن سماء العاملي، الحلل الموشية، ص 57؛ الحميري، الروض المعطار، ص 289-290؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 134؛ BROYDE, SEVILLE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.486.

وقُتل قائده شانجه (SANCHO) ولي عهد ألفونسو السادس، وولده الوحيد بالرغم من تفوقه العددي، هذه المشاركة التي انقلبت إلى نكبة على رؤوس اليهود، حيث اتهمهم رجال الكنيسة وعلى رأسهم أسقف طليطلة برنارد (BERNARD) بأنهم سبب الهزيمة الكبيرة التي حلت بهم، إذ كانوا في ميسرة الجيش، ولم يصمدوا أمام ضربات المسلمين الذين بدأوا بهم، فلاذوا بالفرار، محدثين الذعر والارتباك في صفوف النصارى. لقد هاجم النصارى المنهزمون اليهود في طليطلة وبقية الأقاليم التابعة لهم، وصبوا عليهم جام غضبهم، فقتلوا الكثيرين، ونهبوا أموالهم وكان الوجه اليهودي سليمان بن فارسول أحد هؤلاء القتلى<sup>(919)</sup>.

وأعتقد أن سياسة ضبط النفس واستمرار التسامح التي التزم بها المرابطون في تعاملهم مع اليهود، ترجع إلى مبادئ وأحكام الإسلام التي حرص المرابطون على تطبيقها في دولتهم. ومن أهم هذه المبادئ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾<sup>(920)</sup>، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(921)</sup>. فلا يجوز على وفق هذه المبادئ أن يتحمل يهود غرناطة الذين ما زالوا في ذمة المسلمين، مثلاً خيانة أو جريمة يهود بلنسية أو طليطلة الذين خرجوا من ذمتهم. لقد التزم المرابطون كسلطة بذلك بالرغم من استغاثات مسلمي المناطق الأندلسية المحتلة التي تصور دور اليهود في التحريض عليهم والتكيل بهم. ومن ذلك، الرسالة التي بعث بها الشاعر إبراهيم ابن محمد بن إبراهيم بن عبيد النفزي إلى الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين، يقول فيها:

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.732; (919)

MEYER KAUSERLING, TOLEDO, THE JEWISH ENCYCLO PEDIA, VOL.12, P.176;

BROYDE, SEVILLE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.486;

H. BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1200.

عن هذه المعركة، ينظر: الحججي، التاريخ الأندلسي، ص 425 .

(920) سورة فاطر، آية 18 .

(921) سورة المائدة، آية 8 .



أمير المسلمين ألا تعود  
وأنت طيبها والله يشفي  
لأندلس بها مرض شديد  
فمالك لا تطب ولا تعود  
وشوذر ثم مرتش لو تراها  
ونار الكفر يضرها اليهود<sup>(922)</sup>

غير أن ما تحمله المرابطون كسلطة حاكمة ومسؤولة عن تطبيق قوانين الشريعة الإسلامية، لا يستطع أن يتحمله عامة المسلمين الذين تؤثر ردود الفعل والعواطف في تصرفاتهم، وخصوصاً عندما تتزامن أخطاء اليهود مع أحداث خطيرة على المسلمين، ويكون لليهود دور فيها. يقول ابن عذاري: «وئارت العامة بقرطبة في هذه السنة في رجب على اليهود -لعنهم الله- بسبب قتل وجد بين أظهرهم، ففتحت منازلهم، وانتهبت أموالهم، وقتل نفر منهم»<sup>(923)</sup> ويقول ابن قطان: «وقتل يهودي مسلماً سنة 529 هـ، فاستطال المسلمون على اليهود فنهبت أموالهم، وهدمت ديارهم، وذلك بقرطبة»<sup>(924)</sup>.

ولا اعتقد أن حادث القتل هذا، هو وحده الذي أدى إلى هذه الانتفاضة على يهود قرطبة، فمثل هذه الانتفاضات تحدث عادة بعد استفزازات متواصلة وكثيرة تولد غضباً، يظل يزداد ويتراكم حتى تأتي الشرارة التي تفجره. ولا نملك معلومات مفصلة عن أسباب هذا الغضب، إلا أن مشاركة يهود المناطق الأندلسية المحتلة في الهجمات الصليبية على الأندلس، ودعمهم لها بأموالهم<sup>(925)</sup>، وقيامهم بالتحريض على مسلمي تلك المناطق، والمشاركة في إذلالهم والتنكيل بهم<sup>(926)</sup>، تكفي لإثارة غضب مسلمي قرطبة الذين طالما أحسنوا إلى اليهود.

(922) الحسين، يعقوبي، قصائد غير منشورة، في الاستصراخ والإصراخ، مجلة دراسات أندلسية، ع5، (1411 هـ-1990 م)، ص80.

(923) ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص93.

(924) نظم الجمان، ص217.

(925) ينظر: DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.732.

(926) ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص41؛ الحسين، دراسات أندلسية، ع5، سنة (1411 هـ-1990 م)، ص80.

إضافة إلى أن هذا الحادث كان قريباً من هجمة صليبية خطيرة كانت ستوقع قرطبة في أيدي الصليبيين، حيث فاجأ الجيش القشتالي جنود المرابطين شمالي قرطبة في ذي الحجة سنة (528هـ=1133م)، ففر معظم الجنود، وما عادوا وحققوا النصر، وحموا مدينتهم إلا عندما رأوا قائدهم تاشفين بن علي بن يوسف ابن تاشفين ثابته رابطة الجأش يقاتل<sup>(927)</sup> ويقول: «لا أسلم وأسلم الأمة ولا أبرح أو تنجلي عما انجلت عليه هذه الكرة»<sup>(928)</sup>.

ثانياً: الموحدون واليهود:

ظهر الضعف على الدولة المرابطية في أواخر أيامها، نتيجة لضعف الالتزام بالمبادئ التي قامت عليها الدولة وقويت بها<sup>(929)</sup>، وأصبح المرابطون غير قادرين على الصمود في وجه الصليبية التي حشدت لاحتلال الأندلس كل إمكانات النصارى في أسبانيا الشمالية وأوروبا، ورأى مسلمو الأندلس مدتهم تتساقط واحدة تلو الأخرى<sup>(930)</sup>، فاستغاثوا بالموحدين<sup>(931)</sup>، الذين أقاموا دولتهم في المغرب مكان دولة المرابطين، على المبادئ التي دعا إليها زعيمهم الأول أبو عبد الله المهدي محمد بن تومرت، وهي صفاء العقيدة، والتوحيد الخالص، والتمسك بالدين وتطبيقه، ونبذ كل ما لا يرتضيه<sup>(932)</sup>.

بدأت سيطرة الموحدين على الأندلس سنة (541هـ=1146م)<sup>(933)</sup>، وقد وقف اليهود من الموحدين موقفاً سلبياً، يظهر من خلال رواية ابن صاحب الصلاة، التي يشرح فيها كيف تأمر يهود غرناطة مع إبراهيم بن همشك الخارج على حكم الموحدين، حيث اتفق معهم على أن يأتيهم في ليلة معينة إلى باب الربض بغرناطة، فيكسروه له، فيدخلها هو وجنوده، وقد تم ذلك حسب الاتفاق ودخل ابن همشك بجنوده إلى المدينة، لكن الخليفة الموحي بعث إليهم جيشاً سنة (558هـ=1162م)، استعادها وفتك بالخارجين ومن معهم من المتأمرين اليهود<sup>(934)</sup>.

(927) ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص90

(928) م. ن، ج4، ص90.

(929) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص177، 208؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص265.

(930) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص265؛ المقري، نفح الطيب، م4، ص461-463.

(931) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص265؛ المقري، نفح الطيب، م2، ص30.

(932) ابن جبير، محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، (بيروت، دار مكتبة الهلال، 1981م)، ص50؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص248-249.

(933) ابن الأبار، الحلة السراء، ج2، ص199؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص265.

(934) المن بالإمامة، ص187.

كما وقف يهود المناطق الأندلسية المحتلة من الأسبان في حربهم ضد الموحدين، يحدثنا عن ذلك الضبي، إذ يقول في معرض وصفه لجيش ألفونسو الثامن، أنه كان «ينيف على خمسة وعشرين ألف فارس ومئتي ألف راجل، وكان معه جماعات من تجار اليهود، وقد وصلوا لاشتراء أسرى المسلمين وأسلاهم، وأعدوا أموالاً، فهزمهم الله تعالى»<sup>(935)</sup>.

وعندما فرّ النصارى واليهود المنهزمون إلى طليطلة، لاحقهم الجيش الإسلامي المنتصر، وفرض حصاراً على المدينة، وقام اليهود -حسب المصادر اليهودية- بالمشاركة في الدفاع عنها، وإجبار المسلمين على الانسحاب<sup>(936)</sup>.

أما عن سياسة الموحدين مع اليهود، فلم أجد في ما اطلعت عليه من مصادر إسلامية معلومات كافية، تمكننا من تقديم صورة واضحة عنها، لكن المعلومات القليلة التي تذكرها تكفي لنفي ما تردّد في الدراسات والمصادر اليهودية، من أن يهود الأندلس أرغموا بالقوة على الدخول في الإسلام، وأن بيعهم حوّل إلى مساجد، وأنهم جرّدوا من التوراة، ومزّقت كتبهم الدينية، وأنهم ظلوا يتظاهرون بالإسلام إلى نهاية عهد الموحدين في الأندلس، والذي استمر إلى سنة (620هـ=1223م)<sup>(937)</sup>.

وهناك أسباب تقود إلى رفض ما أورده المصادر اليهودية، ووضعه ضمن أكاذيب اليهود ومبالغاتهم، وهذه الأسباب هي:-

(935) بغية الملتبس، ص 45-46.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.734. (936)

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.729-731; (937)

GOITEIN, SOLOMON DUB FRITZ, LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, (PRINCENTON UNIVERSITY DECEMBER 1972), P.52, 208-209; BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.486.

1- رواية عبد الواحد المراكشي التي بيّن فيها أنّ الخليفة الموحيدي أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن أمر في أواخر أيامه بأن يُميّز اليهود عن غيرهم «لباس يختصون به دون غيرهم، وذلك ثياب كحيلة، وأكمام مفرطة السعة تصل إلى قريب من أقدامهم، وبدلاً من العمائم كلوتات على أشنع صورة كأنها البراديع، تبلغ إلى تحت آذانهم، فشاع هذا الزي في جميع يهود المغرب، ولم يزلوا كذلك بقية أيامه وصدرًا من أيام ابنه أبي عبد الله، إلى أن غيّرهُ أبو عبد الله المذكور، بعد أن توسلوا إليه بكل وسيلة، واستشفعوا بكل من يظنون أنّ شفاعته تنفعهم، فأمرهم أبو عبد الله بلباس ثياب صفر وعمائم صفر، فهم على هذا الزي إلى وقتنا هذا - وهو سنة 621هـ-»<sup>(938)</sup>.

وعند التأمل في هذه الرواية يتبيّن وجود يهود في الأندلس يعلنون عن دينهم، بدليل أنه يفرض عليهم زياً خاصاً، وأنهم يطالبون الخليفة رسمياً كيهود بتغيير هذا الزي، ولو أنهم كانوا يُكرهون على الإسلام، ويضطرون للتظاهر به، لما فرض عليهم زياً، ولما قاموا كيهود بالمطالبة بتغيير الزي، وتبديله بزي آخر. وفي قول المراكشي: «جميع يهود المغرب» مؤشّر إلى وجود اليهود في المغرب والأندلس في عهد الموحدين.

2- نفى الخليفة الموحيدي أبو يوسف يعقوب (580-595هـ=1184-1198م) إلى أليسانة أبا الوليد محمد بن أحمد بن رشد، «لقول من قال إنه ينسب في بني إسرائيل، وإنه لا يعرف له نسب في قبائل الأندلس...»<sup>(939)</sup>.

وأجد في تصرف الخليفة الموحيدي هذا دليلاً على وجود اليهود في عهد الموحدين في أليسانة، فلو أنها كانت خالية منهم، أو أن سكانها كانوا معلنين إسلامهم، لما نفى إليها ابن رشد، إذا أن الغرض من نفيه إلى مدينة اليهود كان توجيه الإهانة له، وتأكيد اتهام أعدائه له بأنه من أصول يهودية.

3- لم يرد في المصادر الأندلسية أو المغربية ما يدلّ على قيام الموحدين بإجبار اليهود على الدخول في الإسلام، ولو حدث ذلك فعلاً لذكرته مصادرنا بشكل واضح، إذ يعد ذلك حدثاً مهماً لا يمكن أن تجمع مصادرنا على إهماله لو أنه وقع فعلاً.

(938) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 304، 305.

(939) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر السادس، ص 26، ترجمة رقم: 51.

4- رواية المؤرخ الأندلسي المعاصر للموحدين ابن صاحب الصلاة التي يقول فيها: «وكان في بياضة سنة (553هـ=1158م) عالم غرناطي يدعى عبد الله بن سهل، يحضر دروسه جمع كبير من المسلمين والنصارى واليهود<sup>(940)</sup>. ولو كانت الأندلس خالية من اليهود، وأنهم كانوا مضطرون للتظاهر بالإسلام كما تزعم مصادرهم ودراساتهم، لما وُجد يهود يحضرون الدروس في زمن حكم الموحدين للأندلس.

5- اشتهر عدد من الكتاب اليهود في زمن الموحدين، أمثال يوسف زبارا الأندلسي (ت: 597هـ=1200م) وهو صاحب كتاب «البهجة والسُرور»<sup>(941)</sup>، ولو أنهم أكرهوا على الإسلام، لما لمعت أسماؤهم كيهود، ولما مارسوا نشاطهم الفكري فيها. كما مارس الأخبار اليهود تعليمهم الديني في زمن الموحدين، فقد ذُكر أن موسى بن ميمون قد تتلمذ في مدينة فاس عاصمة الموحدين على يدي يهوذا الكاهن<sup>(942)</sup>.

6- إن تناقض المعلومات التي تقدّمها المصادر اليهودية، يدعوا إلى الشك في جميع المعلومات التي توردها عن هذا الموضوع، ومن ذلك التناقض، قول بعض المصادر: إن ضغط الموحدين عليهم، وإكراههم، قد استمر لمدة عشر سنوات فقط<sup>(943)</sup>، في حين أن مصادر أخرى ذكرت أنه استمر طوال مدة حكم الموحدين للأندلس<sup>(944)</sup>.

(940) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص 400.

(941) هنداي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 120-121.

(942) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 88-89.

(943) H. BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.3, P.964-965; H.

BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.550;

مقالة أسبانيا، الموسوعة اليهودية - بالعبرية-، ص 286.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.729-731; (944)

GOITEIN, LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, P.52;

BROYDE, SPAIN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.486.

7- أقام الموحدون في المغرب والأندلس دولة ملتزمة بالإسلام، حريصة على تنفيذ تعاليمه، ولا يعقل أبداً أن يقدموا على مخالفة نص قرآني واضح وصریح، وهو قول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>(945)</sup>، ولم يعرف عن المسلمين عبر تاريخهم الطويل أنهم أكرهوا أحداً على الإسلام، فكيف يعقل أن يقدم الموحدون على ذلك، وهم الملتزمون بالإسلام والداعون إلى الالتزام بمبادئه؟! .

#### ثالثاً: سلطنة غرناطة واليهود

أدى الموحدون دورهم في حماية الأندلس، وحققوا انتصارات كبيرة على الصليبيين وحرروا بعض المدن الأندلسية من قبضتهم<sup>(946)</sup>. ثم أصابهم الضعف الذي ينتظر كل قوي على هذه الأرض، مهما كانت قوته، ومهما طال أمدها، فهُزم الموحدون في معركة العقاب سنة (609هـ=1212م)<sup>(947)</sup>، وكانت هذه الهزيمة «أَوَّلُ وَهْنٍ دَخَلَ عَلَى الْمُوَحِّدِينَ»<sup>(948)</sup>، حيث تساقط بعدها المدن الأندلسية واحدة تلو الأخرى، ولم يستطع المسلمون أن يحتفظوا إلا بغرناطة وما حولها من مناطق جنوبي الأندلس، وأقاموا فيها مملكة تعاقب على حكمها سلاطين ينتسبون إلى الصحابي الجليل سعد بن عباد الأنصاري، وكان أولهم، ومؤسس هذه السلطنة أبا عبد الله محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر. واستطاع بنو الأحمر أن يحفظوا سلطنتهم لأكثر من قرنين ونصف بالرغم من قوة الممالك الأسبانية القريبة منهم، والطامعة في أملاك المسلمين<sup>(949)</sup>.

لم أجد عن يهود سلطنة غرناطة في المصادر الإسلامية إلا القليل من المعلومات. وتشكو المصادر اليهودية كذلك من قلة المعلومات المتوفرة لديها عن هذا الموضوع<sup>(950)</sup>.

(945) سورة البقرة، من الآية 256.

(946) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج6، ص198، ترجمة رقم: 569؛ الضبي، بغية الملتمس، ص66-67؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، م1، ص265، 271.

(947) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص321-322؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م1، ص383، المقري، نفح الطيب، م4، ص383.

(948) الحميري، الروض المعطار، ص138.

(949) ينظر: الحججي، التاريخ الأندلسي، ص515-517.

H. BEINART. GRANADA, ENCYCLPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.852; (950)

لكننا نستطيع أن نستنتج أن بني الأحمر تعاملوا مع اليهود على وفق الأحكام الشرعية الخاصة بأهل الذمة، فأعطوهم حقوقهم كاملةً، وألزموهم بكل ما عليهم من واجبات، من غير تشدد أو تفریط. ويبدو أنهم أفادوا من تجارب الحكومات الإسلامية السابقة في الأندلس، والتي تظهر أن المبالغة في التساهل معهم تضر بهم وبالمسلمين، وأن المبالغة في التشدد معهم تحقق أيضاً النتيجة نفسها، وأن الحل هو فقط في اتباع السياسة التي رسمتها شريعة الإسلام. والمعلومات والإشارات التاريخية الآتية هي التي تقودنا إلى هذا الاستنتاج.

أولاً: - جعل لليهود لباس خاص يميّزهم عن المسلمين، ويُعرفون به<sup>(951)</sup> فكانوا يعتمرون «قلنسوة صفراء، إذ لا سبيل لليهودي أن يتعمم البتة»<sup>(952)</sup>، وكان بعض الحكام يصدرون أوامر خاصة بلباس اليهود، عندما يلاحظون تراخياً منهم في التزام زيهم.

يروى ابن الخطيب، وهو شاهد عيان من غرناطة بني الأحمر أنه: «لما تصيّر الأمر إلى السلطان نصر سنة (708هـ)، اشتدّ في إقامة الحدود، وإراقة المسكرات، وأخذ يهودُ الذمة بالتزام سمة تشهرهم، وشارة تميزهم ليوفوا حقهم من المعاملة التي أمر بها الشارع في الطرق والخطاب»<sup>(953)</sup>. كما حظر عليهم ركوب الجياد<sup>(954)</sup>. ويقول ابن الخطيب: إن من مناقب السلطان أبو الوليد إسماعيل بن فرج (713-725هـ) أنه «أخذ يهود الذمة بالتزام سمة تشهرهم، وشارة تميزهم، وليوفي حقهم من المعاملة التي أمر بها الشارع في الخطاب والطرق، وهي شواشي صفر»<sup>(955)</sup>.

وكون ابن الخطيب يعدُّ هذا العمل من مناقب ذلك السلطان، دليل على أن بعض السلاطين كانوا يتهاونون في تطبيقه، وهو دليل أيضاً على أنه كان مطلباً للمسلمين<sup>(956)</sup>.

ثانياً: - استخدم سلاطين غرناطة بعض تجار اليهود جواسيس لهم على النصارى في الممالك الأسبانية، لكنهم لم يعينوا يهودياً واحداً في منصب كبير طوال مدّة حكمهم لغرناطة التي زادت على قرنين ونصف<sup>(957)</sup>.

(951) ينظر: مناقشة مسألة الزي الخاص باليهود في الفصل الرابع من هذا البحث.

(952) المقرئ، نفح الطيب، م، 1، ص 223.

(953) الإحاطة في أخبار غرناطة، م، 1، ص 383.

(954) م. ن، ص 388.

(955) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، م، 1، ص 388.

(956) ينظر: م. ن، ص 388.

(957) فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص 63-77.

ثالثاً: - أدّت السياسة المتوازنة التي اتّبعها سلاطين غرناطة مع اليهود إلى عدم قيامهم بأي تمرد على حكمهم، كما لم تقم أية انتفاضات شعبية عليهم<sup>(958)</sup>، كتلك التي حدثت في غرناطة في عهد باديس بن حبوس.

رابعاً: - صارت غرناطة المسلمة ملجأ لليهود الهاربين من اضطهادات النصارى لهم<sup>(959)</sup>، تلك الاضطهادات التي نتجت عن ممارسة اليهود للرّبا بأبشع صورته، إذ صاروا يسيطرون على اقتصاديات الممالك النصرانية، ويتحكمون في شعوبها، بعد أن أغرقوها بالديون لهم<sup>(960)</sup>.

خامساً: - استُخدِمَ الطبيب يحيى بن الصائغ اليهودي، طبيباً خاصاً لبني الأحمر في أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. وقد تبيّن للسلطان أبي الحجاج يوسف الثاني (793-797هـ=1390-1394م)، أنه أعدّ سماً لقتله بتدبير من خالد القائم بدولته. فقام بقتل خالد، وسجن اليهودي، ثم قتله في السجن سنة (794هـ=1391م)<sup>(961)</sup>.

وعندما شهدت سنة (794هـ=1391م) مذابح مروعة لليهود، وتدميراً لمعابدهم، وإجباراً على التنصر، قامت به جماهير النصارى ورجال دينهم، بدأ في إشبيلية ثم انتقل إلى جميع المدن الأسبانية<sup>(962)</sup>، تدفق المهاجرون اليهود إلى غرناطة والشمال الأفريقي التي يحكمها المسلمون، وقد أظهر المُنصّرون يهوديتهم عندما صاروا تحت حكم المسلمين<sup>(963)</sup>.

وقد حصلت هجرات يهودية أخرى إلى غرناطة قبل أحداث سنة 794هـ في إشبيلية، وكان عدد اليهود الذين لجؤوا إلى غرناطة في إحدى المرّات ثلاث مئة عائلة يهودية، وقد حدث ذلك سنة (766هـ=1367م)، في عهد السلطان أبي عبد الله محمد الخامس<sup>(964)</sup>.

(958) فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص 97.

(959) م.ن، ص 97-98.

H. BEINART, TOLEDO, ENCYCLPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1203-1204. (960)

(961) ابن خلدون، العبر، ج4، ص 178-179.

H. BEINART, SEVILLE, ENCYCLPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1204. (962)

مقالة أسبانية، الموسوعة العبرية، م 26، ص 380.

H. BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.852. (963)

(964) فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص 97-98.



سادساً: - استخدم بعض حكام الممالك النصرانية اليهود في سفاراتهم إلى مملكة غرناطة<sup>(965)</sup>، ومن هؤلاء السفراء الحكيم بن زرزار<sup>(966)</sup>، ويوسف بن وقار الإسرائيلي الطليطي<sup>(967)</sup>. وقد عومل هؤلاء السفراء معاملة حسنة، وقد تحدّث ابن الخطيب عن علاقته الحسنة مع هذين السفيرين<sup>(968)</sup>، وبين أنه استعان بيوسف بن وقار في الحصول على أخبار ملوك قشتالة، ويظهر نص رواية ابن الخطيب الاحترام المتبادل بينهما، إذ يقول: «وقد كنتُ طلبتُ شيئاً من ذلك [أخبار ملوك قشتالة] من مظنته، وهو الحكيم الشهير، طيب دار قشتالة وأستاذ علمائها، يوسف بن وقار الإسرائيلي الطليطي، ولما وصل إلينا في غرض الرياسة عن سلطانه»<sup>(969)</sup>، ثم ينقل ابن الخطيب ما جاء في رسالة ابن وقار إليه بقوله: «قال الحكيم: «سألت أعزك الله وأدام كرامتك أن أثبت لك ما تحقق عندي من التواريخ التي وقع فيها نسب ملك قشتالة وتفرع ملوكها، فأثبت لك ذلك مما استخرجته من الكتاب الذي أمر بعمله الملك الأعظم دون ألفنش، قصدتُ أن يكون ذلك عندك بأصل»<sup>(970)</sup>.

سابعاً: - لم تُغير المواقف والممارسات السيئة لليهود ضد مسلمي غرناطة وضد المسلمين الخاضعين لحكم النصارى موقف سلاطين ومسلمي غرناطة من اليهود الذين يعيشون تحت حكمهم، وظلت الأحكام الشرعية الخاصة بأهل الذمة هي التي تحكم العلاقة بين المسلمين واليهود.

H. BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.852. (965)

(966) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص333-334.

(967) م. ن، ق2، ص332.

(968) م. ن، ق2، ص332-334.

(969) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص322.

(970) م. ن، ق2، ص322.

ومن مواقف وممارسات يهود أسبانيا النصرانية ضدَّ المسلمين، قيامهم بمساعدة جيمس الأول ملك أراغون للاستيلاء على مرسية سنة (641هـ=1243م) بعد أن استعادها المسلمون الذين ثاروا على الحكم النصراني وسيطروا على المدينة، ومن أولئك الذين قدموا الدَّعم للنصارى، يهودا دي لا كافاليرا (JUDAH DE LA CAVALERIA)، الذي قام بإقراض المال لتجهيز السفن البحرية التي حاربت مسلمي مرسية<sup>(971)</sup>، وكان اليهود يتولون للنصارى جمع الضرائب من المسلمين، ويعاملونهم بمنتهى القسوة، ولذلك أوكلت إليهم هذه المهمة في مرسية وما حولها، منذ احتلالها، وحتى نهاية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي. ومن الذين تولوا هذه المهمة في مرسية إسحاق بن يعيش سنة (707هـ=1307م)، وسليمان بن لوب الذي حصل على حماية خاصة من ملك أراجون ثم رحل عنها إلى ميورقة سنة (780هـ=1378م)<sup>(972)</sup>.

كما أسهم اليهود في الحرب ضد سلطنة غرناطة، ففي سنة (894هـ=1488م) حصل صاموئيل أبو العافية على حماية الملكين الكاثوليكين فرديناند وإيزابيلا تقديراً له على خدماته لجيشهما خلال الحرب ضد سلطنة غرناطة<sup>(973)</sup>، وكان اليهود قد أظهروا ترحيبهم وتعاونهم مع ملوك النصارى حينما بدأت المدن الأندلسية تسقط في أيديهم، فلما احتلت جيوش فرديناند الثالث (614-650هـ=1217-1252م) إشبيلية سنة (646هـ=1248م)، خرج يهودها لاستقباله، وقد أعدوا له مفتاحاً نُقش عليه بالعبرية عبارة تقول: «سيفتحها ملك الملوك، وسيأتي ملك الأرض»<sup>(974)</sup>.

وقد قدَّم لهم فرديناند الثالث ثلاثة مساجد تقع بالقرب من حيهم، ليقيموا عليها معابد لهم، إضافة إلى العديد من المنازل والبساتين التي كانت تعود للمسلمين، وذلك مكافأة لهم على موقفهم وخدماتهم في الحرب ضد المسلمين<sup>(975)</sup>.

H. BEINART. MURCIA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.12, P.530. (971)

IBID VOL.12, P.530. (972)

IBID VOL.12, P.530. (973)

H. BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1202. (974)

ما يزال هذا المفتاح محفوظاً في كاتدرائية إشبيلية. ينظر:

H. BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1202.

H. BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1202 (975)

وفي مطلع القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي سمحت السلطات النصرانية في طليطلة لليهود بامتلاك عبيد مسلمين، ويبدو أن اليهود قد قسوا كثيراً على مسلمي هذه المدينة<sup>(976)</sup>، ولذلك نجدهم سنة (756هـ=1355م) يشاركون النصارى في الهجوم على الحي اليهودي في طليطلة<sup>(977)</sup>.

ثامناً:- عندما وضع فقهاء المسلمين شروط سلطنة غرناطة لقبول الاستسلام للملكين الكاثوليكين فرديناند وإيزابيلا، سنة (897هـ=1491م) لم ينسوا أن يضعوا شرطاً يقضي «بأن يتمتع اليهود من أهل غرناطة والبيّازين وأرباضهما، والأراضي التابعة لها، بما في هذا العهد من الامتيازات، وأن يسمح لهم بالعبور إلى المغرب خلال ثلاثة أشهر، تبدأ من يوم 18- ديسمبر»<sup>(978)</sup>، 1491م.

ولأن الفقهاء لا يجهلون طبيعة اليهود، ويعلمون ما فعلوه بالمسلمين عندما تولّوا جمع الضرائب منهم في المدن الأندلسية المحتلة، اشترطوا «ألا يؤلّى على المسلمين مباشر يهودي، أو يُمنح أية سلطة أو ولاية عليهم»<sup>(979)</sup>. وقبلت الشروط، وتم التوقيع على المعاهدة بتاريخ (21- محرم-897هـ=25-11-1491م)<sup>(980)</sup>، وسرعان ما نقض النصارى عهدهم، وخرقوا شروط المعاهدة شرطاً شرطاً. وأصدر الملكان بخصوص اليهود قراراً يأمر بطردهم من أسبانيا وغرناطة بتاريخ 31-2-1492م<sup>(981)</sup>. وبذلك خانا عهديهما الذي جاء فيه: «إن ملكي قشتالة يؤكّدان ويضمنان بدينهما وشرفهما الملكي، القيام بكلّ ما يحتويه هذا العهد من النصوص، ويوقعانه باسميهما ويمهرانه بخاتميهما»<sup>(982)</sup>.

H. BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1203. (976)

IBID, VOL.15, P.1204. (977)

(978) عنان، محمد عبد الله، نهاية الأندلس، (مصر، ط2، 1958م)، ص234. ينظر:

H. BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.852.

(979) عنان، نهاية الأندلس، ص232؛ ينظر: IBID, VOL.7, P.853.

يذكرنا ذلك بأحد شروط استسلام مسلمي طليطلة للنصارى سنة (509هـ=1115م)، حيث نص على منع اليهود من شراء أسرى حرب مسلمين، ومنعهم من تولي القضاء الخاص بالمسلمين. ينظر: الموسوعة العبرية، م26، ص384.

(980) عنان، نهاية الأندلس، ص236.

H. BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.853. (981)

(982) عنان، نهاية الأندلس، ص235.

وقد نُفذ قرار طرد اليهود من أسبانيا النصرانية تنفيذاً صارماً، وتدفق المهجّرون اليهود يبحثون عن ملجأ آمن يأويهم، فوقع اختيار معظمهم على شمال أفريقيا<sup>(983)</sup>، ودول المشرق<sup>(984)</sup>، التي ما تزال شمس الإسلام تسطع في سماءها، وتفيض دفاً وعدلاً وحريةً وتسامحاً على كل الذين يحيون بنورها، أو يستضيئون بضياءها، ذلك النور الذي طالما حاول اليهود وغيرهم من عشاق الظلام أن يطفئوه بأفواههم، بالرغم من أنه بدد الظلم والظلمات عنهم، منذ أن أشرقت به أرض الأندلس سنة (92هـ=711م).



---

H. BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1205. (983)  
S. D, GOITEIN, LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, P.52, 208-209. ينظر: (984)

اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية  
لليهود في الأندلس

## المبحث الأول الأوضاع الاجتماعية لليهود في الأندلس

عاش اليهود داخل المجتمع الإسلامي في الأندلس أكثر من ثمانية قرون، فتأثروا بعادات المسلمين وتقاليدهم. لكن عيشهم في تجمعات أو أحياء خاصة بهم، والسماح لهم بممارسة عاداتهم وتقاليدهم وشعائهم الدينية داخلها، مكنهم من المحافظة على كثير من العادات والتقاليد اليهودية. والنقاط التالية تقدم وصفاً لأوضاع اليهود الاجتماعية في الأندلس، وتبين مدى تأثيرهم بالمجتمع الإسلامي.

### 1- اهتمام يهود الأندلس بأنسابهم:

اهتمَّ يهود الأندلس بأنسابهم وتفاخروا بها، وكانت بعض عائلاتهم تنسب نفسها إلى موسى أو داود أو هارون -عليهم السلام- ومن هذه العائلات عائلة المؤرخ اليهودي أبراهام بن داود التي تزعم أنها تنسب إلى النبي داود عليه السلام، وتقول: إنها جاءت إلى الأندلس من القدس في زمن نبوخذنصر<sup>(985)</sup>. وكان الأفراد الذين ينسبون أنفسهم إلى أحد الأنبياء، يعلنون ذلك ويفاخرون به، ولذلك وجدنا جميع المصادر الإسلامية التي عرفت بأبي الفضل حسداي تذكر نسبه، وتبين أنه من بيت شرف اليهود<sup>(986)</sup>.

ومما يدلُّ أيضاً على اهتمامهم بالنسب أنَّ الشاعر الأندلسي ابن خيرة عندما أراد أن ينافق إسماعيل بن نغدة، ويتقرب إليه في زمن هيمنة اليهود على مقاليد الحكم في غرناطة، قال شعراً نسب فيه اليهود في الأندلس إلى موسى عليه السلام، حيث قال:

HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550; (985)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.309, VOL.3, P.164.

(986) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص 89-90؛ الشتريني، الذخيرة، ق 3، م 1، ص 457؛ ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج 2، ص 441، ترجمة رقم: 441؛ المقري، نفع الطيب، م 3، ص 293-294.

ومن يك موسى منهم ثم صنوه فقل فيهم ما شئت لن تبلغ العُشرا<sup>(987)</sup>  
كما مدحه بالثناء على خاله وعمه على طريقة العرب في المدح، فقال: «فتى كرم خالاً وعمّاً»<sup>(988)</sup>.

ومن الواضح أن اليهود تأثروا في ذلك بالعرب الذين تميزوا عن غيرهم من الأمم بالاهتمام الكبير بأنسابهم. ويعترف بذلك آشتور فيقول: «وبما أن العرب علّقوا أهمية كبرى على أصل العائلة، وفاخروا بنسب أجدادهم القدماء، فإنّ تتبع الأنساب وإظهار شرف الأجداد، صار من المسائل المهمة والأساسية لليهود الأندلس بشكل عام، وللعائلات والأفراد بشكل خاص»<sup>(989)</sup>.

ومثلما فاخر يهود الأندلس بأنسابهم العائلية، وبأصولهم المقدسية، فاخروا أيضاً بكونهم أندلسيين، واعتقدوا أنّهم يتفوّقون على اليهود في جميع بلدان العالم، وأنّ قدراتهم ومواهبهم هي التي مكنتهم من إحداث النهضة اللغوية والأدبية والعلمية في الثقافة اليهودية. وقد عبّر يهود الأندلس عن شعورهم بالتفوّق على غيرهم من اليهود، في كثير من كتاباتهم. فقد كتب مؤرخ يهودي أندلسي عن هجرة أحد علماء اليهود من الأندلس إلى العراق، حيث تمّ تعيينه رئيساً للمدرسة اليهودية فيها، وتحدّث عن الانحلال الفكري الحاصل لدى يهود العراق مهد التلمود، وقارنها بالإنجازات الثقافية لليهود في الأندلس<sup>(990)</sup>. وفي قصائده كان سليمان بن جابيرول يشدّد على ارتباطه ببلده الأندلس، وقارن منجزات علماء يهود الأندلس بمنجزات علماء يهود العراق<sup>(991)</sup>؛ ويذكر آشتور أن مفكراً يهودياً ولد ونشأ في الأندلس، ينصح ولده، فيقول: «ليكن رفاقك من إخواننا الأندلسيين فقط؛ لأنهم ذوي مهارات فكرية وتفهم ونقاء ذهني»<sup>(992)</sup>.

(987) الشتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص765.

(988) الشتريني، الذخيرة، م2، ص762.

(989) THE JEWS, VOL.3, P.164.

(990) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.165.

نقلاً عن ABRAHAM B.DA'UD. THE BOOK OF TRADITION [SEFER HA KABBALA], P.75.

(991) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.165.

(992) THE JEWS, VOL.3, P.166.

## 2- العربية لغة يهود الأندلس:

صارت اللغة العربية لغةً لليهود الأندلس، بها يتكلمون ويفكرون ويكتبون<sup>(993)</sup>، وقد استخدموا العربية العامة نفسها التي استخدمها مسلمو الأندلس، حتى داخل بيوتهم، وفي ما بينهم. كما استخدموا في بعض الأحيان اللغة العجمية التي استخدمها نصارى الأندلس<sup>(994)</sup>، مثلما كان يفعل المسلمون أحياناً، إذ كان كثير من المسلمين يفهم هذه اللغة ويستعملها في مخاطبة هؤلاء النصاري. ومما يدل على ذلك رواية الخشني في معرض حديثه عن قاضي قرطبة سليمان بن أسود الغافقي (ت: 373هـ=983م)<sup>(995)</sup>، التي يقول فيها: «فتقدّمت امرأة إلى القاضي، فقالت له بالعجمية: يا قاضي، انظر لشقيّتك هذه، فقال لها بالعجمية: لست أنت شقيّتي، إنّما شقيّتي بغلة ابن عمار التي تلوك لجامها على باب المسجد طول النهار<sup>(996)</sup>».

## 3- الأسماء والألقاب عند يهود الأندلس:

اعتاد يهود الأندلس أن يتخذوا اسمين، واحد عبري والآخر عربي، ومما يؤكد وجود اسم عربي واسم عبري لليهودي الأندلسي قول السموءل بن يحيى، -الذي أسلم بعد أن كان يهودياً- متحدثاً عن أبيه ذو الأصل الأندلسي: «وذلك أنّ كثيراً من متخصصيهم يكون له اسم عربي غير اسمه العبري مشتق منه، كما جعلت العرب الاسم غير الكنية<sup>(997)</sup>».

وقد تُركَّ يهود الأندلس يتسمَّون بأسماء عربية، فتسمى كثير منهم بأسماء مشتركة وردت في كلّ من التوراة والقرآن، لكنهم تقيّدوا بالنطق العربي للاسم، فتسموا بموسى<sup>(998)</sup>، بدل «موشي»، وإبراهيم<sup>(999)</sup>، بدل «أبراهام»، وهكذا.

(993) ينظر: تفاصيل استخدام اليهود للغة العربية في الفصل الثقافي من هذا البحث.

(994) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.159.

(995) الخشني: قضاة قرطبة، ص 167.

(996) م. ن، ص 167.

(997) السموءل بن يحيى، بذل المجهود في إفحام اليهود، (القاهرة، مطبعة الفجالة الجديدة، د. ت)، ص 4.

(998) ابن سعيد الأندلسي، اختصار القدح المعلى، ص 78، ترجمة رقم: 11.

(999) م. ن، ص 73، ترجمة رقم: 11؛ المقري، نفح الطيب، م 3، ص 527.



كما تسموا بأسماء عربية خالصة، حتى في معناها مثل «سَهْل»<sup>(1000)</sup>، و«بَسَام»<sup>(1001)</sup>، و«يعيش»<sup>(1002)</sup>، و«عبد الصمد»<sup>(1003)</sup>، و«نسيم»<sup>(1004)</sup>.

كما أطلق الكثير من يهود الأندلس على بناتهم أسماء عربية، مثل «أميرة»<sup>(1005)</sup>، وسموهن أيضاً بأسماء أسبانية مثل «يالومبا» أو «سيتورا»<sup>(1006)</sup>، وأخرى عبرية مثل «قسمونة»<sup>(1007)</sup>.

#### 4- ملابس اليهود في الأندلس:

ألزم يهود الأندلس بلباسٍ محدّد، ولكن ليس طوال مُدّة وجودهم في الأندلس، وإنّما في بعض الأوقات فقط، ونتيجةً لظروف وأسبابٍ معينة.

ولم أجد روايات تاريخية تدلُّ على إلزام اليهود في الأندلس بزِيٍّ خاص منذ فتحها وحتى عصر الموحدين. وفي الكتب العديدة التي كتبها باللاتينية بعض نصارى الأندلس في منتصف القرن التاسع الميلادي، وبالغوا فيها بتصوير أو ضاعهم، ووصفوها بأنّها سيئة لم يذكروا أبداً أنّهم ألزموا بزِيٍّ خاص أو علاماتٍ معينة توضع على ملابسهم<sup>(1008)</sup>. وهذا يعني أنّ أهل الذمة عموماً لم يُلزموا بذلك خلال تلك المدة. ويفهم من رواية للمراكشي أن يهود الأندلس لم يلزموا بزِيٍّ خاص قبل عصر الموحدين حيث يقول: «وفي آخر أيام أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي أمر أن يميز اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم»<sup>(1009)</sup>.

(1000) ابن سعيد الأندلسي، اختصار القدر المعلى، ص 73، ترجمة رقم: 11؛ المقري، نفح الطيب، م 2، ص 307.

(1001) المقري، نفح الطيب، م 3، ص 529.

(1002) أرسلان، الحلل السندسية، ج 1، ص 371.

(1003) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج 1، ص 288؛ ترجمة رقم: 206.

(1004) المقري، نفح الطيب، م 3، ص 522.

(1005) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.146.

(1006) IBID, VOL.3, P.146.

(1007) المقري، نفح الطيب، م 3، ص 530.

(1008) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.71.

(1009) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 304-305.

وعندما وُجِّه سؤال إلى الفقيه الأندلسي أبي بكر بن العربي من بعض أصدقائه في مدينة طنجة، وذلك أثناء وجوده في سبته<sup>(1010)</sup>، وطلب منه السائلون أن يفتيهم «في رجل يهودي، وهو الحكيم ابن قبنال، يُعَمَّمُ ويتختم ويركب السروج على فاره الدواب، ويقعد في حانوته من غير غيار ولا زنار، ويمشي كذلك في الأسواق بغير غيار يعرف به، بل بأفضل زيِّ كبار المسلمين وأحسنه»<sup>(1011)</sup>. وأن يجيبهم مستشهداً بأمثلة تاريخية «وهل كانوا على مثل هذا الحال في زمن الصحابة والتابعين ومدد ملوك المسلمين؟ أو هل مُنعوا من مثل هذا الزي وألزموا ما يعرفون به من المسلمين؟»<sup>(1012)</sup>، لم يضرب لهم هذا الفقيه الأندلسي أمثلة من الأندلس، ليدل على قيام الحكام بمنع اليهود والنصارى من التشبه بزي المسلمين وإلزامهم زيّاً خاصاً، بل نجده يستشهد بأمثلة من بغداد، حيث يصف الزي الذي ألزموا به فيها<sup>(1013)</sup>. ثم يقول: «وقد رأيت ذلك كله، وشاهدته بدار الإسلام، وحضرة الخلافة ببغداد حرسها الله»<sup>(1014)</sup>، ثم يصف حادثة وقعت فيها مع ثلاثة إخوة من اليهود تتعلق بهذا الموضوع<sup>(1015)</sup>.

ويختم إجابته بالقول: «هذه صفة غيار أهل الذمة بحضرة الخلافة دار الإسلام حرسها الله، قائم فيها الحق بالسنة أبداً، فخذها مجّاناً ممن شاهده وعاينه وتحققه وسكن الحضرة العالية»<sup>(1016)</sup>.

وفي اعتقادي أنّ أبا بكر بن العربي الذي عاش في الأندلس في عصر المرابطين لا يملك أمثلة حول هذا الموضوع من الأندلس، ولو أنّ حكام الأندلس منذ فتحها وحتى عصره ألزموا أهل الذمة بلباس خاص، لاشتهر ذلك، وعرف وصف هذا اللباس، ولما اضطرّ ابن العربي أن يستشهد للسائل المغربي بأمثلة من المشرق البعيد، ولاكتفى بأمثلة من بلده الأندلس.

(1010) الونشريسي، المعيار، ج2، ص254.

(1011) الونشريسي، المعيار، ج2، ص254.

(1012) م.ن، ج2، ص254.

(1013) م.ن، ج2، ص255-256.

(1014) م.ن، ج2، ص256.

(1015) م.ن، ج2، ص256-257.

(1016) م.ن، ج2، ص257.

كما تدلُّ مطالبات بعض فقهاء الأندلس، المهتمين بشؤون الحسبة، بإلزام اليهود والنصارى بزيٍّ خاص، أو بالغيار كما عُرف في كتب الفقهاء، على عدم التزامهم أو إلزامهم به من قبل الحكام. وقد ظهرت هذه المطالبات في عصر الطوائف بعد أن كثرت تجاوزات اليهود.

ويبدو أنَّ الفقهاء رغبوا في إلزام اليهود بهذا الأمر الذي يُعدُّ في حكم المستحب، وليس الواجب<sup>(1017)</sup>، لوضع حدٍّ لتكبرهم وتجاوزاتهم على الإسلام والمسلمين. وأسوة بما يجري العمل به في الشمال الأفريقي وبلاد المشرق. ومن هذه الفتاوى قول ابن عبدون: «يجب ألاَّ يُترك أحدٌ من المتقبلين، ولا من الشُّرط، ولا من اليهود، ولا من النصارى، بزيٍّ كبار الناس، ولا بزيٍّ فقيه، ولا بزيٍّ رجل خير... يجب أن تكون لهم علامة يُعرفون بها على سبيل الخزي لهم»<sup>(1018)</sup>. وقول الجرسقي: «ويُمنع أهل الذمة من الإشراف على المسلمين في منازلهم، والتكشيف عليهم ومن إظهار الخمر والخنزير في أسواق المسلمين، ومن ركوب الخيل بالسروج، والزيِّ بما هو من زيِّ المسلمين، أو بما هو من أثَّهة، وينصب عليهم علماً يمتازون به من المسلمين، كالشكلة<sup>(9)</sup> في حقِّ الرجال، والجلجل في حقِّ النساء»<sup>(1019)</sup>.

والظاهر أنَّ الفقهاء كانوا يطمحون إلى إلزام أهل الذمة في الأندلس بما يلزم به أمثالهم في بغداد عاصمة دار الخلافة في ذلك الوقت، وما وصفوه في فتاواهم من أزياء خاصة بالرجال وأخرى بالنساء، لا يدلُّ في رأيي على أنه كان زيّاً خاصاً بهم، وأنَّ الفقهاء يطالبون بإعادتهم إليه، وإنما هم يطالبون بما شاهدوه<sup>(1020)</sup>، أو سمعوا عنه في بلدان أخرى، أو قرأوه في كتب أحكام أهل الذمة، التي تصل إليهم من تلك البلدان، وقد أشار الونشريسي إلى دراسة عدد من فقهاء الأندلس في أواخر القرن الخامس الهجري كتاباً بعنوان: «الفصول الجامعة في ما يجب على أهل الذمة من أحكام المِلَّة» على يد فقيه طنجي رواه عن مؤلفه البغدادي، عندما كان هناك<sup>(1021)</sup>.

(1017) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص 229.

(1018) رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، ص 51.

(\*) الشكلة: ذكرها فانيان فقال: «الشكلة علامة مميزة فرضت على اليهود» دون تفاصيل أخرى أو تقديم وصف لها. فانيان، تكميلات القواميس العربية، (بيروت، مكتبة لبنان، د. ت)، ص 91.

أما هوبكنز فقد قال عنها: «وكانت الشكلة عبارة عن قمص طولها ذراع في عرض ذراع، وبرانس وقلانس زرق»، ينظر: هوبكنز، ج. ف. ب، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة: أمين توفيق، (ليبيا، تونس، الدار العربية للكتابة، 1980 م)، ص 123-124. وهذا يعني أنَّ الشكلة عنده هي زيٌّ خاص، وليست علامة مميزة.

(1019) الجرسقي، رسالة عمر بن عثمان بن العباس الجرسقي في الحسبة، حققها ونشرها: إ. ليفي برونسفال مع رسائل أخرى تحت عنوان: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، (القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية بالقاهرة، 1955 م)، ص 122.

(1020) ينظر: الونشريسي، المعيار المغرب، ج2، ص 256-257، يقارن مع ابن بسام المحتسب، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص 207، ومع: الجرسقي، رسالة عمر بن عثمان بن العباس الجرسقي في الحسبة، ص 122.

(1021) المعيار المغرب، ج2، ص 258.

ولدينا إشاراتٌ من عصر الطوائف، يُفهم منها عدم وجود زيٍّ خاص باليهود. حيث يقول أبو إسحاق الإليري في قصيدته التي صوّر فيها أحوال يهود غرناطة في عصر الطوائف:

وإني احتللتُ بغرناطة فكنْتُ أراهم بها عابثين...

وهم يلبسون ربيعَ الكِسا وأنتم لأوضاعها لابسون<sup>(1022)</sup>

ويؤكد حسين مؤنس أن اليهود في عهد بني أمية في الأندلس كانوا يلبسون ملابس العرب<sup>(1023)</sup>.

لقد تسامحت السلطات الإسلامية في الأندلس مع اليهود والنصارى وتغاضت عن إلزامهم بزيٍّ خاص في وقتٍ كان أمثالهم في بلدان المسلمين يُلزمون به، وبشكل حازم في بعض الأحيان<sup>(1024)</sup>. وكان هذا الزيُّ سائداً في كثير من الأوقات حتى في بلاد المغرب المجاورة للأندلس، ففي عهد الأغالبة أمر القاضي عبد الله بن أحمد بن طالب أثناء ولايته الثانية من (267-275هـ=880-888م)، بأن يضع اليهود على أكتافهم رقاعاً بيضاء في كلِّ رقعة منها قرداً وخنزيراً<sup>(1025)</sup>. ويروي المجديلي أنه «كتب عبد الله بن أحمد بن طالب إلى بعض قضاته في اليهود والنصارى، أن تكون الزنانير عريضة صغيرة مخالفة للون وجوه ثيابهم ليعرفوا بها، فمن وجدته تركها بعد نهيك فاضربه عشرين سوطاً مجزّداً، ثم صيّره في الحبس، فإن عاد فاضربه ضرباً وجيعاً بليغاً وأطل حبسه»<sup>(1026)</sup>، وقد ذكر هذه الرواية أيضاً الونشريسي<sup>(1027)</sup>. ولم يكن فقهاء القيروان يتساهلون في مسألة اللباس حتى مع اليهود المقرّبين من الحكام.

(1022) لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 232.

(1023) فجر الأندلس، ص 523.

نقلاً عن:

LEVE-PROVENCAL, MISTOIRE DE L'ESPAGNE MUSULMANE, (PARIS), 1951, I, P.80-81.

(1024) ينظر: الونشريسي، المعيار المعرب، ج2، ص 256-257.

(1025) المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس، ج1، قام على نشره: حسين مؤنس، (القاهرة، ط1، 1951م)، ص 381. عباس أبو الفضل، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: أحمد بكير محمود،

(بيروت، منشورات دار الحياة، ليبيا، دار الفكر، 1968م)، ج2، ص 205.

(1026) المجديلي، كتاب التيسير في أحكام التسعير، ص 78-79.

(1027) الونشريسي، المعيار المعرب، ج6، ص 421.

إذ يروى أن المعز بن باديس بعث طبيبه ابن عطاء اليهودي لمقابلة أبي عمران موسى «فلما دخل على الشيخ في داره ظنه الشيخ بعض رجال الدولة إلى أن قال بعض الحاضرين: أكرمك الله إنه من خيار أهل ملته، فقال الشيخ: وما ملته؟ فقال: هذا ابن عطاء اليهودي، فغضب أبو عمران... وأمره بالخروج وهو يردد، وكان غير معلّم، فأمر الشيخ بصبغ طرف عمامته لشهرته»<sup>(1028)</sup>.

وفي عصر الموحدين فرض على يهود الأندلس زيّ خاص في أواخر عهد الخليفة أبي يوسف يعقوب، يحدثنا عنه عبد الواحد المراكشي فيقول: «أمر أن يُميّز اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم، وذلك ثياب كحيلة، وأكمام مفرطة السعة تصل إلى قريب من أقدامهم، وبدلاً من العمام كلوتات على أشنع صورة، كأنها البراديع تبلغ إلى تحت آذانهم، فشاع هذا الزي في جميع يهود المغرب، ولم يزلوا كذلك بقية أيامه وصدرًا من أيام ابنه أبي عبد الله [الناصر]، إلى أن غيّرهُ أبو عبد الله المذكور، بعد أن توسّلوا إليه بكلّ وسيلة، واستشفعوا بكلّ من يظنون أنّ شفاعته تنفعهم، فأمرهم أبو عبد الله بلباس ثياب صفر وعمائم صفر، فهم على هذا الزي إلى وقتنا هذا -وهو سنة 621هـ<sup>(1029)</sup>، ولكن الزركشي خالف المراكشي، فذكر أنّ المنصور أمرهم «بعمل الشكلة، وجعل قمصهم طول ذراع في عرض ذراع، وجعل لهم برانس، وقلانس زرق»<sup>(1030)</sup>.

وأرى أن قول المراكشي هو الأصح، والدليل على ذلك أن ملابسهم كانت في سلطنة غرناطة ذات لون أصفر، ويبدو أن ذلك اللون كان في عهد الموحدين وبقي سائداً في سلطنة غرناطة بعد سقوط دولة الموحدين.

(1028) الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تصحيح وتعليق: إبراهيم شيوخ، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1968م)، ج3، ص161.

(1029) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص304-305.

(1030) الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدين والحفصية، تحقيق وتعليق: محمد ماضورة، (تونس، ط2، 1966م)، ص16.

أما عن ملابس اليهود في مملكة غرناطة في عهد بني الأحمر، فيحدّثنا عنها ابن الخطيب في معرض وصفه لسياسة السلطان نصر أحد ملوك بني نصر (708-713هـ=1308-1313م) بقوله: «وأخذ يهود الذمة بالتزام سمة شهرهم، وشارة تميزهم، ليوفوا حقهم من المعاملة التي أمر بها الشارع في الطرق والخطاب»<sup>(1031)</sup>. كما يصف ابن الخطيب ملابس اليهود في عهد السلطان إسماعيل بن فرج (713-725هـ=1313-1324م) الذي خلف السلطان نصر، فيقول: «وأخذ يهود الذمة بالتزام سمة شهرهم، وشارة تميزهم، وليوفى حقهم من المعاملة التي أمر بها الشارع في الخطاب والطرق، وهي شواشي صفر»<sup>(1032)</sup>.

ويصف المقرئ ملابسهم في عهد بني نصر ويبين أنهم كانوا يعتَمرون «قلنسوة صفراء، إذ لا سبيل لليهودي أن يتعمّم البتة»<sup>(1033)</sup>. ويروي ابن الخطيب حادثة طريفة حدثت في مملكة غرناطة النصرية حول هذا الموضوع، وفي ما يبدو في عهد سلطانها إسماعيل بن فرج، حيث يقول: «ولقد حدّث من يخفّ حديثه، من الشيوخ أولي المجانة والدعابة، قال: كنا عاكفين على راح، وبرأسي شاشية ملفّ حمراء، فحاول أصحابي إنامتي، حتى أمكن ذلك، وبادروا إلى رقاع من ثوب أصفر، فصنعوا منها شاشية ووضعوها في رأسي مكان شاشيتي، وأيقظوني فقمّت لشأني، وقد هيأوا ثمناً لشراء بقل وفاكهة وجهازوني لشرائه، فخرجتُ حتى أتيتُ دكان السوق فساومتها، فلما نظر إليّ قال لصاحبه: جزا الله هذا السلطان خيراً، والله لقد كنتُ أبادرُ هذا اللعين بالسلام عند لقائه أظنُّهُ مسلماً، وبصق عليّ فهممتُ أن أوقع به، ثم فطنتُ للحيلة، فانتزعتها، وبادرتُ فأوسعتهم ذمّاً، وعظم خجلي، وسبقني إليهم عين لهم عليّ، فكان الضحك يهلكهم عند دخولي»<sup>(1034)</sup>.

وهناك مجموعة من التساؤلات يمكن أن تُثار حول موضوع اللباس المحدد الذي فرض على أهل الذمة في دار الإسلام. ومن هذه التساؤلات: ما حكم فرض لباس معين على أهل الذمة؟، وهل قام هذا التشريع على أساس نصوص من الكتاب والسنة؟ وما الهدف أو المصلحة التي جعلت المسلمين يطبقونه عليهم في بعض العصور؟.

(1031) اللوحة البدرية في الدولة النصرية، ص 71.

(1032) الإحاطة في أخبار غرناطة، م 1، ص 396.

(1033) نفح الطيب، م 1، ص 223.

(1034) الإحاطة في أخبار غرناطة، م 1، ص 396.

وللإجابة على هذه التساؤلات نستشهد بقول الماوردي الخبير في السياسة الشرعية: «وَأَمَّا الْمُسْتَحَبُّ فَسِتَّةُ أَشْيَاءَ: تَغْيِيرُ هَيْئَاتِهِمْ بِلِبْسِ الْغِيَارِ، وَشَدُّ الزَّنَّارِ...»<sup>(1035)</sup>، وبقول ابن القيم: «وَأَمَّا الْغِيَارُ فَلَمْ يُلْزَمُوا بِهِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا اتَّبَعَ فِيهِ أَمْرُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»<sup>(1036)</sup>.

ويدلُّ القولان السابقان على عدم وجود نصٍّ في الكتاب أو السنة يقضي بفرض زيٍّ على أهل الذمة، وأنَّ حكمه في الشريعة يُعدُّ مستحبًّا وليس واجباً، ومن المعروف أنَّ المستحب هو ما يثاب فاعله، ولا يعاقب تاركه<sup>(1037)</sup>.

أما عن الأسباب التي جعلت المسلمين في بعض العصور يحرصون على إلزام غير المسلمين بزي خاص، فيمكن حصرها بما يأتي:-

أ- لكي يُعرف المسلم من غير المسلم، فيحصل كلُّ على حقه، ويطالب بما عليه من واجبات، إذ إنَّ الشريعة الإسلامية التي كانت هي الدستور في دار الإسلام، قد جعلت للمسلم حقوقه وواجباته، ولغير المسلم حقوقه وواجباته. فكيف سيعطى الفرد حقوقه ويطالب بواجباته، إذا لم يكن هناك علامات تجعل من السهل التفريق بين المسلم والذمي. وبما أنَّ ملامح المسلمين وغير المسلمين وأشكالهم في دار الإسلام كانت متقاربة، وهم جميعاً يجيدون اللغة العربية، ويملكون حق التنقل وارتياح معظم الأماكن، فكان لابدَّ من علامات فارقة في الملبس، تمكِّن ولاية الأمر والمحتسبين والقضاة وحتى جمهور المسلمين من التعامل معهم وفق قانون الدولة الذي هو أحكام شريعة الإسلام.

وقد لاحظنا الإشارة إلى هذا السبب في نصِّ رواية ابن الخطيب عندما قال: «وأخذ يهود الذمة بالتزام سمة تشهرهم وشارة تميزهم، وليوفي حقهم من المعاملة التي أمر بها الشارع في الخطاب والطرق»<sup>(1038)</sup>.

ب- إن فرض زيٍّ خاص على غير المسلمين مهم لأمن المسلمين، لأنه يُصعَّبُ على جواسيس أعداء المسلمين من اليهود والنصارى، القيام بمهامهم التجسسية، إذ يُكتشفون بسهولة بسبب زيهم، ويحذر المسلمون منهم.

(1035) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص 229.

(1036) أحكام أهل الذمة، ق 1، ص 236.

(1037) أبو زهرة، محمد، أصول الفقه، (القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت)، ص 39.

(1038) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، م 1، ص 396.

ج- ليس المسلمون وحدهم هم الذين جعلوا لغير المسلمين علاماتٍ يعرفون بها. «ففي أوروبا قرَّرَ المجمع المسكوني المنعقد في لاتران (LATRAN). بروما سنة (612هـ=1215م)، بأن يحمل اليهود شارة صفراء ضرورية (LA ROUELLE) بقصد التمييز بين النصارى واليهود. وقد علّق أحد المجتمعين على هذا الإجراء بقوله: إنّ الدواعي الكامنة وراء هذه الإجراءات في العصور الوسطى ليست عنصرية، لأنّ المسلمين والمرضى بالجذام والمومسات يحملون شاراتٍ مميزة، وهي تهدف إمّا لمنع الاختلاط أو التحذير من معاشرة تعدُّ مُضِرَّةً من الناحية الدينية»<sup>(1039)</sup>. ويقول جوزيف رينو: «ينصُّ قانون أصدره مجمع الأساقفة في طركونة في سنة 1239م وقرار أصدره أسقف بيزير في سنة 1368م، على أنّه يتحتم على المسلمين ذكوراً وإناثاً أن يلبسوا أزياء خاصة بهم تميّز عن ملابس المسيحيين [النصارى] من حيث اللون والشكل معاً، ومثلهم في ذلك مثل اليهود»<sup>(1040)</sup>.

وأعتقد أنّ ما تقوم به جميع دول العالم في عصرنا هذا من عمل هويّاتٍ أو بطاقات خاصّة للمقيمين فيها، وأخرى تخصّ مواطنيها، تشبه مسألة الزي أو العلامات الفارقة التي كانت تخصص لغير المسلمين المقيمين في الدولة الإسلامية. ولو توفّرت في تلك العصور الوسائل المتوفّرة اليوم في عصرنا، لعمل بها، ولما لجأ المشرعون إلى مسألة الزي الخاص وغيره من العلامات الأخرى.

(1039) الكواتي، اليهود في المغرب، ص 125.

نقلاً عن: FRANCOIS DE FONTETTE, LE RACISME, (PARIS, 1981), P.31.

(1040) جوزيف رينو، الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا، ص 235.



والظاهر أنَّ اليهود كانوا يتهرَّبون من الالتزام بالزيِّ الذي يخصَّصُ لهم، لسببين: الأول: هو شعورهم بأنَّ في تمييزهم بزيٍّ خاص إهانة وإذلالاً لهم<sup>(1041)</sup>. ومما يدلُّ على أنَّ التمييز لا يقصد منه الإهانة والإذلال قول أبي عبد الله المازري: «كون اليهود يكلفون تغيير أطرافهم، أو اتخاذ عَلم يميزون به، هذا مما فُعلَ عندنا حديثاً وقديماً في الأمصار الكبار»<sup>(1042)</sup>، وتعليق الونشريسي على هذا القول: «وقوله في الأمصار الكبار معناه حيث يكثر اللبس. وأما الصغار، أو حيث تكون القرية لهم فظاهر كلامه أنه لا يُحتاج إليه»<sup>(1043)</sup>. وفي هذه الفتوى دليل واضح على أن المقصود باللباس هو تمييز الأشخاص ومعرفتهم، إذ لم يتوجب إلّا في المدن الكبيرة التي من الصعب معرفة جميع سكانها، أما في قراهم أو في القرى الصغيرة، فليس بواجب لأن تمييز اليهود ومعرفتهم يكون سهلاً.

والسبب الثاني: هو ادعاؤهم بأنَّ هذا الزيُّ، يُدلِّل على أنهم يهود، ويعرِّض أموالهم وحياتهم للخطر. ويردُّ على ذلك أحد فقهاء المغرب المطلعين على حقائق عصرهم، حيث يقول: وما يفعلهُ اليهود اليوم في الأسفار من ركوب الخيل، والسروج الثمينة، ولبس فاخر اللباس، والتحلِّي بحلية المسلمين في لبس الخف والمهماز، والتَّعمُّ بالعمائم فمحظورٌ شنيع، ومنكرٌ فظيع، يُتقدَّم في إزالته بما أمكن. وربما يجعلون لذلك مُحللاً، زعمهم أنهم يخافون على أنفسهم وأموالهم إنَّ ظهر عليهم زيَّهم الذي يعرفون به، وهم في ذلك كذابون، لما شاهدنا من حصول الأمن القوي لهم عند العرب، والحظوة الكبيرة لما يرجون من حصول النفع منهم، فيرضى العربي أن يستأصل هو وجميع أهله في نجاة اليهودي الذي معه»<sup>(1044)</sup>.

(1041) ينظر: الونشريسي، المعيار المغرب، ج2، ص 256.

(1042) م.ن، ج2، ص 259.

(1043) م.ن، ج2، ص 259.

(1044) م.ن، ج2، ص 248.

## 5- يهود الأندلس والطعام:

يشترك يهود الأندلس مع غيرهم من اليهود في كثير من العادات الخاصة بالطعام، والتي يقولون: إنها تستند إلى تعاليم دينية. ويختلفون عنهم في بعض العادات والأكلات وطرق إعدادها، فهم متفقون على عدم أكل ذبائح المسلمين، وبعض أطعمتهم. وفي ذلك يقول السموءل بن يحيى الأندلسي الذي كان يهودياً وأسلم: «فما بال هؤلاء [اليهود] لا يأكلون من ذبائح المسلمين؟!، بل من سكن في الشام وبلاد العجم لا يأكلون من أيدي المسلمين اللبن والجبن والحلوى والخبز، وغير ذلك من المأكولات»<sup>(1045)</sup>. ويقول أيضاً في وصفه لفرقة الربانيين الذين منهم جل يهود الأندلس: «وهذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم من سائر اليهود، لأن أولئك الفقهاء المفترين على الله قد أوهموهم أن المأكولات والمشروبات إنما تحل للناس بأن يستعملوا فيها هذا العلم الذي نسبوه إلى الله وإلى موسى، وأن سائر الأمم لا يعرفون هذا، وأنهم إنما شرفهم الله بهذا وأمثاله من الترهات التي أفسدوا بها عقولهم، وصار أحدهم ينظر إلى من ليس على ملته كما ينظر إلى سائر الحيوانات التي لا عقل لها، وينظر إلى المأكَل التي تأكلها الأمم كما ينظر الرجل إلى العذرة، أو صديد الموتى، وغير ذلك من الأشياء القذرة التي لا يسوغ لأحد أكلها، فهذا هو الأصل في بقاء هذه الطائفة على أديانها، لشدة مبايئتها لغيرها من الأمم؛ ولأنهم ينظرون إلى الناس بعين النقص والازدراء إلى أبعد غاية»<sup>(1046)</sup>.

وهناك لحم لا يأكلونه إذ يسمونه «طاهور» أو «طريف»، وهو لحم الذبائح التي يعتقدون أن اليهودي الذي ذبحها لم يلتزم بتعليمات الذبح المتبعة عندهم. وكان يهود الأندلس كغيرهم من اليهود يبيعون هذه الذبائح أو لحمها إلى المسلمين دون أن يخبروهم بحقيقتها. وقد أورد الونشريسي مسألة حول هذا الموضوع حيث يقول: «سئل ابن سحنون عن قوم يهود ذبحوا الغنم لأنفسهم، فربما خرج لهم في ذلك شيء يسمونه طاهوراً»

(1045) بذل المجهود في إفحام اليهود، ص 56.

(1046) م.ن، ص 59-60.

فبيعون ذلك ولا يبينوه، وما علمنا أن أحداً منهم بين لنا ذلك، فأجاب: «إذا وقع في ذبيحتهم ما لا يستحلونه، فيبيعونه للمسلمين ولا يبينونه، فيمنعون من البيع في الأسواق، ولو في موضع يشتري منهم أهل الأسواق»<sup>(1047)</sup>.

وأورد أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف فتوى لأحد الفقهاء يقول فيها: «إن كان ما اشتراه من اللحم منهم مما لا يأكلونه، مثل الطريف وشبهه، فيفسخ شراؤه»<sup>(1048)</sup>.

أما المسلمون فإنهم يستحلون أكل ذبائح اليهود وأطعمتهم<sup>(1049)</sup>. لكنهم يعتقدون أن «ما ذبحوا لأعيادهم وضلالهم، فتركه أفضل لأن أكله من تعظيم شركهم»<sup>(1050)</sup>.

ويفسر السموءل بن يحيى سبب عدم أكل طعام اليهود غيرهم في الوقت الذي يستبيح فيه المسلمون أكل طعامهم بأن أئمتهم حرموا عليهم مؤكلة الأجانب<sup>(1051)</sup>.

ويبدو أن يهود الأندلس كانوا يولون الطعام اهتماماً كبيراً، إذ اشتهرت في الأندلس طبخات معينة نسبت إليهم. وقد ذكر صاحب كتاب «الطبخ في المغرب والأندلس» بعض أسماء هذه الطبخات، وقدم وصفاً لها، وأسماءها هي:-

«لون من فروج يهودي»<sup>(1052)</sup>، «لون يهودي محشو مدفون»<sup>(1053)</sup>، و«حجلة يهودية»<sup>(1054)</sup>، و«لون من حجلة يهودي»<sup>(1055)</sup>.

وقد تحدث ابن حزم عن إحدى عادات يهود الأندلس في الطعام بقوله: «إنهم يلتزمون أكل الفطير في مرور الوقت المذكور في كل عام»<sup>(1056)</sup>.

(1047) المعيار المغرب، ج2، ص29.

(1048) في آداب الحسبة والمحتسب، حققها ونشرها مع رسائل أخرى: إ. ليفي برونسفال تحت عنوان: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، (القاهرة، مطبعة المعهد الفرنسي بالقاهرة، 1955م)، ص94.

(1049) لقوله تعالى: ﴿...وَلَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَلَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ...﴾ سورة المائدة، من الآية 5.

(1050) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة والمحتسب، ص95.

(1051) السموءل بن يحيى، بذل المجهود في إفحام اليهود، ص55.

(1052) مجهول، كتاب الطبخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، «صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد»، م9، 10، (مدريد، 1961-1962م)، ص68.

(1053) م.ن، ص74.

(1054) م.ن، ص67.

(1055) م.ن، ص70.

(1056) الرد على ابن النغيلة اليهودي، ورسائل أخرى، ص69.

كما أشار آشتور إلى بعض عاداتهم في الطعام، فذكر أن هناك باعة متجولين من اليهود كانوا يطوفون في الأحياء اليهودية، ويبيعون فيها الطعام المُعدّ على وفق أذواقهم<sup>(1057)</sup>، وأن أفراد العائلة اليهودية كانوا يأكلون فرادى، بينما يجتمعون لتناول الطعام معاً في أيام السبت والأعياد<sup>(1058)</sup>. وأن من الأكلات المفضّلة في أيام الأعياد، الفطائر المختلطة بالخل والنيذ والتي تدعى «بواريد»، وكذلك «الهريسة» المصنوعة من الدقيق واللحم المقطع، إضافة إلى الفطير المحشو بقطع الدجاج والفطر<sup>(1059)</sup>.

وكان من عادة اليهود أنهم يقيمون في الأعياد الولائم الخاصة بأفراد الطائفة اليهودية في كلّ مدينة يقطعون فيها، وأن الأغنياء هم الذين يتولّون الإنفاق على هذه الولائم ويطعمونها في بيوتهم، ويقول آشتور: «إنه في مثل هذه المناسبات كان المضيف يستأجر طبّاخاً معروفاً بمهارته وخبرته الطويلة، وكان هذا الطباخ يقدّم الفواكه للضيوف، ثم يليها الحمام المطبوخ بالخل، وتلك وجبة شهية راقية. وتُنهى الوجبة بالحلويات، ثم يضع الخدم الفاكهة على طاولات صغيرة مستديرة»<sup>(1060)</sup>.

#### 6- أعياد يهود الأندلس:

لليهود أعياد عديدة ومتنوعة، منها ما يعتقدون أن التوراة جاءت بها، وأخرى محدثة، أما الأولى فخمسة أعياد، وهي: عيد رأس السنة العبرية، وعيد صوماريا، وعيد المظلة، وعيد الفطير، وعيد الأسابيع، ويسمى عيد العنصرة وعيد الخطاب<sup>(1061)</sup>. وأما المحدثه فأشهرها عيدان هما: عيد الفوز<sup>(1062)</sup>، وعيد الحنكة<sup>(1063)</sup>.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.122. (1057)

IBID, VOL.3, P. 145. (1058)

IBID, VOL.3, P. 158. (1059)

IBID, VOL.3, P.160. (1060)

(1061) للاطلاع على تفاصيل عن هذه الأعياد اليهودية. ينظر: النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الإرب في فنون الأدب، م1، (مصر، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والنشر، نسخة مصورة عن دار الكتب، د.ت)، ص195-196؛ القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج2، (مصر، المؤسسة المصرية العامة، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، د.ت)، ص436-437.

(1062) للاطلاع على تفاصيل عن عيد الفوز، ينظر: النويري، نهاية الإرب، م1، ص196؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج2، ص437.

(1063) للاطلاع على تفاصيل عن عيد الحنكة. ينظر: النويري نهاية الإرب، م1، ص197؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج2، ص438-439.

وذكر أشتور نقلاً عن مصادر يهودية أن يهود الأندلس كانوا يحيون هذه الأعياد، ويؤدون جميع طقوسها على طريقتهم الخاصة، حيث يقيمون تلك الطقوس داخل بيوتهم، وفي معابدهم، ويصحبون أولادهم إلى المعابد، ويجتمعون على موائد الطعام داخل بيوتهم، وعلى الولائم في بعض بيوت أثريائهم<sup>(1064)</sup>.

ولم أجد في المصادر الإسلامية التي اطلعت عليها ذكراً لاحتفال يهود الأندلس بهذه الأعياد غير ما ذكره ابن الأزرقي الأندلسي<sup>(\*)</sup>، عن سؤال وجه إليه «عن اليهود يصنعون رغائف في عيد لهم يسمونه عيد الفطير، ويهدونها لبعض جيرانهم من المسلمين، فهل يجوز قبولها منهم، وأكلها أم لا؟»<sup>(1065)</sup>، وقد أجاب ابن الأزرقي بعدم جواز قبولها منهم<sup>(1066)</sup>. ولهذا العيد اسم آخر عند اليهود، وهو عيد الفصح، وهو يبدأ من اليوم الخامس عشر من شهر نيسان، ويستمر سبعة أيام يأكلون خلالها الفطير، وينظفون بيوتهم من خبز الخمير، وذلك احتفالاً بذكرى خلاصهم من فرعون، وغرقه<sup>(1067)</sup>.

وحول عجينة الفطير التي يصنعها اليهود في هذا العيد، يقول حسن ظاظا: «خبز الفطير المفروض على اليهود في فصحهم قد جرت العادة أن يدخلوا في عجنته دماً بشرياً يأخذونه من ضحية يقتلونها من أمة أخرى غير اليهود، ويستحسن أن تكون الضحية من المسيحيين أو المسلمين»<sup>(1068)</sup>. وعن نتائج هذه العادة على اليهود يقول أيضاً: «إنها جلبت على أماكن التجمع اليهودي في الشرق والغرب مشاكل كثيرة، فقد كان الحي اليهودي الذي يسكنون فيه يهاجم، وينتشر فيه القتل والتنكيل

THE JEWS, VOL.3, P.148-152. (1064)

(\*) أبو عبد الله بن الأزرقي: ويعرف بالأندلسي، ولد سنة (831هـ=1428م)، بمالقه، وتوفي سنة (896هـ=1491م) بالقدس، تولى القضاء بقرناطة، كما تولى الإفتاء والتدريس، زار تلمسان ودخل إلى تونس، ثم توجه إلى القاهرة. من أهم آثاره «الإبريز المسبوك في كيفية أدب وسير الملوك» و«بدائع السلك في طبائع الملوك». وقد قام محمد بن عبد الكريم الجزائري بتحقيق الكتاب الأخير. وصدر عن (الدار العربية للنشر، تونس، ليبيا، 1977)، ينظر: مقدمة المحقق، ص 9-24.

(1065) الونشريسي، المعيار المعرب، ج1، ص 111؛ ابن الأزرقي، بدائع السلك، مقدمة المحقق، ص 21.

(1066) ينظر: نص الجواب كاملاً في: المعيار، ج1، ص 111-112.

(1067) النويري، نهاية الإرب، ج1، ص 196؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج2، ص 437.

(1068) ظاظا، حسن، الفكر الديني اليهودي، (دمشق، دار القلم، بيروت، دار العلوم، ط2، 1407هـ-1987م)، ص 185.

بمجرد اختفاء طفل أو شخص من مجتمع غير يهودي مجاور في عيد الفصح... ومن ذلك ما يروى من قتل اليهود للطفل المسيحي «هيوغ» من مدينة «لنكولن» بإنجلترا في موسم الفصح سنة 1255 م، وسجل هذه التهم يطول تتبعه، كالذي قيل إنه حدث في لندن سنة 1257 م، وفي «بفورتسهايم» بألمانيا سنة 1261 م، وفي «فورثامبتون» سنة 1279 م، وفي «ميونخ» بألمانيا سنة 1258 م...»<sup>(1069)</sup>.

ولم أجد نصاً صريحاً يدل على ممارسة يهود الأندلس لهذه العادة، لكنني أمام هذه الحوادث العديدة التي تدل على تأصلها عند اليهود، وممارستها في العصور الوسطى، صرت أربط بينها وبين حادثة قتل المسلم الذي وجدت جثته في الحي اليهودي بقرطبة سنة (529 هـ = 1135 م)، والتي أدت إلى مهاجمة المسلمين لهذا الحي، والفتك باليهود، ولا سيما أن ابن عذاري الذي روى هذه الحادثة لم يشر إلى سبب قتل المسلم، حيث قال: «وثارت العامة بقرطبة في هذه السنة في رجب على اليهود لعنهم الله، بسبب قتل وجد بين أظهرهم»<sup>(1070)</sup>. ويزيدنا تأكيداً من صحة هذا الربط، أن شهر رجب في عام 529 هـ يوافق شهر نيسان من عام 1135 م، وهو الشهر الذي يحتفل فيه اليهود بهذا العيد<sup>(1071)</sup>.

(1069) ظاظا، حسن، الفكر الديني اليهودي، ص 185.

(1070) البيان المغرب، ج4، ص 93.

(1071) تبين لي ذلك عند الرجوع إلى جدول مقارنة التواريخ الهجرية بالتواريخ الميلادية. ينظر: العجيري، صالح محمد، تقويم القرون لمقابلة التواريخ الهجرية والميلادية، (الكويت، منشورات ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1981 م).

7- المرأة اليهودية في الأندلس:

نظرت الشريعة اليهودية إلى المرأة نظرة احتقارٍ وصغار، فيقول الحبر اليهودي بابا بتره: «ما أسعد من رزقه الله ذكوراً، وما أسوأ حظ من لم يرزق بغير الإناث»<sup>(1072)</sup>.

ولا يسمح اليهود للمرأة بالالتحاق بالمدارس الدينية، وهي في شريعتهم خفيفة عقل.

وقد جاء على لسان الحاخام أليعازر: «كل من يُعَلِّم ابنته التوراة، فكأنما يعلمها السخافة»<sup>(1073)</sup>.

ومهمة المرأة تقتصر عندهم على الإنجاب وتأدية مهام البيت وتربية الأطفال. وإذا تزوجت، وكان لها خدام في بيت أبيها، وأحضرتهم معها إلى بيت زوجها، فعندئذ يمكن أن تُعفى من بعض الأعمال، ولكن مهما كان عدد الخدم الذين أحضرتهم معها، فإنها لا تُعفى من الغزل، مثلما أكد الحبر أليعازر (ELIEZER)، ولزوها أن يرغمها عليه، لأن البطالة تقود إلى الفساد<sup>(1074)</sup>. ويُعدُّ المشرع اليهودي المرأة المتزوجة كالقاصر والصبي والمجنون بحيث لا يجوز لها البيع والشراء<sup>(1075)</sup>.

إنَّ هذا التشدد من الشريعة اليهودية في النظرة إلى المرأة، هو في تصوُّري الذي جعلها تكاد تكون غائبة الذكر في المصادر التاريخية الأندلسية والمغربية. إذ لم أجد للمرأة اليهودية الأندلسية غير إشاراتٍ طفيفة، لا يمكن أن تسهم في تكوين صورة واضحة عنها، ولذلك اضطررنا لبيان صورتها في الشريعة اليهودية التي استمدَّ منها يهود الأندلس نظرهم وكثيراً من تصوراتهم عن المرأة وكيفية معاملتها.

ومن هذه الإشارات، إشارة المقرري إلى الشاعرة قسمونة بنت إسماعيل اليهودي، التي يدلُّ تمكُّنها من الشعر العربي على وجود نساء يهوديات في الأندلس، قد أخذن بنصيبٍ وافٍ من التعليم، وتدلُّ المعاني التي عبرت عنها في شعرها على بعض صفات المرأة اليهودية في الأندلس. فهي محافظة،

(1072) شليبي، مقارنة الأديان اليهودية، ص 284، كحالة، عمر رضا، الزواج، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1981م)، ج1، ص33.

(1073) ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، (بيروت، دار النفائس، ط2، 1972م)، ص58.

(1074) شليبي، مقارنة الأديان اليهودية، ص285-286.

(1075) م.ن، ص285.

وترغب في الارتباط برجل، ولكن عن طريق الزواج الشرعي، كما أن زواجها لا يتم إلا بإذن وليها الذي هو والدها إن كان حياً، كما أنها حيّة لا تصرّح إلى أهلها برغبتها في الزواج، بالرغم من رغبتها فيه وحاجتها إليه. كل ذلك يفهم من أبيات شعرية عربية قالتها قسمونة، نجدها في رواية المقري الذي يقول: «وكانت بالأندلس شاعرة من اليهود يقال لها قسمونة بنت إسماعيل اليهودي، وكان أبوها شاعراً، واعتنى بتأديبها،... ونظرت في المرأة فرأت جمالها، وقد بلغت أوان التزويج، ولم تتزوج، فقالت:

أرى روضة قد حان منها قطافها      ولست أرى جانٍ يمدُّ لها يداً  
فوا أسفي يمضي الشباب مضيّاً      ويبقى الذي ما إن أسميه مفرداً  
فسمعتها أبوها، فنظر في تزويجها.

وقالت في طيبة عندها:

يا طيبة ترعى بروضٍ دائماً      إني حكيتك في التّوحش والحَوْر  
أمسى كلانا مفرداً عن صاحبٍ      فلنصطبر أبداً على حكم القَدَر<sup>(1076)</sup>  
والظاهر أن اختلاط يهود الأندلس بالمسلمين، ورؤيتهم لمكانة المرأة وحقوقها في الشريعة الإسلامية، وفي المجتمع الإسلامي، قد أثر في عقلية يهود الأندلس، ودفعهم للتحرر من بعض قيود شريعتهم المهيئة للمرأة، والبحث عن مخرج لهم من تلك القيود. فالشريعة اليهودية وأخبارها يمنعون المرأة من التعلّم في المدارس كما بينا سابقاً، لكننا نجد أن أبا قسمونة قد اهتم بتعليم ابنته بنفسه حتى أصبحت شاعرة مقتدرة.

«واعتنى بتأديبها، وربّما صنع من الموشحة قسماً، فأتمتها هي بقسمٍ آخر، وقال أبوها يوماً: أجيّزي:

لي صاحبٌ ذو مهجةٍ قد قابلت      نعمى بظلمٍ واستحلّت جُرمها  
ففكرت غير كثيرٍ وقالت:

(1076) المقري، نفح الطيب، م3، ص530.



كالشمس فيها البدرُ يقبَسُ نوره أبداً ويكسف بعد ذلك جِرمها  
فقام كالمختبل، وضمَّها إليه، وجعل يُقبِّلُ رأسها، ويقول: أنتِ والعشر كلمات أشعرُ  
منِّي<sup>(1077)</sup>.

ولا يمكن أن تكون قسمونة هي الفتاة اليهودية الوحيدة في الأندلس التي حظيت بالتعلم من قبل  
أبيها، بل هي في رأيي واحدة من بين الكثير من اليهوديات اللاتي تعلَّمن في بيوتهن.  
والشريعة اليهودية تحرم المرأة نهائياً من الميراث، وتجعله من حق الولد الأكبر فقط<sup>(1078)</sup>.  
ولذلك وجدنا يهودياً أندلسياً يجدُ مخرجاً له من هذا الظلم وذلك بحبس عقارٍ على ابنته وعلى  
عقبها. حيث يقول القاضي ابن سهل:

«سئلتُ عن يهوديٍّ حبس على ابنته فلانة البكر في حجره، وولاية نظره جميع القلعة التي  
بموضع كذا، وحدها كذا، وعلى من يولد له، وعلى أعقابهم، وأعقاب أعقابهم، فإن لم يولد له ولد،  
فذلك حبس على ابنته المذكورة، وعلى عقبها، وعقب عقبها، فإن انقرضوا رجع حبساً على  
مساكين المسلمين بلورقة، وقال في العقد: إنه أدار ذلك لابنته، بما يحوز به الآباء لأبنائهم، حتى  
تبلغ مبلغ القبض لنفسها»<sup>(1079)</sup>. والذي يجعلنا نميل إلى أن تصرَّف اليهودي هذا مع ابنته كان بتأثير  
من المسلمين، توصيته بالعقار إلى مساكين المسلمين في حال انقطاع عقب ابنته.

وقد وجدت توافقاً بين ما استنتجته من خلال نصوص المصادر الإسلامية، وبين ما استنتجته  
نؤمن من المصادر اليهودية، حيث يقول: «والبنات لا يرثن من أبيهن عندما يكون هناك أولاد،  
ولكن إعالتهن ومهرهن كانت من أملاك الأب. وكان هناك اختلاف كبير بين مركز المرأة  
اليهودية في القانون، ومكانتها في الحياة»<sup>(1080)</sup>. وورد ذكرُ لامرأةٍ يهودية قرطبية من أهل القرن  
الرابع الهجري/ العاشر الميلادي<sup>(1081)</sup> عند الونشريسي

(1077) م. ن، م، 3، ص 530.

(1078) ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص 195-196.

(1079) ابن سهل، الحكام الكبرى، ص 68.

NEUMAN, ABRAHAM A, THE JEWS IN SPAIN, (PHILDELPHIA, 1944), VOL.2, (1080)  
P.63.

(1081) خلاف، تاريخ القضاة في الأندلس، ص 191.

حيث يقول: «وسئل فقهاء قرطبة عن يهودي ذكر أنّ امرأةً طلبته، وهي منهم عند قضاتهم بأشياء ادّعتها على أبيه، وأنه على الفعل عليه في ما طالبت به، وأنّ بيده سجلاً لقاضي الجماعة، ووثائق منعقدة بالخط العربي، وشهود المسلمين، وأثبت أنّ قضاة اليهود وفقهاءهم على عداوة أبيه، وأتت المرأة، وزعمت أنّ حقها ثبت عند قضاتهم، وشهودها من اليهود، ومتى خرج نظرهما عنهم بطل حقها»<sup>(1082)</sup>.

وتظهر المرأة اليهودية الأندلسية في هذه الرواية قوية ترفع قضيتها بنفسها، وتقف أمام القضاة اليهود، وتناقش القضاة المسلمين، وتحاورهم من أجل إثبات حقها. وأرى أن هذه الشجاعة والجرأة لا تصدر عن امرأة جاهلة، وتدل على أن تلك المرأة كانت مثقفة، وهي صفات يمكن أن توصف بها الكثيرات من نساء يهود الأندلس.

#### 8- الزواج عند يهود الأندلس:

نصّت الشريعة اليهودية على أنّ الزواج فرض من الفروض على كلّ يهودي مهما كانت حالته الاجتماعية والصحية، فهو فرض على الصغار والكبار والفقراء والأغنياء والعلماء والجهلاء لأنه يجب عليهم الاشتراك في استبقاء النسل<sup>(1083)</sup>. ومع ذلك فقد وجد من اليهود من عزف عن الزواج، مثل اليهودي الأندلسي إسحاق بن قسطار (ت: 448هـ=1056م)، الذي «لم يتخذ قط امرأة»<sup>(1084)</sup>. وتحرم شريعة اليهود الزواج من غير اليهود الذين تسميهم كفاراً.

(1082) الوثريسي، المعيار المغربي، ج10، ص128-129.

(1083) الكواتي، اليهود في المغرب، ص127؛ كحالة، الزواج، ج1، ص32-33.

(1084) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص89.

ويجوز عند اليهود الزواج من بنت الأخ وبنت الأخت، بينما لا يجوز للمرأة أن تتزوج ابن أخيها أو ابن أختها وحرّم كثيرٌ من فقهاءهم زواج بنت الأخ. وهناك شاعرٌ يهوديٌّ أندلسي اسمه موسى بن عزرا أحب ابنة أخيه، وطلب أن يتزوجها، لكن أباهما رفض ذلك<sup>(1085)</sup>، وهذا يشير إلى أنّ هذه المسألة كانت مسألة خلافية بين علماءهم في الأندلس، وقد سُمح لليهود الأندلس بالزواج على طريقتهم، ولم يعارضوا حتى في الزواج من المحارم. وقد جاء في المدونة «قلت رأيت أهل الدّمة إذا كانوا يستحلّون في دينهم نكاح الأمهات والأخوات وبنات الأخ أنخليهم وذلك. قال: أرى أنه لا يعرض لهم في دينهم، وهم على ما عاهدوا عليه، فلا يُمنعون من ذلك إذا كان ذلك مما يستحلّون في دينهم»<sup>(1086)</sup>.

وقد أباحت الشريعة الإسلامية للمسلم أن يتزوج من يهودية. وقد صرّح بذلك فقهاء المسلمين، نذكر منهم ابن العطار، الذي قال: «وللرجل المسلم أن يتزوَّج الحرّة النصرانية واليهودية في مذهب مالك»<sup>(1087)</sup>. ومع وجود هذه الإباحة، إلّا أنّنا لم نقرأ في ما اطلعنا عليه من مصادر، عن مسلمين تزوجوا من يهوديات في الأندلس، بينما كثرت حالات الزواج هناك من نصرانيات، وسبب ذلك في تصوري يعود إلى تحريم شريعة اليهود لتزويج نسائهم من غير اليهود، إضافة إلى المبادئ اليهودية العنصرية التي تجعلهم أكثر ميلاً إلى المحافظة على عنصرهم اليهودي من الاختلاط بغيرهم، كما أنّ صورة اليهود في أذهان المسلمين، والتي تكوّنت من خلال مواقفهم القديمة المعادية للأنبياء وللإسلام، جعلت المسلم لا يميل إلى الزواج من يهودية يمكن أن تصير أمّاً لأولاده.

(1085) محمد بحر، اليهود في الأندلس، ص 70.

(1086) مالك، وآخرون، المدونة، م 2، ج 4، ص 312.

(1087) ابن العطار، محمد بن أحمد الأموي، كتاب الوثائق والسجلات، تحقيق ونشر: شالميتا، ف. كورنيطي، (مدير، مجمع الموثقين المجريطي، المعهد الأسباني العربي للثقافة، 1983 م)، ص 17.

وبسبب اشتغال كثير من يهود الأندلس بالتجارة الخارجية، وعدم اصطحابهم لزوجاتهم في أغلب الأحيان، وغياهم الطويل عن ديارهم<sup>(1088)</sup>، كثرت حالات زواج يهود أندلسيين من يهوديات غير أندلسيات. فتبين وثائق الجنيزة أن يهوديا أندلسيا اتخذ زوجة يهودية من القاهرة<sup>(1089)</sup>، وآخر اتخذ زوجة من اليمن<sup>(1090)</sup>. ويبدو أن بعض هؤلاء التجار، كان يترك زوجته في بلدها، وينزل عندها كلما مرَّ بهذا البلد. يمكن أن يفهم ذلك من رسالة بعث بها تاجر يهودي من الأندلس إلى زوجته في القاهرة يقول فيها: إني أعترم المجيء على الجيتاني، وهي سفينة يمتلكها تاجر من جيتا (في إيطاليا)<sup>(1091)</sup>. كما تزوج أشخاص يهود زوجات غير أندلسيات، ودون أن يكونوا تجاراً، مثل يوسف بن إسماعيل بن نغذله ابن وزير غرناطة ورئيس طائفتها، الذي تزوج ابنة العالم التلمودي الكبير نسيم بن يعقوب المقيم في القيروان<sup>(1092)</sup>.

ومن الإجراءات المتبعة عند اليهود تحرير عقود شرعية ليتم الاعتراف بهذا الزواج، ويصحب هذا العقد بيان بكل القطع التي تحضرها العروس معها، إضافة إلى ما يُتفق عليه من شروط<sup>(1093)</sup>.

والزواج من أكثر من امرأة عند اليهود جائز، ولم يرد في تحريمه نص واحد، لا في الكتاب المقدس، ولا في التلمود<sup>(1094)</sup>، وقد مارسه يهود الأندلس<sup>(1095)</sup>، لكنه كثر بين أغنيائهم فقط<sup>(1096)</sup>. وقد وجّه سؤال إلى الحبر موسى بن حنوخ في قرطبة (ت: 360هـ=970م)، يبيّن أن يهودياً يدعى يعقوب تزوج من امرأتين هما ليّاً وراحيل<sup>(1097)</sup>.

(1088) جوايتاين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص 258.

S.D GOITEIN, JEWS AND ARABS, THEIR CONTACTS THROUGH THE AGES, (1089) P.112.

(1090) جوايتاين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص 258.

(1091) م.ن، ص 213-214.

(1092) م.ن، ص 235-236.

(1093) سرور، محمد شكري، نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1978-1979م)، ص 218-219.

(1094) ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص 192.

NEUMAN, THE JEWS OF SPAIN, VOL.2, P.52; (1095)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.147.

(1096) جوايتاين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص 204.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.268. (1097)

وقد نتج عن تعدد الزوجات مشكلات تقوم بها على الأغلب الزوجة الأولى، وهناك حالات عديدة طلبت فيها زوجات يهوديات أندلسيات الطلاق وحصلن عليه، وأخذن حقوقهن المنصوص عليها في العقد، وذلك بالرغم من حبهن لأزواجهن، ودافعهن فقط هو رفض الإهانة التي تراها الزوجة في زواج زوجها من أخرى<sup>(1098)</sup>.

وكانت إحدى أهم المشكلات الاجتماعية المتعلقة بموضوع الزواج، هي غياب الأزواج عن زوجاتهم مدة طويلة، وعن ذلك يقول نؤمان: «وعدد لا يحصى من النساء اللاتي تركهن أزواجهن، والذين لم يعودوا، أجبرن على البقاء مهجورات، لأنه لا يوجد هناك سبل شرعية لتحريرهن»<sup>(1099)</sup>.

## 9- الموسيقى والغناء:

كانت الموسيقى والغناء من بين الفنون التي أخذها اليهود عن مسلمي الأندلس، وقد ترجمت مصادرها لبعض الموسيقيين اليهود، أمثال إسحاق بن شمعون اليهودي القرطبي، الذي تصفه بأنه «أحد عجائب الزمان في الاقتدار على الألحان، وكان قد لازم ابن باجة، وأحسن الغناء بلسانه ويده، ... وكان له نظمٌ رائعٌ كفاك من قوله:

قُمْ هَاتِ كَأْسَكَ فَالْنَعِيمَ قَدْ أَتَسَّقُ	والعودُ عن داعي المسرة قد نَطَّقُ
ولديكَ من حَثِّ الكؤوس أزهاراً	في الخَزْ يَمْرُحُ كالأراكَةِ في الورَقِ
والزهر زهرٌ والرياضُ سماؤها	والفجر نهرٌ والشقائق كالشَّفَقِ <sup>(1100)</sup>

وقد مرت بنا سابقاً رواية المقرئ التي تذكر منصور اليهودي المغني الذي بعثه الحكم إلى المغرب لدعوة زرياب إلى الأندلس، وتبين كيف تم إكرامه فيها<sup>(1101)</sup>. مما يدل على اهتمام أمراء الأندلس بالغناء، الأمر الذي انتقل أيضاً إلى يهودها.

NEUMAN, THE JEWS OF SPAIN, VOL.2, P.55. (1098)

IBID, VOL.2, P.49-50. (1099)

(1100) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلي المغرب، ج1، ص127، ترجمة رقم: 60.

(1101) المقرئ، نفع الطيب، م3، ص124-125.

وكان العلم بالموسيقى، واحداً من العلوم التي ذكر صاعد الأندلسي أنَّ أبا الفضل حسداي بن يوسف، قد اهتم بها «ومنهم صنعة الموسيقى، وحاول عملها»<sup>(1102)</sup>.

وفي الحفلات الخاصّة بيهود الأندلس، كان المغنّون فيها من اليهود، أمّا المغنّيات فلم يكن بينهنّ يهوديات، وهن من الجوّاري غير المسلمات<sup>(1103)</sup>.



---

(1102) صاعد، طبقات الأمم، ص 89.

(1103) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.163.

## المبحث الثاني

### العلاقات الاجتماعية بين المسلمين واليهود في الأندلس

قبل الخوض في موضوع العلاقات الاجتماعية بين المسلمين واليهود في الأندلس، أجد من المهم أن أقدم لذلك بتوضيح صورة اليهودي في ذهن وعقلية المسلم الأندلسي، والأسباب والعوامل التي أدت إلى تكوين هذه الصورة. وذلك لأن صورة اليهودي في أذهان المسلمين قد أثرت في العلاقات الاجتماعية بين مسلمي ويهود الأندلس. والمصادر الأندلسية تقدّم لنا مجموعة من النصوص والروايات المعبرة عن تلك الصورة.

ومن هذه النصوص قول ابن حزم الأندلسي: «اعلموا أيها الناس، علّمنا الله وإياكم ما يقرّبنا منه، ويُزلف حظوتنا لديه، أن اليهود أبهت الأمم، وأشدّهم استسهالاً للكذب، فما لقيت منهم أحداً قط مجاناً للكذب القبيح على كثرة من لقينا منهم، إلّا رجلاً واحداً في طول أعمارنا، فطال تعجبي من ذلك، إلى أن ظفرتُ بسرّهم من ذلك في هذا الباب، وهو أنّهم يعتقدون بسخفهم وضعف عقولهم، أن الملائكة الذين يحصون أعمال العباد لا يفقهون العربية، ولا يحسنون من اللغات شيئاً إلّا العبرانية، فلا يكتب عليهم كلّ ما كذبوا فيه بغير العبرانية، فحسبكم بهذا المقدار من الجهل العظيم، والحمق التام»<sup>(1104)</sup>.

ويدعو ابن حزم إلى الحذر منهم، وعدم التقليل من خطرهم، فيقول: «وقال أبو نصر بن نباته:

فلا تحقرنّ عدوّاً رماك  
وإن كان في ساعديه قصر  
فإن السيوف تجذّ الرقاب  
وتعجزّ عما تنال الإبر  
لاسيما إن كان العدو من عصابة لا تحسن إلّا الخبث، مع مهانة الظاهر، فيأنس المغترّ إلى الضعف البادي، وتحت ذاك الختل والختر والكيد والمكر، كاليهود الذين لا يحسنون شيئاً من الحيل، ولا آتاهم الله شيئاً من أسباب القوة، وإنّما شأنهم الغش والتخابث والسرقة، على التناول والخضوع، مع شدة العداوة لله تعالى، ولرسوله صلى الله عليه وسلم»<sup>(1105)</sup>.

(1104) الرد على ابن النغريلي، ص 64-65.

(1105) الرد على ابن النغريلي، ص 45-46.

وقول الونشريسي واصفاً إحدى الفرق: «وهم أشدُّ في كيد الدين من اليهود والنصارى؛ لأنَّ هذين المذهبين، أعني اليهود والنصارى، قد عرف الناس أنَّهم كفار، ولا يلبس على الناس أمرهم، ولا يُخشى على المسلمين أن يظنوا أنَّ عندهم خيراً»<sup>(1106)</sup>.

وقول أبي إسحاق الإلبيري واصفاً يوسف بن إسماعيل بن نغدله وزير باديس:

تخيَّر كاتبه كافراً ولو شاء كان من

وقول ابن الخطيب متحدّثاً أيضاً عن كفر إحدى الملل: «وتعرَّض إليه قومٌ من الصفاةين والأوغاد من أهل سلا، ممن يأنف يهود لعنة الله على كفارها من انتسابهم إلى نحلتهما، وتعلُّقهم بأذيال ملّتها»<sup>(1108)</sup>.

وقول المعتمد بن عباد عندما نفي إلى جبل فازار بالمغرب الذي يكثر فيه اليهود: «عُربنا بنقض العهود، لبلد أهل يهود، وبنائوه عود، وجيرانه قرود»<sup>(1109)</sup>.

وقول آخر أمراء غرناطة في عهد الطوائف عبد الله بن بلقين عنهم: «وأخلاقهم كلّها مطابقة لما يدلُّ عليه زُحل من البخل، والقذارة، والخبث، والمكر، والخديعة»<sup>(1110)</sup>.

وقول الكاتب أبي المغيرة عبد الوهاب بن حزم في رسالة بعث بها إلى أحد أصدقائه: «وأبدأ بحديث اليهودي موصل كتابك: دخل الحضرة عقب جولة كانت لي مع ابن مُخامس -حشر الله كليهما مع صاحبه- فوالله لا أعلم حال من منهما أضعف وأظلم، أحال اليهودي بمضادة الدين، أم حال هذا المسلم؟»<sup>(1111)</sup>. واستشهاده في إحدى قطعه الثرية بقول الشاعر أحمد بن الحسين:

ما مقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود<sup>(1112)</sup>.

وقول أبي عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد واصفاً أحد خصومه: «فإنَّه بقية من بني إسرائيل الذين استحلُّوا الحرام، واجترحوا السيئات والآثام»<sup>(1113)</sup>.

(1106) الونشريسي، المعيار المغرب، ج2، ص 446-447؛ قارن، المعيار، ج11، ص 168.

(1107) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلي المغرب، ج2، ص 133، ترجمة رقم: 444.

(1108) نفاضة الجراب، ص 307.

(1109) الحميري، الروض المعطار، ص 435.

(1110) ابن بلقين، التبيان، ص 188-189.

(1111) الشنبريني، الذخيرة، ق1، م1، ص 161.

(1112) م.ن، ق1، م1، ص 159.

(1113) الشنبريني، الذخيرة، ق1، م1، ص 214-215.



وقول ابن خلدون في معرض نهيه للمعلمين والمربين عن اللجوء إلى العنف والقهر: «وهكذا وقع لكل أمّة حصلت في قبضة القهر، ونال منها العسف... وانظره في اليهود، وما حصل بذلك فيهم من السوء، حتى أنّهم يوصفون في كل أفق وعصر بالخزح، ومعناه في الاصطلاح المشهور: التخابث والكيد»<sup>(1114)</sup>.

وقول ابن عبدون: «فإنهم لا يرون نصيحة مسلم، إلا أن يطبّبوا أهل ملّتهم، ومن لا يرى نصيحة مسلم. كيف يوثق على المهج؟»<sup>(1115)</sup>.

وقول الأديب الأندلسي أبي طالب عبد الجبار مبيناً رأيه في عقيدة اليهود:

وطابقوا اليهود في التجسيم أف له من منطقٍ ذميم<sup>(1116)</sup>.

وقول أصبغ بن محمد القرطبي (ت: 505 هـ = 1111 م) يهجو أحد معاصريه:

لو إلينا يكونُ دفنك حيّاً لدفنّاك في قبور اليهود<sup>(1117)</sup>.

وقول أبي محمد بن الياسمين عبد الله بن حجاج الإشبيلي يهجو واحداً:

يا أعرق الناس في نسل اليهود ومَنْ خذها بحكم اجتماع الذمّ واحدة  
تأبى شمائله التفصيل للجمل تُغني عن النعت والتوكيد والبذل<sup>(1118)</sup>

وقول والد ابن سعيد الأندلسي لولده ابن سعيد الذي كان صديقاً لابن سهل الإسرائيلي معترضاً على اشتراكه مع ابن سهل في هجاء إبراهيم بن حجاج: «ما أبعد الفلاح عن وجهك! ما كفى أنّك أدخلت روحك في النميمة بهجو الأعيان، حتى رضيت أن تكون زاملةً ليهودي شاعر»<sup>(1119)</sup>.

(1114) ابن خلدون، المقدمة، تاريخ العلامة ابن خلدون، كتابة العبر وديوان المبتدأ والخبر، (بيروت، ط3، 1967 م)، م1، ص1043.

(1115) ابن عبدون، رسالة ابن عبدون في الحسبة والقضاء، ص57.

(1116) الشتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص924.

(1117) العماد الأصفهاني، جريدة القصر، ق4، ج2، ص242.

(1118) ابن سعيد الأندلسي، علي بن موسى، الغصون الياضة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة، دار المعارف، ط2، د.ت)، ص46.

(1119) ابن سعيد الأندلسي، اختصار القدح المعلن، ص141.

وقول أبي الحسن علي بن يوسف الحكيم محذراً من غش اليهود: «وَيُتَحَقَّقُ مِنْ احتِيَالِ اليهود لعنهم الله وخَدَعَهُمْ»<sup>(1120)</sup>.

وقول ابن عبدون: «يجب أن لا يُباع ثوبٌ لمريضٍ، ولا ليهودي، ولا لنصراني، إلا أن يُعرَفَ به، ولا لخليع أيضاً»<sup>(1121)</sup>، فقد جمع ابن عبدون ثوب اليهودي باعتبار أن الناس ينفرون منه مع ثوب المريض والخليع.

وقول الونشريسي في تعقيبهِ على نازلة «ما إذا اشترى الرجل داراً لها بئر مشتركة مع الدار التي تجاورها، ثم أُلْفِيَ تلك الدار المجاورة ليهودي أو نصراني»<sup>(1122)</sup>: «ومسألتنا وجود النفرة في النفس من البئر المشتركة مع يهودي أو نصراني، فليتمل ذلك»<sup>(1123)</sup>.

وقول الونشريسي أيضاً: «سئل القابسي عن رجل بجواره يهودي، قد ربي معهم، فربما جاءوه في حاجة، أو عرضت له إليهم حاجة، وربما مشى في طريق ملاصقة لهم، فيجري بينهم حديث أو ابتسام، وكلام لين، وهذا الرجل يقول: الله عالم بغضي لليهود، ولكن طبعي لين»<sup>(1124)</sup>.

وللضبي رواية لها دلالتها في هذا الموضوع، يبين فيها أن أبا عبد الله بن طاهر التدميري<sup>(1125)</sup>، انزعج كثيراً عندما رأى في منامه أنه سيحشر يوم القيامة مع يهودي من سكان مصر، ولم تهدأ نفسه إلا بعد أن بحث عن اليهودي ووجده، وأخبره بما رأى في منامه، وأسلم اليهودي على يديه، وحسن إسلامه<sup>(1126)</sup>. وفي ذلك دليل على أن هذا المسلم الأندلسي يعتقد أن اليهود ليست على شيء.

(1120) أبو الحسن علي بن يوسف الحكيم، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، «صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد»، نشر: حسين مونس، (م6، ع2، 1378هـ-1958م)، ص121.

(1121) ابن عبدون، رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، ص50.

(1122) الونشريسي، المعيار، ج5، ص208.

(1123) م.ن، ج5، ص208.

(1124) م.ن، ج11، ص300-301.

(1125) لم تنص الرواية صراحة على أن الحادثة وقعت مع ابن طاهر. ولكن يفهم ذلك من نص ورد فيها وهو: «وحكى أبو العباس وليد بن عبد الرحمن الفرضي التدميري، قال: سمعت أبا عبد الله بن طاهر الزاهد، أيام جاورنا في قريته يقول: حدثني الثقة، وكنا إذا سمعناه يقولها حسبناه يريد نفسه». الضبي، بغية الملتمس، ص84-85. ثم إن هذه الحادثة ذكرت في موضع يترجم فيه الضبي لأبي عبد الله بن طاهر.

ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص83.

(1126) الضبي، بغية الملتمس، ص83-86. (ترجمة رقم: 154).

ولم ينفرد مسلمو الأندلس بهذا التصوُّر عن اليهود، بل شاركهم فيه المسلمون في كلِّ زمانٍ ومكان، ولتأكيد ذلك نذكر قول الشاعر جمال الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن المقرَّب العيوني (572-629هـ=1176-1231م):

من كلِّ مغلولٍ اليدين عن النَّدَى      فاق اليهودَ لآمةٍ وغُلُولاً<sup>(1127)</sup>  
وشهد عبد الله بن سلام اليهودي الذي أسلم وأصبح صحابياً، بإحدى صفات اليهود في قوله: «يا رسول الله: إنَّ اليهودَ قومٌ بُهت»<sup>(1128)</sup>.

وليس المسلمون وحدهم هم الذين حملوا هذا التصوُّر عن اليهود، بل لقد حمله النصاري أيضاً، ولذلك حرَّموا على اليهود دخول القدس، ورفضوا تسليمها للمسلمين زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلاَّ بعد أن «اشترطوا ألاَّ يسكنهم اليهود فيها»<sup>(1129)</sup>.

(1127) ابن المقرَّب العيوني، جمال الدين أبي عبد الله محمد بن علي، ديوان ابن المقرَّب، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، (مصر، ط1، 1383هـ-1963م)، ص411.

(1128) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح أبي عبد الله البخاري بشرح الكرمانلي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ج13، ص227.

(1129) الحميري، الروض المعطار، ص69.

تُرى ما السبب الذي أدّى إلى تكوين هذه الصورة عن اليهود في أذهان المسلمين؟ والجواب في رأيي يتلخّص في عداوة اليهود الشديد للإسلام والمسلمين. هذا العداوة الذي لم يبدأ من بعثة الرسول محمد ﷺ، وإنما بدأ منذ أن نشأ بنو إسرائيل، وأرسل الله فيهم أباهم يعقوب (إسرائيل) نبياً، فعادوا دينه وخانوا مبادئه، أجمعوا على أن يقتلوا أخاهم يوسف. واستمرّ عداؤهم للأنبياء المسلمين<sup>(1130)</sup> المؤمنين، فكفروا بهم، وعاندوهم، وقتلوا العديد منهم، حتى عرفوا بأنهم قتلة الأنبياء<sup>(1131)</sup>.

وكان للقرآن الكريم الدور الأول في تكوين صورة اليهود في أذهان المسلمين وتصوراتهم، حيث أوضحت آياته الكريمة التي يتلوها المسلمون باستمرار تاريخ اليهود الطويل في تكذيب ومعاندة الرسل، وفي معصية أوامر الله تعالى، والاستهزاء بآياته، كما أيقنوا بأن اليهود أعداؤهم عندما قرؤوا قول الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾<sup>(1132)</sup>.

ولم ينس المسلمون أن اليهود حاولوا مرّات عدّة قتل نبيهم محمد - صلى الله عليه وسلم - بل إنّ منهم من يعتقد أن موته كان على أيديهم<sup>(1133)</sup>.

وقد أورد ابن سعيد الأندلسي شعراً نسبته إلى اليهودي يوسف بن إسماعيل بن نغدله، وذكر أنه كتبه إلى أهل غرناطة بعد قتلهم أبيه<sup>(1134)</sup>، ويدلّ هذا الشعر على تباهي يهود الأندلس بقتلهم لكل من المسيح والنبي محمد عليهما الصلاة والسلام. وهذا الشعر هو:

(1130) أعتقد أن الأنبياء جميعاً كانوا مسلمين. والآيات الدالة على ذلك كثيرة. أذكر منها قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مَّسْلُماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ آل عمران/ 67. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(١٣٠)</sup> إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ<sup>(١٣١)</sup> وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ<sup>(١٣٢)</sup>. البقرة/ 130-133. وقوله تعالى في قصة ملكة سبأ: ﴿قَالَتْ يَأْيُهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ<sup>(١٣٣)</sup> إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ<sup>(١٣٤)</sup> أَلَّا تَعْلَمُوْا عَلَيَّ وَاتُوفِيْ مُسْلِمِينَ<sup>(١٣٥)</sup>﴾. النمل/ 29-31. وعندما آمنت ملكة سبأ بدين سليمان ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ النمل/ 44.

(1131) قال الله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِنْ الْنَّاسِ وَيَأْتُوْهُمُ الْغَصْبُ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ يَأْتِيَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِكَائِبَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ يَمَّا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ آل عمران/ 112.

(1132) ينظر: سورة المائدة، آية 82.

(1133) ابن قيم الجوزي، زاد المعاد، ج2، ص140، أبو عبد الله، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج2، (دار الفكر، ط2، 1392هـ-1972م)، ص139-140.

(1134) أخطأ ابن سعيد الأندلسي عندما ذكر أن الوزير اليهودي الذي قتله مسلمو غرناطة في ثورتهم على اليهود هو إسماعيل بن نغدله، إذ خالف بذلك المصادر الإسلامية التي ذكرت أنه يوسف بن إسماعيل، كما خالف ابن بلقين أحد أمراء غرناطة، ومعاصر هذا الحدث، إضافة لمخالفته للمصادر اليهودية، تفاصيل هذا الموضوع تنظر في فصل اليهود والسلطة.

ولذلك أرى أن هذا الشعر قد نسب خطأ إلى يوسف بن إسماعيل. والظاهر أنه ليهودي أندلسي قاله في أعقاب مقتل يوسف بن إسماعيل.

أَقْتِيلًا بِسَنْجَلٍ لَيْسَ تَخْشَى      حَشَرَ جَسْمٍ، وَقَدْ سَمِعْتَ النَّصِيحَا  
غَوْدِرَ الْجَسْمِ فِي التَّرَابِ طَرِيحًا      وَغَدَا الرُّوحُ فِي الْبَسِيطَةِ رِيحَا  
أَيُّهَا الْغَادِرُونَ هَلَاً وَفَيْتُمْ      وَفَدَيْتُمْ شَبَهَ الذَّبِيحِ الذَّبِيحَا  
إِنْ لَمْ يَكُنْ قَتَلَكُمْ دُونَ ذَنْبٍ      قَدْ قَتَلْنَا مِنْ قَبْلِ ذَاكَ الْمَسِيحَا  
وَنَبِيًّا مِنْ هَاشِمٍ قَدْ سَمِمْنَا      خَرَّ مِنْ أَكْلَةِ الذَّرَاعِ طَرِيحَا<sup>(1135)</sup>

وهم يعتقدون أيضاً أنّ اليهود كانوا وراء الفتنة الكبرى التي أدّت إلى استشهاد عثمان رضي الله عنه، وإلى فتنٍ وحروب، عانى المسلمون، وما زالوا يعانون من آثارها<sup>(1136)</sup>. ويعرف المسلمون ما يكنّه اليهود لدينهم ولنبيهم من كره وحقّد، وما تحويه كتبهم من توصيات تدعو إلى الحقد على المسلمين، كتلك التي سجّلها سفر حازو حار وجاء فيها: «يا أبناء إسرائيل اعلموا أنّنا لن نفِي محمّداً حقّه من العقوبة التي يستحقّها حتى ولو سلقناه في قَدْرِ طافح بالأقذار، وألقينا عظامه النخرة إلى الكلاب المسعورة، لتعود كما كانت نفايات كلاب، لأنّه أهاننا، وأرغم خيرة أبنائنا وأنصارنا على اعتناق بدعته الكاذبة، وقضى على أعزّ آمالنا في الوجود، ولذا يجب عليكم أنْ تلعنوه في صلواتكم المباركة أيام السبت، وليكن مقرّه في جهنّم وبئس المصير»<sup>(1137)</sup>.

وقد عبّر ابن حزم عن معرفته بكره اليهود في الأندلس للإسلام ونبيّه بقوله: «فإنّ بعض من تقلّى قلبه للعداوة للإسلام وأهله، وذوّبت كبده ببغضه للرسول صلى الله عليه وسلم من متدهرة الزنادقة، المستترين بأذلّ الملل، وأرذلّ النحل من اليهود...»<sup>(1138)</sup>.

(1135) ورد هذا الشعر، وكذلك نسبته إلى يوسف بن إسماعيل عند ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص115. ترجمة رقم: 427.

(1136) ينظر: الطبري، تاريخ، ج4، ص340-396، 506-544؛ ج5، ص48-5.

(1137) ناجي، س، المفسدون في الأرض، (دمشق، العربي للإعلان والنشر والطباعة، ط2، 1973م)، ص123.

نقلاً عن: سفر حازو حار المطبوع بالفرنسية سنة 1907م، ج2، ص88.

(1138) ابن حزم، الرد على ابن النغريلي اليهودي، ص46.

ومما ساعد على تكوين هذه الصورة لليهود في أذهان المسلمين، أنَّ اليهود «ينظرون إلى الناس بعينِ النقصِ والازدراء إلى أبعد غاية»<sup>(1139)</sup>. فقد جاء في التلمود: «الفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهود وبقية الشعوب»<sup>(1140)</sup>. وأظهر التلمود كرهاً شديداً، وحقداً خاصاً للمغاربة. فجاء فيه: «إنَّ سكان المغرب شعبٌ من المجرمين»<sup>(1141)</sup>.

وظهرت هذه العنصرية والاحتقار لغير اليهود في فتوى لأكبر علماء اليهود موسى بن ميمون ذو الأصل الأندلسي، حيث يقول: «إنَّ لليهود الحق في اغتصاب النساء الغير مؤمنات، أي الغير يهوديات، فهنَّ في نظر التلمود وشراحه من الحاخامات كالبهائم، لأنهنَّ غير يهوديات»<sup>(1142)</sup>.

وقد عبَّر القرآن الكريم عن استهتارهم واحتقارهم للأُمم الأخرى في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾<sup>(1143)</sup>.

والفرق بين الدافع في عداة اليهودي للمسلم، والدافع في عداة المسلم لليهودي هو أنَّ اليهودي يعادي على أساسٍ عنصريٍّ أُمِّيٍّ، فهو عدوٌّ لكلِّ من هو غير يهودي، وهذا النوع من العداة لا يمكن أن ينتهي؛ لأنَّ غير اليهودي لا يمكن أن يصبح يهودياً، إذ أنَّ اليهودي في نظر اليهود هو يهودي النسب والدين، ولا يُعدُّ يهودياً من اعتنق اليهودية وأصوله ليست يهودية.

أما دافع عداة المسلم لليهودي فسببه معاداة اليهودي للإسلام، وإذا ما توقَّف هذا العداة، ودخل اليهودي في الإسلام، فإنَّ عداة المسلم له يتوقف، ويصبح واحداً من المسلمين. وقد عبَّر عن ذلك عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- عندما قال: «فإن أسلم فهو منَّا ونحن منه»<sup>(1144)</sup>، وعبر عنه الفقيه سحنون عندما قال: «إلاَّ من عداوتنا لليهودي والنصراني،

(1139) السموءل بن يحيى، بذل المجهود، ص 59-60.

(1140) مظهر، سليمان، قصة الديانات، (دار الوطن العربي، د.ت)، ص 376.

(1141) نقلاً عن: الكواقي، اليهود في المغرب، ص 65.

(1142) م.ن، ص 129.

(1143) سورة: آل عمران، آية: 75.

(1144) ورد هذا النص في رسالة بعث بها عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى أحد عماله.

ينظر: ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ق1، ص 214.

إنما هي في الدين»<sup>(1145)</sup>. وعبرت عنه أفعال الرسول ﷺ، فقد تزوج من صفية بنت حيي بن أخطب بعد أن أسلمت فصارت أمًّا للمؤمنين مع أنها كانت يهودية، وابنة يهودي شديد العداء للمسلمين<sup>(1146)</sup>، وتزوج طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه من يهودية بالشام<sup>(1147)</sup>. ولو كانت هناك دوافع أخرى للعداء غير معاداة اليهود للإسلام، لما سمح الإسلام لأبنائه بالارتباط باليهود بعلاقاتٍ تصل إلى حدِّ التزوج منهم.

وبالرغم من بشاعة الصورة التي يحملها المسلمون في الأندلس عن اليهود، ومعرفتهم بأخلاقهم وطبائعهم، إلا أنهم تعاملوا معهم بالعدل والإنصاف الذي أمر به ربهم في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا كُفُورًا قَوْمِينَ اللَّهُ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاؤُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(1148)</sup>.

وأوصى به نبيهم محمد ﷺ في قوله: «ألا من ظلم معاهداً، أو انتقصه، أو كلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة»<sup>(1149)</sup>. وقوله: «من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنتُ خصمه خصمته يوم القيامة»<sup>(1150)</sup>.

وقوله: «من قتل معاهداً لم يَرَحْ رائحة الجنة، وإنَّ ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً»<sup>(1151)</sup>.

\*\*\*

(1145) ابن العطار، كتاب الوثائق والسجلات، ص 333.

(1146) ابن هشام، السيرة النبوية، ق 2، ج 3، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (القاهرة، ط 2، 1375 هـ-1955 م)، ص 336.

(1147) مالك وآخرون، المدونة، م 2، ج 4، ص 308.

(1148) سورة المائدة، آية: 8.

(1149) أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، ج 2، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط 1، 1371 هـ-1952 م).

(1150) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الجامع الصغير من حديث البشير النذير، ج 2، (مصر، مطبعة الحلبي البابي، ط 4، 1373 هـ)، ص 473.

(1151) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح أبي عبد الله البخاري بشرح الكرمان، ج 13، ص 132.

وحضّ عليه الصحابة الكرام بأفعالهم، وأقوالهم. ومن ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه مرّ بباب قوم وعليه سائل يهودي يقول: شيخ كبيرٌ ضرير البصر، فقال له عمر: ما ألجأك إلى هذا؟ قال: الحاجة والجزية. فأخذ عمر بيده، وذهب إلى منزله، وأعطاه شيئاً، ثم أرسل إلى خازن بيت المال، وقال له: انظر هذا وأمثاله: فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم، وقرأ قوله تعالى: «إنما الصدقات للفقراء والمساكين، وقال: والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه»<sup>(1152)</sup>. وسار على هذا النهج الخلفاء من بعده، إذ كتب عمر بن عبد العزيز -الذي كانت الأندلس إحدى ولاياته- يوصي أحد الولاة ويقول: «ثم انظر من قبلك من أهل الذمة، قد كبرت سنّه، وضعفت قوّته، وولّت عنه المكاسب، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه، فلو أنّ رجلاً من المسلمين كان له مملوك كبرت سنّه، وضعفت قوّته، وولّت عنه المكاسب، كان من الحقّ عليه أن يقوته، حتى يُفَرِّقَ بينهما موتٌ أو عتق». وما ذكره ابن كثير في تفسيره «أنّ رجلاً سأل ابن عباس، فقال: إنّنا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة، قال ابن عباس: فتقولون ماذا؟ قال نقول: ليس علينا بذلك بأس. قال: هذا كما قال أهل الكتاب: «ليس علينا في الأميين سبيل». إنهم إذا أدوا الجزية لم تحلّ لكم أموالهم إلّا بطيب أنفسهم»<sup>(1153)</sup>. ودعا إليه فقهاء المسلمين مثل ابن حزم الأندلسي الذي يقول: «إنّ من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح، ونموت دون ذلك، صوناً لمن هو في ذمة الله تعالى، وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة»<sup>(1154)</sup>. وقول القرافي المالكي: «فمن اعتدى عليهم، ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك، فقد ضيع ذمة الله تعالى، وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذمة دين الإسلام»<sup>(1155)</sup>.

(1152) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، الخراج، (القاهرة، المطبعة السلفية، ط4، 1392هـ-1972م)، ص144.

(1153) ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل، مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، (بيروت، دار القرآن الكريم، ط3، 1399هـ)، ص292.

(1154) القرافي، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، الفروق، ج3، (مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1346هـ).

(1155) م.ن، ج3، ص14.



وقد التزم مسلمو الأندلس عملياً بهذه المبادئ والأوامر والتوصيات. والمصادر الإسلامية تحتوي على أمثلة كثيرة تدلُّ على ذلك. وهم لم يقسوا على اليهود إلا ردّاً على نقضهم لعهودهم وتجاوزهم لحدودهم. ومن هذه الأمثلة، أنَّ الفاتحين المسلمين أعطوا أهل الأندلس منذ أن دخلوها عهوداً تضمّنت حفظ حقوقهم. ومن هذه العهود العهد الذي أبرمه عبد العزيز بن موسى بن نصير مع تدمير عند فتح مدينة تدمير، إذ جاء فيه: «هذا كتابٌ من عبد العزيز بن موسى لتدمير بن عندريس، إذ نزل على الصلح، أنَّ لهم عهد الله وميثاقه، وما بعث به أنبياءه ورسله، أنَّ له ذمّة الله عز وجل، وذمّة محمد صلّى الله عليه وسلّم، ألاّ يُقدّم له، وألاّ يُؤخّر لأحدٍ من أصحابه بسوء، وأنّ لا يُسبّون، ولا يُفرّق بينهم وبين نساءهم وأولادهم، ولا يُقتلون، ولا تُحرق كنائسهم، ولا يُكرهون على دينهم»<sup>(1156)</sup>.

وبالرغم من أنه لم تصل إلينا وثائق أخرى من العهود المبرمة بين المسلمين واليهود في الأندلس، إلاّ أنّه من المؤكد أنّ عدداً منها قد أبرم، وأنها احتوت على الحقوق نفسها، لأنّ أحكام اليهود والنصارى واحدة في الشريعة الإسلامية. ومن الأمثلة الدالة أيضاً على التزامهم بتلك المبادئ والعهود. رواية النباهي التي يقول فيها: «كان القاضي سليمان بن الأسود رجلاً صالحاً متقشفاً صليماً في حكمه، مهيباً وكان السبب في تقليد الأمير محمد إياه قضاء قرطبة، حُكِّم أمضاه بمدينة ماردة، وهو قاضٍ عليها للأمير عبد الرحمن والده، ومحمد أميرٌ عليها: وقد احتبس لرجل يهودي من تجار جليقية مملوكة أعجبتة، واشتطّ اليهودي في سؤمها، فدسّ غلماناً لا اختلاصاً من اليهودي. وفزع اليهودي إلى سليمان بمظلمة، واستشهد بمن حول دار الإمارة ممن عرف خبرها. فأوصل سليمان إلى محمد، يُعرّفه بما ذكره اليهودي، وما شهد به لديه، ويُقبّح عنده سوء الأحداث عنه، ويسأله دفع مملوكته إليه، فأنكر محمد ما زعمه اليهودي، ولواه بحقه، فأعاد القاضي إليه الرسالة يقول له: إن هذا اليهودي الضعيف لا يقدر أن يدّعي على الأمير بباطل! وقد شهد إليه سليمان ثانية، يُقسم بالله العظيم،

(1156) العذري، ترصيع الأخبار، ص 524.

لئن لم يصرف على اليهودي جاريته، ليركب دابته من فوره، ويكون طريقه إلى الأمير والده، يعلمه الخبر، ويستعفيه من قضائه. فلم يلتفت محمد إلى وصيته. فشَدَّ سليمان على نفسه، وركب دابته سائراً إلى قرطبة، وكانت طريقه على باب دار الإمارة، فدخل الفتيان إلى محمد، فعرفوه بسيره فأشفق من ذلك، وأرسل خلفه فتى من ثقاته، يقول له: إِنَّ الجارية قد وجد خبرها عند بعض فتيان، وقد كان أخفاها بغير أمره، وها هي حاضرة تُرَدُّ إلى اليهودي، فلحقه الرسول على ميل أو نحوه من ماردة، وأعلمه. فقال: والله لا أنصرف من موضعي راجعاً، أو أوتى بالجارية إلى هذا المكان، ويقبضها اليهودي ها هنا! وإلاً مضيتُ لوجهي. فأرسل محمد الجارية إليه فلما صارت بين يديه، أرسل في اليهودي مولاه وفي ثقات من ثقات أهل البلد، ودفعها إليه بمحضرهم. وأعجب الأمير محمداً ما كان منه، واسترجحه، واعتقد تفضيله، فلما ولي الخلافة، واحتاج إلى قاضي، ولأه وأعزّه»<sup>(1157)</sup>.

ومثلما تظهر الرواية عدل القاضي الأندلسي، وإنصافه لليهودي، فهي تُظهر أيضاً عدل الحاكم الأندلسي، الذي أعجبه أن يتشدّد القاضي كل هذا التشدّد من أجل إنصاف اليهودي، بالرغم من أن إنصافه قد سبب حرجاً له، ودفعه للخضوع إلى أمر القاضي.

ومما يؤكّد هذا الإعجاب أن الأمير محمداً عندما صار أميراً على الأندلس (238-273هـ=852-886م)، رفع القاضي سليمان بن أسود إلى منصب قاضي الجماعة<sup>(1158)</sup>.

كما تظهر الرواية أيضاً أن العدل والإنصاف والجرأة في قول الحق، صفات تحلّى بها مسلمو الأندلس إذ أن الذين شهدوا الحادثة منهم، توجهوا إلى القاضي، وشهدوا مع اليهودي، ولم يمنعهم من الإنصاف والشهادة الصادقة، أن الأمر يتعلّق بيهودي، يعلمون عداؤه للإسلام والمسلمين، وأنهم بشهادتهم تلك سوف يناصرونه على أمير مسلم.

(1157) النباهي، المرقبة العليا، ص 56-57؛ قارن: ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ج1، ص 151-152، ترجمة رقم: 91.

(1158) الخشني، قضاة قرطبة، ص 155؛

ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلي المغرب، ج1، ص 151-152؛ النباهي، المرقبة العليا، ص 56.

ومما يدلُّ أيضاً على أنَّ نظرة المسلمين في الأندلس إلى اليهود لم تمنع المسلمين من إنصافهم، قول ابن عبد الرؤوف: «وإن كسر مسلم خمر ذمِّي عوقب»<sup>(1159)</sup>. وتصريح بعض فقهاء الأندلس بضرورة أن يجلس القاضي المسلم خارج المسجد، كي يتمكن اليهود وغيرهم من الوصول إليه، ورفع تظلماتهم<sup>(1160)</sup>.

كما ظهر إنصاف المسلمين لليهود وهم يتحدثون عن بعض رجالاتهم. حيث يقول صاعد الأندلسي في معرض وصفه لابن جابريول: «لطيف الذهن، حسن النظر»<sup>(1161)</sup>، ويقول في وصف إسحاق بن قسطار: «وكان حميد المذهب، جميل الأخلاق، جالسته كثيراً، فما رأيتُ يهودياً مثله في رجاحته، وصدقه، وكمال مروءته»<sup>(1162)</sup>.

ويقول الشتريني: «يقول الوزير الكاتب أبي عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد: جلس إلي يوماً يوسف بن إسحاق الإسرائيلي، وكان أفهم تلميذ مرَّ بي»<sup>(1163)</sup>. ويقول المقرئ: «ولأهل الأندلس دعاية، وحلاوة في محاوراتهم، وأجوبة بديهة مسكتة، والظرف فيهم، والأدب كالغريزة، حتى في صبيانهم ويهودهم»<sup>(1164)</sup>. ويقول أيضاً في معرض حديثه عن ابن سهل الإسرائيلي: «ولمَّا غرق قال فيه بعض الأكابر: عاد الدرُّ إلى وطنه»<sup>(1165)</sup>. ويقول ابن سعيد الأندلسي في وصفه لإبراهيم بن الفخار اليهودي: «وكان والدي يصفه بالتفنن في الشعر ومعرفة العلوم القديمة والمنطق»<sup>(1166)</sup>.

وقد لاحظ يهود الأندلس إنصاف المسلمين لهم، وحرصهم على العدل، فكانوا إذا اختلفوا مع مسلمين، ورفع الخلاف إلى القضاء الإسلامي، يتوجَّهون إليه، وهم واثقون مطمئنون بأنَّهم سينصفون، يأخذون حقَّهم، حتى لو كان خصمهم أميراً أو ابن أمير<sup>(1167)</sup>.

(1159) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة والمحتسب، ص 95.

(1160) خلاف، تاريخ القضاء في الأندلس، ص 225-227.

(1161) طبقات الأمم، ص 89.

(1162) م. ن، ص 89؛ قارن: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 498.

(1163) الذخيرة، ق 1، م 1، ص 233.

(1164) المقرئ، نفح الطيب، م 3، ص 381.

(1165) م. ن، م 3، ص 522-523.

(1166) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج 2، ص 23، ترجمة رقم: 339.

(1167) النباهي، المرقبة العليا، ص 56-57.

وكانوا يدلون بحججهم، ويجادلون عنها، ويطالبون بحقوقهم، دون أدنى خوفٍ أو وجل وقد لاحظ ذلك أيضاً آشثور، واعترف به<sup>(1168)</sup>.

وأمامنا قضايا كثيرة تدلُّ على ذلك، منها قول ابن سهل: «فهمنا - وفقك الله - ما تنازع فيه ورثة ابن علاء واليهودي بأن قال ورثة ابن علاء: إنَّ ابن علاء باع من اليهودي درنوكة<sup>(\*)</sup> وشقة، وبقي ثمنهما عنده. وقال اليهودي: لم أشرهما منه، أنا دلال أبيع للناس، فسألني بيعهما له، فبعت الدرنوكة بثمان والشقة بثمان، وأوردت جميع ذلك عليه وأخذتُ أجرتي منه، فالذي يذهب إليه جل أصحاب مالك وسحنون معهم، أنَّ القول قول اليهودي مع يمينه»<sup>(1169)</sup>.

ومنها قضية الخلاف بين يهوديٍّ و غلام مسلم التي ذكرها ابن سهل، ويدَّعي فيها اليهودي أنَّ الغلام عبده، وأنه يهوديٍّ وليس مسلماً، ويدَّعي الغلام أنه مسلم وأنه خدَم اليهودي، مقابل الأجر وليس على سبيل العبودية<sup>(1170)</sup>. ففي هذه القضية نلاحظ جرأة اليهودي في مخاطبة القاضي، إذ يقول ابن سهل: «وسأل اليهودي أنَّ يحبس الغلام في السجن. ثم قال الأمين: أبَقَ الغلام مني من غير تفريط في الاحتراس به، فقال اليهودي: إنه كان سبب إباق الغلام، أنَّ الأمين خرج به مع نفسه إلى ضيعته... وطلب اليهودي إغرام الأمين قيمة الغلام»<sup>(1171)</sup>.

ودفع عدل المسلمين وإنصافهم أنَّ يفضل كثيرٌ من اليهود الاحتكام إلى القضاة المسلمين على الاحتكام إلى القضاة اليهود، إذا اختلفوا في ما بينهم معتقدين أنَّ القضاة المسلمين أكثر عدلاً وإنصافاً من قضاتهم. وعن ذلك يقول الونشريسي: «سئل ابن العطار عن جماعة من اليهود، يطالبون شخصاً منهم بمظالم ودعاوى، ويزعمون أنَّ لهم براهين بيِّنة يهود، ويذهبون إلى محاكمته ببينة اليهود، والمدَّعى عليه يرغب بمحاكمته عند حكام المسلمين، إذ بيده وثيقة عربية بعدول المسلمين مما يطالبونه به»<sup>(1172)</sup>.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.88. (1168)

(\*) الدُّنوك: ضرب من البُسُط ذو حَمَل، وتشبَّه به فروة البعير.

الزاوي، الطاهر أحمد، ترتيب القاموس المحيط، ج2، مادة: «درنك»، (دار الفكر، ط3، د.ت)، ص176؛ مرعشلي، نديم وأسامة، الصحاح في اللغة والعلوم، م1، مادة: «درنك»، (بيروت، دار الحضارة العربية، 1974م)، ص400.

(1169) ابن سهل، الأحكام الكبرى، ص73.

(1170) م.ن، ص47-51.

(1171) م.ن، ص48-49.

(1172) الونشريسي، المعيار المعرب، ج10، ص156.

كما أورد الونشريسي مسألة بعنوان: «اختلاف يهودي ويهودية بقرطبة على التقاضي عند المسلمين أو اليهود»<sup>(1173)</sup>. وقد انزعج قادة اليهود كثيراً من هذه الظاهرة، إذ يقول أشتور: «وكان رؤساء الطائفة اليهودية بطبيعة الحال، يعارضون ذلك بشدة، وطالبوا اليهود بأن يلجأوا إلى المحاكم اليهودية»<sup>(1174)</sup>.

وفي رواية الضبي التي استشهدنا بجزء منها سابقاً، والتي تتحدث عن وزير صاحب المرية اليهودي، الذي كان يردّد اسم محمد-صلى الله عليه وسلم- بطريقة ساخرة مهينة، وضربه على إثر ذلك الفقيه عبد الله بن سهل فقتله. تُظهر بقية الرواية أن الفقيه بمجرد أن قتل اليهودي، ركب دابته وغادر المدينة بأقصى سرعة<sup>(1175)</sup>، «وحينئذٍ تحقق الفقيه أنه آمن في سربه»<sup>(1176)</sup>. ومما تدلُّ عليه هذه الحادثة، وجود العدل والإنصاف في التعامل مع يهود الأندلس. فالفقيه يعلم أن بقاءه في إمارة المرية، سيعرضه للمحاكمة، وربما للعقاب الشديد، لأنه قتل يهودياً. ولن يغفر له أمام القضاء الإسلامي، أن المقتول يهودي، وأنه كان يهين النبي صلى الله عليه وسلم، وأن قاتله فقيه مشهور ذو مكانة رفيعة وهيبة كبيرة<sup>(1177)</sup>. لأنه لا يجوز في وجود دولة وقضاة للمسلمين أن يتصرّف الأشخاص وحدهم نيابة عن السلطة، ويصدروا الأحكام وينفّذوها.

وفي معرض ترجمته لأيوب بن سليمان السهيلي، من ولد سهيل بن عبد العزيز بن مروان الذي عاش في عهد المرابطين<sup>(1178)</sup>، يقول ابن سعيد الأندلسي: «اتفق له في طريقه، أن أكرمه بدوي نزل عنده، وقد تخيل أنه رسول من بعض ملوك الملتهمين، أو ممن يلوذ بهم. فلما أعلمه غلامه أنه من بني أمية هاج، وأخذ رمحه، وحلف أن لا يبقى له في منزل، فقال لغلامه: إذا سئلت عني فقل إنه من اليهود، فإنه أمشي لحالنا»<sup>(1179)</sup>.

(1173) الونشريسي، المعيار المغربي، ج10، ص128-130.

(1174) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P87.

(1175) الضبي، بغية الملتهم، ص346، ترجمة رقم: 928.

(1176) م.ن، ص346، ترجمة رقم: 928.

(1177) م.ن، ص345-346، ترجمة رقم: 928.

(1178) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص60-61، ترجمة رقم: 11.

(1179) م.ن، ج1، ص61، ترجمة رقم: 11.

كما دفع عدل المسلمين وإنصافهم، وعظمة دينهم، أن يترك عددٌ من اليهود دينهم، ويدخلوا في الإسلام. وذلك بالرغم مما يُعرفُ به اليهود من صعوبة أن يتحولوا إلى دينٍ آخر. وقد كان من بين الداخلين في الإسلام يهودٌ من مشاهير علمائهم أمثال أبي عمر يوسف بن صديق الذي تولى قضاء اليهود في قرطبة من (430-439 هـ = 1047-1083 م)، وكان إسلامه في نهاية عصر المرابطين، وفي أواخر أيام حياته<sup>(1180)</sup>.

وقد ترجم ابن عبد الملك المراكشي لأحمد بن إبراهيم بن يهوذا، كواحدٍ من علماء الأندلس المسلمين<sup>(1181)</sup>، ويظهر اسمه أنه من أصولٍ يهودية، وذكر ابن باجة طبيباً أندلسياً يدعى أبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسداي، وقال: بأنه من أفاضل الأطباء في الأندلس<sup>(1182)</sup>، ويدلُّ اسمه أيضاً ووصفه بأنه من أفاضل الأطباء. واسم أبيه وجده على دخول هؤلاء في الإسلام. كما ترجم ابن الفرضي لمحمد بن عزرة من منطقة وادي الحجارة بالأندلس، والذي يدلُّ اسمه على أصوله اليهودية. وعده أحد علماء المسلمين في الأندلس<sup>(1183)</sup>. وإنَّ هذه الترجمات تدل على دخول عدد من اليهود في الإسلام عن رغبةٍ فيه واقتناع.

وقد أورد الونشريسي مسألة مهمة في هذا المجال، تُظهر أنَّ صبيّاً يهودياً أسلم وهو ابن ثمان سنين «وسئل ابن زرب عن يهوديٍّ صبيٍّ أسلم، وهو ابن ثمانية أعوام، هل يحال بينه وبين أمه التي تحضنه؟»<sup>(1184)</sup>.

لقد كان المسلمون في الأندلس دعاةً إلى دينهم بخلقهم وسلوكهم والتزامهم بمبادئ دينهم وبتربيتهم غير المسلمين في الدخول فيه. «وذكر ابن سهل في هذا المقام قضية طريفة: فيمن قال لامرأة نصرانية أسلمي وأعطيك داري هذه، لدارٍ هو فيها ساكن، فأسلمت ثم مات الزوج قبل أن تقبضها المرأة، قال القاضي: الدار لها والإشهاد يجزيها من الحيازة؛ لأنها ثمن إسلامها، وليس من بابِ العطية»<sup>(1185)</sup>.

HAIM BEINART, CORDOBA , ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.215; (1180)

عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 67.

(1181) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ق 1، ص 65، ترجمة رقم: 51.

(1182) عبد الرحمن بدوي، رسائل جديدة لابن باجة «مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد»، م 15، (مدريد، 1970 م)، ص 9.

(1183) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق 2، ص 34، ترجمة رقم: 1186.

(1184) الونشريسي، المعيار المعرب، ج 2، ص 354.

(1185) خلاف، تاريخ القضاء في الأندلس، ص 406.

والظاهر أنَّ ظاهرة دخول يهود في الإسلام قد أزعجت يهود الأندلس، فقاوموها وكانت إحدى وسائل المقاومة في ما يبدو إغراء الداخلين منهم في الإسلام بالعودة إلى اليهودية مقابل تنصيبهم في مناصب الطائفة الإدارية المهمة. يفهم ذلك من الخطاب الذي كتبه أبو محمد عبد الغفور بن ذي الوزارتين، وهو إشبيلي من أهل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي - إلى أحد الأمراء، وأرسله إليه مع طبيب يهودي حيث يقول فيه: «وَحَمَلْتُهُ الْمَتَطَبَّ أَبَا فُلَانٍ، كَرِيمَةً رَهْطَهُ، النَّابَهُ الذِّكْرَ فِي أَعْلَامِ سِبْطِهِ، زَعِيمَ يَهُودٍ، الْمَسْوَدَّ فِيهِمُ الْمَسْوَدَّ، بِحُكْمِ التَّوَقُّفِ عَنِ الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ، وَالتَّرَدُّدِ فِي الْمَذَاهِبِ الْأَحْبَارِيَّةِ»<sup>(1186)</sup>.

نشأت بين مسلمي ويهود الأندلس علاقات مختلفة منها الحسن ومنها دون ذلك.

أما العلاقات الحسنة فتعبّر عنها النصوص والروايات الآتية:

1- وقعت في قرطبة<sup>(1187)</sup> سنة (202هـ= 817م) في عهد الأمير الحكم<sup>(1188)</sup> حادثة ينقلها عبد الواحد المراكشي عن ابن حيان فيقول: «ومن أعجب ما حكى أبو مروان بن حيَّان المؤرِّخ مما يتَّصل بخبر هذه الواقعة قال: كان أشدَّ الناسِ على الحكم هذا تحريضاً رجلاً من الفقهاء اسمه طالوت، كان جليل القدر في الفقهاء، رحل إلى المدينة، وسمع من مالك بن أنس، وتفقه على أصحابه، وكان قوياً في دينه، فلما أوقع الحكم بأهل الربض، وأمر بتغريب من بقي منهم، كان ممن أمر بتغريبه طالوت الفقيه، فعسر عليه الانتقال، ومفارقة الوطن، ورأى الاختفاء إلى أن تتغير الأحوال، فاستخفى في دار رجل يهودي سنة كاملة، واليهودي في كل ذلك يُكرمه أبلغ الكرامة، ويعظمه أشدَّ التعظيم، فلما مضت السنة، طال على الفقيه الاختفاء، فاستدعى اليهودي، وشكره على إحسانه إليه، وقال له: قد عَزَمْتُ غداً على الخروج، وقصد دار فلان الكاتب، لأنَّه قرأ عليّ، ولي عليه حق التعليم، وقد بلغني أنَّ له جاهاً عند هذا الرجل، فعسى هو يشفع لي عنده فيؤمِّنني ويدعني في بلدي، فقال له اليهودي: يامولاي لاتفعل،

(1186) الشتريني، الذخيرة، ق2، م1، ص364.

(1187) تنظر هذه الحادثة عند: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص75-77؛ عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص505-

507؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الرابع، ص150-151؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب، 21-

22؛ ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا، ص243-244؛ المقري، نفح الطيب، م2، ص639.

(1188) ينظر: ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص42.

فما آمنهم عليك، وجعل يحلفُ له بكلِّ يمينٍ يعتقده، أنه لو أقام عنده بقية عمره، ما أمله ذلك، ولا ثقل عليه، فأبى إلا الخروج، فخلّى بينه وبين ذلك، فخرج حتى أتى دار ذلك الكاتب بغلس، فاستأذن عليه فأذن له، فلما دخل عليه رحّب به، وأدنى مجلسه، وسأله أين كان في هذه المدة؟ فقَصَّ عليه قصّته مع اليهودي، ثم قال له اشفع لي عند هذا الرجل، حتى يؤمنني في نفسي، ويمنّ عليّ بتركي في بلدي فوعده بذلك، وركب من فوره، ودخل على الحكم<sup>(1189)</sup>. ويكمل ابن القوطية أحداث هذه الرواية، ويبين كيف عفى الحكم عن طالوت، وعفا عن اليهودي الذي آواه في بيته<sup>(1190)</sup>، ويقول ابن عاصم الغرناطي في نهاية روايته لهذه الحادثة أن الحكم: «كتب لليهودي بالحرمة، ولعقبه من بعده»<sup>(1191)</sup>.

وتدلُّ هذه الرواية على قيام علاقاتٍ حسنة بين مسلمين ويهود في الأندلس، فلولا أن طالوت كان على علاقة حسنة باليهودي، لما لجأ إلى بيته، ومكث فيه لمدة سنة، ولولا وجود علاقة حسنة لما خاطر اليهودي بنفسه وماله وأهله وولده، وأخفى طالوت في بيته، وعندما عزم على الخروج رجاه واستحلفه أن لا يخرج خوفاً وحفاظاً عليه.

2- قول ابن حزم الأندلسي: «ولقد كنتُ يوماً بالمرية، قاعداً في دكان إسماعيل بن يونس الطبيب الإسرائيلي، وكان بصيراً بالفراسة، محسناً لها، وكُنّا في لَمّة»<sup>(1192)</sup>.

3- قول ابن سعيد الأندلسي: «وخرجت مرّة مع أبي إسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي إلى مرج الفضة بنهر إشبيلية، فتشاركنا في هذا الشعر:

(1189) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 21-22.

(1190) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 75-76.

(1191) ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا، م 1، ص 244.

(1192) ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، ج 1، ص 114.



غيري يميل إلى كلام اللاحي ويمدُّ راحته لغيرِ الراح<sup>(1193)</sup>  
وقول والد ابن سعيد الأندلسي لولده ابن سعيد: «حتى رضيت أن تكون زاملة ليهودي شاعر»<sup>(1194)</sup>.

4- قيام علاقة حسنة بين يوسف بن وقار الإسرائيلي الطليطي ولسان الدين بن الخطيب. يدلُّ على هذه العلاقة الطريقة التي يخاطب بها اليهودي ابن الخطيب، وكذلك طريقة ابن الخطيب في الحديث عن ذلك اليهودي. حيث يقول: «وقد كنتُ طلبتُ شيئاً من ذلك [أخبار ملوك قشتالة] من مظنته، وهو الحكيم الشهير، طبيبُ دار قشتالة، وأستاذ علمائها، يوسف بن وقار الإسرائيلي الطليطي، لما وصل إلينا في غرضِ الرئاسة عن سلطانه، فقيد لي في ذلك تقييداً، أنقلُ منه بلفظه، أو بمعناه ما أمكن، وأستدرك ما أغفل، إذ ليس بقادح في الغرض. قال الحكيم: سألت أعزك الله، وأدام كرامتك أن أثبت لك ما تحقَّق عندي من التواريخ التي وقع فيها نسب ملك قشتالة»<sup>(1195)</sup>.

5- اعتماد بعض المسلمين على أشخاص يهودٍ في حمل رسائلهم إلى أصدقائهم. يظهر ذلك من رواية الشنتريني التي تبين وصول رسالة إلى الكاتب أبي المغيرة عبد الوهاب بن حزم من أحد أصدقائه عن طريق يهوديٍّ أوصلها إليه<sup>(1196)</sup>، حيث ردَّ أبو المغيرة على الرسالة بقوله: «وأبدأ بحديث اليهودي موصل كتابك»<sup>(1197)</sup>.

ومن رواية أخرى أشرنا إليها سابقاً، يرد فيها نص رسالة بعث بها أبو محمد عبد الغفور بن ذي الوزارتين أبي القاسم إلى أحد الأمراء، ويظهر هذا النص أن حامل الرسالة كان يهودياً «وأنفذته من كتاب... حملته المتطبب أبا فلان كريمة رهطه، النابه الذكر في أعلام سبطه، زعيم يهود، المسود فيهم المسود»<sup>(1198)</sup>.

(1193) المقرئ، نفح الطيب، م2، ص307.

(1194) ابن سعيد الأندلسي، اختصار القدر المعلى، ص141.

(1195) لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص322.

(1196) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م1، ص161.

(1197) م.ن، ق1، م1، ص161.

(1198) الشنتريني، الذخيرة، ق2، م1، ص364.

6- ارتبط أبو المطرف بن الدِّبَاغ بعلاقة وثيقة مع أبي الفضل حسداي بن يوسف، الذي كان يهودياً، ثم أعلن إسلامه<sup>(1199)</sup>.

7- كان الوزير ابن عمار (ت: 479هـ=1086م) على علاقة وثيقة أيضاً بحسداي إذ كتب إليه من سجنه الذي أودعه إياه ابن عباد، يقول:

أدرك أخاك ولو بقافيةٍ      كالطلّ يوقظ نائم الزهر  
فلقد تقاذفت الركاب به      في غير مؤماةٍ ولا بحر<sup>(1200)</sup>  
ويقول أيضاً:

دع ذا وصلنا غير مؤتمرٍ      مستأثراً بالحميد والشكر  
واكتب إلينا إنها ليدٌ      تمحو الذي كتبت يد الدهر<sup>(1201)</sup>

8- يدلُّ تتلمذ عدد من اليهود على أيدي أساتذة مسلمين على وجود علاقات حسنة بين الأساتذة المسلمين والتلاميذ اليهود. ومن الإشارات الدالة على هذه التلمذة، قول الكاتب أحمد بن عبد الملك بن شهيد: «جلس إلِّي يوماً يوسف بن إسحاق الإسرائيلي، وكان أفهم تلميذ مرَّ بي»<sup>(1202)</sup>.

وقول ابن سعيد عن إسحاق بن شمعون اليهودي القرطبي أنَّه: «أحد عجائب الزمان في الاقتدار على الألحان، وكان قد لازم ابن باجة»<sup>(1203)</sup>. وقول المقرئ عن إبراهيم ابن سهل الإسرائيلي: «وقرأ على أبي عليّ الشلوبين، وابن الدباج وغيرهما»<sup>(1204)</sup>.

(1199) الشتريني، الذخيرة، ق3، م1، ص282-284؛ العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ق4، ج2، ص353-354.

(1200) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص128.

(1201) م.ن، ص128.

(1202) الشتريني، الذخيرة، ق1، م1، ص233-234.

(1203) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص127، ترجمة رقم: 60.

(1204) المقرئ، نفع الطيب، م3.

9- قيام بعض يهود الأندلس بإهداء جيرانهم المسلمين رغائف بمناسبة عيد يهودي يسمونه عيد الفطير فقد «سئل القاضي أبو عبد الله بن الأزرق عن اليهود يصنعون رغائف في عيد لهم يسمونه عيد الفطير، ويهدونها لبعض جيرانهم من المسلمين فهل يجوز قبولها منهم وأكلها أم لا؟»<sup>(1205)</sup>. وقد ورد في الإجابة على هذا السؤال القول «كثير من جهلة المسلمين يقبل ذلك منهم في عيد الفطيرة»<sup>(1206)</sup>.

10- استخلص جوايتاين من وثائق الجنيزة أنه «كانت الأموال والبضائع تودع طرف رجال الأعمال المسلمين الذين كانوا يسافرون مع القوافل أو بالسفن في الوقت الذي كان فيه معظم الربابنة المذكورين [إن لم يكن جميعهم] مسلمين، ونحن نجد في أوراق الجنيزة أدعية وتمنيات طيبة للتجار المسلمين، كذلك نجد أن اليهود كانوا يزورون بيوت شركائهم في العمل من المسلمين، ويهتئونهم في أيام الأعياد»<sup>(1207)</sup>. ويقول أيضاً: «جاء في إحدى وثائق الجنيزة: إذا كانت هناك قافلة، وكان يسافر فيها مسلمون مؤتمنون، تكرّم بإرسال البضائع معهم»<sup>(1208)</sup>.

11- ورد في إحدى وثائق الجنيزة، نص رسالة بعث بها تاجر أندلسي في مدينة فاس إلى أبيه يافث اللافي بن علا في المرية سنة (535هـ=1140م) وجاء في هذه الرسالة القول: «ولو أنني كنت أمتلك من الشجاعة هنا ما أمتلكه في المرية لنجوت بأقل من هذا»<sup>(1209)</sup>، وهو يقارن وضع اليهود في المرية بوضعهم خارج الأندلس، فيقول: «إلى درجة أنه بالمقارنة فإن المرية تعد مكان الخلاص»<sup>(1210)</sup>.

ولا شك أن معرفة يهود الأندلس بالمسلمين هناك، واختلاطهم بهم، ونشوء علاقات حسنة بينهم، هي التي جعلت هذا التاجر الأندلسي يمتلك الشجاعة في المرية.

12- يتحدث صاعد الأندلسي عن علاقته باليهودي إسحاق بن قسطار فيقول: «جالسته كثيراً فما رأيت يهودياً مثله في رجاحته وصدقه وكمال مروءته»<sup>(1211)</sup>.

(1205) الوثريسي، المعيار المعرب، ج11، ص111-112.

(1206) م.ن، ج11، ص111-112.

(1207) جوايتاين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص238.

(1208) م.ن، ص218.

(1209) GOITEIN, LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, P.53.

IBID, P.55. (1210)

(1211) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص89.

13 - إنَّ المعاملة الحسنة التي عامل بها كثيرٌ من مسلمي الأندلس اليهود، لا تعني أنَّ هؤلاء المسلمين قد غيروا نظرهم إلى اليهود. فلقد أحسنوا معاملتهم، وأقاموا معهم العلاقات مع بقاء صورة اليهودي كما هي في أذهانهم. وقد وجدنا ذلك عند ابن حزم الذي أقام علاقة حسنة مع إسماعيل بن يونس الطبيب الإسرائيلي<sup>(1212)</sup> بالرغم من تصريحاته الواضحة عن سوء أخلاق اليهود وطبائعهم وفساد عقائدهم<sup>(1213)</sup>، ووجدناه عند ابن الخطيب الذي كانت له علاقة حسنة مع يوسف بن وقار الإسرائيلي الطليطي<sup>(1214)</sup>، مع أنَّه يقول في موضعٍ آخر، وهو يتحدث عن كفر إحدى الفرق: «ممن يأنف يهود لعنة الله على كفرها، من انتسابهم إلى نحلته»<sup>(1215)</sup>.

وسبب إحسان المسلمين معاملة الذميين اليهود في الأندلس، بالرغم من الصورة السيئة التي يحملونها عنهم، هو أنَّ العقلية الإسلامية، قد تكوَّنت وتشكلت على أساس المنهج الإسلامي الذي يعرف المسلمين بصفات وأخلاق وطبائع اليهود، ليحذروهم، وفي الوقت نفسه يأمرهم بالعدل والقسط في معاملتهم ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(1216)</sup> ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>(1217)</sup>. وقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي لا ينطق عن الهوى، أن يرافق القسط وعدم الظلم في معاملة اليهود، إهانة وعدم إكرام، حيث قال: «أذلّوهم ولا تظلموهم، وأهينوهم ولا تكرمهم، وسموهم ولا تكنوهم»<sup>(1218)</sup>.

(1212) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج1، ص 114.

(1213) الرد على ابن النغريلي، ص 45-46، 64-65.

(1214) أعمال الأعلام، ص 322.

(1215) نفاضة الجراب، ص 307.

(1216) سورة المائدة، من الآية 8.

(1217) سورة الممتحنة، آية 8.

(1218) الوئشريسى، المعيار، ج2، ص 254.

كما أوصى بذلك العمرين المشهورين بالعدل، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله»<sup>(1219)</sup>، وقال: «سموهم ولا تكنوهم، وأذلوهم ولا تظلموهم، وإذا جمعتكم وإياهم طريق فآلجئوهم إلى أضيقتها»<sup>(1220)</sup>، وقوله لأحد عماله الذي بعث إليه يستأذنه في الاستعانة بالأعاجم: «إنهم أعداء الله، وإنهم لغششة، فأنزلوهم حيث أنزلهم الله»<sup>(1221)</sup>. ولم تمنع هذه التوصيات الكثيرة عمر رضي الله عنه أن يمسك شيخاً يهودياً كفيفاً من يده، ويعطيه من بيت مال المسلمين، ويوصي برفع الجزية عنه وعن أمثاله من اليهود، وفرض مخصصات مالية لهم<sup>(1222)</sup>. وقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في كتاب إلى عماله: «وأنزلوهم منزلتهم التي خصهم الله بها من الذل والصغار»<sup>(1223)</sup>. ولم تمنع هذه التوصية عمر رضي الله عنه أن يوصي أيضاً أحد ولاته بقوله: «ثم انظر من قبلك من أهل الذمة، قد كبرت سنّه، وضعفت قوته، وولّت عنه المكاسب، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه»<sup>(1224)</sup>.

فلا تناقض إذاً في منهج الإسلام بين الإحسان إليهم والقسط معهم، وإهانتهم وإذلالهم. لأن الله تعالى مشرّع هذا المنهج، يعلم المعاملة التي تلائمهم وتناسب أخلاقهم وطبائعهم. وقد مرّ بنا سابقاً كيف أدّى إكرامهم وتقريبهم وتسليمهم المناصب في إمارة غرناطة في عهد الطوائف الذي كثر فيه انحراف الحكام عن منهج الإسلام، إلى تسلطهم على المسلمين واستهزائهم بأيّات القرآن الكريم.

وقد التزم بعض المسلمين في الأندلس بمنهج الإسلام في التعامل مع اليهود، بينما تجاوزه آخرون. وقد نقل المقرئ عن ابن سعيد نصّاً يظهر التزام أحد المسلمين بمنهج الإسلام في التعامل معهم حيث قال في معرض حديثه عن إبراهيم بن الفخار اليهودي: «قال ابن سعيد: أنشدني لنفسه يخاطب أديبا مسلماً كان يعرفه، قبل أن تعلق رتبته، ويُسفر بين الملوك، ولم يزد على ما كان يعامله به من الإذلال، فضاق ذرعُ ابن الفخار، وكتب إليه:

(1219) الأبيشي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح، المستطرف في كل فن مستظرف، (القاهرة، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، 1368م)، ج1، ص 111.

(1220) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ج1، تهذيب وترتيب: عبد القادر بدران، (بيروت، دار المسيرة، د.ت)، ص 180.

(1221) الأبيشي، المستطرف، ج1، ص 111.

(1222) أبو يوسف، الخراج، ص 144.

(1223) ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ق1، ص 212-213.

(1224) م.ن، ق1، ص 38.

أيـا جاعلاً أمرين شـبهين مالـه  
جعلت الغنى والفقر والذلّ والعُلا  
وهل يستوي في الأرضِ نجدٌ وقلعة  
وما كنت ذا مَيزٍ لمن كنت طالباً  
وقد حال ما بيني وبينك شاغلٌ  
من الفعل إحساسٌ به يتفقّد  
سواء فما تنفك تشقى وتجهّد  
فتطلب تسهلاً وسيرك مُصعدٌ  
بما كنت في حال الفراغ تعودٌ  
فلا تطلبني بالذي كنت تعهدٌ<sup>(1225)</sup>

وظهر التعبير عن رغبة المسلمين في الالتزام بمنهج الإسلام في التعامل مع اليهود، في سؤال ورد إلى القابسي<sup>(1226)</sup> حول هذا الموضوع، وفي إجابة القابسي عليه حيث يقول الونشريسي: «وسئل القابسي عن رجل بجواره يهودي، قد ربي معهم، فرما جاؤوه في حاجة، أو عرضت له إليهم حاجة، وربما مشى في طريق ملاصقة لهم، فيجري بينهم حديث أو ابتسام، وكلامٌ لين، وهذا الرجل يقول: الله عالم ببغضي لليهود، ولكن طبعي لين. أترأه من هذا في حرج أم لا؟ وما يردُّ عليه أفتنا رحمك الله. فأجاب: إن كنت تسأل لنفسك، فلا تخالط من على خلاف دينك فهو أسلم لك. وأما جارك من أهل الذمة، فيستقصيك حاجة لا مآثم فيها، فتقضيها له فلا بأس. أمّا لين قولك له إن خاطبك فإن لم يكن فيه تعظيم له ولا تشريف، ولا ما يغبطه في دينه، فلا بأس إذا ابتليت به، وأمّا إن سلّم عليك، فالردُّ عليه أن تقول: وعليك، ولا تزدد. وأمّا سؤالك عن حاله وحال من عنده، فما لك فيه فائدة، وما عليك منه، إن أنت لم تكثر، ولم تُفرط فيه، ولكن بقدر ما يدعو إليه حق الجوار والله يعلم المفسد من المصلح، والله وليُّ بالتوفيق»<sup>(1227)</sup>.

(1225) المقري، نفح الطيب، م 3، ص 527.

(1226) القابسي: هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القروي، ولد سنة (324هـ=935م)، وهو من الفقهاء الزهاد الورعين. له تصانيف بديعة. توفي سنة (403هـ=1012م).

ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، طبقات الحفاظ (بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1983م)، ص 419.

(1227) الونشريسي، المعيار، ج 11، ص 300-301.

أما بالنسبة لتجاوزات بعض المسلمين عن منهج الإسلام في التعامل مع اليهود، فتصورها العديد من الأمثلة التاريخية<sup>(1228)</sup>، نذكر منها قول أبي الحسن بن الزقاق أحد كتاب مملكة بلنسية في غلامٍ يهودي كان يجلس معه ويناديه يوم سبت:

وحبب يوم السبت عندي أنني      ينادمني فيه الذي أنا أحببتُ  
ومن أعجب الأشياء أني مسلم      حنيفٌ ولكن خير أيامي السبتُ<sup>(1229)</sup>  
وقول أبي أحمد عبد العزيز بن خيرة في مدح إسماعيل بن نغدله:

وما اكتحلت عيني بمثل ابن يوسف      ولست أحاشي الشمس من ذا ولا  
وقوله فيه أيضاً:

ولو فرقوا بين الضلالة والهدى      لما قبلوا إلا أناملك العشر  
ولا ستلموا كفيك كالركن زلفة      فيمنالك لليمنى ويسراك اليسرى  
وقد فزت بالدنيا ونلتُ بك المنى      وأطمح أن ألقى بك الفوز بالأخرى  
أدين بدين السبت جهراً لديكم      وإن كنت في قومي أدين به سرّاً  
وقد كان موسى خائفاً مترقباً      فقيراً وأمنت المخافة والفقراً<sup>(1231)</sup>  
والملاحظ أنَّ المسلمين الذين ارتبطوا بهذا النوع من العلاقات مع اليهود كانوا أهل خمر ومجانةٍ وفسق، فابن الزقاق سالف الذكر يتحدث عن صحبة خمر ومجون مع غلامه اليهودي<sup>(1232)</sup>؛ وابن خيرة له أقوال وأشعار تدل على إدمانه للخمر، ومن ذلك استحلافه أحد أصدقائه بالقول: «فبحرمة الكأس التي رضعنا»<sup>(1233)</sup>، وقوله متغنياً بحب الخمر:

(1228) ينظر: الشتريني، الذخيرة، ق4، م1، ص253-254؛ ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص288، ترجمة رقم: 206؛ المقرئ، نفح الطيب، م3، ص529.  
(1229) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص328، ترجمة رقم: 567؛ المقرئ، نفح الطيب، م4، ص19.  
(1230) الشتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص764.  
(1231) الشتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص765.  
(1232) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص328، ترجمة رقم: 567؛ المقرئ، نفح الطيب، م4، ص19.  
(1233) الشتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص755.

فإذا ما الكؤوس دارت بريقي فإح في الأفق مني مسك عتيق<sup>(1234)</sup>  
ولم يرض الشتريني عن هذا النوع من العلاقات مع اليهود، فعقب على أبيات ابن خيرة  
بالقول: «وله في هذه القصيدة من الغلو في القول، ما نبرأ منه إلى ذي القوة والحو<sup>(1235)</sup>»؛ ولم  
يرض مسلمو الأندلس عن الأخفش بن ميمون الذي سلك سلوك ابن خيرة، فقال بعضهم  
محرضاً المعتصم ابن صادق عليه: يا سيدي لا تُقرب هذا اللعين فإنه قال في اليهودي:

ولكن عندي للوفاء شريعة تركت بها الإسلام يبكي على الكفر<sup>(1236)</sup>.  
وصدق الله العظيم الذي نفى الإيمان عن الذين يحبون أعداءه، حيث يقول سبحانه: ﴿لَا  
يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ  
عَشِيرَتَهُمْ﴾<sup>(1237)</sup>، ونهى عن موالاتهم بقوله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ  
وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(1238)</sup>. وعدّ الذين يخالفون أوامره ويوالون اليهود  
أصحاب نفوس مريضة، ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ﴾<sup>(1239)</sup>.

ومن الأمثلة على هذه العلاقات الشاذة أيضاً، العلاقة التي وقع فيها سعيد بن سليمان ابن  
جودي «أمير العرب المنتزين بمدينة غرناطة من كورة إلبيرة»<sup>(1240)</sup> مع امرأة يهودية، حيث يشير  
ابن عذاري إليها بقوله: «وقُتل في دار عشيقة له يهودية غدراً»<sup>(1241)</sup>، وكان قتله سنة  
(284هـ=897م)<sup>(1242)</sup>؛ وهذه العلاقة تدلّ على وجود علاقات لمسلمين مع يهوديات منذ مرحلة  
مبكرة، وهي علاقات شاذة ونادرة، لم يقع فيها إلا ذوو الأهواء والشهوات، ولم يرض عنها جمهور  
المسلمين في الأندلس؛ والظاهر أنّ هذه العلاقات المنحرفة لابن جودي مع امرأة يهودية،

(1234) م.ن، ق، 1، م، 2، ص 760.

(1235) م.ن، ق، 1، م، 2، ص 765.

(1236) المقرئ، نفح الطيب، م، 3، ص 387-388.

(1237) سورة المجادلة، آية 22.

(1238) سورة المائدة، آية 51.

(1239) سورة المائدة، من الآية 52.

(1240) ابن حيان، المقتبس، نشر الأب ملشور م. أنطونية، ص 123.

(1241) البيان المغرب، ج2، ص 134.

(1242) ابن حيان، المقتبس، نشر الأب ملشور م. أنطونية، ص 30.



كانت من أهم أسباب قتل أصحابه له، ولذلك اختاروا أن يقتلوه في بيتها. يقول ابن حيان: «وانبسط كثيراً على أصحابه، واستخف بهم حتى دبر عليه كبيران منهم محمد بن عثمان بن سيد أبيه، ويزيد بن عبد السلام حيلة فقتلاه بها... وكان من أكبر ما نقمه عليه أصحابه استهتاره بالنساء، ونهمه فيهن، وانحطاطه في طلبهن، إلى ما يُقْبَحُ ذكره»<sup>(1243)</sup>.

ولم يمنع أصحابه من قتله بسبب هذا الانحراف أنه كان زعيماً عربياً يتصدى بجدارة واقتدار لعمر بن حفصون كبير الخارجين على الدولة<sup>(1244)</sup>، «وأنه كان شجاعاً بطلاً وفارساً مجرباً، قد تصرّف مع فروسيته في فنون العلم، وتحقق بضروب الأدب، فاغتدا أديباً وشاعراً محسناً»<sup>(1245)</sup>.

كما وقعت خلافات ومنازعات بين مسلمين ويهود في المجتمع الأندلسي بعضها يتعلق بنواحي دينية، حيث كان بعض اليهود، يتعمدون في إيذاء مشاعر المسلمين الدينية، فيسبون شريعتهم<sup>(1246)</sup>، أو يستهزئون بقرآنهم<sup>(1247)</sup>، أو يذكرون نبيهم محمداً -صلى الله عليه وسلم- بسوء<sup>(1248)</sup>، فلا يحتمل المسلمون ذلك، ويردون على هذه الإساءات والتجاوزات ردوداً عنيفة في بعض الأحيان<sup>(1249)</sup>.

وبعض هذه الخلافات يرجع إلى منافسات شخصية، ويقدم المقري مثلاً على ذلك فيقول: «كان في زمان إلياس بن المدوّر<sup>(1250)</sup> اليهودي الطبيب الرندي طبيب آخر. كان يجري بينهما من المحاسدة ما يجري بين مشتركين في صنعة. فأصلح الناس بينهما مراراً. وظهر لإلياس من ذلك الرجل الطبيب ما ينفر الناس منه، فكتب إليه:

(1243) م.ن، ص 30.

(1244) م.ن، ص 30.

(1245) م.ن، ص 30؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص 134.

(1246) الشنتريني، الذخيرة، ق1، م1، ص 418؛ الونشريسي، المعيار، ج2، ص 344، 363-364.

(1247) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 114، ترجمة رقم: 426؛ ابن حزم الأندلسي، الرد على ابن النغيلة اليهودي، ص 47.

(1248) الضبي، بغية الملتمس، ص 345-346.

(1249) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص 231؛ لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، ق2، ص 233.

(1250) ترجم له ابن سعيد الأندلسي، وذكر أن اسمه إلياس بن صدّود اليهودي. ينظر: ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 336.

لا تخدعنّ فما تكون مودة      ما بين مشتركين أمراً واحداً  
انظر إلى القمرين حين تشاركا      بسناهما كان التلاقي واحداً  
يعني أنهما معاً لَمَّا اشتركا في الضياء، وجب التحاسد بينهما والتفرقة، هذا يطلع ليلاً، وهذا يطلع نهاراً، واعتراضهما يوجب الكسوف<sup>(1251)</sup>.

وعندما لمع اسم الطبيب اليهودي إبراهيم بن الثثار الذي عمل لدى السلطان محمد الخامس في غرناطة، أثارت شهرته حسد الطبيب الغرناطي محمد اللحي الشقوري، فوضع كتاباً بعنوان «قمع اليهود عن تعدي الحدود»<sup>(1252)</sup>.

وقد حرص المسلمون في الأندلس على أن يحافظوا على هيبتهم وعزّتهم، وألا يشمتوا فيهم اليهود، يظهر ذلك من رواية لابن القوطية يقول فيها: «وذلك أنّ رجلاً يعرف بالقصبي كانت له وجهة، وكان يوفده عبد الرحمن بن الحكم إلى «قارله» ملك الإفرنجة، وإلى ملك الروم، فتوفي عن ثلاثة آلاف دينار فضة، وترك أيتاماً، ووجب على القاضي تثقيف المال وتحصينه،

(1251) نفح الطبيب، م3، ص 528-529.

ذكر ابن سعيد الأندلسي، هذين البيتين، لكنه جعل عجز البيت الثاني كلمة «فاسدا» بدلاً على «واحدا»، وهو الأصح في رأي؛ لأن كلمة «واحدا» كانت عجزاً للبيت الأول، وتكرارها في بيتين متتاليين يُعدّ ضعفاً لغوياً وأدبياً.

ينظر: ابن سعيد الأندلسي، ج1، ص 336.

(1252) ابن الخطيب، الإحاطة، م2، ص 42.

فلما جُلب إليه، وصار بين يديه، ذهب المال، فاتهم به ابنه المكنى بأبي عمرو، واتهم به كاتبه... فلما بلغ محمد الخبر أعظمه، وأسأه ما نزل في الأيتام في مالهم، لمكان أبيهم منه ومن أبيه قبله، فجمع أهل العلم وشاورهم فيه، فأشار جميعهم باستحلاف القاضي، حاشى بقي بن مخلد، فإنه قال: إنَّ من الشماتِ بنا عند اليهود والنصارى أن نتسحلف قاضينا، والمأمون على فروج نسائنا وأحسابنا وأيتامنا، أرى للأمير أصلحه الله، أن يجبر هذا من بيت المال، فصار إلى رأيه، وأمر بعزله»<sup>(1253)</sup>.

وهناك خلافات ومنازعات عادية على أملاكٍ وعقاراتٍ ناتجة عن علاقات ومعاملات كانت تحدث بين مسلمي ويهود الأندلس في مختلف العصور<sup>(1254)</sup>، وكانت هذه النزاعات تردّ إلى القضاء الإسلامي فيحكم فيها بالعدل والإنصاف<sup>(1255)</sup>.



---

(1253) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 92-93.

(1254) ابن سهل، الأحكام الكبرى، ص 65-66؛ الشتريني، الذخيرة، ق 4، م 1، ص 253-254؛ الونشريسي، المعيار، ج 2، ص 227-228.

(1255) ابن سهل، الأحكام الكبرى، ص 47-56، 65-66، 73.

اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس

الفصل الخامس

التنظيمات الإدارية  
والاقتصادية لليهود  
في الأندلس

## المبحث الأول التنظيمات الإدارية

أولاً: التنظيم الإداري لليهود في الأندلس

أ- رئيس الطائفة اليهودية (الناسي) :

قام الأمير عبد الرحمن الأول (138-172 هـ=755-788 م)، بتعيين الأمير القوطي أرطباس رئيساً لطائفة النصارى في الأندلس<sup>(1256)</sup>.

ومنذ ذلك الحين مال الحكام الأمويون إلى تعيين النصارى من ذوي المكانة في هذا المنصب، بناءً على اقتراح أعضاء طائفتهم، أو بسبب تقرب هؤلاء الأشخاص منهم<sup>(1257)</sup>. وكذلك كان خلفاء أرطباس على هذا المنصب، رؤساء للطائفة النصرانية عبر الأندلس بأكملها<sup>(1258)</sup>.

وكان رئيس النصارى هذا يحمل اللقب الروماني قومس (COMES)<sup>(1259)</sup>، ويمثل إخوانه في الدين أمام الحكومة، وكان مسؤولاً عن دفع النصارى للجزية المفروضة عليهم، ويشرف على كل شؤون الطائفة، ويقف على رأس الإدارة القضائية التي تحكم في القضايا بين أعضاء الطائفة في الأمور المدنية باتباع القانون القوطي (JUSGO OFUER). وكان جباة الجزية المحليين والقضاة يعملون تحت إشراف القومس. وكان هو كبير قضاة النصارى. وكانت الحكومة الإسلامية بدورها تساعد أولئك المسؤولين عن الطائفة النصرانية في تنفيذ وظائفهم، وجمع الضرائب المفروضة لاحتياجات الطائفة الخاصة. وكان إطار العمل هذا قد استمر طوال حكم بني أمية للأندلس<sup>(1260)</sup>.

(1256) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 61.

(1257) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.78.

(1258) ينظر: ابن حيان، المقتبس، نشر: ملشور م. أنطونية، ص 92، 102؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، م 2، ص 15، 33.

(1259) القومس (COMES) كلمة لاتينية تعني نديم الملك، وهي موجودة في اللغات الأوروبية، وتعني حاكم منطقة متمتع باستقلال تام أو محدود. ينظر: البكري، المسالك والممالك، «الجزء الخاص بالأندلس وأوروبا»، ص 99، (هامش المحقق).

(1260) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.78.

ومثلما قام الحكام الأمويون بتعيين القومس ليكون رئيساً للطائفة النصرانية، قاموا كذلك بإيجاد منصب لقائد الطائفة اليهودية. وكان لقب صاحب هذا المنصب هو «ناسي» (NASI)<sup>(1261)</sup>، وكان أسلوب تعيينه مشابهاً لتعيين القومس. وفي بعض الأحيان كان الحاكم المسلم يعين يهودياً في وظيفة حكومية مهمة، وإذا ما حاز هذا اليهودي على رضا الحاكم، فإنه يقوم باستدعاء أكابر اليهود، ويأخذ موافقتهم على تعيين ذلك الموظف الكبير ناسياً لكل يهود الأندلس. وفي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي كان الناسيان اللذان تعاقبا على هذا المنصب، وكتب عنهما المؤرخ اليهودي إبراهيم بن داود، قد تمَّ تعيينهما من قبل الحكومة، وبناءً على مبادرتها<sup>(1262)</sup>. وكانت وظيفة الناسي مشابهة لوظيفة القومس، حيث كان يمثل اليهود أمام الحكام المسلمين، ومسؤولاً عن الجزية المفروضة عليهم، ويقوم بدور كبير القضاة في طائفته<sup>(1263)</sup>. ولم ينس الشعراء اليهود المعاصرون لحسداي بن شبروط، والذين تغنوا به، أن يذكروا سماته وخصاله كقاضٍ. وعندما عزم حسداي على محاسبة سكرتيره مناحيم بن ساروق، مارس وظيفته ككبير للقضاة، وأصدر حكماً ضده، على الرغم من أن المتهم لم يكن حاضراً<sup>(1264)</sup>.

HAIM BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.222; (1261)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.79;

الموسوعة العبرية، م26، ص383.

ASHTOR, THE JEWS, VOL. 3, P.79. (1262)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.79. (1263)

عن مسؤولية الناسي عن جمع الجزية. ينظر: ابن بلقيس: التبيان، ص38.

IBID, VOL.3, P.80. (1264)

وسار أمراء الطوائف على الطريقة نفسها في تنظيم شؤون اليهود، حيث عين كل واحد منهم رئيساً لليهود في إمارته، وظل رؤساء الطوائف اليهودية في الأندلس يحملون أيضاً لقب «الناسي» الذي كان يطلق من قبل على رؤساء اليهود في المشرق. وطلب بعض رؤساء اليهود من قادة اليهود ورؤساء مدارسهم في العراق أن يمنحهم ألقاباً تليق بالخدمات الكبيرة التي يقدمونها إلى طوائفهم، فمنح بعضهم لقباً جديداً هو «الناغيد»، وصار هذا اللقب يطلق على إسماعيل بن نغدة، وولده يوسف من بعده<sup>(1265)</sup>، اللذان تعاقبا على رئاسة الطائفة اليهودية في غرناطة<sup>(1266)</sup>. ويصف الشتريني أهمية هذا اللقب في معرض حديثه عن إسماعيل بن نغدة فيقول: «وُسِمَى من خططهم الشرعية بالناغيد، معناه المدبّر بالعربية، خطة تحامها قدماءهم، وتطأاً عنها قديماً زعماءهم، اجترأ هو عليها<sup>(1267)</sup>».

لكن لقب الناسي كان أكثر تأصلاً في الأندلس، فبعد مدة من الزمن عاد رؤساء الطائفة إلى استخدامه. وكان تعيين أولئك (الناسيم)<sup>(\*)</sup> قد صار ممارسة مقبولة، وظلت واجباتهم دونما تغيير. وكما في الأوقات السابقة فإنهم عملوا كممثلين لطوائفهم، وقاموا بمحاولات من أجل رفاهية الطوائف والأفراد، وكانوا مسؤولين عن دفع الجزية. وقاموا بدور كبار القضاة<sup>(1268)</sup>.

والظاهر أن منصب الناسي في عصر الطوائف لم يعد مقتصرًا على شخص واحد في كل الأندلس، بل صار لكل إمارة أو مملكة ناسياً أو رئيساً لطائفتها اليهودية. فقد شغل رئاسة الطائفة اليهودية في إشبيلية إسحاق بن باروخ البالية الذي عمل أيضاً منجماً لدى المعتمد (461-484هـ=1068-1091م)<sup>(1269)</sup>، وخلفه على هذا المنصب، وفي عهد المعتمد أيضاً إبراهيم بن مير بن المهاجر<sup>(1270)</sup>. وكان رئيس طائفة بجانة في نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي هو صاموئيل هاكوهين بن جوزية الذي يعود أصله إلى فاس بالمغرب،

IBID, VOL.3, P.80. (1265)

(1266) ينظر: الشتريني، الذخيرة، ق1، م2، ص767؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ص439.

(1267) الشتريني، الذخيرة، ص767.

(\*) الناسيم: جمع لكلمة (ناسي) باللغة العبرية.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.80 (1268)

BROYDE, SEVILLE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.208 (1269)

HAIM BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201 (1270)

وكان ضليعاً في الشريعة اليهودية، وله مراسلات مع الجاؤون شعريره في العراق<sup>(1271)</sup>. ورئيسهم في أليسانة في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي يُدعى ابن ميمون<sup>(1272)</sup>. وقد تولّى هذا المنصب في منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي في أليسانة أليعازر بن صاموئيل حرکا، الذي كان معاصراً للجاؤون عمرا رئيس اليهود في العراق، وقد منح هذا الجاؤون في منتصف القرن التاسع الميلادي لقب (الألوف)، ولقب (روش كالا)، وأصبح من أشهر أساتذة مدرسة أليسانة اليهودية<sup>(1273)</sup>.

ب- كبير الأخبار (الحاخام الأكبر) :

وكان المنصب الثاني الذي يلي منصب الناسي في الأهمية هو منصب كبير الأخبار أو الحاخام الأكبر كما سُمّي لاحقاً<sup>(1274)</sup>. وقد شغل هذا المنصب في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ=912-961م) الحبر موسى بن حنوخ.

قام حسداي بن شبروط بمنح ابن حنوخ منصب كبير الأخبار، إذ أن مناصب الأخبار والقضاة كانت بيد الناسي، المسؤول الأول في السُّلَم الإداري للطائفة اليهودية في الأندلس، وهذه الصلاحيات التي أعطيت للناسي هي إحدى المؤشرات على التسامح الإسلامي مع اليهود. وتعاون كل من حسداي وابن حنوخ على تنظيم شؤون اليهود في الأندلس، وتطوير المدرسة اليهودية في قرطبة<sup>(1275)</sup>، فاستقدموا إليها عدداً من أخبار اليهود<sup>(1276)</sup>، وجلبوا إليها من المدارس اليهودية في العراق نسخاً ثمينة من التلمود<sup>(1277)</sup>.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.319 (1271)

(1272) ابن بلقين، التبيان، ص 130-131.

HIAM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550. (1273)

ROYMOND P. SCHEINDLIN, THE JEWS IN MUSLIM SPAIN, THE LEGACY OF (1274)

MUSLEM SPAIN, SALMA KHADRA JAYYUSI (EDITOR), P.190.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.619. (1275)

(1276) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 24.

(1277) الموسوعة العربية، م 26، ص 398.



، وسرعان ما حصلت هذه المدرسة على شهرة كبيرة، بحيث إن الطلاب اليهود بدؤوا بالتدفق إليها من مختلف مدن الأندلس والشمال الأفريقي، حتى أصبحت مركزاً رئيساً من مراكز التعليم اليهودي في العالم، ينافس مدرستي بومبيدنا وسورا في العراق<sup>(1278)</sup>، ولم يعد يهود الأندلس بحاجة إلى إرسال أسئلتهم الدينية إليهما، وانتظار الجواب لشهور عدة<sup>(1279)</sup>.

وعند موت موسى بن حنوخ حوالي سنة (360هـ=970م) ثار صراع في قرطبة على من يخلف موسى، ويتولى منصب كبير الأئمة في الأندلس. ولم يكن من الضروري الانتظار لوصول حبر من مكان بعيد، فقد أعدت المدرسة اليهودية في قرطبة عدداً من الأئمة، كان أبرزهم حنوخ بن موسى بن حنوخ، ابن الحبر المتوفى، ويوسف بن أبي ثور، الذي كان عالماً ضليعاً من يهود ماردة، وقد حصل على تعليمه الديني من مدرسة قرطبة، وإضافة إلى علمه، كان شاعراً، وقد أدخلت أشعاره الدينية فيما بعد في شعائر اليهود<sup>(1280)</sup>. وبطلب من الخليفة الأندلسي الحكم الثاني (350-366هـ=961-976م) الذي كان يجمع كل أعمال الأمم في مكتبته، أعد ابن أبي ثور ترجمة للتمود باللغة العربية<sup>(1281)</sup>. وبشكل عام كان ابن أبي ثور نوعاً جديداً من الأئمة، حيث كان يمتلك معرفة في العلوم الدنيوية، بينما كان حنوخ يمثل النمط التلمودي القديم، ولا يهتم إلا بالعلوم الدينية<sup>(1282)</sup>.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.619. (1278)

(1279) ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، (بيروت، مكتبة الحياة، 1965م)، ص 498.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.620 (1280)

IBID, VOL.2, P.620. ص 35؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 35.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.620. (1282)

وانقسم يهود قرطبة إلى جماعتين، الأولى تريد أن يرث حنوخ منصب أبيه والأخرى تفضل أن يتولّى هذا المنصب الحبر يوسف بن أبي ثور<sup>(1283)</sup>. وقد رجحت كفة حنوخ؛ لأن الناسي حسداي بن شبروط رئيس الطائفة اليهودية في الأندلس، والذي له القول الفصل في تعيين كبير الأحرار فيها، كان يفضّله على ابن أبي ثور<sup>(1284)</sup>. وأصبح حنوخ بن موسى كبيراً للأحرار في الأندلس، أو الحبر الأعظم كما كان يُسمّى أحياناً<sup>(1285)</sup>. ولكن بعد موت حسداي (360هـ=970م) اشتدّ الصراع في قرطبة على المنصب الحبري لليهود الأندلس، وقام حزب ابن أبي ثور بتحدي الحبر حنوخ علناً، فقام أتباع حنوخ بحرمان ابن أبي ثور كنسياً، ووضعوه خارج الحظيرة اليهودية. وطلبت الجماعتان من الخليفة المستنصر التحكيم في نزاعهما، ووافق الخليفة فتوجّه ممثلو الحزبين المتنافسين إلى منطقة الزهراء، حيث قصر الخليفة، وقد اجتمع كلُّ حزبٍ مع الحبر الذي يؤيده. وقد لاحظ المستنصر أن غالبية يهود قرطبة يناصرون حنوخ، فأخذ قراره لصالحه. وعندما حاول ابن أبي ثور أن يُقنع الحكم بأحقّيته في هذا المنصب، قال له المستنصر ناصحاً: «لو أن العرب قد تجهّموا بوجهي مثلما فعل اليهود معك، لرحلتُ عن الأندلس، إنني أنصحك بالرحيل عن قرطبة<sup>(1286)</sup>». واستجاب ابن أبي ثور لنصيحة المستنصر، فرحل إلى إحدى مدن الأندلس البحرية، ثم غادرها إلى الشمال الأفريقي<sup>(1287)</sup>.

وأرى أن سبب تفضيل المستنصر لحنوخ يعود إلى اعتقاده بأن وجود حنوخ في هذا المنصب يحقق المصلحة للدولة التي سبق أن جرّبت أباه، فلم يتسبب لها بأية مشاكل أو متاعب، كما أن في تولّي شخص يؤيّده معظم اليهود، ويفضلونه، مصلحة للدولة، إذ يضمن استقرار الطائفة ويقلّل من الاختلاف الذي يتعب حدوثة الدولة أيضاً.

توفي المستنصر سنة (366 هـ=976م)، وكان ولده هشام الذي خلفه، ما زال صغيراً، فأدار البلاد محمد بن أبي عامر الذي عُرف بالحاجب المنصور<sup>(1288)</sup>.

(1283) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 35.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.620. (1284)

BROYDE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.485; (1285)

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.620; ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.361 .

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.620. (1286)

عن موقف المستنصر من هذا الصراع، ينظر: عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 35.

IBID, VOL.2, P.620, (1287)

ينظر: عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 35-36.

(1288) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص 272-284؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص 306.

قام المنصور بتعيين صانع الحرير يعقوب بن جاو، رئيساً أو ناسياً لليهود في الأندلس، ومُنح الناسي الجديد الصلاحيات نفسها التي كان حسداي بن شبروط قد تمتّع بها، إذ كان يقوم بتعيين الأحبار والقضاة في الطوائف اليهودية، ويتولّى جمع الجزية المقرّرة على يهود الأندلس، وصار لابن جاو خدماً من اليهود تحت تصرّفه، وعربة تأخذه من قصر الخليفة، فتكبّر على اليهود، وتسلط عليهم، وأعلم الحبر حنوخ الذي ظلّ كبيراً للأحبار، أنه لو تجرّأ على اتخاذ القرارات في القضايا القانونية بدون إذنه، فسوف يضعه في قارب دون مجاديف، ويطلقه في عرض البحر<sup>(1289)</sup>. ثمّ عزم ابن جاو، وهو النصير القديم لابن أبي ثور على تجريد حنوخ من منصبه الحبري، واستدعاء ابن أبي ثور الذي كان في الشمال الأفريقي، معتبراً أن الحرمان الكنسي الذي صدر ضده من قبل، كان قراراً ظالماً، وعندما وصلت الدعوة إلى ابن أبي ثور، رفض تولّي ذلك المنصب بمساعدة ابن جاو، وأرسل إليه أنه لا يوجد حبرٌ أصْلَح من حنوخ لهذا المنصب<sup>(1290)</sup>.

وسبب رفضه للتعيين بواسطة ابن جاو في رأيي، علمه بأن ابن جاو المكروه من قبل يهود الأندلس بسبب ترفه وتكبره عليهم لن يستمر طويلاً في هذا المنصب، وسوف يُطرد هو أيضاً إذا ما أبعد ابن جاو عن منصبه.

توجّه ابن أبي ثور إلى بومبيديتا في العراق، حيث طمح أن يُرْحَب به كبير الأحبار هناك الحبر حيّ، لكنّه لم يفعل؛ لأنّ ابن أبي ثور كان قد تمّ حرمانه كنسياً في الأندلس، فتوجّه إلى دمشق، ومات فيها سنة (304هـ=1012م)<sup>(1291)</sup>.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.621; ASHTOR, THE JEWS, (1289) VOL.1, P.377.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.621; ASHTOR, THE JEWS, (1290) VOL.1, P.377;

عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 36.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.379; (1291) P.621;

عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 36.

أما ابن جاور فقد تبدلت أحواله، إذ سخط عليه المنصور، فجردّه من مناصبه وأودعه السجن<sup>(1292)</sup>، وتبيّن الرواية اليهودية أنّ الخليفة هشام مرّ بالسجن برفقة المنصور، فوقف ابن جاور بالباب حتي يُريهم نفسه، وعندما لمحّه هشام، سأل المنصور عن سببِ سجنه، فأخبره بأنّ «الناسي» لم يتبرّع بحصّة ملائمة من ثرواته للدولة، فأمر هشام بإطلاق سراحه، وإعادته إلى منصبه، لكنّه لم يتمكن من استعادة نفوذه القديم، بسبب عدااء المنصور له<sup>(1293)</sup>.

وبالرغم من أنّ المصادر الإسلامية لم تتطرّق إلى هذا الموضوع، إلّا أنّه لا يمكن التسليم بأنّ حاكماً مسلماً في ذلك الوقت يقوم بسجن يهودي لأنّه لم يتبرّع بمبلغ ملائم للدولة، إذ لم يعرف عن حكام المسلمين أنّهم فعلوا ذلك، حتى مع المسلمين الذين هم أولى بالتبرّع لدولتهم، فكيف يعقل أن يكون المنصور قد فعله مع يهودي، يُفترض أنّه يؤدي للدولة خدمات كبيرة بجمعه الجزية المفروضة على اليهود. وهل الدولة التي حاضرتها قرطبة، والتي كانت في ذلك الوقت أغنى وأقوى وأجمل مدينة في الغرب، بحاجة إلى صدقات اليهود وتبرّعاتهم؟!<sup>(1294)</sup> والدولة الإسلامية لا يلزم قانونها أهل الذمّة إلّا بالجزية<sup>(1295)</sup>، وقد مرّ بنا سابقاً، كيف كان المنصور ملتزماً بالقانون الإسلامي، وتوقّف عن شراء أرض تابعة لإحدى كنائس أهل الذمّة في قرطبة، عندما بيّن له الفقهاء المسلمون أنّ ذلك يخالف الشريعة<sup>(1296)</sup>.

إضافة إلى أنّ الخليفة هشام كان أضعف من أن يلغي أمراً أصدره المنصور بن أبي عامر<sup>(1297)</sup>.

ومن المحتمل أنّ المنصور قام بسجنه لأنّه اختلس من أموال الجزية التي كُلف بجمعها، وقد بينا سابقاً كيف ارتكب مثل هذه الخيانة يهود آخرون في عصر الطوائف<sup>(1298)</sup>.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.621; (1292)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.379.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.621. (1293)

(1294) ينظر: الشتريني، الذخيرة، ق1، م1، ص134-135؛ الشقندي، إسماعيل بن محمد، رسالة إسماعيل بن محمد الشقندي في فضل الأندلس، «نشر ضمن كتاب فضائل الأندلس وأهلها»، نشره: صلاح الدين المنجد، (دار الكتاب الجديد، ط1، 1387هـ-1968م)، ص54-55؛ المقري، نفح الطيب، م1، ص205.

(1295) ينظر: سورة التوبة، آية: 29.

(1296) خلاف، تاريخ القضاء في الأندلس، ص543-586.

(1297) عن ضعف الخليفة هشام وعجزه وسيطرة المنصور عليه ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص38-50.

(1298) ينظر: ابن بلقين، التبيان، ص130-131؛

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.59.

مات ابن جاو بعد عودته إلى منصبه بمدة قصيرة، ولم تشر المصادر اليهودية أو غيرها إلى الشخص الذي خلفه على هذا المنصب. وظلّ حنوخ بن موسى في منصبه الحبري إلى أن توفي سنة (405هـ=1014م). عندما انهارت به منصة المعبد التي صعد عليها، ليشترك في أحد الاحتفالات الدينية<sup>(1299)</sup>.

أمّا بالنسبة لمنصب كبير الأحرار أو الحبر الأعظم. فقد عرف من الذين شغلوه غير من ذكروا سابقاً، أبو الفتح أليعازر بن ناحمان بن أزهري الذي كان كبير الأحرار في إشبيلية في مطلع القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي<sup>(1300)</sup>، وسعديا بن ميمون بن دنان، كبير أحرار اليهود في أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وكان يسمى «الحاخام الأكبر لغرناطة»، وكان ابن دنان شاعراً ومؤرخاً وعالماً تلمودياً<sup>(1301)</sup>.

#### ج- القاضي :

وبعد منصب الحبر الأعظم، يأتي منصب القاضي، أو الديّان كما يسمّيه اليهود، وكان الناسي هو الذي يعيّن القضاة اليهود في المدن الأندلسية. ولكنّ هذا النظام تغيّر فيما بعد، حيث تُظهر فتاوى أحرار اليهود منذ منتصف القرن الحادي عشر الميلادي أنّ القضاة صاروا ينتخبون انتخاباً<sup>(1302)</sup>. ففي كتاب القوانين ليهودا البرشلوني المؤلّف في مطلع القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، هناك قانون يتعلّق بتعيين القضاة، يتضمّن توصية بوجوب طاعة القاضي، لأنّ الطائفة برمتها قد شاركت في انتخابه<sup>(1303)</sup>. ولأنهم صاروا يُنتخبون فإنّ القاضي اليهودي في الأندلس كان يشار إليه على مدى أجيال عدّة باسم «المختار»<sup>(1304)</sup>. وكان القاضي اليهودي يتقاضى راتباً من قبل الطائفة.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.622. (1299)

HAIM BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201; (1300)

BROYDE, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.11, P.208.

ROYMOND P. SCHEINDLIN, THE JEWS IN MUSLIM SPAIN, THE LEGACY OF (1301)

MUSLIM SPAIN, SALMA KHADRA JAYYUSI (EDITOR), P.190.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.622; ASHTOR, THE JEWS, (1302)

VOL.3, P.82.

RESPONSA ALFASI, NO.80, 106; RESPONSA IBN MIGASH, NO.122: نقلاً عن:

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.82, 256. (1303)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.82. (1304)

لقد منحت السلطات الإسلامية القضاة اليهود الكثير من الصلاحيات المتعلقة بإدارة شؤون طائفتهم الخاصة، فقد سمح لهم بالنظر في كافة القضايا المدنية والجنائية، وحتى في الجرائم الكبرى التي كان الحكم فيها يصل إلى الموت. وكان لليهود سجنهم الخاص الذي يودع فيه المتهمون الذين ينتظرون النظر في قضاياهم، أو أولئك الذين يرفضون الخضوع لسلطة المحكمة، أي أن السجون الخاصة باليهود كانت تستخدم كوسيلة للإجبار على الطاعة<sup>(1305)</sup>، وقد استفاد القضاة اليهود، وقادتهم من السماح لهم بالنظر في الجرائم الكبرى المتعلقة بأبناء طائفتهم في إصدار أحكام شديدة ضد أصحاب المذاهب الدينية الشاذة عنهم. وفي رسالة كتبها إلى رئيس المدرسة التلمودية الفلسطينية يروي الحبر يوسف بن أبي ثور (ت: 403 هـ = 1012 م) بأن جدّه قد نفّذ في المحاكم الشرعية اليهودية في الأندلس أربع أنواع من العقوبات الكبرى، وهو بذلك يشير إلى وجود المحاكم اليهودية في الأندلس في مطلع القرن التاسع الميلادي. ويتحدث إسماعيل بن نغدة عن عقوبات مشددة نفذت في الأزمان الخالية. فيقول: إنه في العصور القديمة (في أيام أسلافنا) كان الكفار المياليين إلى القرائية يخضعون للجلد، وأن أولئك الذين كانوا يستحقون مثل هذه العقوبة ماتوا أثناء جلدهم<sup>(1306)</sup>. ومثلما كانت عقوبة الموت تنفذ ضد المتهمين بالكفر، فقد نفذت أيضاً ضد اليهود المتهمين بالتجسس على طائفتهم. ويذكر مصدر يهودي أنه في النصف الأول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أصدرت محكمة أليسانة عقوبة الموت بحق أحد المخبرين<sup>(1307)</sup>. ووفقاً لشهادة موسى بن ميمون فإن إصدار حكم الموت على المتهمين بالكفر، كان ظاهرة شائعة بين الطوائف اليهودية في الأندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين<sup>(1308)</sup>.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.81. (1305)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.84. (1306)

نقلاً عن: JUDAH AL-BARCELONI, SEFER HA.ITTIM, P.267

IBID, VOL.3, P.85; (1307)

JUDAH B.ASHER - ZIKHRON YHU`DA ( BERLIN, 1846), FOLIO 55B.

IBID, VOL.3, P.85. (1308)

MAIMONIDES'S, LETTER TO PHINEAS, THE JUDGE OF ALEXANDRIA, KO`BHES (LEIPZIG, 1859), PART 1, FOLIO 26B, COL.1 نقلاً عن:

ويعدُّ إصدار حكم الموت خروجاً على قوانين قدماء الأحرار الذين قرَّروا إلغاء هذه العقوبة عقب تدمير الهيكل<sup>(1309)</sup>. ومن الواضح أن ممارسة هذا الحكم في الأندلس، هو أيضاً أثر إسلامي، إذ تقتضي شريعة الإسلام بحكم الموت للعديد من الجرائم، مثل الردّة عن الإسلام، والقتل العمد.

وكانت الخلافات التي تقع بين مسلم ويهودي في الأندلس تحال إلى المحاكم الإسلامية<sup>(1310)</sup>. أما قضايا اليهود فيما بينهم، فيترك الأمر فيها للمتخاصمين، فإمّا أن يذهبوا إلى المحاكم اليهودية، أو يتوجهوا إلى المحاكم الإسلامية. وقد أورد الونشريسي مسألة بعنوان: «اختلاف يهودي ويهودية بقرطبة على التقاضي عند المسلمين أو اليهود<sup>(1311)</sup>».

ومن قضاة اليهود في الأندلس، القاضي ناتان الذي كان قاضياً لليهود في قرطبة في عهد عبد الرحمن الناصر<sup>(1312)</sup>. وقد أوضحنا كيف تنازل عن منصبه لموسى بن حنوخ الذي صار كبير أحرار اليهود في الأندلس. والقاضي يوسف بن يعقوب بن سهل، تلميذ الحبر إسحاق بن غياث الذي كان قاضياً لليهود في قرطبة من سنة (507هـ=1113م) إلى سنة (517هـ=1123م) أي في عصر المرابطين<sup>(1313)</sup>. كما تولى هذا المنصب في قرطبة أيضاً الشاعر المرموق والعالم التلمودي الشهير أبو عمر يوسف بن صديق، وذلك من سنة (533هـ=1138م) إلى سنة (543هـ=1148م)، أي في أواخر عصر المرابطين، وبداية عصر الموحدين، وقد اعتنق أبو عمر الإسلام في أواخر أيامه<sup>(1314)</sup>، وكان ديفيد بن حجر قاضياً لليهود غرناطة أثناء تولّي إسماعيل بن يوسف لمنصب كبير وزرائها<sup>(1315)</sup>.

IBID, VOL.3, P.85 (1309)

(1310) ينظر: النباهي، المرقبة العليا، ص 56-57.

(1311) الونشريسي، المعيار المعرب، ج-10، ص 128-130.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.618-619; HAIM BEINART (1312)  
CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.963;

عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 24.

HAIM BEINART, CORDOBA , ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.964. (1313)

HAIM BEINART, CORDOBA , ENCYCLOPEDIA JUDAICA , VOL.5, P.215; (1314)

عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 67.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.2, P.142. (1315)

## د- الحَزَان

ومن المناصب الإدارية داخل الطائفة اليهودية، منصب الحزان، ويصف القلقشندي مهمة الحزان بقوله: «وهو فيهم بمثابة الخطيب يصعد المنبر، ويعظهم»<sup>(1316)</sup>. وكان لكل كنيس يهودي (حزان) خاص، ومن مهماته أيضاً الإنشاد وإمامة المصلين في المناسبات الدينية. واشترط أئمة اليهود أن يكون الحزان متعلماً، صاحب سمعة جيّدة، وصوت جميل، ومجيداً للأناشيد العربية. وهناك سؤالٌ وُجّه إلى أحد الأئمة المشهورين في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، حول حزانٍ يتردد على بيوت الدعارة، وله علاقة شاذة بأحد الشبان، وقد قرّر الحبر طرده، وحتى عندما تاب لم تتم إعادته إلى منصبه<sup>(1317)</sup>.

ومن التنظيمات الإدارية المهمة للطوائف اليهودية في الأندلس، وجود مجلس في كل مدينة توجد فيها طائفة يهودية، يشرف على إدارة شؤون الطائفة في المدينة، ويتكوّن هذا المجلس من سبعة أشخاص، وكان اليهود يسمونهم «الشيخ»، وهم يصلون إلى هذا المجلس بالانتخاب، ومدة بقاء هذا المجلس سنة واحدة، تحسب بالتقويم اليهودي، وقد أخذ يهود الأندلس هذا التنظيم الإداري عن الرومان الذين اعتمدوا في إدارة مدنها على مجلسٍ منتخب من أبناء تلك المدن، وقد مارس اليهود هذا التنظيم منذ عهد الحكم الروماني لأسبانيا، وتمسكوا به في عهد القوط، ولم يتركوه إلا بعد أن اشتدّ عليهم اضطهاد القوط الكاثوليك، ثم عادوا إليه طوال مدة الحكم الإسلامي للأندلس<sup>(1318)</sup>. ومن بين مهمات مجلس الطائفة أو الشيخ، أن يُشرّع مجموعة من القوانين، ويطالب اليهود باحترامها والالتزام بها، وكان أئمة اليهود يوصون بطاعة هذه القوانين باعتبارها قائمة على الشريعة اليهودية، وقد سُمّيت مجموعة القوانين التي يصدرها المجلس (TAKKANOT)، وهي كلمة عبرية، كما سميت أيضاً (الضوابط)، وهي الاسم العربي للكلمة العبرية السابقة<sup>(1319)</sup>.

(1316) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص474.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.141. (1317)

نقلاً عن: RESPONSA IBN ADRET, PART 2, NO.52.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.106-107. (1318)

IBID, VOL.3, P.109. (1319)

نقلاً عن: RESPONSA ASHER, CHAP.2, NOS, 27-28; RESPONSA ALFASI, NO.13.



ولا تصبح الضوابط سارية وملزمة إلا بعد أن تعرض على يهود المدينة، وتحصل على غالبية الأصوات، وفي بعض الأحيان كانت هذه الضوابط تشترط لمدة محددة، وأحياناً كان يتم القبول بها كتشريع قانوني ثابت، قد يستمر لمدة طويلة. وقد فرض قادة الطائفة عقوبات على كل من يخرق هذه الضوابط، تتراوح بين دفع الغرامات المالية والحرمان الكنسي<sup>(1320)</sup>. وكانت لغة هذه الضوابط هي العربية بالرغم من وجود بعض الكلمات العبرية فيها، وذلك حتى تكون مفهومة للمثقفين، وغير المثقفين الذين لا يفهمون العبرية، ولكي يسهل على الدولة الاطلاع عليها ومراقبتها، والتأكد من عدم احتوائها على بنود ضدها. وكان من المعتاد الإعلان عنها في المعبد، بحضور جميع يهود المدينة، بعد توقيع قادة الطائفة عليها<sup>(1321)</sup>.

ويعين مجلس الطائفة موظفين يشرفون على مراقبة الالتزام بالضوابط<sup>(1322)</sup>. وتشبه مهمة هؤلاء الموظفين مهمة المحتسب، فهم يمنعون جميع الممارسات الدينية والاجتماعية والاقتصادية التي ينحرف فيها اليهود عن شريعتهم وضوابطهم المتفق عليها.

ثانياً: التنظيم المالي لليهود في الأندلس :

كان لليهود الأندلس تنظيماتهم المالية الخاصة، وإن إحدى المهمات الصعبة التي تولاهها مجلس الطائفة في المدينة الأندلسية هي الإشراف على جمع الجزية المقررة على يهود المدينة، وتسليمها للدولة، إما مباشرة أو عن طريق المكلفين بجمعها من قبل الدولة، إضافة إلى جمع الضرائب والتبرعات التي يفرضها المجلس على يهود المدينة، لتنفق على قضايا عامة تتعلق بمصلحة يهود المدينة<sup>(1323)</sup>.

NEUMANN, THE JEWS IN SPAIN, ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.109-110. (1320)

VOL.1, P.53-54;

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.110. (1321)

IBID, VOL.3, P.110; NEUMANN, THE JEWS IN SPAIN, VOL.1, P.46. (1322)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.110-111. (1323)

ومن الضرائب التي تفرضها إدارة الطائفة على يهود المدينة الأندلسية ضريبة تسمى (ماؤنا) MAU'NA، وهي تجبى بشكل رئيس من ذبح الماشية، وبيع الخمر، وأحياناً من كتابة محاضر المعاملات. وكانت هذه الضريبة هي المصدر الأكثر أهمية لدخل الطوائف اليهودية الأندلسية على مدى الأجيال. ولذلك خصّصت لدفع رواتب الأخبار والمعلمين المشتغلين بالتعليم تحت سلطة الطائفة وعلى حسابها، وكان «الحزان» أحد الذين يتقاضون رواتبهم من دخل هذه الضريبة<sup>(1324)</sup>.

وتّم تخصيص ضريبة خاصة لرواتب أولئك القضاة الذين كانوا يعيشون من القضاء، ولكتاب المحكمة، ولمبعوثيها. وكان ثمة كاتب يهودي أندلسي عاش في ختام القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي يقول: إنه في أغلب الطوائف اليهودية كان هناك «صندوق نقد للمحكمة» تجمع فيه الضرائب عند بداية أو نهاية العام<sup>(1325)</sup>. وكان مقدار تلك الضرائب ونوعها يختلف من عصر إلى عصر، ومن مدينة إلى مدينة<sup>(1326)</sup>.

وكان لليهود في كل مدينة أندلسية «صندوق الصدقات»، وفقاً للضوابط التي أنشأها قدماء الأخبار، وكانت أموال هذا الصندوق تدفع إلى الفقراء، وكذلك إلى الأيتام الذين ليس لديهم دخل أو أقرباء<sup>(1327)</sup>. وفي حال وقوع بعض أبناء الطائفة اليهودية في الأسر زمن الحروب، فإن مجلس الطائفة يفرض ضريبة خاصة على يهود المدينة من أجل دفعها لافتداء الأسرى، وكثيراً ما كان أعضاء الطائفة في مثل هذه الطوارئ يستنجدون بطوائف اليهود في المدن الأخرى للحصول على دعمهم<sup>(1328)</sup>.

IBID, VOL.3, P.111. (1324)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.111. (1325)

نقلاً عن: R.JUDAH AL-BARCELONT, CITED IN TUR HASHEN MISHPAT, NO.9

IBID, VOL.3, P.111. (1326)

IBID, VOL.3, P.111. (1327)

نقلاً عن: RESPONSA ALFASI, NO.160

IBID, VOL.3, P.112. (1328)

وإضافة إلى الضرائب المختلفة، كان للطائفة مدخولات ثابتة من أموال الوقف والهبات الدينية الطائفية، (HEKDESHOT) وكانت كثيرة في كل العصور. وقد اعترفت الحكومة الإسلامية بتلك الأموال المخصصة للمؤسسات الدينية اليهودية، وعملت على حمايتها<sup>(1329)</sup>.

وقد أشارت المصادر الإسلامية إلى قيام بعض اليهود بوقف عقارات على معابدهم فقد أورد ابن سهل في الأحكام الكبرى مسألة بعنوان: «شورى في بيت متهدم بين دار حسان ودار شنوغة اليهود<sup>(1330)</sup>» ومما قاله فيها: «قام عندي حسان بن عبد الله، فذكر أن له داراً بداخل مدينة قرطبة، بحومة مسجد صواب، تلاصق داراً أخرى موقوفة على شنوغة اليهود...»<sup>(1331)</sup>.

والظاهر أن أموال الوقف اليهودي كانت تتعرض لتلاعب واعتداء الأحرار، وأن القائمين على هذه الأوقاف لم يحوزوا على ثقة بعض اليهود، ولذلك وجدنا يهوداً يوقفون أموالهم على مساجد المسلمين أو فقرائهم. حيث أورد الونشريسي سؤالاً «عن يهودي حبس داراً على مسجد قرطبة<sup>(1332)</sup>». وقال القاضي ابن سهل: «سئلت عن يهودي حبس على ابنته فلانة البكر في حجره وولاية نظره جميع القلعة التي بموضع كذا وحدها كذا، ونصف القلعة التي بموضع كذا... وعلى عقبها وعقب عقبها، فإن انقرضوا رجع حبساً على مساكن المسلمين بلورقة<sup>(1333)</sup>».

وكانت طريقة اليهود في جمع الضرائب المفروضة على الطائفة، أن يعين مجلس الطائفة اثنين أو ثلاثة من أعضاء المجلس «الشيوخ»، ويتولوا جميعاً جمع الضريبة المقررة، وهم مطالبون أمام بقية أعضاء المجلس بتقديم حسابات دقيقة في ذلك، وعندهم مبدأ مهم ينص على عدم السماح لشخص واحد بجمع أي نوع من أنواع الضرائب بمفرده. وكانت عادة اليهود المحافظين على دفع الضرائب المقررة أن يتوجهوا إلى مكان خاص داخل المعبد

IBID, VOL.3, P.112. (1329)

(1330) ابن سهل، الأحكام الكبرى، ص 60.

(1331) م. ن، ص 61.

(1332) الونشريسي، المعيار المعرب، ج 7، ص 65.

(1333) ابن سهل، الأحكام الكبرى، ص 68.

حيث يوجد الموظفون المعينون لاستلام الضرائب، فيسلّموهم الضريبة، ويأخذوا منهم وصلاً بهذا الخصوص<sup>(1334)</sup>. ويبدو أنهم تأثروا في طريقة تنظيمهم لجمع ضرائبهم بطريقة المسلمين في جمع الجزية منهم، حيث كان الشخص الذي يدفع الجزية يأخذ رقعة «براءة»، تدل على دفعه لها<sup>(1335)</sup>.

وكان لدى مجلس الطائفة الصلاحيات لسجن الرافضين لدفع الضرائب في مسجدٍ خاصٍّ بالطائفة<sup>(1336)</sup>.



---

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.106; NEUMANN, THE JEWS IN SPAIN, VOL.1, (1334) P.44-89.

(1335) الكبيسي، حمدان عبد المجيد، الخراج، أحكامه ومقاديره، بغداد، نشر جامعة بغداد، 1411هـ-1991م)، ص 182-183.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.114. (1336)  
RESPONSA IBN ADRET, PART 4, NO.86, PART 3, NO.400: نقلاً عن:

## المبحث الثاني النشاط الاقتصادي لليهود الأندلس

شارك يهود الأندلس في معظم فروع النشاط الاقتصادي التي عرفته تلك البلاد. فقد اشتغلوا في التجارة الداخلية والخارجية، وفي الزراعة والصناعة، وفي العديد من المهن الأخرى، وهم بذلك يختلفون عن كثير من يهود العالم الذين تركز نشاطهم الاقتصادي على التجارة، وأهملوا الفروع الاقتصادية الأخرى، وخصوصاً الزراعة.

وقد أتاح لهم المسلمون منذ أن فتحوا الأندلس أن يشاركوا في النشاطات الاقتصادية كافة، ومنعواهم فقط من النشاطات المحرمة التي تقوم على الربا، ومن بيع الخمر والخنزير للمسلمين. وفيما يأتي بيان وتفصيل للنشاطات الاقتصادية المختلفة التي عمل فيها اليهود.

### 1 - التجارة

أولى يهود الأندلس غيرهم من يهود العالم، التجارة اهتماماً كبيراً، وعدوها الطريق الأفضل لتحقيق الربح الكبير. وقد حَصَّهم على ذلك أحبارهم، إذ وضع العالم التلمودي راب (RAB) شعاراً لأبناء ملته يقول: «تاجر بمائة فلورين<sup>(\*)</sup>، تحصل على لحم وخمر، أما إذا استغللت هذا القدر نفسه في الزراعة، فأكبر ما تحصل عليه هو الخبز والملح<sup>(1337)</sup>». وفي رسالة المجمع اليهودي العالمي التي أشرنا إليها سابقاً، إلى يهود إسبانيا النصرانية، توصية لليهود بالاهتمام بالتجارة، فقد جاء فيها: «بمقتضى قولكم إنهم يأمرؤنكم بالتجرؤ من أملاككم، فاجعلوا أولادكم تجاراً ليتمكنوا رويداً رويداً من تجريد المسيحيين من أملاكهم<sup>(1338)</sup>».

(\*) الفلورين (FLORIN): «عملة فلورنسية أو هولندية أو إنكليزية».

البلعكي، منير، المورد، (بيروت، دار العلم للملايين، 1983م)، ص 356.

(1337) ديورنت، ول وايريل، قصة الحضارة، ج3، م4، ترجمة: محمد بدران، (بيروت، تونس، 1408هـ، 1988م)، ص 61.

(1338) إميل الخوري، مؤامرة اليهود على المسيحية، ص 41-42.

وقد عمل يهود الأندلس في التجارة الداخلية، فشاركوا في نقل وتبادل السلع بين مدن الأندلس، وكانت لهم محال تجارية في أسواق المدن التي يعيشون فيها. يقول ابن حزم الأندلسي: «ولقد كنت يوماً بالمرية قاعداً في دكان (\*) إسماعيل بن يونس الطبيب الإسرائيلي»<sup>(1339)</sup>.

إضافة إلى المتاجر التي يملكونها داخل الأحياء اليهودية. وكانت المحال التجارية في الأندلس تتركز في شوارع خاصّة، وفقاً لنوع السلع التي تبيعها، وقد خصّص الأندلسيون أسواق خاصة للسلع القيّمة كالذهب والحريز، وكانت هذه الأسواق مغطاة بسقف، وتقع غالباً بالقرب من مسجد المدينة الرئيسي، وأطلق المسلمون على ذلك النوع من الأسواق اسم «القيسارية»<sup>(1340)</sup>.

وقد أشار العذري إلى قيسارية المرية في قوله: «ودار صناعتها القديمة المذكورة قبل هذا قد قسمت على قسمين، فالقسم الواحد فيه المراكب الحربية والآلة والعدّة، والقسم الثاني فيه القيسارية. قد رتب كل صناعةٍ منها حسب ما يشكل لها، قد أُنْشِئَ فيها التجار بأموالهم، وقصد إليها الناس من أقطارهم»<sup>(1341)</sup>، وكانت ساحة بلنسية في الحي اليهودي بسرقة تدعى فيما مضى بالقيسارية. وفي مدينة مالقة كانت القيسارية أيضاً ضمن الحي اليهودي. وتدلُّ أسماء الشوارع والحارات في الأحياء اليهودية في عددٍ من المدن الأندلسية على أنَّ يهود الأندلس قد تعاملوا بكلِّ أصناف التجارة، لكنهم تَخَصَّصُوا في تجارة الأنسجة والملابس الحريزية<sup>(1342)</sup>.

(\*) الدكان، واحد الدكاكين، وهي الحوانيت، فارسي معرب. وهذا المعنى يؤكد أن دكان اليهودي ابن يونس كان حانوتاً تجارياً. ينظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، م 3، مادة: دكان، (بيروت، دار صادر، ودار بيروت للطباعة والنشر، 1375هـ-1956م)، ص 157.

(1339) ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، ج1، ص 114.

(1340) مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، استخرجه من مخطوطات عدة: الفريد البستاني، (المغرب، مطبعة الفنون المصورة، د.ت)، ص 5.

(1341) ترصيع الأخبار، ص 86.

(1342) TOMAS XIMENEZ DE EMBUN, ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.276. نقلاً عن: DESCRIPCION HISTORICA; DE LA ANTIGUA ZARAGOZA (SARAGOSSA, 1901), P.61.

وقد شهدت الأندلس طوال مدة الحكم الإسلامي حركة تجارية نشطة، والإشارات الدالة على ذلك كثيرة نذكر منها قول الشتريني: «كتب أبو علي بن الربيب القروي رقعة إلى الوزير الكاتب أبي المغيرة عبد الوهاب بن حزم، يقول له فيها: «إني فكرتُ في بلدكم أهل الأندلس، إذ كان قرارة كل فضل، ومقصد كل طرفة، ومورد كل تحفة، إن بارت تجارة أو صناعة فإليكم تُجَلَّب، وإن كسدت بضاعة فعندكم تنفق»<sup>(1343)</sup>. وقول البكري: «ويوجد بـجبالِ قلعة أيوب المرّ الطيب، وأطيب كهرباء الأرض بشذونة، درهم منها يعدل دراهم من المجلوبة، وأطيب القرمز قَرْمِزُ الأندلس، وأكثر ما يكون بنواحي إشبيلية ولبلة وشذونة وبلنسية، ومن الأندلس يُحمَلُ إلى الآفاق»<sup>(1344)</sup>. وقول الحميري: «وكانت المرية تقصدها مراكب التجار من الإسكندرية والشام، ولم يكن بالأندلس أكثر مالاً من أهلها»<sup>(1345)</sup>. وقوله في وصف زيت جبل الشرف المطل على إشبيلية: «ومن هناك يُتجهَّزُ به إلى الآفاقِ بَرّاً وبحراً»<sup>(1346)</sup>. وقوله في وصف قطن إشبيلية: «والقطن يوجد بأرضها، ويعم بلاد الأندلس، ويُتجهَّزُ به التجار إلى أفريقيا وسجلماسة وماوالها»<sup>(1347)</sup>. وقوله في وصف تجار قرطبة: «وتجارها مياسير، وأحوالهم واسعة»<sup>(1348)</sup>.

ومثلما اهتم كثير من مسلمي الأندلس بالتجارة الخارجية، وبرعوا فيها<sup>(1349)</sup>، فعل أيضاً يهود الأندلس بعد أن حُرِّموا من ممارستها في عهد القوط الكاثوليك<sup>(1350)</sup>.

(1343) الشتريني، الذخيرة، ق1، م1، ص133.

(1344) البكري، المسالك والممالك، الجزء الخاص بالأندلس وأوروبا، ص127.

(1345) الحميري، الروض، ص394.

(1346) م. ن، ص59.

(1347) م. ن، ص59.

(1348) الحميري، الروض، «صفة جزيرة الأندلس»، ص153.

(1349) المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (ليدن، مطبعة برييل، ط2، 1909م)، ص236،

239.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.265; (1350)

HAIM BEINART, SEVILLE; ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, P.1201;

HAIM BEINART, MURCIA; ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.12, P.530;

HAIM BEINART, LUCENA; ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.

وتتوفر العديد من الروايات التاريخية والوثائق التي تتحدث عن تجار يهود، وعن مشاركاتهم في التجارة الخارجية طوال مدة الحكم الإسلامي للأندلس. إذ يروي ابن حيان أن تاجراً يهودياً دفع للنورمان فدية ليفك أسر سعدون بن فتح السرنباقي، أحد رجالات حركة المولدين في منطقة ماردة<sup>(1351)</sup>، بعد أن أسره النورمان في إحدى هجماتهم على سواحل الأندلس الغربية في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني (238-273هـ=852-886م)<sup>(1352)</sup>، «وأسرته المجوس الخارجون بساحل الأندلس الغربي أيام الأمير محمد، ففداه منهم بعض تجار اليهود، يبتغي الربح معه، ففاوض اليهودي إلى أن هرب عنه، وأخفر ذمته، وأخسر ماله»<sup>(1353)</sup>.

ويروي الضبي أنه كان مع جيش الأسبان في معركة الأرك (591هـ=1195م) «جماعات من تجار اليهود، قد وصلوا لاشتراء أسرى المسلمين وأسلابهم، وأعدوا لذلك أموالاً فهزمهم الله تعالى، واستوعب القتل أكثرهم، وحاز الموحدون جميع ما احتوت عليه محلتهم الذميمة»<sup>(1354)</sup>.

ويروي الشنتريني نقلاً عن ابن حيان كيف توجه تاجر يهودي أندلسي في أعقاب سقوط مدينة بربشتر (456هـ=1064م) إلى هذه المدينة المحتلة لافتداء أسيرات مسلمات وردنهن إلى ذويهن في الأندلس للتربح<sup>(1355)</sup>. وفي ردود لأخبار قرطبة اليهود في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي يوجد ذكر للمشكلات الناجمة عن مشاركة اليهود الأندلسيين في التجارة الخارجية. وقد طُلب من الأخبار معالجة تلك المشكلات المادية الناشئة عن الغياب الطويل للتجار عن منازلهم الذي يصل في بعض الأحيان لسنوات عدة. ومن أهم تلك المشكلات أن زوجات التجار الغائبين كن يطالبن بتطليقهن من أزواجهن الغائبين منذ مدة طويلة، لاحتمال أنهم قد هلكوا في أسفارهم التجارية الطويلة ذات المخاطر الكبيرة<sup>(1356)</sup>.

(1351) عن كونه أحد رجالات حركة المولدين في ماردة. ينظر: ابن حيان، المقتبس، نشر: ملشور م. أنطونيه، ص 15.  
(1352) كان للنورمان ثلاث هجمات على سواحل الأندلس، الأول وقع سنة (229هـ=844م). ينظر: ابن القوطية، تاريخ إفتتاح الأندلس، ص 86، والثاني سنة (245هـ=859م). ينظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق: محمود علي مكي، ص 307-309، والثالث سنة (247هـ=861م). ينظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص 119. والهجومان الثاني والثالث وقعا في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن.

(1353) ابن حيان، المقتبس، ملشور م. أنطونيه، ص 23.

(1354) بغية الملتبس، ص 45-46.

(1355) الذخيرة، ق 3، م 1، ص 188.

(1356) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.277-278; SHAARE SEDEK, PARTS, SECTION.2, P.11, 30. نقلاً عن:



وبسبب روابطهم التجارية الوثيقة مع مراكش وبقيّة دول الشمال الأفريقي، غالباً ما كان يهود الأندلس من التجار يذهبون هناك لإقامة علاقاتٍ لهم مع التجار في المدن ذات الموانئ. وثمة سؤال وجّه من القيروان إلى حبرٍ يهودي في العراق في منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، يتحدّث عن تجار من الأندلس كانوا يزورون شمال أفريقيا، وسؤال آخر وجّه في نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي إلى أحد الأخبار، يسأل عن اثنين من الشركاء أحدهما في القيروان والآخر في الأندلس. وغالباً ما كان التجار اليهود يزورون الدول النصرانية في أسبانيا النصرانية. ويحتوي سؤال موجّه إلى أحد الأخبار اليهود الأندلسيين في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، على رواية عن تاجرٍ يهودي ذهب إلى إحدى الدول النصرانية، وظلّ هناك لمدة ست سنوات<sup>(1357)</sup>.

وطرأت ظروفٌ جديدة أثناء حكم بني أمّة للأندلس، زادت من أهمية ومكانة التجار اليهود في الأندلس. فقد ازداد عداء نصارى غرب أوروبا للمسلمين في المشرق والمغرب نتيجة لمحاولاتهم المتواصلة لفتح جزر وأراضٍ تابعةٍ لهم، فقد جرت محاولات لفتح جزيرة صقلية ابتداءً سنة (32هـ=652م)، واستمرّت إلى أن فتحها المسلمون سنة (212هـ=827م)<sup>(1358)</sup>، كما قام المسلمون بحملاتٍ عدّة على جزيرة سردينيا، وعلى جنوبي فرنسا وجنوبي إيطاليا. كما قامت جماعة من المسلمين الأندلسيين بالسيطرة على جزيرة كريت سنة (213هـ=828م)، واتخذوها منطلقاً لمهاجمة الأراضي والسفن النصرانية. وقد أدّى هذا العداء إلى عدم تجرؤ التجار المسلمين من الوصول إلى غرب أوروبا عبر ميناء مرسيليا حاملين معهم التوابل والزيت وأوراق البردي وغيرها من السلع التي يحتاجها الأوروبيون، مثلما كانوا يفعلون من قبل. وصار التجار النصارى غير قادرين على الوصول إلى بلدان المسلمين لجلب هذه السلع بأنفسهم؛ لأنّ الطرق البحرية بين أوروبا الغربية والدول الإسلامية أصبحت تحت سيطرة الأساطيل الإسلامية. وبالرغم من أنّ الدول الإسلامية لم تمنع التجار النصارى من الوصول إلى أراضيها، إلّا أنّ كثيراً منهم كانوا يخشون من العمل في هذا المجال<sup>(1359)</sup>.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.278. (1357)

نقلاً عن: S.ASSAF, MI- SIFRUT HA-GONIM, (JERUSALEM,1933), p.103.

(1358) عن فتح المسلمين جزيرة صقلية. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص 366.

(1359) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.279-280، عن النشاط العسكري البحري لمسلمي الأندلس ضد

النصارى وأثره في عرقلة حركة التجار النصارى ينظر: أرسلان، شكيب، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، (بيروت، دار مكتبة الحياة، 1979م)، ص 181-206.

وكان للتجار اليهود الأندلسيين دور مهم في استمرار الحركة التجارية في البحر المتوسط بين الإمبراطورية الفرنجية في أوروبا ودول المشرق، حيث قام هؤلاء التجار بأخذ السلع التي تصل إلى الأندلس من بلاد المشرق، ويحتاجها الأوروبيون، وبيعها في بلاد الغال (فرنسا) التي كانت المركز الرئيسي الذي تنتقل منه هذه السلع إلى دول أوروبا. وعن ذلك يقول الحميري في معرض وصفه لمدينة مغانجة الواقعة في بلاد الفرنجة<sup>(1360)</sup>: «ويختلف إلى مدينة مغانجة أهل بردون واليهود بجهاز الأندلس، وذلك غزل الحرير والخز والبياض والشقيق والزئبق والأحمره واللاذن والزعفران، وغير ذلك من السلع والبضائع»<sup>(1361)</sup>.

وقد عمل أيضاً تجار نصارى من الأندلس في هذا المجال، حيث وصل اثنان من إخوة إيلوغيوس (EULOGIUS) قائد المتعصبين النصارى في قرطبة إلى مدينة ماينز (MAYENCE) في ألمانيا، وذلك في رحلة تجارية من الأندلس إلى تلك البلاد<sup>(1362)</sup>.

لكنّ التجار اليهود في الأندلس، وفي الإمبراطورية الفرنجية كان لهم حظٌ وافرٌ من هذه التجارة وتمكنوا من تحقيق الأرباح الطائلة من ورائها. حيث أدرك ملوك الفرنجة أهمية الدور الذي يقوم به التجار، اليهود سواء المقيمين في بلاد الغال أو القادمين من الأندلس، وقدموا لهم الحماية، وأعفوهم من دفع الضرائب<sup>(1363)</sup>. وذكر كولان أنّ اليهود «كانوا يتحكمون في أسباب التجارة بين الأندلس والقارة الأوروبية من جهة، وبين المشرق الإسلامي من جهة أخرى»<sup>(1364)</sup>.

وأجد في قول كولان هذا مبالغة كبيرة، إذ لم يسيطر اليهود على تجارة الأندلس مع الشرق، بل كان التجار المسلمون هم المسيطرون على هذه التجارة<sup>(1365)</sup>. واليهود لم يتفوقوا إلا في التجارة مع أوروبا، وكان ذلك بسبب حالة العداء مع الدول النصرانية التي لم تمكن التجار المسلمين من الوصول إليها بسهولة، وكذلك لم يستطع التجار النصارى من الوصول إلى بلاد المسلمين بسهولة، وبقي التجار اليهود هم الوحيدون الذين يستطيعون السفر إلى بلاد النصارى وبلاد المسلمين بحرية وبلا خوف.

(1360) الحميري، الروض، ص 556.

(1361) م. ن، ص 556.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.279-280. (1362)

IBID, VOL.1, P.280-281. (1363)

(1364) ج.س. كولان، الأندلس، (ط1، 1980م)، ص 96-97.

(1365) عن نشاط التجار المسلمين مع الشرق الإسلامي. ينظر البكري، المسالك والممالك، الجزء الخاص بالأندلس، ص 127؛ الششتري، الذخيرة، ق 1، م 1، ص 133؛ الحميري، الروض، ص 394؛ جوايتاين، دراسات، ص 238.

ولم يقتصر نشاط التجار اليهود الأندلسيين على نقل سلع بلاد المشرق من الأندلس إلى بلاد الفرنجة، بل نقلوا أيضاً المنتجات المصنعة في الأندلس، المشهورة بجودتها والتي كان نبلاء الفرنجة يحرصون على إقتنائها. ومن هذه السلع الملابس والمنسوجات الحريرية والقطنية والمنتجات الجلدية، والزئبق والزعفران، والحلي<sup>(1366)</sup>. وكانت نساء الحكام والأمراء النصاري في الشمال ينتظرون وصول التجار اليهود بفارغ الصبر<sup>(1367)</sup>.

وكان لليهود الأندلس تجارة واسعة مع شمال أفريقيا وبقية البلدان الإسلامية. وتقدم رسائل التجار اليهود التي عُثر على عددٍ منها في جنيزة القاهرة معلومات مهمة عن تجارة يهود الأندلس مع تلك الدول. ففي رسالة كتبت في حدود سنة (535هـ=1140م) من تاجر يهودي أندلسي في فاس إلى أبيه في المرية، يتبيّن أنّ التجار اليهود الأندلسيين الذين كانوا يسافرون للتجارة مع المغرب كانوا يدفعون الجمارك عن بضاعتهم، وأنّ مقدار ما يدفعونه باعتبارهم مواطنين في دار الإسلام أقل مما يدفعه اليهود الأجانب، ولذلك كان اليهود الأجانب يُحمّلون بضاعتهم في بعض الأحيان لليهود المواطنين كي يتخلّصوا من دفع مبالغ أكبر. وقد دفع ذلك موظفو الجمارك في المغرب أن يطالبوا اليهود الأندلسيين بالقسم على أنّ كلّ ما يحملونه من بضاعة يعود لهم، وليس لأحدٍ من الأجانب.

كما يتبيّن من هذه الرسالة أنّ التجار اليهود الأندلسيين كانوا يجلبون معهم إلى المغرب الأقمشة الحريرية والنحاس والسقمونيا وصبغة النيلة وصبغة اللك، ويستوردون منها الكحل<sup>(1368)</sup>.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.291. (1366)

(1367) ينظر: المقرئ، نفح الطيب، ج1، ص 93-94.

GOITEN, SOLOMON, DOB FREITZ, LETTERS OF MEDIEVAL, JEWISH (1368) TRADERS, P.51-55.

وتبيّن رسالة أخرى بعث بها إسحاق بن باروخ المقيم بمدينة الميرية إلى أبي سعيد خلفون بن نثيل بمدينة تلمسان في 10-10-1138م، أنّ الحرير بمختلف أنواعه والنحاس المصقول والمسيوك كان من أكثر السلع التي نقلها التجار اليهود إلى الشمال الأفريقي، وأنّ التوابل والشمع الفاسي الجيد والعشب الطبي من السلع التي كان يهود الأندلس يجلبونها من تلك البلاد<sup>(1369)</sup>.

وفي رسائل الجنيزة ذكر لبضائع قادمة من الأندلس إلى تونس، شارك اليهود في إعادة تصديرها إلى دول أخرى. وفي رسالة مؤرخة في 10/1/1083م، يتبيّن أنّ تجاراً يهوداً نقلوا الصنوبر من الأندلس إلى تونس<sup>(1370)</sup>. وتبيّن رسالة أخرى مؤرخة في أواخر شهر ديسمبر/1141م، ومرسلة من مدينة فاس إلى الميرية أنّ التجار اليهود في الأندلس كانوا يجلبون الشّب بكميات كبيرة من مراكش، وأنّ السلع الأندلسية المصنّعة كانت تنقل من قبلهم إلى الشمال الأفريقي، ومن السلع التي ذكرتها هذه الرسالة الموازين والمثاقيل<sup>(1371)</sup>.

وكانت بعض مراسلات التجار اليهود تحتوي على تقارير عن موقف السكان في البلد التي كتبت فيه الرسالة من اليهود، وعن الأحداث السياسية الكبيرة فيها، وعن أهم أخبار الطائفة اليهودية، وذلك لتأثير ذلك على تحرّكاتهم وتجارّتهم<sup>(1372)</sup>. وقد جاء في الرسالة الآنف الذكر، والتي كتبت في مدينة فاس في عهد الموحدين العبارة التالية: «وتنتشر كراهية اليهود في هذا البلد، إلى درجة أنه بالمقارنة معه فإن الميرية تعد مكان الخلاص»<sup>(1373)</sup>.

كما تاجر يهود الأندلس مع مصر، وهناك رسائل متبادلة بين تجار يهود وصلوا إلى الإسكندرية وبين شركائهم في الأندلس. وتبيّن إحدى هذه الرسائل أنّ الصوف المصبوغ كان أحد السلع التي يجلبها بعض التجار اليهود من مصر إلى الأندلس<sup>(1374)</sup>. وتبيّن رسالة أخرى أنهم كانوا يجلبون منها أيضاً المسك، وأنّهم كانوا ينقلون إليها العنبر<sup>(1375)</sup>.

IBID, P.259-263. (1369)

(1370) جواتيان، دراسات، ص234.

GOITEIN, LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, P.266. (1371)

IBID,P.55,264-267. (1372)

IBID, P.55. (1373)

GOITEIN, LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, P.232-233. (1374)

(1375) جواتيان، دراسات، ص214.

وتدُلنا بعض الرسائل المتبادلة بين التجار اليهود في الأندلس ووكلائهم في الخارج على حاجة التجار اليهود في الأندلس الذين يعملون في مجال التجارة الخارجية إلى وكلاء ثقات يعملون معهم. وقد نجمت العديد من المشكلات بين التجار اليهود في الأندلس ووكلائهم بسبب تلاعب الوكلاء في بعض الأحيان، وعدم أمانتهم، وقد أرسل يهودي أندلسي إلى يهودي آخر في الإسكندرية يطلب منه أن يكون وكيلًا له هناك، فاشترط الأخير لقبول هذه الوكالة أن لا يتحمل مسؤولية الخسارة الناجمة عن مخاطر الرحلات التجارية، وأن لا يُطالب بحلف اليمين<sup>(1376)</sup>.

وكتب تاجر يهودي أندلسي سنة (433هـ=1141م) رسالة إلى شريكه في المغرب يشكو فيها من عدم توقُّر شخص موثوق يرسل معه الأموال والبضائع إلى المغرب، حيث يقول: «قلبي يحترق لأنني جمعت الذهب، ولم أعثر على أيِّ شخص يمكنني أن أرسله معه، ولذا يجب أن أرسله مع ديفيد، وهذا لا يروق لي أبدًا»<sup>(1377)</sup>.

وكثيراً ما كان التجار اليهود يضعون ثقتهم في التجار المسلمين، ويأمنونهم على بضائعهم، وقد جاء في إحدى رسائل الجنيزة: «إذا كانت هناك قافلة، وكان يسافر فيها مسلمون مؤتمنون، تكرَّم بإرسال البضائع معهم»<sup>(1378)</sup>.

ونجد في أوراق الجنيزة أدعية وتمنيات طيبة من تجار يهود لتجار مسلمين حملوا أماناتٍ معهم للتجار اليهود. كذلك نجد قيام بعض المشاركات في الأعمال التجارية بين المسلمين واليهود، وأنَّ اليهود كانوا يزورون بيوت شركائهم في العمل من المسلمين، ويهتئونهم في أيام الأعياد<sup>(1379)</sup>.

GOITEIN, LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, P.233-235. (1376)

GOITEIN, LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, P.265. (1377)

(1378) جوايتاين، دراسات، ص 218.

(1379) م. ن، ص 238.

وكان تجار الأندلس اليهود يسافرون في رحلاتهم التجارية على متن سفن أندلسية وغير أندلسية. وتبين رسالة أرسلها زكري بن حنايل من الإسكندرية في سنة (494هـ=1100م) إلى عروس بن جوزيف في الأندلس، أنَّ السفينة الأندلسية التي كان زكري سيسافر على متنها من الأندلس، سوف يتأخر إبحارها؛ لأنَّ السلطان في مصر قرَّر إفراغ هذه السفينة لتكون جاهزة لاستخدامها عند الضرورة في الحرب ضد الصليبيين الذين وصلوا للتو، وقد اضطر زكري من أجل ذلك لركوب سفينة متجهة إلى المهدية، وإلى إرسال رسالة إلى شريكه في الأندلس ليخبره بذلك<sup>(1380)</sup>.

وكتب تاجر يهودي من الأندلس إلى زوجته في القاهرة يقول: «إني أعتزم المجيء على الجيتاني، وهي سفينة يمتلكها تاجر من جيتا (GAETA) في إيطاليا<sup>(1381)</sup>. وكان التجار اليهود في العصور الوسطى يفضلون السفر في البحر على السفر في البر؛ لأنه أكثر أماناً، ويقدرُ جوايتاين من خلال دراسته لوثائق الجنيزة أنَّ نسبة سفر اليهود بالبَر إلى سفرهم بالبحر تساوي 1: 20<sup>(1382)</sup>.

لقد جذب الازدهار الاقتصادي الذي تميَّزت به الأندلس اليهود من مختلف البلدان للمتاجرة معها. وقد ساعد انتشار اليهود في مختلف بلدان العالم، وتعاونهم، على نجاحهم في مجال التجارة الخارجية<sup>(1383)</sup>. يظهر ذلك من خلال وثائق الجنيزة، إذ تبينُ إحدى هذه الوثائق أنَّ تاجراً يهودياً قدم إلى الأندلس من خراسان، وأقام علاقات جيدة مع اليهود في إشبيلية، وعندما غادرها متوجهاً إلى القدس حملوه رسالة إلى صديقهم الجاؤون سليمان بن جودة، رئيس أكاديمية القدس حتى عام (443هـ=1051م)، وأوصوه به خيراً، فاستقبله وساعده، وعندما قرَّر السفر إلى القاهرة حمله سليمان بن جودة خطاباً إلى صديق له في القاهرة يقول فيه: «حامل هذا الخطاب يهودي من خراسان، أوصاني به كثيراً أصدقائي في إشبيلية، وهو الآن سائر إلى القاهرة، أرجو أن توليه اهتمامك»<sup>(1384)</sup>.

(1380) جوايتاين، دراسات، ص 222.

(1381) م. ن، ص 213-214.

(1382) م. ن، ص 217-218.

(1383) يواكيم برنز، بابوات من الحي اليهودي، ص 43.

(1384) جوايتاين، دراسات، ص 214.

وكان التاجر اليهودي سعدان البغدادي أحد التجار اليهود الذين استقروا مدّة من حياتهم في الأندلس. حيث احتوت وثائق الجنيزة على رسائل كتبها بيده من الأندلس إلى وكلائه وشركائه في مصر. وكان كثير التنقل، حيث كتب رسائل أخرى من شمال أفريقيا ومصر<sup>(1385)</sup>.

وقد استغلّ بعض التجار اليهود رحلاتهم التجارية في إقامة علاقاتٍ ثقافية مع أدباء ومشاهير اليهود في مختلف أنحاء العالم، وللبحث عن الكتب المثيرة للاهتمام. ومن أولئك التجار أبو سعيد حلفون بن يثنايل هاليفي، الذي تدلّ مراسلاته التي وُجدت في جنيزة القاهرة على أنه استقر في عدن والهند والأندلس وشمال أفريقيا. وتمكّن من إقامة علاقات حميمة مع كثير من الشخصيات اليهودية العلمية في عهده. وكانت صداقته مع الشاعر اليهودي الأندلسي يهودا هاليفي هي السبب في حفظ خمس رسائل خطيّة، وعدد من الأمور المرتبطة بهذا الكاتب الكبير، إذ حُفظت في أوراق حلفون، ثم وجدت طريقها إلى جنيزة القاهرة. وإحدى رسائل حلفون إلى الشاعر يهودا هاليفي التي حفظتها جنيزة القاهرة، كتبت في 10 / 7 / 1138 م، وفي سنة (535 هـ= 1140 م) وهو العام الذي غادر فيه يهودا هاليفي الأندلس، كتب قصيدة يتحدّث فيها عن صداقة حلفون المخلصة<sup>(1386)</sup>.

وقد وصل تجار يهود من الأندلس إلى الهند، وجلبوا منها التوابل والجواهر والأحجار الكريمة والفيروز وأنواع مختلفة من الخرز والأصداف، لكنّ نصيب اليهود من تجارة الهند كان متواضعاً، إذا ما قورن بنصيب غيرهم فيها<sup>(1387)</sup>. وذلك بسبب كثرة المخاطر التي يتعرض لها الذين يتاجرون مع الهند.

وقد عمل كثيرٌ من اليهود الذين تركوا الأندلس في عصر الموحّدين في التجارة، ومن أولئك اليهود ديفيد شقيق موسى بن ميمون الذي استقرّ مع عائلته في مصر، ثم خرج في رحلاتٍ تجارية عديدة إلى الهند، إلى أن غرق ومات في إحدى رحلاته<sup>(1388)</sup>.

وتبيّن بعض وثائق جنيزة القاهرة أنّ العمل في تجارة ما وراء البحار، كان طموحاً للشبان اليهود، يسعون لأخذ موافقة أهلهم عليه. وتبيّن إحدى هذه الوثائق أنّ أحد الآباء قد أعطى لولده وعداً وهو ثَمَل بالسماح له بممارسة هذه التجارة الخطرة، وأنّه اضطرّ للوفاء بوعد<sup>(1389)</sup>.

GOITEIN, LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, P.255. (1385)

GOITEIN, LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, P.259-260. (1386)

(1387) جوايتاين، دراسات، ص 252؛ الكواقي، اليهود في المغرب، ص 143.

GOITEIN, LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, P.208. (1388)

IBID, P.255. (1389)

وأهم تجارة مارسها يهود الأندلس واحتكروها هي تجارة الرقيق، إذ كانوا يجلبون إلى الأندلس أعداداً كبيرة من الفتيان والفتيات الصغار، يشترونهم من شمال إسبانيا، وبلاد الفرنجة، ومن الدول السلافية، ودول ساحل البحر الأسود، ثم يعرضونهم للبيع في أسواق الأندلس، فيشتري أمراء وأغنياء المسلمين في الأندلس من شائوا من هؤلاء الرقيق، ومن زادوا عن حاجتهم يحملهم التجار اليهود إلى شمال أفريقيا وإلى المشرق الإسلامي، حيث يتم بيعهم هناك<sup>(1390)</sup>. وسرعان ما كان هؤلاء العبيد يتعلمون العربية ويتقنون بالثقافة الإسلامية ويعتقون الإسلام. وقد أصبح كثير منهم حراساً لأمراء الأندلس وجنوداً وقادة في الجيش الإسلامي. وامتلك العديد من الأمراء كثيراً من الجواري الذين جلبهن التجار اليهود إلى الأندلس<sup>(1391)</sup>. وقد مرّت بنا رواية ابن سعيد الأندلسي التي تتحدث عن الجارية التي أراد شرائها الأمير محمد بن عبد الرحمن من التاجر اليهودي الذي بالغ في ثمنها<sup>(1392)</sup>.

ويتحدث المقدسي أيضاً عن دور اليهود في تجارة الرقيق<sup>(1393)</sup>. ويقول البكري: «ومدينة فراغة (براغ)... ويأتيهم من بلاد الأتراك الإسلام واليهود والترك بالمتاجر أيضاً والمثاقيل المرقطية، فيحملون من عندهم الرقيق»<sup>(1394)</sup>.

وتحتوي الكتب الفقهية الأندلسية على العديد من المسائل المتعلقة ببيع وشراء الرقيق مما يدلُّ على شيوع هذه التجارة في الأندلس<sup>(1395)</sup>.

(1390) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 153؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 242؛ ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، صورة الأرض، ق 1، (ليدن، مطبعة بريل، 1938 م)، ص 106.

(1391) م. ن، ص 424.

(1392) ابن سعيد، الأندلسي، المغرب في حلي المغرب، ج 1، ص 151، ترجمة رقم: 91؛ النباهي، المرقبة، ص 56-57.

(1393) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 232.

(1394) ذكرت في المتن «الدقيق»، وقال المحقق: «وقد تقرأ: «الرقيق» ولكن قراءتها: «الدقيق» أرجح يؤيد ذلك الجملة التي تليها». البكري، المسالك والممالك، الجزء الخاص بالأندلس وأوروبا، ص 162 (هامش المحقق). وأعتقد أن «الرقيق» هي الأرجح لأنه من غير المعقول أن يذهب التجار المسلمون إلى هذه البلاد البعيدة من أجل أن يأخذوا منها الدقيق المتوفر في بلدانهم، وكذلك لا يعقل أن يحمل التجار اليهود من هذه البلاد البعيدة الدقيق ذو الوزن الثقيل والريح القليل. فقد اعتادوا أن يحملوا بسبب طول أسفارهم ما خف وزنه وغلا ثمنه. وهو ما يتوفر في الرقيق وليس في الدقيق. كما أنه من المعروف أن هذه المدينة تقع في بلاد السلاف التي كانت مصدراً مهماً من مصادر الرقيق.

(1395) مالك ابن أنس، وآخرون، المدونة، م 4، ج 10، ص 311-312، ابن فرحون، تبصرة الحكام، ج 2، ص 74-75؛ ابن سلمون الكنائي، العقد المنظم، ص 216.



وابتدع التجار اليهود الخِصاء، لارتباطه بتجارة الرقيق، حيث لم يكن يُسمح للرجل بالعمل في مجال خدمة حريم الأمراء، إلا إذا كان خَصِيًّا<sup>(1396)</sup>. يقول ابن حوقل: «الخصيان فمن جلب الأندلس... ويفعل ذلك بهم التجار اليهود»<sup>(1397)</sup>.

وكان اليهود يجرون عملية الخصي في معظم الأحيان في مكانين رئيسيين، الأول في مدينة فيردون (VERDUN) من بلاد الغال، وهي مدينة مشهورة بسوق رقيقها. والثاني في مدينة أليسانة<sup>(1398)</sup>. وقد أشار المقدسي إلى هذه المدينة عندما قال: «وأما الصقالبة فإنهم يحملون إلى مدينة خلف بجانة أهلها يهود فيخسونهم»<sup>(1399)</sup>. ويشير المقري إلى أن عملية الخصي كانت تتم على أيدي اليهود في أماكن أخرى، حيث يقول: «وتخصيهم للفرنجة يهود ذمتهم الذين بأرضهم، وفي ثغر المسلمين المتصل بهم، فيحمل خصيانهم من هنالك إلى سائر البلاد»<sup>(1400)</sup>.

والجدير بالذكر أن بعضاً من يهود الأندلس هم الذين عملوا في مجال التجارة، وأن بقيتهم قد مارسوا أعمالاً أخرى زراعية ومهنية.

والظاهر أن الغنى الذي تحدث عنه الإدريسي عندما وصف يهود أليسانة قد جاء من خلال كثرة التجار بينهم في هذه المدينة.

(1396) أرسلان، الحلل السندسية، ج1، ص46.

(1397) صورة الأرض، ق1، ص106.

(1398) م. ن، ج1، ص46. ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.289.

(1399) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص232.

(1400) المقري، نفح الطيب، م1، ص145.

وأعتقد أنَّ لقوانين الشريعة الإسلامية التي طُبِّقت في الأندلس، وفُوّرت لأهل الذِّمة قدراً كبيراً من الحقوق، كحرية البيع والشراء والتنقل، وحمت أموالهم ودماءهم، أثّر كبيرٌ في إنجاح تجارة اليهود. وعن ذلك يقول جوايتاين: «إنَّ القدر الهائل من حرية الحركة الذي تمتّع به اليهود، الذي عكست لنا صورته جنيزة القاهرة، كان من المستحيل أن يتحقق ما لم يكن لهم وضع قانوني، وما لم يسمح بذلك مناخ السياسة العامة»<sup>(1401)</sup>.

ثانياً: النشاط الزراعي لليهود في الأندلس

اشتغل يهود الأندلس بالزراعة قبل الفتح الإسلامي للأندلس، وامتلكوا أراضٍ زراعية، تولّوا زراعتها بأنفسهم، كما عمل بعضهم إداريين في إقطاعات النبلاء القوط<sup>(1402)</sup>.

وبسبب الضغوط التي مارسها القوط الكاثوليك على اليهود، كان وضعهم في نهاية عهدهم في غاية الصعوبة، إذ جُرّدوا من أملاكهم، وعملوا عبيداً في المزارع والحقول التابعة للقوط<sup>(1403)</sup>.

---

(1401) جوايتاين، دراسات، ص 212-213.

(1402) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.266.

(1403) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.266; LINDO, THE JEWS OF SPAIN, P.26.

وعندما فتح المسلمون الأندلس أعطوا لليهود بعض ممتلكات وبيوت القوط الهاريين<sup>(1404)</sup>، لكن ذلك لم يُعد إلى القطاع الزراعي إلاّ عدداً قليلاً منهم، إذ حصل الفاتحون الأوائل على معظم الأراضي الزراعية، بعد أن قُسمت أربعة أخماسها بينهم، وبقي خمسٌ واحد في يد الدولة تنفق منه على مصالح المسلمين وفقرائهم. ومما يدل على ذلك التقسيم، رواية ابن عذاري التي يقول فيها: «ثمّ ولّى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- السّمح بن مالك على الأندلس، وأمره أن يحمل الناس على طريق الحق، ولا يعدل بهم عن منهج الرفق، وأن يُخمسَ ما غلب عليه من أرضها وعقارها»<sup>(1405)</sup>.

وقوله: «وفي سنة 101 هـ ورد كتاب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز على السّمح بن مالك بالأندلس... ويأمره بإخراج خمس قرطبة، فخرّج منه الخمس البطحاء المعروفة بالريص، فأمر الخليفة عمر أن يتخذ بها مقبرة للمسلمين، فتم ذلك»<sup>(1406)</sup>.

ولم يستطع اليهود أن يحصلوا على أراضٍ زراعية يمارسون فيها الزراعة؛ لأنه لم يكن هناك فائض في الأراضي يمكن أن يُعطى لهم، يدلّ على ذلك الفتن التي وقعت في الأندلس في وقتٍ مبكر بسبب الصراع على الأرض بين المستقرّين الأوائل من المسلمين، والمسلمين الذين قدموا إلى الأندلس من الشام سنة (122 هـ=739 م)<sup>(1407)</sup>، بأمرٍ من هشام بن عبد الملك<sup>(1408)</sup> لـ«سدّ أفريقيا وضبطها»<sup>(1409)</sup>.

(1404) ذكر ذلك آشثور. لكنه لم يرجع ذلك إلى مصادر معينة، ولم يأتِ بأدلة تثبت قوله. وأرى صحة هذا القول والدليل عليه عندي أن المصادر الإسلامية ذكرت أن المسلمين اعتادوا عند فتحهم للمدن الأندلسية على نقل اليهود إلى قصباتها وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً. ومن غير المعقول أن ينقلوهم إليها دون أن يقدّموا إليهم بيوتاً يسكنون فيها، وهي على ما اعتقد من البيوت الفارغة التي فرّ عنها أصحابها.

ينظر رأي آشثور: ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.16, 266.

(1405) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص26.

(1406) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص26.

(1407) مجهول، أخبار مجموعة، ص42-49؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص31-32.

(1408) مجهول، أخبار مجموعة، ص36؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص30.

(1409) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص30.

وعندما قدم أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي والياً على الأندلس سنة (125هـ=742م)، واجتمع عليه أهل الأندلس، لم يجد في مدنها أرضاً فائضة يعطيها لهم، ولذلك اضطرَّ إلى إعطائهم من الأراضي والأموال التي كانت في يد العجم. يقول ابن الأبار إن: أبا الخطار «لم يقدِّم في ولايته الأندلس شيئاً على تفريق جميع العرب الشاميين الغالبين على البلد عن دار الإمارة قرطبة، إذ كانت لا تحملهم... وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة من العجم طعمة، وبقي العرب البلديون من الجند الأوَّل على ما بأيديهم من أموالهم، لم يعرض لهم في شيء منها»<sup>(1410)</sup>. ويقول ابن عذاري: «وفرق أهل الشام على الكُور، ونظر لسواهم أيضاً بأحسن النظر، فأنزل أهل دمشق باليرة، وأهل الأردن بَرية، وأهل فلسطين بشذونة، وأهل حمص بإشبيلية، وأهل قنسرين بجيان، وأهل مصر بباجة، وبعضهم بتدمير. وكان إنزالهم على أموال العجم من أرضٍ ونعم»<sup>(1411)</sup>.

كما أن خروج اليهود مرهقون مادياً من حكم القوط لم يمكنهم من شراء أراضي زراعية يتولَّون زراعتها. وقد تغير هذا الوضع قليلاً في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، حيث أدَّت التمردات في العديد من مناطق الأندلس<sup>(1412)</sup> إلى تغيير في ملكية الأراضي الزراعية، فقد سيطر المتمردون على معظم أراضي الخمس الخاصة بالدولة، وفقد كثيرٌ من أصحاب الأملاك الواسعة أملاكهم، وخشي آخرون على أراضيهم فأخذوا يعرضونها للبيع بسعرٍ زهيد، وكان ذلك واضحاً في جنوبي الأندلس، وإضافة إلى ذلك فإن تقسيم الأراضي بين الورثة على أساس أحكام الشريعة الإسلامية، قد أدَّى بمرور الوقت إلى ظهور إقطاعيات صغيرة، وقد أدَّى ذلك كله إلى قدرة اليهود على الحصول على الأراضي عن طريق الشراء<sup>(1413)</sup>. كما أن اشتغال قسم من اليهود في عددٍ من المجالات المربحة كالتجارة والصناعة، جعل بعضهم أغنياء، ومكنهم من شراء الأراضي. وقد ساعد اليهود على زراعة أراضيهم تدفق المهاجرين اليهود من الشمال الأفريقي إلى الأندلس، وكون معظم المهاجرين اليهود من الفقراء الذين شكلوا عمالة زراعية رخيصة<sup>(1414)</sup>.

(1410) ابن الأبار، الحلة السيرة، ج1، ص 61-63.

(1411) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص 33.

(1412) عن هذه التمردات وآثارها. ينظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ج2، ص 102-192.

(1413) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P. 266-267.

(1414) IBID, VOL.1, P.267.

وتُظهر بعض النوازل التي وردت إلى كلٍّ من فقهاء المسلمين وأخبار اليهود امتلاك البعض من يهود الأندلس البساتين والأراضي الزراعية. ومن ذلك، السؤال الذي وجّه إلى ابن سهل الأندلسي الذي نصّه: «الجواب - رضي الله عنك - في مسلمٍ اشترى جناناً من يهوديين»<sup>(1415)</sup>.

وقول ابن سهل أيضاً: «سئلت عن يهودي حبس على ابنته فلانة البكر في حجره وولاية نظره جميع القلعة التي بموضع كذا وحدّها كذا، ونصف القلعة التي بموضع كذا، وحدّها كذا...»<sup>(1416)</sup>.

ووجّه سؤال إلى الحبر موسى بن حنوخ جاء فيه أن يعقوب تزوّج لياً (LEAH)، وأنها أنجبت له بنات، وتزوَّج في وقت لاحق من راحيل فأنجبت له البنين، وقد وهبت له راحيل عقاراً دون أيّ تقدير لقيمتها، ولاحقاً قام ببيع تلك الأرض، وعوض راحيل عنها بعقارٍ آخر كان يملكه، وكتب لها صكاً لتوثيق هذه التغييرات، وبعدها قدم يعقوب لبناته من ليا عند زواجهنّ الأرض التي صارت ملكاً لراحيل، كما قدّم لزوجته ليا أرضاً عن متأخر مهرها، وهو لم يعطِ لابنه بنيامين أرضاً من أملاكه، بل من أملاك راحيل<sup>(1417)</sup>. ويظهر تساؤل آخر يهودياً عجز عن تسديد دينه ليهودي آخر فقدّم إليه مزرعة الكروم التي يمتلكها كرهن، إلى أن يسدّد دينه من محصولها<sup>(1418)</sup>. وتبيّن هذه التساؤلات أن العديد من المزارعين اليهود كانوا لا يمتلكون غير الأراضي الزراعية لتوريثها لأبنائهم<sup>(1419)</sup>.

وقد مكنتنا ردد الأخبار في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين من الحصول على معلومات تتحدث عن نشاط زراعي ليهود الأندلس، ومن ذلك أنهم مارسوا حراثة الأرض، وأنهم زرعوا الحبوب وأشجار الفاكهة وكروم العنب، وأن الفقراء منهم كانوا يعملون عمالاً في مزارع وحقول الأغنياء. إذ ورد سؤال يتعلق بيهودي اقترض مالاً، وعندما عجز عن تسديده، اتفق مع المقرض أن يسقط عنه الدين مقابل العمل في كرومه<sup>(1420)</sup>.

(1415) ابن سهل الأندلسي، الأحكام الكبرى، ص 65.

(1416) م. ن، ص 68؛ قارن: الونشريسي، المعيار، ج 7، ص 59-60.

(1417) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.268.

نقلاً عن: TSHUBHOT GONE MIZRAH U-MAARABH, ED, J,MULLER, BERLIN, 1888, NO.175.

(1418) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, 268.

نقلاً عن: TSHUBHOT NO.201.

(1419) IBID, VOL.1, P.268.

(1420) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.270.

نقلاً عن: TSHUBHOT NO.197-198.

وورد سؤال من يهود الأندلس في منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي إلى الجاؤون نظروناي بن هيلاي في العراق يطالبون فيه بالسماح لهم بتقليد كرومهم في أيام عيد الفصح بأيديهم أو بأيدي عمال من غير اليهود؛ وذلك لأن هذه الأيام التي يمنع فيها العمل تعد أنسب أوقات لتقليد الكروم في الأندلس، وقد أفتى لهم نظروناي بجواز ذلك<sup>(1421)</sup>.

وأعتقد أنه من الأسباب التي جعلت يهود الأندلس يولون الزراعة شيئاً من الاهتمام، وجعلتهم يختلفون عن الكثير من يهود العالم، الذين كانوا يجهلون الزراعة، ولا يهتمون بها:

1- كان امتلاك الجنان والبساتين إحدى مظاهر الغنى عند أمراء المسلمين وأثريائهم في الأندلس، وكان سكان الأندلس غير المسلمين يحرصون على تقليد المسلمين باعتبارهم سادة البلاد، وعندما حقق بعض اليهود الغنى عن طريق التجارة قاموا بشراء بعض البساتين، وكان من الطبيعي أن يهتموا بأشجارها حتى لا تتلف، وتفقد بساتينهم قيمتها.

2- إن كثرة اليهود في الأندلس، واختلاف قدراتهم، وثقافتهم جعلهم يتوزعون بين مختلف فروع النشاط الاقتصادي، فكان منهم من عمل بالزراعة.

3- إن التواجد الطويل لعدد كبير من اليهود في أرض خصبة كثيرة الأنهار والأمطار كأرض الأندلس دفع بعضهم إلى ممارسة الزراعة.

4- أعطت الشريعة الإسلامية التي عمل بها في الأندلس لليهود الذميين، حق التملك، وحق ممارسة كل فروع النشاط الاقتصادي، وضمنت لهم حماية أموالهم وأملاكهم، وقد شجع ذلك اليهود على امتلاك بعض الأراضي والبساتين وزراعتها.

### ثالثاً: النشاط الصناعي والمهني لليهود في الأندلس

اشتهرت الأندلس في ظل الحكم الإسلامي، بجودة وتطور صناعاتها، فقد أبدع المهندسون والحرفيون المسلمون، وطوّروا وابتكروا، فخرجت من تحت أيديهم أروع المنتجات، وأعجب المبتكرات، حتى ذاع صيتهم<sup>(1422)</sup>. وتسابق الأثرياء في مختلف أرجاء العالم على شراء صنائعهم<sup>(1423)</sup>.

وقد نقل المقرئ عن ابن حزم شهادة له في ذلك حيث يقول: «إنَّ أهل الأندلس صينيون في إتقان الصنائع العملية، وإحكام المهن الصّورية»<sup>(1424)</sup>، كما نقل عن ابن غالب قوله في أهل الأندلس: «وهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال، ومقاساة النَّصب في تحسين الصنائع»<sup>(1425)</sup>، وقوله: «ومتى دخلوا في شغل عملوه في أقرب مُدَّة، وأفرغوا فيه من أنواع الخدمة والتجويد، مايميلون به النفوس إليهم، ويصيرُ الذكر لهم... ولا يدفع هذا عنهم إلَّا جاهل أو مبطل»<sup>(1426)</sup>. ومما يدلُّ أيضاً على شهرة الصناعات المسلمين في الأندلس أنَّ خلفاء بني عبد المؤمن الموحدين اعتمدوا عليهم في تطوير مدينة مراكش إذ ينقل المقرئ عن ابن سعيد قوله: «إنَّ حضرة مراكش هي بغداد المغرب، وهي أعظم ما في برِّ العدوَّة، وأكثر مصانعها ومبانيها الجليلة وبساتينها إنما ظهرت في مُدَّة بني عبد المؤمن، وكانوا يجلبون لها صناعات الأندلس من جزيرتهم، وذلك مشهور معلومٌ إلى الآن»<sup>(1427)</sup>.

كما عمّرت مدينة تونس وتطوّرت في عهد سلطانها يحيى بن أبي محمد بن أبي حفص، وأصبحت شبيهة بالأندلس، عندما جلب إليها ذلك السلطان الصناعات من الأندلس، «ووجوه صنائع دولته لا تكاد تجددهم إلَّا من الأندلس»<sup>(1428)</sup>.

(1422) الإصطخري، المسالك والممالك، ص 35؛ ياقوت، معجم البلدان، م 1، ص 245؛ المقرئ، نفح الطيب، م 1، ص 206 -

207؛ م 3، ص 374؛ الحميري، الروض، 127، 202؛ أرسلان، الحلل السندسية، ج 1، ص 239-240.

(1423) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.272.

ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 240-241.

(1424) المقرئ، نفح الطيب، م 3، ص 151.

(1425) م. ن، م 3، ص 151.

(1426) م. ن، م 3، ص 152.

(1427) المقرئ، نفح الطيب، م 3، ص 152-153.

(1428) م. ن، م 3، ص 152-153.

ومن أسباب التقدم الصناعي في الأندلس أنَّ حكامها هيؤوا للصناعة أسباب النجاح، فشجعوا الصناع، وأقاموا المناطق الصناعية، ومن ذلك دار الصناعة التي بناها وأتقن بناءها الخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله (300-350هـ=912-961م) في الجزيرة الخضراء<sup>(1429)</sup>، ودار صناعة الحديد، ودار صناعة السفن التي أقيمت في شلطيح قرب مدينة لبلة<sup>(1430)</sup>، ودار الصناعة في طرطوشة<sup>(1431)</sup>.

في هذه البيئة، وبين الصناع المسلمين المبدعين، عاش يهود الأندلس قروناً عدّة. ويبدو أنهم حاولوا تقليد المسلمين في الصناعات المتميزة لكنهم فشلوا في ذلك بسبب كفاءة الصناع المسلمين، وقدرتهم على المنافسة. ويقدم المقري رواية تبين كيف أبدع عبد الرحمن الزرقال البيتلان اللتان عدّتا من غرائب الأندلس، وكيف حاول يهودي أن يسرق سرّهما. وهما حوضان في جوف النهر الأعظم بطليطلة، «يمتلئان وينحسران مع زيادة القمر ونقصانه. وذلك أنَّ أول انهلال الهلال يخرج منهما يسير ماء، فإذا أصبح كان فيهما ربع سبعهما من الماء، فإذا كان آخر النهار كمل فيهما نصف سبع، ولا يزال كذلك بين اليوم واللييلة نصف سبع حتى يكمل من الشهر سبعة أيام وسبعة ليال، فيكون فيها نصفها، ولا تزال كذلك الزيادة نصف سبع في اليوم واللييلة حتى يكمل امتلاؤهما بكمال القمر، فإذا كان في ليلة خمسة عشر وأخذ القمر في النقصان نقصتا بنقصان القمر كل يوم ولييلة نصف سبع، حتى يتم القمر واحداً وعشرين يوماً، فينقص منهما نصفهما، ولا يزال كذلك ينقص في كل يوم ولييلة نصف سبع، فإذا كان تسعة وعشرون من الشهر لا يبقى فيهما شيء من الماء، وإذا تكلف أحد حين تنقصان أن يملأهما، وجلب لهما الماء ابتلعتا ذلك من جنبهما حتى لا يبقى فيهما إلا ما كان فيهما في تلك الساعة، وكذا لو تكلف عند امتلائهما إفراغهما ولم يبق فيهما شيئاً ثم رفع يده عنهما خرج فيهما من الماء ما يملؤهما في الحين». وقد فسدت حركة البيلتين بعد سقوط طليطلة في يد ألفونسو، وقيل إنَّ سبب فسادهما أن حنين بن ربوة اليهودي المنجم «أراد أن يكشف حركة البيلتين فقال له: أيها الملك، أنا أقلعهما وأردهما أحسن مما كانتا، وذلك أني أجعلهما تمتلئان بالنهار وتنحسران في الليل، فلما قلعت لم يقدر على ردّها، وقيل: إنه قلع واحدة ليسرق منها الصنعة فبطلت، ولم تزل الأخرى تعطي حركتها»<sup>(1432)</sup>.

(1429) الحميري، الروض، ص 223.

(1430) م.ن، ص 344.

(1431) م.ن، ص 391.

(1432) المقري، نفح الطيب، م 1، ص 206-207.



ولم يفلح يهود الأندلس إلا في الصناعات والمهن التي زهد فيها المسلمون، وذلك كصياغة الذهب والفضة، حيث يشير أحد الأمثال الأندلسية إلى أن معظم الصاغة كانوا من اليهود، وإذا تعامل مسلم بهذه الحرفة احتقره الناس وازدروه<sup>(1433)</sup>.

وقد اهتم اليهود بالصياغة في الأندلس، حتى وصلت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي إلى مستوى جلب لمنتجاتها شهرة كبيرة<sup>(1434)</sup>.

واهتموا كذلك بالدباغة والصباغة، وتدل أسماء شوارع الأحياء اليهودية القديمة في مدن الأندلس على ممارسة يهود الأندلس لهاتين المهنيتين. ففي الحارة اليهودية في إشبيلية، هناك إلى الآن ساحتان تعرفان باسم: «موقع الدباغين»، وهما بلازا دي لوس كورتيدوز ( PLAZA DE LOS CURTIDORES)، وبلازا دي لوس زورادورس (PLAZA DE LOS ZURADORES)<sup>(1435)</sup>.

ومن الملاحظ أن هاتين الساحتين تقعان بالقرب من المكان الذي كان يقوم عليه سور المدينة، مثلما هي العادة في المدن الأندلسية خلال العصور الوسطى، حيث اعتادت السلطات أن تضنع الصناعات القذرة في مكان بعيد عن قلب المدينة<sup>(1436)</sup>. ويعرف أحد شوارع الحي اليهودي في إشبيلية حت اليوم بـ«شارع الصباغين» كالي دي لوس تينتس (CALLE DE LOS TINTES)<sup>(1437)</sup>. كما تدل أسماء الشوارع في الحي اليهودي في سرقسطة، على أنه في تلك الطائفة اليهودية الكبيرة كان هناك عدد كبير من الصباغين والدباغين<sup>(1438)</sup>.

(1433) الزجالي، أبو يحيى عبيد الله بن أحمد، أمثال العوام في الأندلس، حققها ونشرها: محمد بن شريفة، ق1، (1975م)، ص216.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.274. (1434)

IBID, VOL.1, P.273. (1435)

نقلاً عن: GONZALEZ DE LEON, NOTICIA HISTORICA DEL ORIGEN DE LOS NOMBRES DE LAS CALLES DE SEVILLA (SEVILLE, 1839), P.95, 145-146.

IBID, VOL.1, P.273. (1436)

IBID, VOL.1, P.274. (1437)

ASHTOT, THE JEWS, VOL.1, P.274. (1438)

وعمل يهود الأندلس في الخياطة والنسيج والأقمشة والدلالة في الأسواق، وفي نسخ الكتب وتجليدها، وأسكفة، وحمالين وكيالين<sup>(1439)</sup>، وفي صناعة الخمر<sup>(1440)</sup>.

ويلاحظ أن اليهود امتنعوا العمل في مجال تصنيع الأحذية وإصلاحها في العديد من المدن الأندلسية وخصوصاً في سرقسطة<sup>(1441)</sup>، ومن بين أسماء اليهود من مدينة ليون في بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي يظهر اسم عائلة أشخافا (ASHKHAF) التي تعني بالعربية «الإسكافي». ولدينا حالة تدل على أن يهودياً أندلسياً كان يرتزق من هذه المهنة، وقد هاجر إلى المملكة النصرانية في الشمال الأسباني<sup>(1442)</sup>. كما تشير إحدى وثائق جنيزة القاهرة، إلى أن يهودياً أندلسياً كان يعمل إسكافياً في الأندلس، ثم هاجر إلى مصر ومارس مهنته فيها<sup>(1443)</sup>.

وعند التأمل في صناعات اليهود ومهنتهم نجد أن معظمها بسيطة، ومن النوع الوضيع الذي ترفع المسلمون عنه، وقد بلغ ترفع مسلمي الأندلس عن هذه الصناعات والمهن حداً جعل بعض الفقهاء يفتون برد شهادة من يتحرف بها من المسلمين، حيث يقول ابن فرحون: إنه لا تجوز شهادة من «يتحرف بالحرف الدنيئة اختياراً، ويكون ممن لا يليق به ذلك، كدباغة وحجامه وحيافة، وكناسة، فأما أربابها وفاعلها مضطراً فلا يقدح فيه»<sup>(1444)</sup>.

ويقول ابن عبدون: «ويجب أن لا يحك مسلم يهودي، ولا النصراني، ولا يرمي زبله، ولا ينقي كنيفه: فاليهودي والنصراني كانوا أولى بهذه الصنع، لأنها صنع الأرذلين»<sup>(1445)</sup>.

ولا يعني ذلك أن هذه المهن كانت حكراً على اليهود، فهناك إشارات مختلفة إلى أن عدداً من المسلمين قد عملوا بها<sup>(1446)</sup>.



(1439) الششتري، الذخيرة، ق 1، م 1، ص 418؛ ابن الأحرر، إسماعيل، بيوتات، فاس الكبرى، (الرباط، دار المنصور، 1973 م)، ص 24؛ الحميري، الروض المعطار، ص 44؛ الزغول، جهاد غالب، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الأردنية - قسم التاريخ، 1994 م، ص 90؛ عبد العزيز، هشام فوزي، يهود الأندلس في ظل الحكم الإسلامي، مجلة دراسات أندلسية، تونس، ع 15، رمضان، 1416 هـ - 1996 م، ص 102.

(1440) ابن عمر، يحيى، أحكام السوق، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، راجعه وأعداه للنشر: فرحات الدشرابي، (تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1975 م)، ص 96.

(1441) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.274.

(1442) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.274.

(1443) جوايتاين، دراسات، ص 172.

(1444) تبصرة، الحكام، ج 2، ص 179.

(1445) رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، ص 48.

(1446) ابن فرحون، تبصرة الأحكام، ج 2، ص 238-239، 241، 245، 265؛ الششتري، الذخيرة، ق 2، م 1، ص 210.

اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس

الفصل السادس

الحياة الثقافية  
لليهود في الأندلس

## المبحث الأول التربية والتعليم عند يهود الأندلس

عاش اليهود في الأندلس داخل المجتمع الإسلامي المتميز بشدة إقبال أبنائه على العلم والتعلم<sup>(1447)</sup>، والذي لم يقتصر التعليم بين أفراد على فئة معينة، أو على أبناء المدن الكبرى، وإنما شمل معظم أفراد المجتمع، ووصل إلى جميع أرجاء الأندلس، يؤكد ذلك العذري، وهو يتحدث عن مدينة شلب، حيث يقول: «قل أن يرى من أهل شلب من لا يقول شعراً، ولا يتعانى الأدب، ولو مررت بالحراث خلف فدانه، وسألته الشعر لقرض في ساعته، أي معنى اقترحت عليه، وأي معنى طلبت منه صحيحاً»<sup>(1448)</sup>.

وكان من الطبيعي أن يتأثر يهود الأندلس بهذا المجتمع الذي كان أفرادها إما عالماً أو تعلموا، ويقلدوه في الإقبال على العلم<sup>(1449)</sup>، بعد أن عاشوا قروناً في هذه البلاد قبل مجيء المسلمين، بعيداً عن جميع العلوم والآداب، ودون أن يبرز منهم عالم واحد، وحتى القلائل المتعلمون لا يعرفون إلا العلوم الدينية التي يتناقلونها منذ قرون عدة دون زيادات أو إضافات تذكر عليها<sup>(1450)</sup>.

اتخذ يهود الأندلس بيعهم مدارس لتدريس أبنائهم الصغار، مثلما فعل المسلمون الذين كانوا يعقدون دروس العلم في المساجد، وكانت الدروس في هذه البيع تعقد في مصلى البيعة أو في غرفة جانبية داخلها. وكان تعليم الصغار في هذه البيع يتم على حساب الطائفة، أما أبناء الأثرياء فإن تعليمهم كان في مدارس خاصة، وهذه المدارس هي بيوت المعلمين الذين يتقاضون على تعليمهم أجوراً يدفعها لهم الآباء شهرياً<sup>(1451)</sup>،

(1447) ينظر: ابن حزم الأندلسي، رسالة أبي محمد بن حزم في فضائل الأندلس، نشرها وقدم لها: صلاح الدين المنجد، تحت عنوان: فضائل الأندلس وأهلها لابن حزم، وابن سعيد، والشقندي، (دار الكتاب الجديد، ط1، 1387هـ-1968م)، ص8؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص236؛ السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، ص40، 114؛ المقري، نفح الطيب، م3، ص374.

(1448) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت، دار صادر، 1969م)، ص541.

(1449) جوايتاين، دراسات، ص155.

(1450) الفت، جلال، الأدب العبري القديم والوسيط، ص130.

(1451) الكواطي، اليهود في المغرب، ص157؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.91.

ينظر: جوايتاين، دراسات، ص155.

ومثلما يفعل المسلمون، دفع الآباء اليهود إلى معلمي أبنائهم جزءاً من رواتبهم نقداً، بينما دفعوا الجزء الآخر على شكل سلع، وإضافةً إلى الأجور المحددة فإن آباء الطلاب كانوا يقدمون الهدايا للمعلمين في الأعياد اليهودية حسب قدراتهم المادية<sup>(1452)</sup>.

وكان تعليم أطفال اليهود في الأندلس يبدأ عندما يبلغ الطفل سن السادسة، وذلك عملاً بتوجيهات قدماء الأحرار، ولكن الأطفال النبهاء كانوا يُرسلون إلى المدارس الخاصة قبل بلوغهم ذلك العمر<sup>(1453)</sup>.

وحسب العُرف السائد بين اليهود منذ القدم، كان أبناء اليهود في الأندلس يتعلمون أولاً القراءة والكتابة<sup>(1454)</sup>؛ وكانت الطريقة التي يتبعها المعلمون تعتمد على تمرينهم على كتابة كلمات كاملة على ألواح خشبية صغيرة، وبعد تعلم الكتابة والقراءة يتجه الطالب لدراسة التوراة مباشرة<sup>(1455)</sup>.

وعلى ما يبدو فإن هذه المرحلة من التعليم مستمدة من نظم التربية الإسلامية التي تبدأ بتعليم الولدان القرآن الكريم<sup>(1456)</sup>، لأنه كما يقول ابن خلدون: «أصلُ التعليم الذي ينبنى عليه ما يحصل بعده من الملكات. وسبب ذلك أن تعليم الصَّغَر أشدَّ رسوخاً وهو أصلٌ لما بعده»<sup>(1457)</sup>.

وكان أولاد يهود الأندلس ينتقلون إلى مرحلة تعليم أعلا عندما يبلغون سن العاشرة، حيث يدرسون ما يعرف عندهم بالشرعية الشفوية، وفي هذه المرحلة كان النابهون من الأولاد يُعلَّمون أيضاً اللغة العبرية، وكانت طريقة التعليم تعتمد على قراءة نصوص من أعمال أدبية وشعرية لكتاب وشعراء من يهود الأندلس، وقد أخذ المعلمون اليهود هذه الطريقة عن معلمي اللغة العربية المسلمين<sup>(1458)</sup>، ومع وجود الاهتمام بتعليم اللغة العبرية، ووجود عدد لا بأس به من المثقفين الذين يجيدون تلك اللغة، إلا أن اللغة السائدة بين يهود الأندلس، كانت اللغة العربية.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.91. (1452)

IBID, VOL.3, P.92, 269. (1453)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.92-93. (1454)

ينظر: جوايتاين، دراسات، ص 147-148.

IBID, VOL.3, P.92-93; (1455)

(1456) ينظر: القابسي، علي بن محمد بن خلف الأندلسي القيرواني، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، «نشرها الأهواني ضمن كتابه: التعليم في رأي القابسي»، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، 1342 هـ،

1940 م)، ص 264-283.

(1457) ابن خلدون، العبر، ج2، ص 1038.

ATHOTR, THE JEWS, VOL.3, P.94-95. (1458)

وقد تَدَمَّر سليمان بن جابيرول وموسى بن جقطلة من الافتقار إلى المعرفة باللغة العبرية بين اليهود الأندلسيين، وأكد ابن جقطلة أنه على العكس من ذلك فإن يهود جنوب فرنسا يعرفون العبرية جيداً، بل وحتى أنهم معتادون على التحدّث بها، وكان سليمان بن يوسف بن يعقوب الطبيب السرقسطي الذي قام بترجمة تفسير موسى بن ميمون للميشنا من العبرية إلى العربية في أواخر القرن السابع الهجري، قد أظهر غيظه من علماء يهود الأندلس في أواخر القرن الرابع وفي القرن الخامس الهجريين، الذين كانوا جميعاً يكتبون ملاحظاتهم وردودهم باللغة العربية، بحجة أنها اللغة التي يفهمها جميع اليهود<sup>(1459)</sup>.

وكان الطلاب في هذه المرحلة أيضاً يدرسون اللغة العربية، وكانت القراءات المتكرّرة للأشعار العربية تُعدّ طريقة جيدة للتعليم، وفي أغلب الأحيان كان الطلاب اليهود يدرسون اللغة العربية في حلقات الأساتذة المسلمين<sup>(1460)</sup>.

وسبب اهتمام اليهود بتعليم أولادهم اللغة العربية يرجع إلى أنها لغة العلم والثقافة في الأندلس، ومن لا يتقنها، لا يستطيع أن يأخذ حظه من علوم المسلمين. كما أنه سيعجز عن الدراسة في المعاهد اليهودية في الأندلس التي أصبحت الدراسة فيها باللغة العربية منذ عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن الذي أصدر أمراً بذلك.

ودراسة التلمود هي أعلى مرحلة في التّعليم، وهي موجهة أساساً إلى المثقفين ثقافةً عاليةً<sup>(1461)</sup>. وكان الأولاد المنتظمون في الدراسة يصلون إلى دراسة التلمود عندما يبلغون الثالثة عشرة من العمر. وتستمر دراستهم له مُدة ثلاث سنوات، ينتقلون بعدها إلى دراسة المسائل الفقهية بعمق أكبر<sup>(1462)</sup>.

IBID ,VOL.3,P.100.(1459)

ASHTOR , THE JEWS.VOL.3, P.95. (1460)

(1461) جوايتاين، دراسات، ص 117، الكواقي، اليهود في المغرب، ص 155.

ASHTOR , THE JEWS ,VOL.3,P.95. (1462)

وكان التعليم عند يهود الأندلس مقتصرًا في كلِّ مراحل على الأولاد فقط، أما الفتيات فقد كنَّ يتعلَّمن الغزل وبقية صنوف العمل المنزلي في بيوتهنَّ على أيدي أمهاتهنَّ<sup>(1463)</sup>. وتُظهر وثائق الجنيزة التي تُعبّر عن أوضاع يهود العصور الوسطى، في منطقة البحر الأبيض المتوسط وجود القليل من المدارس الخاصة بالبنات، وأنَّ المعلمين في هذه المدارس كانوا من العميان أو من النساء المتخصصات<sup>(1464)</sup>، وباختصار فإنَّ تعليم الفتيات كان سطحيًّا وضئيلاً<sup>(1465)</sup>.

إنَّ مستوى المدارس اليهودية التلمودية في الأندلس، وقابليتها لاجتذاب الطلاب كانت تختلف باختلاف مستوى المعلمين العاملين فيها. وفي القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي كانت مدرسة التلمود في أليسانه هي المدرسة التلمودية الأفضل في الأندلس، ولكن في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وبعد وصول الحبر موسى بن حنوخ إلى الأندلس تفوقت عليها مدرسة قرطبة. وصارت المدرسة التلمودية الأقدر على اجتذاب الطلاب اليهود في الأندلس، وذلك بسبب جهود حسداي ابن شبروط وموسى بن حنوخ في تطويرها.

وفي النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، كانت هناك مدارس تلمودية في عدد من مدن الأندلس، وقد كرَّس طلابها أنفسهم للدراسة باجتهاد وحماس للتعليم. وقام شاعر يهودي أندلسي في ذلك العصر بتصوير طريقة دراستهم وضجيج أصواتهم وحركاتهم أثناء الدراسة ومناقشاتهم بطريقة ساخرة<sup>(1466)</sup>.

كانت الدراسة في مدارس التلمود الأندلسية تختلف نوعاً ما عن تلك المدارس المشابهة في دول أخرى، وكان معلمو التلمود في الأندلس مشهورين بحسن طرقهم في التدريس، فبدلاً من إرهاب الطلاب وتشيتهم بالمناقشات الخلافية الكثيرة بين العلماء، اعتمدوا على تدريسهم ردود أبحار العراق، التي كانت تصلهم باستمرار، والتي تميَّزت بالوضوح، وكانت دراسة الردود تشكِّل موضوعاً رئيسياً للدراسة في مدارس الأندلس التلمودية، وكان لردود الحبر حيي مكانة خاصة. وكانت كتابات الحبر حنانيل تُقرأ أيضاً بشكل كبير<sup>(1467)</sup>.

(1463) الكواقي، اليهود في المغرب، ص 156؛

ATHOTR , THE JEWS, VOL.3,P.93.

(1464) جوايتاين، ص 177.

ASHTOR , THE JEWS, VOL.3, P.93.(1465)

ASHTOR , THE JEWS, VOL.3, P.96.(1466)

IBID, VOL.3, P.96. (1467)

نقلاً عن: RESPONSA ALFASI.NO.294 ,RESPONSA IBN MIGASH, NO.112;

ولم يكتف بعض الطلاب اليهود بالتعلم الديني داخل الأندلس، بل غادروها لتتلمذ على أيدي أحبار مشهورين يقيمون في بلدان أخرى، وكان غيابهم يستغرق سنوات عدة في بعض الأحيان، ومن الأحبار الذين توجه إليهم بعض الطلاب اليهود الأندلسيين الحبر راينو غيرشون (RABBĒNŪ GERSHŌM) الذي كان يقيم في ألمانيا<sup>(1468)</sup>.

واعتقد أن الطلاب اليهود قد أخذوا هذه العادة عن الطلاب المسلمين، الذين كانوا يرتحلون من بلد إلى آخر، للأخذ عن كبار العلماء.

وكان الطُلاب اليهود ذوي الميول نحو العلوم والأدب، يدرسون على أيدي معلمين مسلمين. ومن هؤلاء اليهود إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الإشبيلي، الذي تلقى قواعد اللغة العربية على أيدي الأساتذة المسلمين أمثال أبي علي الشلوبين، وأبي الحسن الدباج، وأصبح شاعراً وباللغة العربية بارعاً. وكان الطلاب اليهود يجلسون في حلقات العلم جنباً إلى جنب مع الطُلاب المسلمين<sup>(1469)</sup>. ويفاخرون بمعرفتهم بالنحو العربي، ويحرصون على إظهار قدراتهم فيه، يلاحظ ذلك في كثير من أشعار إبراهيم بن سهل، مثل قوله :

---

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.96-97; (1468)

نقلاً عن:

IBN AKNIN, TIBB AL-NUFUS, NO.52; SEFER HA-MAFTEAH, (VEINNA, 1847). FOLIO 25A.

(1469) المقرئ، نفخ الطيب، م2، ص307، الجالي، محروس، أبو نواس الأندلس، ابن سهل الإسرائيلي، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1986م)، ص32-33.



أموسى أيا بعضي وكلي حقيقة  
خفضت مكاني إذ جَزَمْتُ وسائلي  
وقوله :  
وليس مجازاً قولي الكلّ والبعضا  
فكيف جمعتُ الجزمَ عندي والخفضا<sup>(1470)</sup>

تنأى وتدنو والتفاتك واجدُ  
كالفعلِ يعملُ ظاهراً ومُقَدَّراً<sup>(1471)</sup>  
وقوله :

وَقَرَأْنَا بِأَبِ المَضَافِ عِناقاً  
وَحَذَفْنَا الرَّقِيبَ كالتنوين<sup>(1472)</sup>  
ويروي الشتريني أن الشاعر الأندلسي الشهير أبي عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد، كان  
أستاذاً ليهودي اسمه يوسف بن إسحاق يعلمه الشعر والأدب<sup>(1473)</sup>.

وثُبِّينُ وثائق الجنيزة أن المتعلمين من اليهود لم يقصروا اطلاعهم على الكتب الدينية فحسب،  
بل كانت لهم أيضاً اهتماماتهم الزائدة بالمواضيع العلمية المختلفة، وخاصة في مجال الفلسفة  
والعلوم<sup>(1474)</sup>.

وكان موسى بن ميمون المتوفى في مصر سنة (605 هـ = 1204 م) أحد الطلاب اليهود الذين  
تلقوا علمهم في الأندلس، إذ يقول عنه ابن العبري: «وكان قد قرأ عِلْمَ الأوائل بالأندلس،  
وأحكم الرياضيات، وقرأ الطَّبَّ هناك فأجاده»<sup>(1475)</sup>. وذكر ابن سعيد أن إسحاق بن شمعون  
اليهودي القرطبي الذي كان أحد عجائب الزمان في الاقتدار على الألحان، كان تلميذاً لابن  
باجه<sup>(1476)</sup>.

(1470) المقري، نفخ الطيب، م3، ص524.

(1471) م. ن، م3، ص525.

(1472) م. ن، م3، ص525.

(1473) الذخيرة، ق1، م1، ص233-234.

(1474) جوايتاين، دراسات، ص206.

(1475) ابن العبري، غريغوريوس الملطي، تاريخ مختصر الدول، (بيروت، ط2، 1958 م)، ص239-240.

(1476) المغرب في حلّ المغرب، ج1، ص127-128 (ترجمة رقم: 60).

وظلّ الطلاب اليهود يتلقون مختلف العلوم على أيدي الأساتذة المسلمين الأكفاء، حتى في المدن الأندلسية التي كانت تقع في قبضة النصارى الأسبان، وعن ذلك يقول المقرئ: «وكان محمد بن أحمد بن أبي بكر القرموطي المرسي من أعرف أهل الأندلس بالعلوم القديمة: المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب، فيلسوفاً طيباً ماهراً، آية الله في المعرفة بالأندلس، يُقرئ الأمم بألستهم فنونهم التي يرغبون فيها وفي تعلّمها، ولمّا تغلب طاغية الروم على مرسية، عرف له حقّه، فبنى له مدرسة يُقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود»<sup>(1477)</sup>. وكان في بياسة سنة (553هـ=1158م) عالم غرناطي يدعى عبد الله بن سهل، يحضر دروسه جمع كبير من المسلمين والنصارى واليهود<sup>(1478)</sup>.

لقد نعم الطلاب اليهود في الأندلس بخير كبير عندما تركوا يتلمذون على أيدي العلماء والأساتذة المسلمين الذين ذاع صيتهم، وبلغ حداً جعل الملك الأسباني ألفونس الكبير يستقدم عالمين مسلمين من قرطبة، ويعهد إليهما بتربية وتعليم ولده ووليّ عهده<sup>(1479)</sup>.

إنّ عدد الطلاب الموهوبين الذين أكملوا دراستهم إلى مستوى عالٍ كان قليلاً جداً، إذ أنّ معظم الطلاب المنتظمين في الدراسة كانوا ينسحبون في أعمارٍ صغيرة، ويتوجّهون إلى أعمالٍ أخرى، ولا شك أنّ ما تلقّوه من تعليم خلال الانتظام السابق في الدراسة كان يفيدهم في حياتهم الدينية والعملية. وكثيراً ما يشعر الكبار الذين لم يأخذوا بحظ وافٍ من التعليم في صغرهم بالحاجة إلى العلم وخصوصاً العلوم الدينية. فيترددون إلى البيع لحضور الدروس الدينية التي كانت تُعقد في ليالي السبت والاثنين والخميس<sup>(1480)</sup>. وفي بعض الأحيان كان الرّاغبون في التعلّم من أولئك الرجال يعقدون اتفاقاً مع أحد العلماء ليقوم بتدريسهم مقابل أجرٍ مُعيّن وفي أحد الأسئلة الموجهة إلى الأحرار في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، هناك ذكرٌ لاتفاقٍ حصل بين خمسة رجال في إحدى الطوائف اليهودية في الأندلس، وبين معلّم جاء من بلدٍ آخر، وتعهّد بإعطائهم الدروس في كلّ أيام الأسبوع<sup>(1481)</sup>.

(1477) نفخ الطيب، م4، ص130.

(1478) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص400.

(1479) رينو، الفتوحات الإسلامية، ص268.

(1480) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.98.

جواتيائين، دراسات، ص155.

(1481) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.99.

وقد اهتم العلماء اليهود بالجانب النظري التربوي فناقشوا هذه المسألة في كتاباتهم ومؤلفاتهم، إذ تطرّق موسى بن ميمون في كتابه «كتاب المعارف» للطرق التي يمكن بواسطتها دراسة الشريعة اليهودية<sup>(1482)</sup>.

وكتب الحبر يهودا بن صاموئيل بن عباس المعروف لدى المسلمين بأبي البقاء بن يحيى بن عباس المغربي الأندلسي<sup>(1483)</sup> رسالة حول التعليم<sup>(1484)</sup>. ويمكن أن نعرف الآراء التربوية لأبي البقاء من خلال ما سجله ابنه السموءل بن يحيى بن عباس في كتابه: «بذل المجهود في إفحام اليهود» الذي ألفه بعد أن أسلم، وكتاب «الباهر في الجبر» الذي يقول فيه: «وشغلني أبي بالكتابة بالعلم العبري ثم بعلوم التوراة وتفاسيرها، حتى إذا أحكمت علم ذلك عند كمال السنة الثالثة عشرة من مولدي شغلني حينئذ بتعلم الحساب الهندي، وحل الزيجات عند الشيخ الأستاذ العالم أبي الحسن الدسكري. وقرأت علم الطب على الفيلسوف أبي البركات هبة الله بن علي... والتأمل في علاج الأمراض ومشاهدة ما ينفع من الأعمال الصناعية في الطب والعلاجات... فأما الحساب والربح فإني أحكمت علمهما... حينما كمل بي أربع عشرة سنة»<sup>(1485)</sup>. وفي كتابه «بذل المجهود في إفحام اليهود» يقول: «وقد كنت قبل اشتغالي بهذه العلوم، وذلك في السنة الثانية والثالثة عشرة معتنياً بالأخبار والحكايات، شديد الحرص على الاطلاع على ما كان في الزمن القديم، والمعرفة بما جرى في القرون الخالية. فاطلعت على التصانيف المؤلفة في الحكايات والنوادر على اختلاف فنونها، ثم انتقلت عن ذلك إلى محبة الأسمار والخرافات الطوال، ثم إلى الدواوين الكبار، مثل ديوان أخبار عنترة... وطلبت الأخبار الصحيحة فمالت نفسي إلى التواريخ، فقرأت كتاب مسكويه الذي سماه «تجارب الأمم»، وطالعت تاريخ الطبري وغيرها من التواريخ...»<sup>(1486)</sup>.

(1482) الكواتي، اليهود في المغرب، ص 156.

(1483) عن كونه أندلسي، ينظر: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 217.

(1484) السموءل بن يحيى، بذل المجهود، ص 4؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 217.

(1485) السموءل بن يحيى، الباهر في الجبر، تحقيق وتحليل: صلاح أحمد، ورشدي راشد، (دمشق، مطبعة الجامعة، 1972)، المقدمة، ص 6.

(1486) السموءل بن يحيى، بذل المجهود في إفحام اليهود، ص 6-7.

إنَّ الطريقةَ التي تعلَّم بها السَّموءل لم تكن على ما يبدو تشمل كلَّ أبناء اليهود ولكنَّها تُمثِّل نموذجاً لتعليم أبناء الشخصيات المرموقة. وأمَّا الطريقة المُثلى التي وردت في كتاب والده النظري حول التعليم فيمكن إيجازها فيما يلي: في سنِّ الثالثة يبدأ الطفل بتعلُّم القراءة، وفي الرَّابعة والنَّصف يدرس الأبواب الأولى من التوراة. وعندما يصل الطفل سنَّ السادسة والنصف عليه أن يدرس أسفار موسى الخمسة متبوعة بالترجمة الآرامية التي تُعدُّ مدخلاً لدراسة التلمود، وبعدها تأتي دراسة أسفار الأنبياء. وحينما يصل الطفل الثالثة عشرة تبدأ عملية تدريسه النحو من كتب المتخصصين في هذا الميدان كابن جناح، وداود القمحي، ويهود حيوز، وأبراهام بن عزرا، وذلك بموازية دراسة التلمود، حيث يبدأ التلميذ بالفصل البابلي. وفي الثامنة عشرة يتزوَّج الطالب، وحينئذٍ يشتغل بدراسة العلوم كالطب والفلسفة والفلك والميكانيكا والموسيقى، وتُدرس جُلُّ هذه المواد من كتب علماء المسلمين<sup>(1487)</sup>.

وفي التربية النظرية أيضاً، ألَّفَ الحبر اليهودي يوسف بن أكنين كتاب «طب النفوس» باللغة العربية، وكتبه بالحروف العبرية، وتحدث فيه عن المعلم المثالي، والتلميذ النجيب. وأفردَ الفصل السابع عشر لفصائل المعلم والتلميذ، وهو على ما يبدو قد اطلع على كتاب محمد بن سحنون «آداب المعلمين». وتأثر به، وأخذَ عنه في كثيرٍ من الفصول<sup>(1488)</sup>.



(1487) الكواقي، اليهود في المغرب، ص 157.

(1488) م. ن، ص 157.

## المبحث الثاني النشاط اللغوي والأدبي لليهود في الأندلس

كانت اللغة العبرية زمن الفتح الإسلامي للأندلس لغة مهمة، ليس بين يهود الأندلس فحسب، ولكن بين اليهود في جميع بلدان العالم، إذ كان اليهود في معظم الأحيان لا يستعملون هذه اللغة إلا في بيعهم وصلواتهم. وكان كثير منهم لا يفهمون الترانيم والطقوس التي يؤدونها بها، ولذلك كانوا يستمعون إلى التوراة في بيعهم مترجماً إلى الآرامية<sup>(1489)</sup>.

وقد بدأ إهمال اليهود للعبرية في أعقاب السبي البابلي لهم (539 ق.م) البابلي لهم، إذ صارت الآرامية هي اللغة التي يستعملونها في الحياة اليومية، وتوقّف الإنتاج الأدبي اليهودي باللغة العبرية، وانتهى أمرها كلغة حية بين اليهود. ومنذ تلك العصور وحتى القرن الرابع الهجري/ العشر الميلادي لم يطرأ تطور إيجابي يستحق الذكر على قواعد هذه اللغة وآدابها. بل إنّ اللغة القديمة التي كتبت بها التوراة قد تأثرت بعد السبي البابلي باللغات الآرامية واليونانية والفارسية، وأدخلت إليها مصطلحات وتراكيب من تلك اللغات جعلتها لغة مختلفة. وهذه اللغة الجديدة هي التي كتب بها يهوذا الناصي المنشأ في القرن الثاني الميلادي<sup>(1490)</sup>.

وقد ظلّت اللغة العبرية في جميع البلدان التي تفرّق فيها اليهود، على حالها من الترك والإهمال إلى أن اختلط اليهود بالمسلمين، وتعلّموا اللغة العربية وقواعدها وآدابها وقوموا بها ألسنتهم وأذواقهم، ورأوا كيف يخدم المسلمون لغتهم من منطلق ديني باعتبارها لغة القرآن الكريم والحديث الشريف. فقرّروا خدمة لغة كتبهم المقدّسة، بوضع قواعد لها على طريقة المسلمين في خدمة لغتهم العربية<sup>(1491)</sup>.

---

(1489) راشد، سيد فرج، «دور الحضارة الإسلامية في تكوين الأدب العبري في الأندلس»، مجلة «المنهل»، (م: 45)، ذو العقدة/ ذو الحجة، 1304هـ-1983م)، ص 118؛ شحان، أحمد، «تأثير الآداب العربية في الآداب العبرية»، دراسات مغربية في الفلسفة والتراث والفكر العربي الحديث، مهداة إلى المفكر المغربي محمد عزيز الجناي، (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1985م)، ص 174؛

ينظر: هنداي، إبراهيم موسى، الأثر العربي في الفكر اليهودي، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1963م)، ص 5.  
(1490) راشد، «دور الحضارة الإسلامية في تكوين الأدب العبري في الأندلس»، مجلة «المنهل»، (م: 45)، ذو العقدة/ ذو الحجة، 1304هـ-1983م)، ص 118.

(1491) هنداي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 26-27؛  
ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.383-384,  
NEHMAN, THE JEWS IN SPAIN, VOL.2, P.98. ينظر:

وكان النحو العبري قد نشأ في العراق على يدي سعديا بن يوسف الفيومي (ت: 279هـ=892م)، الذي كان رئيساً لمدرسة سورا. إذ ألف أول معجم عبري في تاريخ اللغة العبرية، إضافة إلى كتاب آخر من اثني عشر جزءاً ينظم قواعد اللغة العبرية، سمّاه «كتاب اللغة» وكتبه بالعربية<sup>(1492)</sup>.

وبالرغم من أن النحو العبري لم ينشأ في الأندلس، إلا أن الدراسات النحوية واللغوية لم تنهض وتزدهر وتصل إلى مرحلة النضوج إلا على أيدي يهود الأندلس<sup>(1493)</sup>.

وأول عالم لغوي نحوي ظهر في الأندلس هو «مناحيم بن ساروق الطرطوشي» (298-349هـ=910-960م) الذي اتصل بحسداي بن شبروط وزير الخليفة عبد الرحمن الناصر في قرطبة وصار سكرتيراً له. وفي تلك المدة التي تمتع فيها مناحيم بعطف حسداي وتشجيعه أنتج إنتاجه الفكري الذي هيا له مكاناً رفيعاً في تاريخ الفكر اليهودي، وأهم أعمال مناحيم اللغوية، المعجم العبري الذي يُسمى «محبريت» أي التفسيرات، ويُعدُّ هذا المعجم أول عمل لغوي في العبرية يغطّي جميع مفردات الكتاب المقدس<sup>(1494)</sup>. والكتاب مقدّم بمقدمة طويلة عن النحو العبري، وطريقته في التأليف هي طريقة نحاة العرب، وقد أفاد هذا الكتاب كثيراً العلماء اليهود في أوروبا، وكان سبباً في قيامهم بدراسات لغوية مستفيضة؛ لأنه كان الكتاب النحوي الأول الذي كتب باللغة العبرية، إذ أن مؤلفات اليهود النحوية كانت تكتب وقتئذٍ باللغة العربية<sup>(1495)</sup>.

وهناك معاصر لمناحيم يدعى دُوناش بن لَبْرَاط هاليفي، وهو أحد أفراد عائلة هاجرت إلى مراكش من بغداد، وقد ولد في فاس سنة (308هـ=920م)، وتلقى فيها تعليمه، ثم أرسل إلى العراق حيث تعلم على يدي سعديا الفيومي، ودرس اللغة العربية والأدب العربي دراسة مكثته من معرفة فنونه. وقد أعجب بعلوم العربية وآدابها إعجاباً جعله ينصح اليهود في بيت شعر كتبه بالعبرية ليتعلموا العربية، يقول فيه:

(1492) هندواي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 8.

(1493) م. ن، ص 9.

(1494) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.247.

هندواي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 10. ينظر: بالثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 488-489.

(1495) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.249.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VO1.2, P.634.

فلتكن الكتب المقدسة جئتُك

ولتكن الكتب العربية فردوسك

ثمَّ عاد إلى مراكش، وعندما سمع بالدعم الذي يُقدِّمه حسداي بن شبروط للعلماء اليهود سافر إلى قرطبة، وسرعان ما لمع اسمه بين المثقفين اليهود فيها قرطبة، حيث كان يكتب الشعر باللُّغة العبرية على بحور الشعر العربي، وكان رائد هذا التطوير في الشعر العبري<sup>(1496)</sup>. وقد تزامن بروز دوناش مع طرد مناحيم من قرطبة، حيث غضب عليه حسداي بسبب آرائه القرائية، وأمر بضربه وطرده، فعاد إلى طرطوشة التي جاء منها<sup>(1497)</sup>، ووقعت النسخة الأصلية من كتاب مناحيم «التفسيرات» في يد دوناش، فقرأه، وكتب له نقداً سَمَّاه «الردود» وهو كتاب عظيم الأهمية لأنه مكتوب بأسلوب شعري، ويعدُّ أوَّل شعرٍ تعليمي نحوي في الأدب العبري<sup>(1498)</sup>.

وعمل دوناش هذا يدل على أنَّ النحو العبري قد وصل في الأندلس إلى متقدمة من الكمال، وقد شغل دوناش مكانةً رفيعةً في تاريخ النحو العبري. وكان لكلِّ من مناحيم ودوناش تلاميذ، وكلُّ فريق يناصر أستاذه، ويدافعُ عنه بأسلوبٍ جديٍّ علمي كان له أثر كبير في تقدم دراسة النحو واللغة، وتكوَّنت لكل منهما مدرسة، وكانت المجادلات بين تلاميذ كلِّ مدرسة مستمرة<sup>(1499)</sup>.

وقد تولَّى الرَّد على كتاب دوناش ثلاثة من تلاميذ مناحيم البارزين هم إسحاق بن جقطلة وإسحاق بن قبرون ويهودا بن ديفيد، وقد شاركوا في تأليف كتاب سَمَّوه «الرد على الرد»، دافعوا فيه عن آراء أستاذهم، وقد أهدوا كتابهم إلى حسداي بن شبروط. وخدم عملهم هذا اللغة العبرية والنحو العبري في شرح النظريات النحوية العبرية، لكنه لم ينتج مادةً جديدةً زيادة على ما وصل إليه مناحيم ودوناش<sup>(1500)</sup>.

(1496) هنداي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 10؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 27؛ ينظر: بالثيا 'تاريخ الفكر

الأندلس، ص 489. ASHTOR, THE JEWS, VO1.1, P.254.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.250-251; (1497)

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VO1.2, P.634.

(1498) هنداي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 10.

(1499) م. ن، ص 11؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.258-261.

ينظر: عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 30.

(1500) هنداي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 11.

ASHTOR, THE JEWS, VOL ,1 P. 258-260;

ولم ينته الجدل الفكري حول منهجية النحو العبري بين مفكري الأندلس، إذ قام أحد تلاميذ دوناش ويدعى يهودي بن شيشث بالردّ على تلاميذ مناحيم بأسلوب هجائي شعري. وهكذا استمرّ الجدل الأدبي وأثار المشاعر في الحلقات الفكرية اليهودية في الأندلس. وانقسم المثقفون في هذه الحلقات إلى فريقين، فريق يؤيّد مناحيم وتلاميذه، والآخر يؤيّد دوناش وتلاميذه، وراح كل فريق يبحث عن الحجج والأدلة لمناقضة معارضيّه، فأتسع مجال المعرفة<sup>(1501)</sup>.

استمرّ النحو العبري بالتطوّر والازدهار على يدي أحد تلاميذ مناحيم بن ساروق، وهو أبو زكريا بن داود المشهور بيهودا بن حيوج<sup>(1502)</sup>، الذي وُلِدَ في مدينة فاس سنة (360هـ=970م)، ثم انتقل إلى قرطبة حيث عاش وتلقّى تعليمه فيها<sup>(1503)</sup>. وقد نال الشهرة في نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وكان له تلاميذ كثير، من بينهم إسماعيل بن نغدة ومروان بن جناح. وكان حيوج مشهوراً عند النحاة العبريين المتأخرين بأنه مؤسس الدراسات العلمية للنحو العبري<sup>(1504)</sup>. وقد ظهر حيوج في الوقت الذي ازدهرت فيه الثقافة العربية في الأندلس، فتأثر بذلك، إذ يقول الشاعر اليهودي الأندلسي موسى بن عزرا الذي عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي: «ولما افتتح العرب جزيرة الأندلس تفهمت جاليتنا بها بعد مدة أغراضهم، ولقنت بعد لأيٍ لسانهم، وبرعت في لغتهم، وتفظنت لدقة مراميمهم، وتمرنّت في حقيقة تصارييفهم، وأشرفت على ضروب أشعارهم، حتى كشف الله لهم من سر اللغة العبرانية ونحوها، واللين والإقلاب والحركة والسكون والبدل والإدغام وغير ذلك من الوجوه النحوية، مما قام عليه بُرهان الحق، وعُضده سلطان الصدق، على يدي أبي زكريا يحيى بن داود حيوج»<sup>(1505)</sup>.

(1501) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 11؛

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1 P.260;

(1502) بالنشأ، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 489؛

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.386-387;

DUBNOV HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.635; (1503)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.386-387.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.391; (1504)

هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 11-12.

(1505) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 12؛ الكواشي اليهود في المغرب، ص 163.



ويقول أشتور: «كان أبو زكريا حيوج مشهوراً بذهنه التحليلي، وأفكاره الدقيقة، وعند اتباعه لخطوات النحاة العرب، أوضح بأن الأفعال العبرية ثلاثية الجذور أيضاً. وكان ذلك اكتشاف غاية في الأهمية. فبضربة واحدة أثار حيوج ظلمة كل المشكلات التي تحدت النحاة، حتى جاء هو، فافتتح عصراً جديداً لعلم اللغة العبرية لكنّ الفضل في هذا لا يعود إلى حيوج وحده. إذ أنه اعتمد على مناهج النحاة العرب، لكنه وبفضل غريزته اللغوية عرف إلى أي مدى كان بالإمكان تطبيق هذه المناهج على لغة أخرى»<sup>(1506)</sup>.

وأهمّ مؤلفات حيوج في النحو العبري، هي: «كتاب حروف اللين»، وكتاب «الأفعال ذوات المثليين»، وهذان الكتابان اللذان صارا عملاً أساسياً للنحو العبري، أصبحا مرتبطين باسم مؤلفهما، وسُمّيا كتابي حيوج. وقد تُرجمتا من العربية إلى العبرية ثلاث مرّات، وأُعيدت صياغتهما مرّات عدّة. كما صدرت رسالة أخرى بقلم حيوج تتعلّق بقوانين التلّفّظ، واسم هذا الكتاب بالعربية «كتاب التنقيط»، ورسالة رابعة تحمل اسم «كتاب التّف» وهو كتاب في التفسير اللغوي<sup>(1507)</sup>.

إضافة إلى أعمال أخرى بدأها ولم يكملها، إذ توفي في ذروة شبابه في العقد الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. وعلى الرغم من عدم تمكنه من إكمال بعض كتبه، إلّا أنّ إنجازاته الكبيرة جعلت علماء الأجيال اللاحقة يقدرونه، ويُجمعون على أنه أبو النحو العبري<sup>(1508)</sup>.

THE JEWS, VOL.1, P.388. (1506)

IBID, VOL.1, P.389-39; (1507)

ينظر: هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 13؛

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.635.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.391; (1508)

ينظر: هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 11-12.

بعد موت حيوج برز في مجال النحو العبري أحد تلاميذه النُجباء، وهو أبو الوليد مروان بن جناح، ويُسمّى بالعبرية «الحاخام يوحنا». ويسمّيه النصاري «يونا» أو مرينوس (MERINOS)، وقد ولد في قرطبة سنة (380هـ=990م)، وعاش في بيئتها العلمية المزدهرة ثم تركها سنة (403هـ=1012م) بسبب الحرب الأهلية التي أعقبت سقوط الخلافة، واستقرّ في أليسانة، ثم انتهى به المطاف في سرقسطة، فأقام فيها بقية حياته، وألف فيها مؤلفاته في اللغة والنحو، ومات عام (447هـ=1055م)<sup>(1509)</sup>.

تميّزت أعمالُ ابن جناح في النحو العبري، وكانت غزيرة تحمل كثيراً من الإبداع، وقد أعانه على ذلك تضلّعه من اللغة العربية، وإتقانه لقواعدها، ودراسته لأمّهات كتب النحو العربي ككتاب سيبويه<sup>(1510)</sup>، ويقول فيه ابن أبي أصيبعة: «كان...يهودياً وله عناية بصناعة المنطق، والتوسّع في علم لسان العرب واليهود»<sup>(1511)</sup>.

ومن أهمّ مؤلفات ابن جناح النحوية كتاب «المستلحق» الذي ينقد فيه كتابي الأفعال ذوات المثليين، والأفعال ذوات حروف اللين لحيوج، ويضيف إليهما<sup>(1512)</sup>. وكتاب «التشوير» الذي يرد فيه على كتاب «رسائل الرفاق» الذي ألفه إسماعيل بن نغدله وأنصاره دفاعاً عن آراء أستاذهم حيوج الذي انتقده ابن جناح<sup>(1513)</sup>. وكتاب «التنبية» الذي يردّ فيه على كتاب «الاستيفاء» الذي ألفه خصومه في سرقسطة، وانتقدوا فيه كتاب «المستلحق»<sup>(1514)</sup>.

(1509) بالنشأ، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 489؛ هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 18؛  
DUBNOV HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.635-636;  
ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.12-13.

(1510) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 18؛ ينظر: المقري، نفح الطيب، م 3، ص 525.

(1511) عيون الأنباء، ص 498.

(1512) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 21؛

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.19.

(1513) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 22؛

ينظر: بالنشأ تاريخ الفكر الأندلسي، ص 492؛

DUBNOV HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P. 636.

(1514) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 22-23؛

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.20-21.

ورسالة «التقريب والتسهيل» المخصّصة لتسهيل فهم المبتدئين لكتابي حيوج السالفي الذكر. وكتاب «التسوية» الذي يرُدُّ فيه على جدالٍ حدث في بيت صديقه أبي سليمان بن طراقة بسرْقطة، وهو جمت فيه آراؤه من قبل أنصار إسماعيل بن نغدله<sup>(1515)</sup>. وكتاب «التنقيح» الذي يُعدُّ أهمَّ مؤلفاته على الإطلاق<sup>(1516)</sup>. وقد ألفه وهو في سنِّ الشيخوخة، وقسّمه إلى كتابين، سمّى الأول كتاب «الأصول»، وهو معجم شامل لِلِغَةِ الكتاب المقدّس، وسمّى الثاني كتاب «اللّمع»، وهو يُعدُّ الكتاب العلمي الجامع للنحو العبري بعد أن بلغ أوج نضوجه وازدهاره<sup>(1517)</sup>.

وتُظهر كتابات ابن جناح الأثر العربي الكبير في فكره وأسلوبه<sup>(1518)</sup>. ومما يدلُّ على ذلك أنّه بدأ كتابه «اللّمع» على طريقة الكتاب المسلمين حيث يقول فيه: «الحمد لله الذي خلق الإنسان، فعَلَّمَهُ النُّطْقَ، وهَدَاهُ إِلَى الإِقْرَارِ بِرَبوبيّته، والإِعْلَانِ بِوحدانيّته، فأَوْضَحَ لَهُ سَبِيلَ الْهَدْيِ، واستَنْقَذَهُ مِنْ طَرِيقِ الرَّدْيِ، وَخَصَّ اللُّغَةَ الْعَبْرِيَّةَ بِالْفَضْلِ وَالْمِيزَةِ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ اللُّغَاتِ، فَأَنْزَلَ بِهَا كِتَابَهُ الْمُقَدَّسَةَ، وَأَبَانَ بِهَا شَرَائِعَهُ الْمُطَهَّرَةَ، أَحْمَدَهُ حَمْدًا يَبْلُغُ رِضَاهُ، وَيُوجِبُ الْإِلْفَةَ لَدَيْهِ، وَالْقُرْبَةَ مِنْ رَحْمَتِهِ»<sup>(1519)</sup>. وأنّه يقول في موضع آخر من الكتاب نفسه: «وما لم أجد عليه شاهداً مما ذكرته، ووجدتُ الشَّاهِدَ عَلَيْهِ مِنَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، لَمْ أَتَحَرَّجْ مِنَ الاسْتِشْهَادِ بِوَاضِحِهِ، وَلَمْ أَتَحَرَّجْ مِنَ الاسْتِدْلَالِ بِظَاهِرِهِ، كَمَا يَتَحَرَّجُ مِنْ ضَعْفِ عِلْمِهِ، وَقَلِّ تَمْيِيزِهِ مِنْ أَهْلِ زَمَانِنَا، لَا سِيَّما مَنْ اسْتَشْعَرَ مِنْهُمْ التَّقَشُّفَ، وَارْتَدَى بِالتَّوَدُّينِ مَعَ قِلَّةِ التَّحْصِيلِ لِحَقَائِقِ الْأُمُورِ»<sup>(1520)</sup>.

ومثلما اتخذ النحاة المسلمون القرآن الكريم والحديث الشريف أساساً يعتمدون عليه في دراسة النحو العربي، ويستشهدون بهما للتدليل على قواعد لغتهم، ويستخدمون مهارتهم في اللغة لخدمة تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف والتعرّف على أسرارهما،

(1515) هنداي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 23-24؛

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.21-24.

(1516) بالثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 489.

(1517) هنداي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 25-26؛

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.26-28.

(1518) ينظر: بالثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 492.

(1519) الكواشي، اليهود في المغرب، ص 161.

(1520) هنداي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 28.

فعل ذلك ابن جناح، حيث يقول: «وأنا مزِيعُ أن أستشهد على شرح بعض الأصول بما أمكنني من الموجود في التوراة، وما لم أجِدْ عليه شاهداً من التوراة استشهدتُ عليه بما حضرنِي من التلمود»<sup>(1521)</sup>، ويقول أيضاً: «ولما كانت منزلة علم اللسان أنه العلم الجليل النظر، العظيم القدر المؤدي إلى علم كلام الله، المعين على العمل بأمره ونهيه، المزلف إلى ثوابه، المبعد عن عقابه، اعتقدنا أن نؤلف في ذلك كتاباً نجمع فيه أبواباً تشتمل على أكثر علم اللغة»<sup>(1522)</sup>.

وتأتي أهمية مؤلفات ابن جناح من أن معظمها قد وصل إلينا، وأسهم في خدمة اللغة العبرية المعاصرة، بعد أن أخذت هذه المؤلفات حظّها من العناية والاهتمام، فترجمت إلى العبرية ونشرت، وكان معظمها قد أُلِفَ بالعربية، واستخدمت الحروف العبرية في كتابتها<sup>(1523)</sup>.

لقد أحدثت مؤلفات حيوج وابن جناح من بعده نهضة لغوية في دراسة اللغة والنحو العبري. واستمرّ عدد من العلماء الذين جاءوا من بعدهم في الدراسة والبحث، ومن أشهر هؤلاء العلماء:

إسماعيل بن نغدله (383-447هـ=993-1055م)، الذي يُعدّ كتابه «الاستغناء» ذو العشرين جزءاً أهم مؤلفاته في النحو العبري، غير أن أعظم ما قدّمه ابن نغدله لهذه اللغة هو تشجيعه للعلماء والنحاة اليهود على البحث والتأليف، مستغلاً مناصبه وأمواله.

وسليمان بن جايبرول (414-463هـ=1023-1070م) صاحب الكتاب النحوي الشعري المختصر، الذي يتحدّث عنه بالنشأ بقوله: «ولا يظهر الأثر العربي في كبار مؤلفات ابن جايبرول فحسب، بل يتجلّى كذلك في كتاباته الصغيرة، كما نرى في النحو العبري الذي نظمته في قصيدة عبرية صاغها في بحر الرجز العربي، تتألّف من أربعمئة بيت، وهو يتحرّس فيها على انصراف إخوانه في الدين من أهل سرقسطة عن لغتهم المقدّسة، ويُسميهم «الجماعة العمياء»»<sup>(1524)</sup>.

(1521) م. ن، ص 27.

(1522) م. ن، ص 27؛

ينظر: فرج، القدس، ص 135.

(1523) هنداي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 26.

(1524) بالنشأ، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 493-494.

ينظر: NEHMAN, THE JEWS IN SPAIN, VOL.2, P.98.

ويهودا هاليفي صاحب الكتاب المشهور كوزاري، الذي خَصَّصَ جزءاً منه لعلم الصوت وبُنية النحو العبري<sup>(1525)</sup>.

وموسى بن جقطلة الذي ترجم كتب حيوج إلى اللغة العبرية، وألف كتاب «المذكر والمؤنث»، وعاش حياته في سرقسطة بعد أن ارتحل عن قرطبة على إثر الاضطرابات الأهلية فيها.

ويهودا بن بلعام الذي ولد في طليطلة واستقرَّ في إشبيلية وتوفي سنة (494هـ=1100م)، وكتب عدداً من المقالات في النحو واللغة بعنوان: «ما تشابه لفظه واختلفت معناه»، و«كتاب الحروف»، وكتاب في الحركات والنبرات يُعرَف باسم: «المرشد لقراء الكتاب المقدس».

ومن هؤلاء النحويين أيضاً إسحاق بن يشوش الطليطلي الذي ألف كتاباً في التصاريف، وداود بن هاجر الغرناطي الذي ألف كتاباً في الحركات. وليفي بن التبان السرقسطي صاحب كتاب «المفتاح». وابن بارون صاحب كتاب «الموازنة» الذي يبين العلاقة بين اللغتين العربية والعبرية<sup>(1526)</sup>. وموسى بن يعقوب بن عزرا الذي ولد في غرناطة بين السنوات (447هـ-459هـ=1055-1060م) وسط عائلة غنية، وتلقى تعليماً متنوعاً، وتضلَّع من اللغة العربية وآدابها، ثمَّ تغيَّرت حاله فاعتزل الناس، وابتعد حتى عن أبنائه، وفي النهاية غادر غرناطة سنة (488هـ=1095م) نحو أسبانيا النصرانية، وظلَّ فيها يعيش حياة الوحدة والضياع والفقر إلى أن توفي في العقد الرابع من القرن الثاني عشر الميلادي<sup>(1527)</sup>.

وكان كتابه «المحاضرة والمذاكرة» أهم أثر نحوي تركه ابن عزرا، وقد تحدَّث عنه أحد المهتمين بالدراسات اليهودية المعاصرة بقوله: «كتابٌ فريدٌ من نوعه، ولم يعرف تاريخ التأليف العبري مثيلاً له... وقد اهتمَّ بالشَّعر العبري، إلّا أنه اتخذ له الثقافة العربية أساساً لهذا التأليف، إذ تناول الشعر والأدب عامّة، سواء العربي أو العبري، وكان للتاريخ فيه حظ كبير أيضاً، وهو غنيٌّ بتراجم الأدباء والكتاب، ولم يترك موضوعاً من مواضيع اللغة والنحو والفلسفة والأخلاق إلّا واهتمَّ به<sup>(1528)</sup>».

(1525) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 14.

(1526) هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 14-15.

(1527) شحلان، أحمد، «من الأدب العربي-العبري»، أبو هارون موسى بن يعقوب بن عزرا وكتابه المحاضرة والمذكّرة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (الرباط، جامعة محمد الخامس، العدد 10، سنة 1984م)، ص 64.

(1528) م. ن، ص 69، وعن محتوى كتاب «المحاضرة والمذاكرة» ينظر: بيريز، هنري، اللُّغة العربية وسكان الأندلس في القرون الوسطى، (الجزائر، 1959م)، ص 15.

ولما كانت المؤلفات النحوية واللغوية العبرية التي كتبها علماء اليهود في الأندلس قد كتبت معظمها باللغة العربية، فإنها لم تؤثر التأثير المطلوب في البلدان الأخرى التي لا تعرف العربية. ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى التفكير في ترجمة هذه المؤلفات إلى اللغات الأخرى وخاصة إلى اللغة العبرية<sup>(1529)</sup>.

وممن كان لهم الفضل في نقل هذا التراث الفكري اليهودي، أبراهام بن عزرا الذي نشأ في طليطلة (486-563هـ=1093-1167م)، وكان منذ حداثة متعطشاً إلى العلم، فأخذ يتجول في البلاد، وبذلك كان الواسطة بين الأندلس والممالك النصرانية الأخرى في نقل المعرفة، واستقر مدة من الزمن في روما، وهناك بدأ نشاطه الفكري في التفسير والنحو والشعر. ويُعدّ أبراهام بن عزرا أول من نقل المعارف النحوية التي نضجت في الأندلس إلى أوروبا<sup>(1530)</sup>.

وقد تمّ نقل هذه المعارف بواسطة مؤلفات لغوية عدّة ألفها باللغة العبرية التي يفهمها المثقفون اليهود هناك، واعتمد في تلك المؤلفات اعتماداً كبيراً على كتابات يهود الأندلس المؤلفة باللغة العربية. وقد حذا تلاميذ أبراهام حذوه في نقل هذا التراث، ومن أولئك التلاميذ سليمان بن برحون<sup>(1531)</sup>.

وكان لأبراهام بن عزرا ابن يُدعى إسحاق، ورث عن أبيه حبّ التجول والترحال، وقد ولد في الأندلس، ورحل إلى مصر بعد دخول الموحدين إلى الأندلس، ومن مصر هاجر إلى العراق، حيث نزل ضيفاً على العالم اليهودي الشهير نتانئيل بن علي المعروف بأبي البركة هبة الله. وفي بغداد ترجم إسحاق إلى العربية شرح نتانئيل لسفر الجامعة حوالي سنة (538هـ=1143م)، وفي هذه السنة اعتنق نتانئيل الإسلام، وتبعه إسحاق وأعلن إسلامه. ومات إسحاق مسلماً قبل وفاة والده أبراهام بن عزرا، وسمع الوالد نبأ وفاة ولده بعد ثلاث سنوات، فرثاه بقصيدة مطلعها:

(1529) هنداي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 15.

(1530) م. ن، ص 15، جلال، الأدب العبري الحديث، ص 139؛

DUBONV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.743-744.

(1531) هنداي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 15-16.

يا أبا الولد اقترب وارثه

لأنَّ الله أبعدُه عنك (1532)

كما أسهم في نقل الفكر اليهودي اللغوي وغيره، العلماء اليهود الذين أصبحوا يعيشون تحت الحكم الأسباني بعد أن سقطت مدنهم في أيدي القوات الأسبانية، وأولئك الذين هاجروا إلى الأندلس، أمثال العلماء من أفراد أسرتي «قمحي»، و «تبون» الذين نزحوا عن الأندلس، واستقروا في فرنسا، حيث أقام أولئك العلماء في تلك البلدان مراكز جديدة للفكر اليهودي، وصاروا أساتذة يدرّسون الطلاب اليهود وغيرهم من الأوربيين كل ما تعلّموه في الأندلس على أيدي أساتذتهم المسلمين. وكل ما توصّلوا إليه من علوم في ظلّ البيئة العلمية والحرية الفكرية، التي وفّرتها للجميع دولة الإسلام في الأندلس (1533).

أمّا في المجال الشعري، فقد نهض يهود الأندلس بالشعر العبري، ونقلوه إلى مستوى لم يعرفه الأدب العبري من قبل، فبعد أن كان مقتصرًا على المجال الديني، وخاليًا من الوزن أو القافية صارَ موزونًا متعدّد الأغراض (1534). وقد قلّد الشعراء اليهود وهم يكتبون أشعارهم الشعر العربي الذي سمعوه من المسلمين، وقرأوه في كتبهم، فأحبّوه وحفظوه واستشهدوا به في مؤلفاتهم، وقرضه بعضهم فأنتجوا أجمل الأشعار.

يقول يهوذا الحريزي في كتابه «تحكموني»: «اعلموا أنّ الشعر الرائع الذي يمتلئ بالنفائس والروائع هو من ممتلكات العرب في البداية، واستطاعوا رَأَب كل صدع فيه، وأنّ يزنوه بموازن عادلة، وأن يضعوه في مكانته، بل وأثروا به على غيرهم، فنجدهم قد بنوا أساقفه، وشذبوا قصوره، وأقاموا مصاريعه، ولهم اليد الطولى بين شعراء الدنيا» (1535). ويقول أيضًا: «أقام العديّد من اليهود بعد النفي، بين العرب في أقطارهم، وسلّكوا الحديث بلغتهم، والنطق بنطقهم، وفي اختلاطهم بهم تعلّموا عنهم صنعه الشعر، فعندما كان يسكن أبائنا الأرض المقدّسة لم يعرفوا الشعر الموزون باللّغة العبرية، فلا يوجد في أسفار أيوب والأمثال والمزامير إلّا بعض الفقرات القصيرة، تشبه أبيات الشعر، ولكنها بلا قافية أو وزن» (1536).

(1532) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 85؛ DOUNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.743-744.

(1533) ينظر: هنداي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 17.

(1534) فرج، القدس، ص 137؛ ينظر: هنداي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 75-86.

(1535) فرج، القدس، ص 146.

(1536) م.ن، ص 147.





وقد أوردت المصادر التاريخية والأدبية الإسلامية نماذج من الأشعار التي قرصها الشعراء اليهود في الأندلس، نذكر بعضاً منها، حتى يتبين أثر الأدب العربي والثقافة الإسلامية في فكر وذوق وفن هؤلاء الشعراء.

يقول نسيم الإسرائيلي:

يا ليتني كنت طيراً  
أطيرُ حتى أراك  
بمن تبدلت غيري  
أولم تحل عن هواك<sup>(1537)</sup>.

ويقول إسحاق بن شمعون اليهودي القرطبي:

قُم هاتِ كأسك فالنعيم قد اتسق  
والعود عن داعي المسرة قد نُطق  
ولديك من حث الكؤوس أزهراً  
في الخزيمرح كالأراك في الورك  
ويقول إسماعيل بن نغدله:

يا غائباً عن ناظري لم يغب  
عن خاطري رفقا على الصب  
فماله في البعد من سلوه  
وماله سؤل سوى القرب<sup>(1538)</sup>

وكان صاحب أروع شعر كتبه يهود الأندلس هو أبو إسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الإشبيلي (ت: 649هـ=1251م)، الذي حار أهل زمانه في حقيقة ديانته<sup>(1539)</sup>. والذي جعلنا أشعاره المتناقضة غير قادرين على الجزم بحقيقة العقيدة التي يخفيها صدر هذا الرجل. فقد كتب ابن سهل جُلَّ أشعاره في فتى يهودي اسمه موسى كان يحضر الدروس في حلقات الأساتذة المسلمين، حيث رآه ابن سهل فعشقه<sup>(1540)</sup>. ويعتقد أن ابن سهل قد أحب في ذلك الفتى يهوديته، واتخذ رمزاً لليهودية التي يُخفيها في صدره ويحن إليها، وقد ساعده على ذلك أن اسم الفتى على اسم النبي موسى عليه السلام<sup>(1541)</sup>.

(1537) م. ن، 3، ص 522.

(1538) ابن سعيد، الأندلسي، المغرب في حل المغرب، ص 114. ترجمة رقم: 426.

(1539) المقرئ، نفح الطيب، م 3، ص 522-523.

(1540) ابن سعيد الأندلسي، اختصار القدر المعلن، ص 78.

(1541) ابن سهل الإسرائيلي، أبو إسحاق إبراهيم، ديوان ابن سهل، تحقيق وشرح: بطرس البستاني، (بيروت، مكتبة صادر، 1953م)، ص 138؛ الجالي، أبو نواس الأندلس، ص 85-86.

ويستدلُّ أصحاب هذا الرأي على صِحَّة رأيهم بكثيرٍ من أشعاره في ذلك الفتى مثل قوله:

أموسى ولم أهجرِكَ والله إنمَّا  
تركتكَ لا نقضاً لعهدي بل أرى  
قنعتُ على رغمي بذكرِكَ وحده  
وقوله:

ويعذلني العواذلُ فيه جهلاً  
فقالوا: عبد موسى، قلت: حقاً  
فقالوا: هل رضيتَ تكون عبداً  
فقلت: نعم أنا عبدٌ ذليلٌ  
وقوله:

ما لموسى قد خرَّ لله لما  
وأنا قد صُعِقتُ من نورِ موسى  
وقوله:

جرى القضاء بأنْ أشقى عليك وقد  
أوتيتَ سؤلِكَ يا موسى على قدرٍ<sup>(1545)</sup>.  
وقوله:

(1542) الجالي، أبو نواس الأندلس، ص 85-86.

(1543) م. ن، ص 79-80.

(1544) المقرئ، نفح الطيب، م 4، ص 129.

(1545) الجالي، أبو نواس الأندلس، ص 79.

صُعِقْتُ وقد ناجيتُ موسى بخاطري وأصبح طور الصَّبر من هجره دُكًّا<sup>(1546)</sup>.  
كما يستشهدون على تظاهره بالإسلام من شعره الذي يدلُّ على مجونه وعبثه، إذ استخدم  
الآيات القرآنية الكريمة للتعبير عن معانٍ إباحية. كقوله:

لقد كنتُ أرجو أن تكون مواصلي فأسقيتني بالبُعْدِ فاتحة الرَّعْدِ.  
فبالله برَّد ما بقلبي من الجوى بفاتحة الأعرافِ من ريقك الشَّهْدِ<sup>(1547)</sup>.  
وهم يستدلُّون أيضاً برواية المقرئ التي يقول فيها: «ورأيتُ في بعض كتب الأدب بالمغرب  
أنه اجتمع جماعة مع ابن سهل في مجلس أنس، فسألوه لَمَّا أخذت منه الرَّاح عن إسلامه. هل هو  
في الظاهر والباطن أم لا؟ فأجابهم بقوله: للناس ما ظهر والله ما استتر<sup>(1548)</sup>».

وبشعره في الخمر الذي يقول فيه:

فو الله ما في الأرض مجلس راحة بغير حلِّ الرَّاحِ التي سلَّبت صبري  
سألَها ألفَ العتيق كتابه ولا أشتهي ورداً سواها لدى الحشرِ<sup>(1549)</sup>.  
وهناك من يرى أن ابن سهل قد أسلَمَ بالفعل، لكنَّه لم يكن متديناً ملتزماً، شأنه في ذلك شأن  
العديد من المسلمين في عصره<sup>(1550)</sup>.

(1546) ابن سعيد الأندلسي، اختصار القدح المعلن، ص 83؛ ابن سهل الإسرائيلي، ديوان ابن سهل، ص 120.

(1547) المقرئ، نفع الطيب، م 3، ص 524.

فاتحة سورة الرعد هي من قوله تعالى: «المر»، وهي حروف جمعها فكَّون منها كلمة «المُر»، ينظر: سورة الرعد آية: 1، وفاتحة سورة  
الأعراف هي قوله تعالى: «المص»، وقد جمع حروفها فكَّون كلمة «المصَّ»، ينظر: سورة الأعراف، آية: 1. وهي معانٍ إباحية.

(1548) المقرئ، نفع الطيب، م 3، ص 523؛ ينظر: ابن سعيد الأندلسي، اختصار القدح المعلن في التاريخ المحلي، ص 73-74؛  
ينظر: الراعي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن إسماعيل، الممتع السهل في ترجمة وشعر ابن سهل تحقيق وتعليق: محمد  
قوبعة، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 19، سنة 1980 م، ص 41.

(1549) ينظر: ابن سعيد الأندلسي، اختصار القدح المعلن في التاريخ المحلي، ص 74.

(1550) ينظر: الجالي، أبو نواس الأندلس، ابن سهل الإسرائيلي، ص 38-39.

فو الله ما في الأرض مجلس راحة  
 وهم يستدلّون أيضاً على صحة رأيهم بأشعاره. مثل قوله:

تسلّيتُ عن موسى بحُبِّ مُحَمَّدٍ  
 وما عن قِليّ قد كان ذاك وإنّما  
 وكذلك يستشهدون بقصيدته الطويلة<sup>(1552)</sup> التي يمدح فيها النبيّ محمد صلى الله عليه وسلّم،  
 ويقول في مطلعها:

جَعَلَ المهيمَن حَبَّ أَحْمَدَ شَيْمَةً  
 وَأَتَى بِهِ فِي الْمُرْسَلِينَ كَرِيمَةً  
 فغدا هو اهواء على القلوب تميمَةً  
 وغدا هداه لهديهم تميمًا  
 وبالأبيات الكثيرة التي توضح ثقافته الإسلامية كقوله:

لله نهرٌ ما رأيتُ جماله  
 وإيضاً بقصيدته التي يستحثّ فيها المسلمين على الدِّفاع عن إشبيلية عندما اشتدَّ عليها حصار  
 أعدائهم الأسبان سنة (645هـ=1247م)، ويقول فيها:

يا معشر العربِ الذين توارثوا  
 إنَّ الإله قد اشترى أرواحكم  
 أنتم أحق بنصر دين نبيكم  
 وشيمَ الحميّة كابرًا عن كابر  
 ويهنكمو ثواب المشتري  
 وبكم تمهّد في قديم الأعصر<sup>(1555)</sup>  
 وقوله:

(1551) المقرئ، نفح الطيب، م3، ص523.

(1552) المقرئ، نفح الطيب، م7، ص445-453.

(1553) م. ن، م7، ص445.

(1554) الجالي، أبو نواس الأندلسي، ص14.

(1555) ابن سهل الإسرائيلي، ديوان ابن سهل، ص8؛ الجالي، أبو نواس الأندلسي، ابن سهل الإسرائيلي، ص113.

يسألني من أي دين مداعباً      وشمل اعتقادي في هواه مُبددٌ  
فؤادي حنفي، ولكن مقلتي      مجوسية من خدّه النار تُعبدُ<sup>(1556)</sup>

ولم يقبل أحد المشككين في إسلام ابن سهل حجج المقتنعين بإسلامه فقال: «ولا يكفي أن نستدل على إسلام ابن سهل بقصيدته الحجازية التي يصف فيها ركب الحجيج وهم ذاهبون للحج، لا سيما وأنه لم يصدر في نظمها عن دافع ذاتي، وإنما نظمها بتكليف من ابن خلاص<sup>(\*)</sup> أحد ممدوحيه، كما لا نستطيع أن ندلل على إسلامه بشيوع الثقافة الدينية في شعره؛ لأن يهود الأندلس كانوا يخالطون المسلمين في مجال العلم، وكانوا يتوفرون على دراسة العربية، وحفظ القرآن، وإن لم يتحلوا الإسلام ديناً<sup>(1557)</sup>».

مات ابن سهل غريقاً في البحر في سنّ الأربعين، فقيل: عادَ الدُّرُّ إلى وطنه<sup>(1558)</sup>. وعن موته يقول المقرئ: «وقد روي أنه مات مسلماً غريقاً في البحر فإن كان حقاً فالله تعالى رزقه الإسلام في آخر عمره والشهادة»<sup>(1559)</sup>.

إنّ الحكم في مثل هذه القضايا صعبٌ وخطير، لأنّ الله وحده هو الذي يعلم ما تكنّه صدور عباده. لكننا نقول: إنّ الإنسان في العادة لا يترك دينه ودين آبائه وأجداده ويعتق ديناً آخر، إلا إذا كان مُحباً لذلك الدين الجديد، وراغباً في التزام أحكامه. أما إذا انتقل إليه ولم يلتزم به، بل كان يُظهرُ استهتاره به، فإنّ ذلك يعني أنّ دخوله لذلك الدين الجديد لم يكن إلاّ تظاهراً لتحقيق غاية في نفسه. والذي يفهم من سيرة ابن سهل أنه كان أبعد ما يكون عن الالتزام بالإسلام. ولقد رأينا كثيراً من اليهود عبر التاريخ يظهرون الإسلام، فيطمئنّ لهم المسلمون، ويعاملونهم على ظاهرهم، فيقومون بالخفاء بتوجيه أعنف الضربات للإسلام والمسلمين<sup>(1560)</sup>. ولذلك لا بدّ من التريث والحذر والتدقيق قبل إصدار الحكم في قضية تتعلق بإسلام يهودي.

(1556) المقرئ، نفح الطيب، م3، ص522-523.

(\*) هو قائد سبته أبا على حسين بن أحمد بن خلاص الذي مدحه ابن سهل.

الكواقي، اليهود في المغرب، ص166.

(1557) عيسى، فوزي سعد، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، ط1،

1979م)، ص [استكمال].

(1558) المقرئ، نفح الطيب، م3، ص522-523.

(1559) م. ن، م3، ص525.

(1560) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص191، 283، 340-396؛ الخضري، محمد فريد بك، تاريخ الأمم

الإسلامية، ج1، (المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط8، 1382هـ)، ص21؛ الميداني، عبد الرحمن حسن جبنة، مكائد

يهودية، (دار القلم، ط1، 1394هـ-1974م)، ص167-168.

أما بخصوص الشعر العبري، فقد كان مناحيم بن ساروق من أوائل المبدعين فيه، وأفضل شعراء عصره، وكان على حدّ تعبيره «يُربِكُ كلَّ فصيح، ويلجم كلَّ شاعر»<sup>(1561)</sup>، وقد كتب قصائد عدّة في مدح حسداي بن شبروط فكافأه حسداي بسخاء ولكن لم تدم المودة بينهما طويلاً فقد غضب عليه حسداي وطرده من قرطبة، ولم يفقد الشاعر الأمل في استعطاف قلب ذلك الثري، فظلاً يكتب إليه حتى عفا عنه. فلما سمع مناحيم بالعفو، هرع إلى قصر حسداي، يقرأ عليه قصائد مديح قرضها لهذه المناسبة. ولكن لم يمض وقت طويل حتى غضب عليه مرّة ثانية. ويبدو أنّ انتقادات مناحيم التي وجهها إلى التلمود والربانيين، واتهام بعض اليهود له أنه يعتنق مذهب القرائين كانت سبباً في إبعاده، ولم يطرده حسداي هذه المرّة من قرطبة، بل أرسل إليه أنصاره الذين كبّلوه بالحديد وساموه سوء العذاب، وزجّوه في غياهب سجن قرطبة.

وأرسل الشاعر لحسداي رسالة باللغة العبرية في صورة قصيدة طويلة تتكون من 426 فقرة. ومن هذه القصيدة:

عظامي تبكي  
هذه على تلك  
أوصالي تئن  
بعضها على بعض  
وأنا أنوح<sup>(1562)</sup>

أما دوناش بن لبرط، فهو صاحب الانقلاب الكبير في الشعر العبري، حيث دعا من مدينة قرطبة الشعراء اليهود أن يزونا أشعارهم طبقاً للبحور العربية فتعرّض لنقد عنيف من بعض الشعراء اليهود أمثال إسحاق بن قبرون، تلميذ مناحيم بن ساروق الذي كتب قصيدة سخر فيها من دوناش، وأرسلها إلى حسداي بن شبروط، قائلاً فيها:

(1561) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 24.

للمزيد من التفاصيل عن حياة مناحيم بن ساروق وشعره وعلاقته بحسداي بن شبروط.

ينظر: ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.244-251.

(1562) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 25-26.

ها هو ابن لبرط كتب باطلاً  
وظنَّ أنه نجح، وأصلح القول المأثور  
لكنه أتلّف اللسان المقدّس  
بوزنه العبرية بموازن أجنبيّة<sup>(1563)</sup>

كما أحدث ابن لبرط تطويراً آخر على الشعر العبري عندما أضاف إليه أغراضاً جديدة  
كالإخوانيات والخمريات والوصف والهجاء.

ولقد أعجب كثيرٌ من شعراء اليهود بالتجديد الذي أدخله دوناش في الشعر العبري واقتفوا  
أثره، كما أثنى عليه اليهود المعاصرون.

يقول آشثور: «لقد حفر دوناش بن لبرط اسمه بحروفٍ من ذهب في سجلات الشعر العبري  
بسبب ابتكاره الكبير، فقد أدخل التفعيلة العربية إلى الشعر العبري... وكان إدخال البحور العربية  
إلى ذلك الشعر ذا أهمية بالغة بالفعل، إذا أدّى إلى تغييره تغييراً كلياً، فصار أكثر سلامة وأفضل  
صقلاً، وأسهل للحفظ والتداول. لكنّ دوناش لم يتعلّم من العرب البحور والأوزان فحسب، بل  
تعلّم أيضاً بنية الشعر، مثل استخدام المقدمة والانتقال والصورة البلاغية... وهو لم يُقلّد شكل  
الشعر العربي فقط، بل قلّد محتواه أيضاً، فأدخل إلى الشعر العبري مواضيع العرب. وكانت  
إحدى الموضوعات التي أُغرم بها الشعراء العرب بشكل خاص هي مدح الحكمة، وقد كتب  
دوناش أشعاراً حول هذا الأمر. كما كتب أشعاراً لمدح رعاة العلم تماشياً مع التقليد  
العربي»<sup>(1564)</sup>.

(1563) م. ن، ص 30-31.

(1564) ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.253-254.

ومن شعره في مجال الحكمة، قوله في قصيدة وجهها إلى حسداي بن شبروط:

قل يا فؤادي الحكمة  
والمعرفة والإدراك  
احرص على مسالك الفطنة  
وعلى مجالس الأدب  
وابحث عن الحق  
ولا تكن عنيداً  
لئلاً تُخدع<sup>(1565)</sup>

كما تكلم عن مجالس النبيذ، لكنه أظهر أنه ينهى عنها، خوفاً من أن يلقي معارضة من بعض المحافظين الذين لم يطيعوا أن يصل التطور بالشعر العبري لدرجة أن يصف الخمر ومجالسه بعد أن كان دينياً فقط. ففي إحدى قصائده يتخيل صديقاً يدعوه إلى شرب الخمر. ويصف له مجالسها فيقول:

لسوف نشرب بين أجمات الزهور المسورة بالورود  
ونحجر الأحزان بكل أنواع الحبور  
ونشارك بالمتعة والشراب من الأقداح<sup>(1566)</sup>.

ولم يهمل يهود الأندلس الشعر الديني «بيوטים»، ومن الذين كتبوا في هذا الشعر مستخدماً البحور العربية إسحاق بن مرشءول وهو من علماء أليسانه، وتلميذ مروان بن جناح. ومن أشهر قصائده الدينية تلك التي يبدأها بقوله:

إلهي لا تحاسبني حسب خطاياي  
ولا تكِلْ لي حسب أعمالي  
اشملي بفضلك لأحيا  
يارب لا تعاقبني على خطاياي<sup>(1567)</sup>

(1565) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 28-29.

(1566) ATHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.255.

(1567) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 34-35.



لقد كان ابن مرشءول ذا قابلية فذة كشاعر، وقد كتب أيضاً شعراً دنيوياً، وتعرّض أشعاره إلى أفكار جديدة، لكنها تتميز بموهبة التعبير ولغة جميلة وواضحة، وقد كان على معرفة جيدة بكلّ مكونات فنّ الشعر، بحيث أنه صار في النهاية علامة بارزة في الشعر العبري في الأندلس، وفي ترنيته (من ذا الذي يشبهك)، ينتهي كلّ مقطع بآية من النصوص المقدسة، التي تكون الكلمة الأخيرة فيها اسم من أسماء الله تعالى<sup>(1568)</sup>.

إنّ خصوبة الشعر العربي، وأثره القوي الذي استسلم له ابن مرشءول، والذي وجد تعبيره الأول في القبول بالشكل العربي الموزون، يمكن أن يُرى بسهولة في الشعر الدنيوي، الخاص بإسحاق بن مرشءول، فقد كان يؤلف القصائد في مناسبات مختلفة، ويرسلها إلى الأشخاص المهمين، وإلى أصدقائه في مدن الأندلس، وتظهر في تلك القصائد أفكار وصور معروفة في الشعر العربي، مثل: «سر الحب»، «والافتتان» الذي يثور في داخل العاشق، والتّوق إلى صحبة الأصدقاء. وقد كتب شعراً عن جمال الشباب، وذاك موضوع جديد على الشعر العبري. وبالتأكيد فإن هذا الموضوع كان مألوفاً في الشعر العربي منذ وقتٍ طويل، وفي الأجيال التالية له صار مألوفاً كذلك في الشعر العبري. وهكذا فإن ابن مرشءول كان رائداً. وقد أدرك معاصروه ذلك فحاز على شهرة كبيرة كشاعر<sup>(1569)</sup>.

كما ظهر في أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي لأوّل مرّة في تاريخ الأدب العبري أدب الكدية، احترفه الشاعر إسحاق بن خلفون، فكان يتنقل بين مدن الأندلس مادحاً من يغدق عليه، وهاجياً من يمسك عنه، ويذكر في إحدى قصائده كيف كافأه أحد الأغنياء بقطعة جبن على مديحه له<sup>(1570)</sup>.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.395. (1568)

IBID, VOL.1, P.395-396. (1569)

(1570) ينظر: عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 37-38.

وكانت إحدى الموضوعات المتكررة في أشعار ابن خلفون هي العذاب الحاصل من فراق الأصدقاء، وهو يتفوق في هذه الأشعار بشكل خاص. يقول في إحدى قصائده:

وأتنهدَّ وأبكي بحرقلة<sup>(1571)</sup>.

وكان لابن خلفون دورٌ مهمٌ في تطوير الشعر العبري في الأندلس، فبعد أن أدخل دوناش الأوزان العربية إلى الشعر العبري، تبنى الشعراء اليهود في ختام القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي أغراض الشعر العربي، فتواصل التطور في الشعر العبري، وكان ابن خلفون من أبرز الشعراء في عصره الذين ساروا في هذا الطريق. إذ إن معظم قصائده كانت موزونة، وتتناول أغراضاً مختلفة. وإضافة لما سبق فقد تناول ابن خلدون في قصائده الغزل على طريقة الشعراء العرب<sup>(1572)</sup>.

وقد ظهر تعدد الأغراض في الشعر العبري واضحاً في عصر الطوائف على يدي إسماعيل بن نغدله الذي يرجع له الفضل في تطعيم الشعر العبري بفنون جديدة اقتبسها من الأدب العربي، كالشعر القصصي والخمريات والإخوانيات والغزل ووصف المعارك ووصف الطبيعة والثناء. وتعدُّ خمريات ابن نغدله من أحسن ما كُتِبَ في العبرية في هذا الفن من الشعر، وقد كتب فيه نحو تسع عشرة قطعة<sup>(1573)</sup>.

وكتب الشاعر والناقد الشهير الحريزي تقيماً لقصائد إسماعيل بن نغدله، يقول فيه: «إنَّ قصائده فخمة ومهمة، ومحتواها جديد وجريء، ولكنَّ الرُّبَاعيات عميقة وصعبة إلى درجة أنها تحتاج إلى تفسير»<sup>(1574)</sup>.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.397-398. (1571)

IBID, VOL.1, P.398. (1572)

(1573) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 45.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.737. (1574)

ومن شعره في الوصف قوله:

انظر إلى الياسمين، أخضر ساقه كالزُّمُرْد  
وأوراقه وفروعه —————  
وزهره كالبلور أبيض<sup>(1575)</sup>.

وفي وصفه لإحدى المعارك التي شارك فيها إلى جانب الدولة الزيرية في غرناطة، يقول:

والخيل تجري رواحاً وغدواً.  
كأفـاعٍ أطلقت من جـحـور  
والرَّماح التي ترمي  
كالبرق يملأ بريقها الفضاء<sup>(1576)</sup>.

وفي وسط هذه المعارك يتضرّع الشاعر إلى ربّه فيقول:

انظر إليـوم محتـي  
واسـمع واقـبل صلواتي  
تذكر حسنة لعبـدك  
ولا تحزنني في محتـي<sup>(1577)</sup>

لقد ظهر أعظم شعراء النهضة الأدبية لليهود في الأندلس بعيدَ عصر إسماعيل بن نغدله، وفي جزء من عصره. وقد علّق إبراهيم بن داود مؤرّخ ذلك العصر على التطوّر التدريجي للأدب قائلاً: «في أيام الوجيه حسداي بدأ الشعراء يزفزون، وفي عصر إسماعيل راحوا يغردون بصوت عال»<sup>(1578)</sup>.

(1575) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 46.

(1576) م. ن، ص 47.

(1577) م. ن، ص 47.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.637. (1578)

وكان سليمان بن جابيرول حوالي (411-463هـ=1020-1070م) أحد أولئك الشعراء الذين علت أصواتهم تغرّد بشعر جميل. وقد ولد هذا الشاعر في مالقة، من عائلة يهودية هاجرت من قرطبة، ومات أبوه وهو صبي، فعانى من الفقر في مسقط رأسه، مما اضطره للخروج إلى سرقسطة. وكان ابن جابيرول عليلًا، انتابته الأمراض صغيراً. ولم تثبط ظروفه الصعبة من همّته في طلب المعرفة، وقرض الشعر العبري في مقتبل عمره. وكان بالرغم من فقره المدقع معتزاً بنفسه<sup>(1579)</sup>، كما هو واضح في أول أبيات قرضها وهو في سن السادسة عشرة. يقول فيها:

أنا الرئيس والشعر عبدي  
أنا ربابة للموسيقين والشعراء  
وسنون حياتي ست عشرة، ولكنني  
أحمل بين جنباتي قلب ابن الثمانين<sup>(1580)</sup>.  
وهو يصوّر حالته البائسة في قصيدته المسماة بالنفس الجريحة، فيقول:

وهومي تُنبّت أشعاري  
والألمي تطارد أحزاني  
ألهو وقلبي مُنفطر  
ألماً لحياتي التي تذبل<sup>(1581)</sup>.

ويشنّ هجوماً عنيفاً على يهود سرقسطة، قبل أن يغادرها، في قصيدة بعنوان: «جفّت حنجرتي من المنادة». يقول فيها:

IBID, VOL.2, P.638; (1579)

عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 52؛ هنداري، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 86؛

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.29-30.

(1580) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 52-53؛ DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.639.

(1581) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 53؛ DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.638.

إِنَّهُمْ شَعْبٌ أَحْتَقَرُ أَجْدَادَهُ  
وَهُمْ أَحَقَرُ مَنْ أَنْ يَكُونُوا كَلَابِئاً تَحْرُسُ خِرَافِي  
فَوْجُوهُمْ لَا تَحْمُرُّ خَجَالاً<sup>(1582)</sup>

لقد نال ابن جابرول إعجاب الشعراء والنقاد، فقال فيه شاعر الجيل التالي موسى بن عزرا: إنه «فارس الأسلوب وسيّد الأشعار»<sup>(1583)</sup>. واعترف الناقد اللاحق الحريزي بأنّ السليمان الجديد يستحقُّ تاج الشعر العبري: «لقد عمّده الرّبُّ كملكٍ في مملكة الشعر، فهو الذي صنع نشيد أناشيد سليمان. وكان كل أولئك الذين تبعوه قد تبنا ذوقه، وكانت روح موسى ترفرف فوقهم»<sup>(1584)</sup>.

وفي أوائل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي برز شاعر سبق أن ذكرنا جهوده في مجال النحو العبري وهو موسى بن عزرا، الذي تميّز بولعه بالمحسنات البديعية وخاصة الجنس، إذ نسج على منوال الجنس العربي أبياتاً عبرية أنهى كلّ مجموعةٍ منها بكلمةٍ واحدة، يختلفُ معناها في كلّ بيت، وجمع هذه الأبيات في كتابٍ أهده إلى صديقٍ له يدعى إبراهيم بن مهاجر، ويتضمن هذا الكتاب 1210 بيت تتناول موضوعاتٍ مختلفة كالخمريات والحب والوصف. وقد قدّم بنظمه هذه الأبيات دليلاً قاطعاً على تمكنه وتعمقه في ألفاظ اللغة العبرية ومعانيها<sup>(1585)</sup>.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.41-42. (1582)

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.639. (1583)

IBID, VOL.2, P.639. (1584)

HAIM BEINRT, ENCYCLOPEDIA JUDACA, (1585) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 68. ينظر: VOL.11, P.550.

وثمة قصيدة من قصائده مشهورة بشراء ألوانها، يقول فيها:

لقد طرحت الحديقة أنسجةً مُلَوَّنةً  
ثوباً من التطريز الأخضر  
لكن الوردة الملكة على العرش العالي تقدّمت الجميع.  
واخترقت سور الأوراق واستبدلت ملابس السجن  
وإن كل من لا يشرب نخبها يرتكب إثماً كبيراً<sup>(1586)</sup>.

وفي شبابه كان الشاعر ما يزال يحلم بالوجه الجميل، ودنان الخمر، وبحديقة تمتلئ بتغريد الطيور، وبجدول رقيق. لكن أحلامه هذه قد انتهت بسبب حبه الفاشل. فقد أحب الشاعر ابنة أخيه، وكان متشوقاً للزواج منها وقد أحبته الفتاة أيضاً. لكن والدها اعترض، وزوجها من رجل آخر. وقد ملأ هذا روح ابن عزرا بالحزن لمدة طويلة. وغادر غرناطة وصار متشرداً. وزادت أحزانه عندما تلقى نبأ وفاة محبوبته أثناء الولادة.

وصارت قصائده محصورة بالحديث عن الحياة والموت، وفي المواضيع الدينية<sup>(1587)</sup>. وفي إحدى قصائده عن الحياة والموت يقول:

فليذكر الإنسان في حياته  
أنه يسير في طريق الموت  
يسافر كل يوم رحلة بطيئة<sup>(1588)</sup>.

وكتب مئات عدّة من الأدعية والترانيم الدينية، التي تردد في المناسبات الدينية اليهودية. ومن أجل ذلك لُقّب موسى بـ (HASALAKH)، أي سيد الصلوات المتمكّن<sup>(1589)</sup>.

ومن شعراء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أيضاً يهوذا بن صاموئيل اللاوي (468-536هـ=1075-1141م) من أليسانة<sup>(1590)</sup>. ويعتقد كثير من اليهود إلى الآن أن يهوذا اللاوي أحسن من نظم شعراً بالعبرية. وقد ترك ثروة أدبية في المجال الديني والأدبي والفلسفي. ومن شعره الديني بيتان سماهما عبد الله. يقول فيهما:

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.736-737. (1586)

IBID, VOL.2, P.737. (1587)

IBID, VOL.2, P.737 (1588)

IBID, VOL.2, P.373 (1589)

HAIM BEINART, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550. (1590)

عبيد الدنيا عبيد لعبيد  
وإنما الحرُّ هو عبد الله  
حين يسعى كلُّ امرئٍ إلى هوايته  
تقول نفسي هوايتي تسبيحُ الله<sup>(1591)</sup>.

وقد قرض قصائد لترتل في المناسبات الدينية، ومن هذه القصائد تلك التي مطلعها:

إلهي بمن أمثلُك؟  
وليس هناك من يُعادلُك  
بمن أشبَّهك  
وكل صورة من عملك<sup>(1592)</sup>

وقد نظم يهوذا نوعاً من الشعر لم يطرقه أحد من شعراء العبرية قبله، وهو شعر الألغاز. ومن هذا الشعر قوله عن القلم:

رفيع جاف أملس  
أخرس ولو أنه طليق اللسان  
يقتل المرء في صمت  
ويريق الدماء في فمه<sup>(1593)</sup>

وفي هذا القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي قام يهودي اسمه依ليزار بن يعقوب (566-630هـ=1170-1232م) بترجمة كتاب «كليلة ودمنة» إلى اللغة العبرية. فأقبل اليهود على قراءته، وأحبوا هذا النوع من القصص الخرافية، فقام أدباؤهم بمحاولات التقليد هذا الكتاب، فألف اليهودي الأندلسي يوسف زبارا (535-597هـ=1140-1200م) كتاباً باللغة العربية، يحتوي على العديد من القصص والأساطير الممتعة، وسماه كتاب «البهجة والسُرور»<sup>(1594)</sup>. وقد قام يوسف قمحي بترجمته إلى العبرية بأسلوب شعري<sup>(1595)</sup>.

(1591) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 75.

(1592) م. ن، ص 75.

(1593) م. ن، ص 76.

(1594) هنداي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 120-121.

(1595) م. ن، ص 123.

كما ألف سليمان بن جابيرول كتاباً في الأمثال والحكم سمّاه «مختار اللآلئ»، وسجّل فيه عدداً كبيراً من الأمثال والحكم، وهي تتعلّق بموضوعات مختلفة، وقد نقل كثيراً منها عن أمثال العرب وحكمهم. ويُعدُّ كتاب ابن جابيرول بداية لظهور هذا الفنّ في الأدب العبري، بعد أن كانت الأمثال والحكم عند اليهود محصورة بما جاء في الكتاب المقدّس، ومقتصرة على النواحي الدينية فقط<sup>(1596)</sup>.

وفي هذا القرن أيضاً، عرفت العبرية نوعاً جديداً من الأدب لأوّل مرّة، على يد سليمان بن صقبل، وهو فنّ المقامات<sup>(1597)</sup>. وبذلك صار اليهود يقرأون باللغة العبرية فنّاً طالما تمتّعوا بقراءته باللغة العربية، وتمنّوا أن يجدوه في أدبهم. وقد قلّد ابن صقبل كثيرون، مثل يوسف بن زبارا. ولكنّ أحسنهم كان أبو زكريا يحيى بن سليمان بن شاؤول الحريزي<sup>(1598)</sup>، أو يهوذا بن سليمان الحريزي حسب اسمه اليهودي<sup>(1599)</sup>. آخر شعراء النهضة الأدبية اليهودية في الأندلس<sup>(1600)</sup>.

ولد الحريزي في الأندلس سنة (565هـ=1165م)، وهاجر شمالاً إلى أسبانيا النصرانية وهو صبيّ، وهناك واصل تعليمه في مدارس يهودية ظلّت تحت تأثير الثقافة الإسلامية، بالرغم من وجودها على أرض غير إسلامية. واكتسب يهوذا شهرته من ترجمته لمقامات الحريري العربية إلى اللغة العبرية. وقد حرص يهوذا في ترجمته هذه أن يصبغها بصبغة يهودية، بمعنى أنه لم يتقيّد بالنصّ العربي الذي يشيّر أو يقتبس آيات من القرآن الكريم أو أمثالاً أو تقاليد عربية، أو أسماء لقبائل وشعراء عرب<sup>(1601)</sup>.

(1596) بالنشأ، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 494. ينظر: هنداي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 120-127.

(1597) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 74.

(1598) قارة، حياة، أندلسي في حلب، دراسة لترجمة خطية لابن شاؤول الحريزي الطليطي، وجدت في الجزء الثامن من كتاب «قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان» لابن الشعار الموصلي، وهي مخطوطة نشرت بالتصوير من طرف معهد العلوم العربية والإسلامية بجامعة فرانكفورت، مجلة دراسات مغاربية، ع 8، 1998م، ص 7-8.

(1599) م. ن، ص 9؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 81.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.745. (1600)

IBID, VOL.2, P.745. ص 92؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 92.



والحريزي لم يتعلّم أيّ مهنةٍ غير الأدب والترجمة. لذا فقد كان يتجوّل في شمال أسبانيا وجنوب فرنسا، يترجم ما يُطلبُ منه من العربية إلى العبرية، ويمدّح بالعبرية كل من يغدق عليه، ويهجو كل من يمسكُ عنه. وبعد أن قضى شبابه متجوّلاً، فكر في أواخر أيامه أن يقوم برحلةٍ إلى الشرق، ليمدح أثرياء اليهود هناك أَمْلاً في الإغداقِ عليه، وزار مصر والشام والعراق، وكان في كلّ بلدٍ يحلُّ فيه يمدّحُ وجهاء اليهود فيها. وفي سوريا بدأ كتابة مقامات بالعبرية ليهودها اللذين يمدّون له يد المساعدة المالية.

ومقاماته التي تُسمى اليوم «بتحكموني» والتي كتبها بالعبرية تتضمّن خمسين مقامة. وفي هذه المقامات أثبتَ الحريزي أنه أديب ممتاز، يستطيع أن يتلاعب بالألفاظ، ويُحسن استعمال المحسنات اللفظية والبديعية. وتشتمل مقامات الحريزي على فكاهة وفلسفة وحكم وأمثال. ومما زاد في أهمية المقامات الحريزية اشتمالها على مقامتين ضمّنهما تاريخ الأدب العبري في الأندلس<sup>(1602)</sup>. ويعترف الحريزي في إحدى هاتين المقامتين أن شعره أقلّ من أن يُقارن بأشعار فحول الشعراء أمثال ابن جابيرول، ويهوذا هاليافي، وموسى بن عزرا وغيرهم. يقول: «ونحن الآن نلتقط فضلات حصادهم الذي نسوه. إننا نتبّع خطواتهم، لكننا لا نستطيع أن نأخذ القيادة منهم»<sup>(1603)</sup>.

(1602) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 93-94.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.745. (1603)

ويشير إلى أنَّ عصره يُمثَّل بدايةً غروب شمس العصر الذهبي للأدب العبري بقوله: «لقد عثر سليمان وموسى ويهوذا على أشخاصٍ متنوّرين كرماء، اشتروا منهم جواهرهم، لكنّي ولدتُ في العصر الذي اختفى منه كل الرّعاة، وقد عثروا هم على أنهار الفردوس، أما أنا فقد عثرت على الحرارة والجفاف»<sup>(1604)</sup>.

وفي إحدى مقاماته يقدم وصفاً للشعراء والأدباء اليهود في الدول التي زارها، وهو يقسو كثيراً على شعراء تلك البلدان الذين لم يكونوا أكثر من مقلّدين للشعراء اليهود الأندلسيين<sup>(1605)</sup>.

مات الحريزي سنة (622هـ=1225م)، وبموته أُسْدِلَ السّتارُ على مرحلةٍ من أزهى مراحل الأدب العبري، استمرت أربعة قرون، واستحقّت أن تُسمّى بالعصر الذهبي للأدب العبري<sup>(1606)</sup>.



---

IBID, VOL.2, P.746. (1604)

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.7 (1605)

(1606) م. ن، ص 95.

## المبحث الثالث النشاط الفكري والعلمي لليهود في الأندلس

### أولاً: العلوم الدينية:

ظلت الدراسات التلمودية لليهود في الأندلس تحتل المرتبة الأدنى في الإنتاج الفكري اليهودي، وذلك بسبب توجه معظم المثقفين اليهود هناك نحو الدراسات الأدبية والفلسفية والعلمية، واستمر هذا الحال إلى أن احتلّ حسداي بن شبروط منصباً مهماً في حكومة الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ=912-961م)، وصار يُقلد ملوك وأمراء وأثرياء المسلمين في الأندلس، الذين رغبوا في جعل بلدهم مركزاً للعلم والحضارة، فجلبوا إليه العلماء وشجعوهم، وأرسلوا إلى المشرق الإسلامي من يحضر إليهم ما يصدره العلماء هناك من كتب ورسائل، فكان الكتاب يشتهر في الأندلس في بعض الأحيان قبل أن يشتهر في بلد المؤلف نفسه؛ لقد أرسل حسداي إلى مختلف البلدان من جلب إليه نسخ التوراة الثمينة، وغيرها من الكتب التي كان يسمع عنها<sup>(1607)</sup>؛ وفي الرسائل التي يصف بها يهود جنوب إيطاليا لحسداي اضطهاد السلطات البيزنطية لهم، ذكر أنه قام صاموئيل مبعوث حسداي إليهم بنسخ كتاب جوزيف بن غوريون، واستغرق في نسخه ثلاثة أشهر<sup>(1608)</sup>.

ولم يقتصر نشاط ابن شبروط في هذا المجال على جلب الكتب، بل أرسل إلى علماء اليهود المشهورين من يدعوهم ويعدّهم ويشجعهم على القدوم إلى الأندلس، ويتحدث شاعر يهودي أندلسي عن حسداي فيقول: «إنه غرز أعمدة الحكمة، وجمع حوله رجالاً ذوي علم ومعرفة من فلسطين إلى العراق»<sup>(1609)</sup>.

ويعبر هذا النشاط الذي قام به حسداي عن روح التسامح، وعن الحرية الفكرية والدينية التي كانت تسود في الأندلس، فلو أنّ حسداي يعلم أنّ نشاطاته تلك تتعارض مع سياسة الحكومة، لما قام بها وعرض نفسه ومنصبه للخطر.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.228-229, 237. (1607)

ينظر بالثبنا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 488-489؛

HAIM BEINART, CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.5, P.963.

JACOB MANN, TEXTS AND STUDIES IN JEWISH HISTORY AND (1608)

LITERATURE, VOL.2, P.25-26.

ASHTOR, THE JEWS, VOL.1, P.230. (1609)

IBN EZRA, MOSES, SHIRAT YISRAEL, P.63-64. نقلاً عن:

وكان الحبر اليهودي الإيطالي موسى بن حنوخ قد نقل إلى الأندلس العلوم التلمودية، والسن اليهودية المعروفة في إيطاليا، وتخرج على يديه العديد من التلاميذ، الذين صاروا يخدمون هذه الدراسات؛ وكانت ترجمة التوراة والميشنا إلى اللغة العربية التي يفهمها يهود الأندلس أكثر من اللغة العربية من أهم الأعمال التي دعمت الدراسات الدينية اليهودية، وقد قام بترجمة التوراة إسحاق فالسكيز في قرطبة سنة (335هـ=964م)<sup>(1610)</sup>.

وكان إسماعيل بن نغدله أحد تلاميذ الفاسي، وقد قام بالرغم من مهماته السياسية والأدبية بتأليف تفسير للتلمود، احتوى على تاريخ ومنهجية ما يُدعى بـ«السنة الشفوية»<sup>(1611)</sup>.

وكان الحبر الأعظم لأليسانة هو إسحاق بن غيَّاث (ت: 482هـ=1089م)، وهو أستاذ متبحر في التفسير والفقه اليهودي، وكانت إنجازاته الرئيسية قد تركزت في مجال التلمود، ولكن لم يُحفظ منها إلا القليل؛ وأفضل أعمال ابن غيَّاث التي ما تزال محفوظة، ويردد اليهود الكثير منها هي قصائده الدينية، وهي تزيد على ثلاثمائة قصيدة، نظم معظمها على نمط الموشحات العربية<sup>(1612)</sup>.

وكان للعالم التلمودي المغربي إسحاق الفاسي (404-496هـ==1013-1102م) الذي ارتحل في زمن المرابطين إلى الأندلس، واستقر في أليسانة، أثر كبير على تطور الدراسات التلمودية، وقد عدّه اليهود خليفة الأبحار المشرقيين، وناقل علمهم إلى الأندلس؛ وقد أصبح الفاسي رئيساً للمدرسة التلمودية في أليسانة، تلك المدينة التي أصبحت المركز الروحي الجديد لليهود الأندلس بعد قرطبة وغرناطة؛ وقد تقاطر الطلاب اليهود من كل أرجاء الأندلس إلى تلك المدرسة، وتلقوا العلوم التلمودية على يدي ذلك العالم الكبير<sup>(1613)</sup>.

(1610) طاهر، حامد، «منهج النقد التاريخي عند ابن حزم»، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، (ع6، 1408هـ-1988م)، ص613.

IBID, VOL.1, P.237; (1611)

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.643.

(1612) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص62؛

DUBNOV, HISTOY OF THE JEWS, VOL.2, P.644.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.643-644; (1613)

HAIM BEINART, LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, P.550.

ويُعدّ كتاب «التلمود المختصر» أعظم أعمال إسحاق الفاسي، حيث اختصر فيه التلمود، وسجل في مختصره ما يعتقد أنه مهمّ ومفيد، فسَهّل على الطلاب استيعاب العلوم التلمودية؛ وعندما توفي الفاسي حزن يهود الأندلس، وكتب أعظم شعرائهم في ذلك العصر يهودا هاليفي على شاهد قبره الأبيات التالية:

في يوم سيناء، ارتعشت الجبال تشريفاً لك  
لقد قابلتك ملك الرب  
وحفر التوراة على ألواح قلبك  
ووضع تاجه المفقود على رأسك<sup>(1614)</sup>

وكانت إشبيلية هي المركز الآخر بعد أليسانة التي انطلقت منها دراسة التلمود، وكان الجبر إسحاق الباليا المعاصر للفاسي فاعلاً جداً هناك، وقد كتب بحوثاً عدة عن قانون التلمود، تحتوي على كثير من التحليل والنقد والتفسير؛ وبعد دخول المرابطين إلى إشبيلية جُرد الباليا من مكانته العالية، وقضى أغلب حياته في غرناطة، ومنها بدأ جدلاً فكرياً مع الفاسي، وتبادل الحبران النقد واللوم كتابياً وشفوياً<sup>(1615)</sup>.

وتقول الرواية اليهودية: إنه عندما أحس الباليا بدنوّ أجله شعر بالقلق على ولده باروخ، الذي كان في السابعة عشرة من عمره، فاستدعاه، وأمره بالذهاب إلى أليسانة للتلمذ على يدي إسحاق الفاسي<sup>(1616)</sup>.

وكان أبو زكريا يحيى بن صاموئيل بن بلعام، أو «يهودا»، حسب اسمه العبري، أحد علماء اليهود التلموديين في الأندلس، وقد ولد في طليطلة في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، وتعلم فيها، حيث درس الكثير من البحوث التلمودية مثل: كتاب «الأديان والآراء» للحبر سعديا، ثم انتقل إلى إشبيلية، وعمل فيها معلماً، وهناك وضع ابن بلعام أهم مؤلفاته الدينية، وهي تفسيرات للتوراة باللغة العربية، وكان جريئاً في كتابته، إذ انتقد كثيراً من آراء المشاهير قبله أمثال سعديا وإسماعيل بن نغدله<sup>(1617)</sup>.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.644. (1614)

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.644-645. (1615)

(1616) ولفنسون، إسرائيل، موسى بن ميمون، حياته ومصنفاته، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ط6، 1355هـ-

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.645. ص3؛ 1936م)

ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.173-176; (1617)

الموسوعة العبرية، م25، ص487.

ومن علماء اليهود التلموديين أبو الحسن اللاوي، أو يهودا اللاوي، وقد عاش في الأندلس خلال المدة من (468-536هـ=1075-1141م)، وهو صاحب كتاب «الحجة والدليل في نصر الدين الدليل» الذي قيل أنه استغرق في تأليفه عشرين سنة، وأنه كان رداً على سؤال أحد اليهود، ويدافع اللاوي فيه عن اليهودية بالمقارنة مع الفلسفة اليونانية والديانتين النصرانية والإسلامية، وقد قسم كتابه إلى خمسة أقسام؛ ويتضح من خلال هذا الكتاب ثقافة صاحبه الواسعة، وتمكنه من العقيدتين النصرانية والإسلامية، وفلسفة الإغريق، وفلسفة ابن سينا<sup>(1618)</sup>.

لقد تطورت الدراسات الدينية اليهودية في الأندلس تطوراً كبيراً، ونال الأحرار اليهود الذين تلقوا علومهم في الأندلس شهرة واسعة، وصار يهود المشرق ينظرون باحترام إلى الأحرار الذين يأتون إليهم من الأندلس.

وتشير العديد من وثائق الجنييزة المكتشفة في القاهرة إلى عالم يهودي قدم إلى مصر من الأندلس، يدعى إسحاق بن صاموئيل الأندلسي، وتبين الرسائل والوثائق من سنة (481هـ=1088م) إلى سنة (521هـ=1127م) أن إسحاق هذا قد لقي تبجيلاً كبيراً من يهود مصر، وأنه قد أصبح قاضياً لهم لسنوات عدة، وأنه قد منح ألقاباً فخريّة مثل «معلم الكلية»، و«رجل المحكمة القدير»، وأنه بالرغم من تكريم يهود مصر له، إلا أنه كان يتباهى بأصله الأندلسي، ويحافظ على اتصالاته بأحرار اليهود في الأندلس<sup>(1619)</sup>.

وكان أشهر عالم على الإطلاق أنجبه يهود الأندلس هو موسى بن ميمون، الذي يسميه العرب موسى بن ميمون عبيد الله، ويسميه الأوربيون «ميمونيدس»، ويختصر اليهود اسمه إلى «رمبم»، وقد ولد بقرطبة سنة (530هـ=1135م)<sup>(1620)</sup>، وتربى في بيئة علمية، حيث عمل والده ميمون التلمودي قاضياً، بعد أن تخرج من مدرسة الفاسي بأليسانة، وقد تعلم موسى الكثير من الأدب العربي والعبري قبل أن ترحل عائلته من قرطبة إلى المرية سنة (543هـ=1148م)<sup>(1621)</sup>.

(1618) الكواقي، اليهود في المغرب، ص 160؛ الحفني، عبد المنعم، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، (بيروت، دار المسيرة، ط 1، 1980م)، ص 160؛ جلال، الدب العبري، ص 135-136.

(1619) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.4-6.

(1620) ولفنسون، موسى بن ميمون، ص 1-3؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 88؛ LUZARUS GRUNHUT, MOSES B. MAIMON, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.9, P.73.

ديورانت، قصة الحضارة، ج 3، م 4، ص 120.

(1621) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.759-760.

وفي المربة تلقى موسى المزيّد من التعليم الديني، كما درس الفلسفة والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية على أيدي الأساتذة المسلمين<sup>(1622)</sup>؛ وصار لابن ميمون توجهاً فكرياً خاصاً وحامساً لكتابة أفكاره، ورغبة في تطوير الدراسات التلمودية، فبدأ في سنة (553هـ=1158م) بكتابة تفسير شامل للميشنا<sup>(1623)</sup>، وقد انتهى منه بعد عقد كامل<sup>(1624)</sup>.

وفي سنة (555هـ=1160م) هاجرت عائلة ابن ميمون إلى فاس؛ وهناك تتلمذ موسى على أيدي علم يُدعى يهوذا الكاهن؛ ولم تستقر أسرة ميمون طويلاً في فاس، بل تركتها حوالي سنة (561هـ=1165م)، وأبحرت إلى عكا ثم إلى مصر، واستقرت في مدينة الفسطاط، حيث كان الخلفاء [الفاطميون] يحسنون معاملة اليهود وغيرهم من الذميين؛ وأنشأ يهود الأندلس الذين ازداد عددهم في الفسطاط في زمن الموحدين مدرسة لتعليم علوم الديانة اليهودية والفلسفة والرياضيات والطب؛ وانضم موسى بن ميمون لهذه المدرسة، وواصل البحث والدرس، ولم يمض وقت طويل حتى أصبح من أساتذتها المبرزين<sup>(1625)</sup>، وعندما حكم الأيوبيون مصر صار ابن ميمون طبيباً للحكام الأيوبيين، ثم رئيساً للطائفة اليهودية في مصر<sup>(1626)</sup>.

(1622) ولفنسون، موسى بن ميمون، ص 4-7؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 88؛ جلال، الأدب العبري، ص 146.  
(1623) الميشنا: قسم من التلمود، الذي ينقسم إلى قسمين: الميشنا والجمارا، والميشنا بمثابة المتن، والجمارا بمثابة الشرح.

ينظر: عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 90؛ ولفنسون، موسى بن ميمون، ص 43.

(1624) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.762.

(1625) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 88-89.

(1626) DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.762.

لقد كان الإنتاج الفكري لابن ميمون غزيراً في علوم الديانة اليهودية، وقال عنه ابن أبي أصيبعة: «عالم بسنن اليهود، ويُعدّ من أحبارهم»<sup>(1627)</sup>، ومن أوائل الكتب التي كتبها ونشرها، كتاب بعنوان: «مناظرة عن الردة»، وقد كتبه وهو في المغرب رداً على رسالة أرسلها أحد الأحرار إلى الطوائف اليهودية في أفريقيا، يفتي فيها بأن أي يهودي ينطق بالشهادة يُعدّ مرتدّاً، حتى وإن كان يتظاهر بالإسلام، ويمارس الشعائر اليهودية؛ وقد هاجم ابن ميمون -الذين كان أحد اليهود المتظاهرين بالإسلام- ذلك الحبر، وأثبت صحة يهودية وتصرف المتظاهرين بالإسلام؛ وفي سنة (564هـ=1168م) أنهى ابن ميمون تفسيره للميشنا الذي بدأ به عندما كان شاباً في الأندلس، وقد كتبه بالعربية وسماه «كتاب السراج»، وفيما بعد ترجمه العديد من العلماء إلى العبرية؛ وفي مقدّمته ذكر بأن الهدف من وراء عمله هو تمكين الطلاب من استيعاب الميشنا، وإدراك التفسير العملي لكلّ قانون فيها<sup>(1628)</sup>.

ويعلق ولفنسون على أسلوب ابن ميمون في الكتابات الدينية بقوله: «وأسلوب موسى العبري غني بالمفردات، دقيق في التعبير، وهو ليس بأسلوب الميشنا الخالص، كما أنه ليس بأسلوب الكتاب المقدس، وإنما هو خلق جديد خاص به قد أثرت فيه الأساليب النثرية العربية المألوفة عند علماء المسلمين في عهده، وكان أسلوب موسى بن ميمون العبري قد أصبح المثل الأعلى لكلّ من دَوّن في التشريع بالعبرية»<sup>(1629)</sup>.

إنّ عقلية موسى بن ميمون وثقافته التي تشكلت وتأثرت بالبيئة العلمية التي تميزت بها الأندلس تحت حكم المسلمين، مكنته من الإبداع في كل ما كتب، ولا تزال مؤلفات ذلك الرجل من أمهات الكتب التي يرجع إليها علماء اليهود في الديانة والفقه اليهودي<sup>(1630)</sup>، مما جعلهم يقولون فيه: «من موسى [النبي عليه السلام] إلى موسى [ابن ميمون] لم يظهر كموسى»<sup>(1631)</sup>.

(1627) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 583.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.672. (1628)

ينظر: ولفنسون، موسى بن ميمون، ص 43-45.

L. GRUNHUT, MOSES B. MAIMON, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.2, P.74.

(1629) ولفنسون، موسى بن ميمون، ص 49.

LAZARUS GRUNHUT, MOSES B. MAIMAN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.2, P.74.

(1630) ولفنسون، موسى بن ميمون، التصدير؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 90.

(1631) ولفنسون، موسى بن ميمون، ص 26؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 90.



يقول إسرائيل ولفنسون: «ولسنا نعلم رجلاً آخر من أبناء جلدتنا غير ابن ميمون، قد تأثر بالحضارة الإسلامية تأثراً بالغ الحد، حتى بدت آثاره، وظهرت صبغته في مدوناته، من مصنفات كبيرة ورسائل صغيرة»<sup>(1632)</sup>.

مات موسى بن ميمون في مصر سنة (601هـ=1204م)، ثم نُقلت عظامه إلى طبرية حسب طلبه قبل موته، وقد كُتب على قبره هناك بالعبرية ما ترجمته: «دُفن في هذا القبر موسى بن ميمون الطريد المحروم الكافر»<sup>(1633)</sup>.

ويروي ابن العبري أنه رأى جماعة من يهود بلاد الفرنج بأنطاكية وطرابلس، يلعنونه ويسمونه كافراً<sup>(1634)</sup>؛ وقد دفع ذلك البعض للقول بأن موسى بن ميمون قد أسلم في أواخر أيامه<sup>(1635)</sup>، لكن اليهود في وقتنا الحالي يرفضون ذلك<sup>(1636)</sup>، إذ يقول ولفنسون عن العبارة السابقة التي على قبره إنها من وضع أعدائه، وأن هناك عبارة أخرى على القبر هي: «دُفن في هذا القبر معلمنا موسى بن ميمون مختار الجنس البشري»، وأن هاتين العبارتين المتناقضتين تعبران عن الخلاف بين طائفتين يهوديتين متنازعتين حول شخصية موسى بن ميمون<sup>(1637)</sup>.

ولا يعرف شيئاً عن الكتابات الدينية لليهود في سلطنة غرناطة المسلمة في عهد سلاطين بني نصر، غير أننا نعرف أنه كان هناك عدداً من العلماء والكتّاب أمثال يهودا بن طيرون، وسعديا بن ميمون بن دنان، وسليمان بن جوزيف بن أيوب<sup>(1638)</sup>، وإبراهيم سينيور (SENIOR)، وسليمان بن فيرغا<sup>(1639)</sup>.

(1632) ولفنسون، موسى بن ميمون، ص ك.

(1633) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 240؛

LAZARUS GRUNHUT, MOSES B. MAIMAN, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.9, P.74.

(1634) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 240.

(1635) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 90؛ جلال، الأدب العبري، ص 146.

(1636) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 90.

(1637) ولفنسون، موسى بن ميمون، ص 26؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 89-90.

HAIM, BEINART, GRNADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.853. (1638)

HAIM, BEINART, MALAGA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.1, P.817. (1639)

والجدير بالذكر أن الفكر الديني اليهودي قد تأثر بالفكر الديني الإسلامي تأثراً كبيراً، وممن كتب في هذا الموضوع اليهودي نفتالي فيدر، وهو يقول في كتابه «التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية»: «إن الديانة اليهودية تأثرت تأثراً عظيماً بالبيئة الإسلامية»<sup>(1640)</sup>، ويذكر نفتالي أن الوضوء كان من بين العبادات الكثيرة التي تأثر بها اليهود، فقلدوا به المسلمين، إذ أن الشريعة اليهودية لا توجب غسل القدمين في الوضوء، ولكن اليهود الذين عاشوا في أرض الإسلام صاروا يغسلون أقدامهم تقليداً للمسلمين<sup>(1641)</sup>، وقد عبر عن ذلك شاعر يهودي يُدعى مناحيم دي لوزنوا، فقال في إحدى قصائده:

لا يكن العرب أكثر منك طهارة  
الذين يغسلون أيديهم وأرجلهم بالماء في الفجر وظهراً وعشية  
وحتى في الليل بينما يشتد البرد، ويسقط الثلج<sup>(1642)</sup>.

ويتحدث فيدر أيضاً عن ذلك التأثير فيقول: «إن كبار المشرعين لم يتخرجوا من أن يستخدموا في تأليفهم أفكاراً وخواطر مأخوذة من التأليف في الإسلام وفلسفته، وكثيراً ما توغل هذا التأثير حتى في استعمال كلمات نجدها حيث لم تكن نتوقعها تماماً، ويكفي ذكر شاهد واحد وهو هذه العبارة: «فليفتنا سيدنا وأجره مضاعف في السماء، فهذه العبارة التي اقترنت طوال مئات السنين بالأسئلة التي كانت تعرض على الجاؤون من رؤساء الطائفة اليهودية، ومن خلفهم، مصدرها هي الأخرى من الخارج»<sup>(1643)</sup>.

#### ثانياً: الجدل الفكري بين المسلمين واليهود في الأندلس.

وقعت في الأندلس العديد من المجادلات الفكرية بين المسلمين واليهود، وقد ساعد على حدوث هذه المجادلات، الحرية الفكرية التي توفرت لهم، وإتقانهم للغة العربية، وحصول بعضهم على مناصب حكومية مهمة، ورغبتهم في الحفاظ على معتقداتهم التي يمكن أن يؤثر عليها فكر المسلمين وعقيدتهم.

(1640) فيدر، التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية، ص 9،

(1641) م.ن، ص 12-22.

(1642) م.ن، ص 21.

(1643) فيدر، التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية، ص 10. ينظر: جوايتاين، دراسات، ص 152.

وكانت أهم المجادلات التي شهدتها الأندلس، هي المجادلة بين ابن حزم الأندلسي (384-456هـ=994-1063م) وإسماعيل بن نغدله، وقد بدأت هذه المجادلة، عندما وقعت في يد ابن حزم نسخة من رسالة لابن نغدله يردّ فيها على كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، ذلك الكتاب الذي يناقش فيه ابن حزم ما اشتملت عليه التوراة التي بين أيدي اليهود من تناقض وتحرّيف وتبديل، حيث أفرد لذلك فصلاً خاصاً سمّاه «فصل في مناقضات ظاهرة وأكاذيب واضحة في الكتاب الذي تُسمّيه اليهود التوراة»<sup>(1644)</sup>؛ وقد رد ابن حزم على ابن نغدله في رسالة خاصة، وصلتنا، ونشرت تحت عنوان: «الرد على ابن النغيلة اليهودي»<sup>(1645)</sup>.

ولم تكن هذه المجادلة هي المجادلة الأولى التي يخوضها ابن حزم مع إسماعيل بن نغدله، فقد التقى به قبل ذلك في مالقة سنة 404هـ، وسأله عن قول التوراة: «لا تنقطع من يهوذا المخصرة، ولا من نسله قائد حتى يأتي المبعوث الذي هو رجاء الأمم»، فقال ابن نغدله: لم تنزل رؤوس الجواليت ينتسلون من ولد داود، وهم من بني يهوذا، وهي قيادة وملك ورياسة، فقال ابن حزم: هذا خطأ، لأن رأس الجالوت لا ينفذ أمره على أحد من اليهود، ولا من غيرهم، وإنما هي تسمية لا حقيقية لها، ولا له قيادة، ولا بيده مخصرة...<sup>(1646)</sup>. ثم لم يذكر ابن حزم ماذا كان رد ابن نغدله عليه، وفي موضع آخر تساءل ابن حزم عن قول إبراهيم -عليه السلام- إن ساره أخته، فقال ابن نغدله: إن نص اللفظة في التوراة «أخت»، وهي لفظة تقع في العبرانية على الأخت، وعلى القرية، فقال ابن حزم: يمنع من صرفنا هذه اللفظة على القرية ها هنا قوله: لكن ليست من أمي، وإنما هي بنت أبي، فوجب أنه أراد الأخت بنت الأم، قال: فخلط [ابن نغدله] ولم يأت بشيء<sup>(1647)</sup>.

(1644) ينظر: الحارذلو، إبراهيم، التوراة واليهود في فكر ابن حزم، (الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1982م)، ص 27-29.

(1645) ينظر: ابن حزم الأندلسي، الرد على ابن النغيلة اليهودي ورسائل أخرى، ص 45-81.

(1646) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص 152-153.

(1647) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص 135.

كما يروي ابن حزم في إحدى رسائله أنه كان يتردد على دكان لطبيب يهودي يدعى إسماعيل بن يونس، وأنه كان يناظره، ثم يدعوه إلى الإسلام، وهو يتحدث عنه فيقول: «وكان يقول إذا دعونه للإسلام وحسمنا شكوكه ونقضنا علكه: الانتقال في الأديان تلاعب»<sup>(1648)</sup>.

وهناك مجادلة حدثت بن أحد اليهود والمفتي ابن لب، يسأل فيها اليهودي عن القضاء والقدر بأبيات شعرية، يقول فيها:

أيأ علماء الدين ذمي دينكم	تحير دُلّوه بأوضح حجة
إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم	ولم يرضه مني فما وجه حيلتي
قضى بضلالي ثم قال ارض بالقضا	فهل أنا راضي بالذي فيه شقوتي؟
دعاني وسد الباب دوني فهل إلى	دخولي سبيل بينوا قضيتي؟
إذا شاء ربي الكفر مني مشيئة	فهل أنا عاصٍ باتباع المشيئة؟
وهل لي اختيار أن أخالف حكمه؟	فبالله فاشفوا بالبراهين علتني.
فرد عليه ابن لب بقصيدة طويلة منها قوله:	

فصدّق وأمن بالنبي محمد	فملته قد عطّلت كل ملّة
وعوّل على علم الشريعة والتمس	دليل هداها من كتاب وسنة <sup>(1649)</sup> .

وذكر الشاطبي حواراً دار بينه وبين يهودي ينكر خلق عيسى عليه السلام من غير أب بقوله: هل يكون شيئاً من غير مادة؟ فرد عليه: «فيلزمك إذاً أن يكون العالم مخلوقاً من مادة، وأنتم معشر اليهود لا تقولون بذلك، فأحد الأمرين لازم: إما صحة خلق عيسى من غير أب، وإما بطلان خلق العالم من غير مادة» فبهت اليهودي من جوابه المفحم<sup>(1650)</sup>.

(1648) ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، ج1، ص 114.

(1649) الونشريسي، المعيار، ج1، ص 266، 350.

(1650) الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، الإفادات والإنشاءات، تحقيق: «أبو الأجفان» (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1983م)، ص 156.

ويروي المقرئ إحدى المناظرات الطريفة فيقول: «سمع يهودي بالحديث المأثور «نعم الإدام الخل»، فأنكر ذلك حتى كاد يُصرَّح بالقدح، فبلغ ذلك بعض العلماء، فأشار على الملك أن يقطع عن اليهود الخل وأسبابه سنة، قال: فما تَمَّت حتى ظهر فيهم الجذام»<sup>(1651)</sup>.

وقد كان للسموئل المغربي الأندلسي، بعد إسلامه دوراً في مناظرة اليهود، وذلك في كتابه «بذل المجهود في إفحام اليهود» الذي يقول عن سبب تأليفه له: «والغرض الأقصى من إنشاء هذه الكلمة الردّ على أهل اللجاج والعناد، وأن يظهر ما يغور كلمتهم من الفساد، على أن الأئمة ضوعف ثوابهم - قد انتدبوا لذلك في مناظراتهم اليهود أنواع السالك، إلا أن أكثر ما نوظروا به لا يكادون يفهمونه أو يلتزمون، وقد جعل الله في إفحامهم طريقاً مما يتداولونه في أيدهم من نص تنزيلهم، وإعمالهم كتاب الله عند تبديلهم، ليكون حجة عليهم موجودة في أيديهم...»<sup>(1652)</sup>.

وأنتهج السموئل المنهج الذي سار عليه ابن حزم، مناقشاً إياهم في كتابهم بصورة جدلية مبرزاً التناقض الموجود في كتبهم، داحضاً حججهم وأقوالهم وآراءهم بالأدلة العقلية.

ومن الحجج العقلية التي اعتمد عليها في مسألة تكذيب اليهود لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام: «إذا سألنا يهودياً عن موسى عليه السلام، وهل رآه وعان معجزاته؟ فهو بالضرورة يقرّ بأنه لم يشاهد شيئاً من ذلك عياناً، فنقول له بماذا عرفت نبوة موسى وصدقه؟ فإن قال: إن التواتر قد حقق ذلك، وشهادات الأمم بصحته دليل ثابت في العقل، كما ثبت عقلاً وجود بلاد وأنما لم نشاهدها، وإنما تحققنا وجودها بتواتر الأنباء والأخبار، قلنا: إن هذا التواتر موجود لمحمد ﷺ وعيسى عليه السلام، كما هو موجود لموسى عليه السلام، فيلزمك التصديق بهما»<sup>(1653)</sup>.

واعتمد على الأدلة النقلية من الكتاب المقدس، عارضاً ما جاء فيه باللغة العبرية مع ترجمته إلى العربية، ثم يناقش الفكرة أو الفقرة مبيناً وجه التناقض فيه ليصل في النهاية إلى قضية تحريف اليهود لكتابهم.

(1651) المقرئ، نفح الطيب، م5، ص256.

(1652) بذل المجهود في إفحام اليهود، ص20.

(1653) م.ن، ص23.

وهو يتحدث عن الأسباب التي دفعته لاعتناق الإسلام وترك اليهودية فيقول: «ثم لما فحصت ودققت واتصلت إلى معرفة هذه القواعد الدينية ورأيتها أنها حديثة، وليس لها سند في التوراة، فقلت لنفسي: ويه ويه، ما الذي يحملك على قعودك في هذه الشريعة الغير ممكن إتقانها والعمل بها، لا بل وممتنع أيضاً»<sup>(1654)</sup>.

وبعد أن يسرد تلك الأسباب يقول: «فهذا وأمثاله هو الذي أحوجني أن أترك الدين اليهودي المتروك بالطبع، إذ نراه كميث لا يتحرك، وأتبع الدين المحمدي الحي المتحرك، والمحبوب صافيه ومخلصه عند كل عاقل، وأجهر بصوتي وأقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله»<sup>(1655)</sup>.

وقد استمر الجدل الفكري بين مسلمي ويهود الأندلس حتى في المدن التي كانت تسقط في يد النصارى الأسبان<sup>(1656)</sup>.

واستخدم اليهود قدراتهم على المجادلات الفكرية والدينية التي تطورت في ظل الحكم الإسلامي للأندلس في مجادلة النصارى بعد سقوط المدن الأندلسية في أيدي الأسبان، إذ خاضوا مع علماء النصارى في طرطوشة وبرشلونة وغيرها من المدن الأسبانية مجادلات ساخنة ذاعت شهرتها<sup>(1657)</sup>.

#### ثالثاً: الفلسفة

لم يعرف عن اليهود عبر تاريخهم الطويل اهتمام يستحق الذكر في مجال الفلسفة، اللهم إلا ما كتبه فيلو اليهودي (25 ق.م - 50 م) في الإسكندرية محاولاً أن يحمي المعتقدات اليهودية من الثقافة اليونانية الوثنية التي كانت الإسكندرية مركزها<sup>(1658)</sup>.

(1654) السموءل بن يحيى، بذل المجهود، ص 9-10.

(1655) م.ن، ص 78.

(1656) ينظر: الخزرجي، أحمد بن عبد الصمد، مقامع الصلبان، تحقيق: عبد المجيد الشرفي (تونس، 1975 م)، ص 119-122.

(1657) MARTIN GILBERT, JEWISH HISTORY ATLAS, P.34.

(1658) هنداي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 138-139.

يؤكد ذلك ابن العبري صاحب الاطلاع الواسع على الفكر الفلسفي بقوله: «العبرانيون لمفازتهم باقي الأمم، حرموا تعلم الحكمة، مقتصرين على الشرائع وسير الأنبياء»<sup>(1659)</sup>، ويؤكدده صاعد الأندلسي بقوله: «وأما بنو إسرائيل فلم يشتهروا بعلوم الفلسفة، وإنما كانت عنايتهم بالشرعية»<sup>(1660)</sup>. ويشهد على ذلك المستشرق اليهودي مونك فيقول: «لم يوجد في كتبهم - أي في كتب اليهود - أي أثر لهذه التأملات الميتافيزيقية التي نجدها لدى الهنود أو اليونان، ولم تكن لهم فلسفة بالمعنى الذي نطلقه على هذه الكلمة»<sup>(1661)</sup>.

فالفلسفة اليهودية ظهرت للوجود بصورة واضحة أثناء العصر الوسيط، أي في ظل الحكم الإسلامي، حيث شعر اليهود لأول مرة في تاريخهم بالأمن والطمأنينة<sup>(1662)</sup>.

وأول شخصية بارزة مشهورة تمثل الفلسفة بين اليهود الأندلسيين هو سليمان بن جابرول، الذي اشتهر بنشاطه الفكري في الشعر والنحو والفلسفة وشرح الكتاب المقدس؛ أما عمله الفلسفي الكبير فهو كتاب «ينبوع الحياة»، وهو عبارة عن محاولة فلسفية بين أستاذ وتلميذ، وقد اشتق اسم الكتاب من أنه يرى أن المادة والصورة أساس الوجود، ومصدر الحياة في كل شيء مخلوق<sup>(1663)</sup>؛ ويتلخص مضمون الكتاب في أن العالم يتكون من الإله والعالم الروحي والعالم المادي، أما الإنسان فيتكون من العالم الروحي والمادي، فجسمه من العالم المادي، وروحه وإدراكه من العالم الروحي، فهو إذا عالم صغير؛ وهو يرجع الفضائل والردائل إلى الحواس الخمس<sup>(1664)</sup>، وقد تأثر في كتابه بفلسفة ابن مسرة الأندلسي<sup>(1665)</sup>، المولود بقرطبة سنة (269هـ=883م)<sup>(1666)</sup>، وترجم الكتاب إلى اللاتينية في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وإلى العبرية في القرن التالي<sup>(1667)</sup>.

(1659) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 21.

(1660) طبقات الأمم، ص 131.

(1661) النشار، علي سامي، والشربيني، عباس احمد، الفكر اليهودي وتأثيره بالفلسفة الإسلامية، (الإسكندرية، منشأة المعارف، 1972م)، ص 4.

(1662) م. ن، ص 14.

(1663) هنداي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 148.

(1664) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 57-58؛

الحفني، الموسوعة النقدية، ص 27.

(1665) بالنيثا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 493.

(1666) هنداي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 141.

(1667) الكواتي، اليهود في المغرب، ص 175.

ومن الفلاسفة المشهورين في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي يحيى بن يوسف بن باقودا، الذي عاش في سرقسطة، وكتابه الرئيسى في الفلسفة كان بعنوان «الهداية إلى فرائض القلوب»، وقد عرض يحيى في مقدمته لكتابه إلى السبب الذي دعاه إلى كتابته، وهو أن القرن الذي كان يعيش فيه نسي الحياة الباطنية، وبين أن العامة قد انكفؤوا على العبادات والطقوس، فأدوها مجرد حركات فقط، إذ كانت بعيدة عن التعقل وحضور القلب، فانعدم التأمل والنظر؛ وأن الخواص قد تحجرت قلوبهم بظواهر الشريعة التلمودية، ونسوا العنصر الأساسي للدين، ولذلك كتب هو كتابه شفاء للناس من هذه النكبات، وليقدم لهم عقائد تقودهم إلى حياة روحية حقة<sup>(1668)</sup>.

ويذكر بالنيثا مقتطفات من فاتحة كتاب ابن باقودا<sup>(1669)</sup>، ثم يعلق عليها بقوله: «وأسلوبه في الكتاب، كما هو ظاهر، شديد الشبه بأساليب المسلمين، مما حدا بسالومون يهودا وجولدتسيهر إلى مقابله ببعض ما كتب المسلمون في هذا الباب، فتبين للأول منهما أن يحيى ينقل في بعض الأحيان نقلاً حرفياً عن بعض كتب الغزالي، وأورد فقرات من كتاب «الحكمة في مخلوقات الله» لأبي حامد، وقابلها بما يشبهها من كلام يحيى في «الهداية»<sup>(1670)</sup>، وقد ذكر بأن كتاب ابن باقودا هذا أول كتاب في الفلسفة الأخلاقية<sup>(1671)</sup>.

ويعلق آشتور على كتابات ابن باقودا بالقول: «فهو لم يستعر فقط العديد من الأفكار والمفاهيم من الأدب العربي، ويستشهد بالكثير من المقولات المنسوبة إلى محمد [صلى الله عليه وسلم] ورجالات الإسلام، وحتى آيات من القرآن، بل إن الآراء نفسها التي ذكرها، لم تكن متناسقة مع العقائد اليهودية الرسمية»<sup>(1672)</sup>.

(1668) الشرييني والشار، الفكر اليهودي، ص 25؛ قارن: عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 72؛ ينظر: ابن باقودا، يحيى بن يوسف، الهداية إلى فرائض القلوب، اعتنى بطبعه من أصل نسخ أوكسفورد وباريس وبتسبورج، إبراهيم بن سليمان بن بنيامين يهودا، (لندن، ط 1، 1907-1912م)، ص 3-34.  
(1669) بالنيثا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 494-496.  
(1670) بالنيثا، تاريخ الفكر الإسلامي، ص 496.  
(1671) الحفني، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ص 34.  
(1672) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.57.

للمزيد من التفاصيل عن فكر يحيى بن بقودة، وتأثره بالمسلمين، ينظر: كتابه: «الهداية إلى فرائض القلوب»؛ ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.51-58.



ويبدو أن الأمر لم يتوقف على نقل الفكر، بل وصل إلى درجة أخطر، جعلت الفقيه الأندلسي ابن عبدون يسارع إلى الإفتاء بأنه «يجب ألا يباع من اليهود ولا من النصارى كتاب علم، إلا ما كان من شريعتهم، فإنهم يترجمون كتب العلوم، وينسبونها إلى أهلهم، وأساقفتهم، وهي من تواليف المسلمين»<sup>(1673)</sup>.

نشأت في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بين المسلمين فلسفة عرفت بالفلسفة الإلهية، وأخذت هذه الفلسفة الجديدة تحارب الفلسفة الكلامية؛ وقد عبر عن هذه الفلسفة الجديدة الإمام الغزالي في كتابه «تهافت الفلاسفة»، ووصلت أفكاره إلى الأندلس، فتصدى لها بعض فلاسفة المسلمين، ومنهم أبو الوليد محمد بن رشد (520-595هـ=1126-1198م)، وقد انعكس هذا الجدل الفكري على يهود الأندلس، فقلدوا فلاسفة المسلمين حتى في خلافاتهم<sup>(1674)</sup>.

وكان يهودا هاليفي أو اللاوي (478-543هـ=1085-1148م) من أشهر فلاسفة اليهود في الأندلس الذين قلدوا الغزالي في تصديه للفلاسفة، ولهذه الغاية ألف يهودا كتابه المسمى «كتاب الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل»، كتبه بالعربية، وترجمه يهودا بن تبون أخيراً إلى اللغة العبرية؛ وقد دافع يهودا في كتابه هذا عن الدين والتعاليم اليهودية، وهاجم الفلاسفة، وانتقدهم انتقاداً مراً لأنهم أرادوا أن يؤيدوا الدين بالفلسفة<sup>(1675)</sup>.

(1673) ابن عبدون، رسالة ابن عبدون في الحسبة والقضاء، ص 57.

(1674) هنداي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 151.

(1675) م.ن، ص 150-151.

ونشأ عن هذا أن قام كثير من فلاسفة اليهود يدافعون عن الفلسفة، مثلما حدث عند المسلمين؛ وكان أشهر الفلاسفة اليهود في هذا المجال إبراهيم بن داود (504-576هـ=1110-1180م) المولود في طليطلة، وقد ألف في ذلك كتاب «العقيدة الرفيعة»، ردّ فيه على يهودا اللاوي، وبين أن الفلسفة لا تتعارض مع الدين، وأن التوراة تشتمل على كل شيء<sup>(1676)</sup>. واستخدم ابن داود في كتابه الحجج نفسها التي استخدمها كل من الفارابي وابن سينا في الرد على الغزالي<sup>(1677)</sup>، وقد كتب إبراهيم بن داود كتابه باللغة العربية، وفي سنة (795هـ=1392م) قام صاموئيل موتوت بترجمته إلى العبرية<sup>(1678)</sup>.

وكان موسى بن ميمون (530-601هـ=1135-1204م) أشهر فيلسوف يهودي عرفته الأندلس، ويمثل كتابه «دلالة الحائرين» ذروة التفكير اليهودي الفلسفي الذي تأثر بالفكر الإسلامي في القرون الوسطى<sup>(1679)</sup>. «وهو يُعدّ بحق جُماع ما في اليهودية من لاهوت وفلسفه، ولقد حاول ابن ميمون أن يوفق فيه بين العقل والدين، كما فعل ابن رشد وابن حزم بعده»<sup>(1680)</sup>، وقد كُتب الكتاب باللغة العربية، ثم تُرجم إلى العبرية واللاتينية، وإلى لغات أوروبية أخرى كثيرة<sup>(1681)</sup>.

#### رابعاً: التاريخ والجغرافيا

من الملاحظ أن يهود الأندلس لم يهتموا بكتابة التاريخ، فعلى مدى القرون الثمانية التي عاشوها تحت حكم المسلمين في الأندلس لم يبرز منهم في هذا المجال إلا مؤرخ واحد هو إبراهيم بن داود (504-576هـ=1110-1180م)؛ وفي الكتاب التاريخي الوحيد الذي كتبه بعنوان «هكبالاً» بمعنى «التصوف»، لم يتناول ابن داود التاريخ الأندلسي، بل ركز على تاريخ كتابة التلمود، وكيف انتقلت السلطة الروحية لليهود من المشرق إلى المغرب، وقد عرض في كتابه روايات تتعلق بالحياة الاجتماعية لليهود الأندلس<sup>(1682)</sup>.

(1676) م.ن، ص 150-151؛ الحفني: الموسوعة النقدية، ص 30.

(1677) بالثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 500؛ هنداي، الأثر العربي، ص 153.

(1678) هنداي، الأثر العربي، ص 153.

(1679) م.ن، ص 156.

(1680) بالثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 502-503.

(1681) م.ن، ص 502.

للمزيد من التفاصيل عن كتاب «دليل الحيران».

ينظر: DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.767-772.

(1682) محمد بحر، اليهود في الأندلس، ص 82.

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.756.

ينظر: ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.6-7.

وبالرغم من عدم وجود مؤلفات تاريخية لليهود إلا أن هناك ما يدل على اهتمام بين يهود الأندلس بقراءة التاريخ ومعرفته، إذ ذكر ابن أبي أصيبعة حينما ترجم لحسداي بن شبروط، بأنه أول من فتح لليهود الأندلس باب علمهم في الفقه والتاريخ بعد أن كانوا يستشيرون في هذه المسائل المدرسة اليهودية في بغداد<sup>(1683)</sup>.

كما أشتهر دوناش ابن لبراط بين اليهود باطلاعه الواسع على التاريخ اليهودي، ويظهر كتاب «المحاضرة والمذاكرة» لموسى بن يعقوب بن عزرا اهتماماً كبيراً منه بالتاريخ إذ يحتوي على معلومات تاريخية كثيرة<sup>(1684)</sup>.

وعلى طريقة الرحالة والجغرافيين المسلمين قام أفراد من يهود الأندلس برحلات إلى دول عديدة، وألفوا كتباً عن رحلاتهم، دونوا فيها كثيراً من المعلومات التاريخية والجغرافية المهمة.

ومن أوائل الرحالة اليهود إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطرطوشي الذي عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وكان تاجراً للعبيد تجول في جنوب ألمانيا سنة (335هـ=965م)، وقابل الإمبراطور أوتو. وترك إبراهيم رحلة مدونة تُعدُّ اليوم في حكم المفقود، وقد أمكن التعرف عليها من خلال النقول الكثيرة منها عند كلٍّ من البكري والقزويني. ورحلته تحتوي على معلومات شيقة ومفصلة عن إمارات الصقالبة في أوروبا الوسطى، كبلغاريا وبولندا والتشيك، وأورد تفاصيل واسعة عن بعض المدن الساحلية أو القريبة من الساحل بفرنسا وهولندا وألمانيا<sup>(1685)</sup>.

والطرطوشي «لم يكن تاجراً فحسب... بل كان من المحبين لاقتناء الكتب، كما كان شخصاً مثقفاً دقيق الملاحظة»<sup>(1686)</sup>.

(1683) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 492؛

السموئل بن يحيى، بذل المجهول في إفحام اليهود، ص 6-7.

(1684) الكواتي، اليهود في المغرب ص 173.

(1685) البكري، المسالك والممالك، «الجزء الخاص بالأندلس»، ص 80، 81، 155، 170، 174؛

القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت، دار صادر، 1969م)، ص 206، 556، 575، 600، 601، 607؛ كراتشكوفسكي،

تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص 83؛

ينظر: E.DAVIS, TORTOSA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1268.

(1686) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب، ص 83.

ومن الذين كتبوا في هذا المجال أيضاً بنيامين التطيلي المتوفى سنة (586هـ=1190م)، الذي ألف كتاباً بعنوان «همساعوث» أي «الرحلات»، ويُعدّ كتابه هذا مرجعاً مهماً في تاريخ اليهود وأحوالهم وجغرافية البلاد التي كانوا يعيشون فيها في عصره، فقد كتب بالتفصيل عن رحلاته في الشمال الأسباني، وجنوب فرنسا وإيطاليا وتركيا وجزائر بحر أيجه وقبرص وسوريا وفلسطين والعراق واليمن وصقلية، ووصف مدنها الرئيسية، وأسماء اليهود البارزين في كل مدينة؛ فنجد مثلاً أنه أفرد جزءاً كبيراً لوصف روما والإسكندرية، وأشار إلى المعاملة الطيبة التي كان يلقيها اليهود تحت ظل الخلافة الإسلامية، كما كتب أيضاً عن البلاد التي لم يزرها، ولكنه سمع عنها مثل الهند وسيلان وبولندا وروسيا<sup>(1687)</sup>؛ وقام عزرا حداد بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية، عن الأصل العبري، وتمّت طباعته في بغداد سنة (1346هـ=1945م)<sup>(1688)</sup>؛ وقد تأثر بنيامين التطيلي في كتابه هذا بطريقة الرحالة المسلمين وأساليبهم<sup>(1689)</sup>.

#### خامساً: الطب

اهتمَّ يهود الأندلس بتعلم الطب، وعدّوه وسيلةً للكسب وللحصول على مناصب رفيعة لدى حكام الأندلس وأمرائها<sup>(1690)</sup>؛ وقد تعلم معظم الأطباء اليهود الأندلسيين في المعاهد الإسلامية، على أيدي الأطباء المسلمين الذين تفوّقوا في هذا المجال، وأكثروا فيه التأليف. يظهر ذلك من خلال قائمة تراجم الأطباء الأندلسيين التي أوردها ابن أبي أصيبعة في «عيون الأنباء».

DUBNOV, HISTORY OF THE JEWS, VOL.2, P.756-757; (1687)

عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 81-82.

ينظر: التطيلي، بنيامين بن يونه، رحلة بنيامين، ترجمة: عزرا حداد، (بغداد، المطبعة الشرقية، ط 1، 1364هـ=1945م)، ص 25-28.

(1688) ينظر: التطيلي، رحلة بنيامين، «صفحة الغلاف».

(1689) ينظر: فرج، القدس، ص 135.

(1690) ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 488-498؛

NEHMAN, THE JEWS IN SPAIN, VOL.2, P.108.

ومن أطباء اليهود في الأندلس يحيى بن إسحاق الذي استوزره عبد الرحمن الناصر، وذكر له ابن أبي أصيبعة كتاباً في الطب دون إشارة إلى اسمه أو محتواه<sup>(1691)</sup>. وإسحاق بن قسطار الذي خدم مجاهد العامري مؤسس إمارة دانية<sup>(1692)</sup>؛ وابن بكلارش الذي خدم بطبّه أمراء بني هود في الأندلس، فقد ألف كتاب «المجدولة» في الأدوية المفردة، وأهداه إلى المستعين بالله أبي جعفر ابن أحمد بن المؤتمن بالله بن هود<sup>(1693)</sup>؛ وأبو الفضل بن حسداي، الذي يروي الشتريني أن ذي الوزارتين أبو عامر بن الفرنج أرسل إليه أبياتاً من الشعر يطلب منه دواء يدعى «الدياخلون»، فردّ عليه أبو الفضل بأبياتٍ شعريةٍ يقول فيها:

يا آخذاً باليمين	في المجد شتّى الفنون
سلمّ العلمي في الط	بّ والقربا—اذين
لا ينبغي أن يُداوى	الخُراج بـالتلين
حتى يُقوّم رذّع الـ	أخلاط بالتسكين
وقد بعثتُ شراباً	يُعزى إلى الزرجون
يُغني إذا ذقته عن	شرابِ الـافستين <sup>(1694)</sup>

والطبيب اليهودي إسماعيل بن يونس الذي كان بصيراً بالفراصة محسناً لها، وهو من أهل المرية<sup>(1695)</sup>؛ وأبو أيوب سليمان بن المعلم الإشبيلي<sup>(1696)</sup>، وأبو الحسن ماير بن قمنال<sup>(1697)</sup>، اللذان كانا طبيبين لبعض حكام المرابطين؛ وإلياس بن المدور الرُّندي الذي عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي<sup>(1698)</sup>؛ ومروان بن جناح صاحب كتاب «التلخيص»، الذي تكلم فيه عن الأدوية، وحدّد مقادير الأوزان والمكاييل المستخدمة في صناعتها<sup>(1699)</sup>؛

(1691) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 488-489.

(1692) م.ن، ص 498.

(1693) م.ن، ص 501.

(1694) الشتريني، الذخيرة، ق 3، م 1، ص 487.

(1695) ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، ج 1، ص 114.

(1696) HAIM BEINART, SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14.

(1697) الأهواني، عبد العزيز، «على هامش ديوان ابن قزمان»، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، (م 18، مدريد، 1974-1975)، ص 77.

(1698) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلّ الغرب، ج 1، ص 336، ترجمة رقم: (نقص)؛ المقري، نفح الطيب، م 3، ص 528.

(1699) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 498.

ومنجم بن الفوال الذي قال عنه ابن أبي أصيبعة: «من سكان سرقسطة، وكان متقدماً في صناعة الطب»<sup>(1700)</sup>؛ ويحيى بن الصائغ الذي كان طبيباً خاصاً لبني الأحمر في أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي<sup>(1701)</sup>؛ وأبراهام بن الثرثار الذي كان طبيباً في بلاط محمد الخامس النصري، والذي أثارت شهرته حسد الطبيب الغرناطي محمد اللحي الشقوري، فوضع كتاباً بعنوان «قمع اليهود عن تعدّي الحدود»، وعندما خلع محمد الخامس، وانتقل إلى المغرب عام (760هـ=1359م)، لجأ ابن الثرثار إلى قشتالة، ومن هناك انتقل إلى المغرب، واتصل بسلطانه المخلوع، ثم عاد معه إلى غرناطة<sup>(1702)</sup>.

وأشهر عالم يهودي كتب في الطب، واشتهر به، وتأثر بأطباء المسلمين هو موسى بن ميمون الذي تعلّم الطب على أيدي المسلمين في الأندلس والمغرب<sup>(1703)</sup>، يقول عنه القفطي: «قرأ علم الأوائل بالأندلس، وأحكم الرياضيات وأخذ أشياء من المنطقيات، وقرأ هناك الطب فأجاده»<sup>(1704)</sup>، ومارسها في مصر، ووضع فيها مؤلفاته الطبيعة التي بلغت عشرين مقالاً ورسالة دُوّنت جميعها بالعربية<sup>(1705)</sup>، منها اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس<sup>(1706)</sup>، والذي يسمى كتاب «المختصر»<sup>(1707)</sup>، الذي تحدّث عنه القفطي بقوله: «وصنف مختصراً لواحد وعشرين كتاباً من كتب جالينوس، فجاء في غاية الاختصار»<sup>(1708)</sup> ومقالة في البواسير وعلاجها، ومقالة في السموم والتحرز من الأدوية القتّالة<sup>(1709)</sup>.

(1700) عيون الأنباء، ص 498.

(1701) ابن خلدون، العبر، ج4، ص 178-179.

(1702) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، ص 42، 53.

(1703) ولفنسون، موسى بن ميمون، ص 142.

(1704) القفطي، أخبار العلماء، ص 209.

(1705) م.ن، ص 143.

(1706) جالينوس: أحد علماء الإغريق الذين عاشوا في القرن الثاني الميلادي، وهو أشهر أطباء العالم القديم؛ ولفنسون، موسى بن ميمون، ص 144.

(1707) م.ن، ص 144.

(1708) القفطي، تاريخ الحكماء، ص 329.

(1709) ولفنسون، موسى بن ميمون، ص 150؛

LAZARUS GRUHUT, MOSES B. MAIMON, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA , VOL 9,P.82.

ومقالة في تدبير الصحة ألفها للملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي<sup>(1710)</sup>، وكتاب «شرح أسماء العقار» شرح فيه أسماء العقاقير المستعملة في صناعة الطب. وقال في مقدمته: «قصدي في هذا الكتاب شرح أسماء العقاقير الموجودة في أزماننا، المعروفة عندنا، المستعملة في صناعة الطب في هذه الكتب الموجودة لدينا»<sup>(1711)</sup>.

أمّا أكبر رسائله الطّبية شهرةً فهي «فصول موسى» وتشمل على 1500 قانون طبي، استخلصت من مُصنّفات جالينوس وغيره من أطباء الإغريق، وله عليها تعليقات ونقد، وقد ذكّر فيها من أطباء المسلمين ابن زهر وابن رضوان. وقد تُرجمت إلى العبرية واللاتينية<sup>(1712)</sup>.

والجدير بالذكر أن بعضاً من أطباء اليهود في الأندلس لم يلتزموا بأخلاق مهنتهم، وتعمّدوا في تسميم وقتل بعض مرضاهم من المسلمين<sup>(1713)</sup>. وكان أحد ضحايا هذا النوع من الأطباء اليهود أبو سعيد بن لب الذي قدّم له طبيب يهودي دجاجة اقتصر على ماء الورد في إنضاجها، بعد أن أوهمه أن عملها على تلك الصفة مما ينعش قوّته ويُنهضها، فتسبّب في موته<sup>(1714)</sup>. وكذلك موسى بن مفروح الذي حاول أن يستقلّ بغرناطة عن دولة المرابطين<sup>(1715)</sup>، فدُسّ إليه يهودي يتّحلّ الطب، سقاه يوم أربعاء، ودفن يوم جمعه<sup>(1716)</sup>.

وقد أثّرت مثل هذه التجاوزات على سمعة الأطباء اليهود لدى مسلمي الأندلس، وقام الفقهاء بتحذير المسلمين منهم. وها هو ابن عبدون يقول: «فإنّهم لا يرون نصيحةً مسلمٍ، إلّا أن يُطبّبوا أهل ملّتهم، ومن لا يرى نصيحةً مسلمٍ، كيف يوثق على المُهج؟!»<sup>(1717)</sup>

(1710) ينظر: ولفنسون، موسى بن ميمون، ص 146-150؛

LAZARUS GRUHUT, MOSES B. MAIMON, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.9, P.73-74.

(1711) ابن عبد الله الإسرائيلي القرطبي، أبو عمران موسى، شرح أسماء العقار، نشر وتصحيح ومراجعة ماكس مايرهوف، (بغداد، مكتبة المثنى، 1940م)، ص 3.

(1712) ولفنسون، موسى بن ميمون، ص 143؛

LAZARUS GRUHUT, THE JEWISH ENCYCLOPEDIA, VOL.9, P.82.

(1713) ينظر: ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 178-179.

(1714) ابن عاصم الغرناطي، جنّة الرضا، ص 128-129.

(1715) ابن عذاري، البيان المغرب، ج 4، ص 76-77.

(1716) م. ن، ص 76-77.

(1717) ابن عبدون، رسالة ابن عبدون في الحسبة والقضاء، ص 57.

وتكشف إحدى الرسائل التي بعث بها المجمع اليهودي العالمي في الآستانة إلى يهود أسبانيا النصرانية، والمؤرخة في 13-كانون الثاني سنة 1984 م، عن أن استغلال اليهود لمهنة الطب في قتل أعدائهم لم يكن تصرفاً فردياً، وإنما بتوجيه من قادتهم وأخبارهم، فقد جاء في الرسالة: «أيها الأخوة الأعزاء بموسى، تلقينا كتابكم وفيه تطلعون على ما تقاسونه من الهموم والبلايا، فكان وقع هذا الخبر شديد الوطأة علينا، وإليكم رأي المرازبة [الحكام] والربانيين: ... بمقتضى قولكم إنهم يعتدون على حياتكم، فاجعلوا أولادكم أطباء وصيادلة ليعدموا المسيحيين حياتهم»<sup>(1718)</sup>.

وقد عانى النصارى الأسبان في المدن الأندلسية المحتلة من أخلاقيات بعض الأطباء اليهود، ووجدوا أنهم لا يتورعون من قتل مرضاهم. فأصدرت الكنيسة تشريعاً يحرم على النصارى التداوي عند الأطباء اليهود<sup>(1719)</sup>.

سادساً: الفلك والرياضيات

اهتم اليهود بعلم الفلك للاستعانة به في معرفة التقويم السنوي، وتحديد أيام أعيادهم، لكن معرفتهم فيه ظلت محدودة، ولم تتحسن إلا عندما عاشوا في دولة الإسلام، حيث تمكنوا في الشرق الإسلامي من كتابة مقالات بسيطة عن طول السنة الشمسية والقمرية، وعن النجوم والأبراج والاسطرلاب والرياح<sup>(1720)</sup>.

(1718) الخوري، مؤامرة اليهود على المسيحية، ص 41-42.

NEHMAN, THE JEWS IN SPAIN, VOL.2, P.110. (1719)

WAXMAN, A HISTORY OF JEWISH LITERATURE (N.Y. BLOCH (1720) PUBLISHING COMPANY, 1938), VOL.1, P.444, 447; NEHMAN, THE JEWS IN SPAIN, VOL.2, P.103-104.



وفي الأندلس نبغ عدد من اليهود في الفلك والرياضيات، وذلك بسبب وجود الأساتذة المسلمين الكبار الذين تتلمذ اليهود وغيرهم على أيديهم، أمثال مسلمة بن أحمد المجريطي المتوفى عام (398هـ=1007م) «إمام الرياضيات في الأندلس، وأعلم من كان قبله بعلم الفلك وحركات النجوم»؛ وأصبح به السمع الذي يرفع في النجوم والهندسة، وأبو القاسم الصفار أستاذ الرياضيات في قرطبة، وابن زيد القرطبي منجم الخليفة المستنصر بالله (350-366هـ=961-976م)، وصاحب كتاب «تفضيل الأزمان ومصالح الأبدان»<sup>(1721)</sup>، وإبراهيم بن يحيى النقاش المعروف بالزرقبال المتوفى عام (480هـ=1087م)، الذي قال عنه القفطي: «إنه أبصر أهل زمانه بأرصاد الكواكب وهيئة الأفلاك»<sup>(1722)</sup>.

ومن مشاهير وأوائل اليهود في الأندلس في علم الفلك «حنان»، الذي كان قاضياً لليهود في قرطبة سنة (360هـ=970م)، وصاحب كتاب مطول في الفلك<sup>(1723)</sup>. وأبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي الذي يقول فيه ابن أبي أصيبعة: «برع في علم العدد والهندسة وعلم النجوم»<sup>(1724)</sup>، دون أنه يذكر مؤلفاته. وأبراهام بن يحيى (ت: 531هـ=1136م)، الذي دون مؤلفاته باللغة العبرية، وهذه المؤلفات هي:-

1- مقالات في الهندسة.

2- كتاب في النجوم.

3- دائرة معارف في الهندسة والحساب والفلك والموسيقى.

4- كتاب في الجداول الفلكية يُسمّى «جداول البتاني»، لأنه تبع فيها الفلكي المسلم البتاني<sup>(1725)</sup>.

ولابن يحيى كتاب في الفلك هو كتاب «شكل الأرض» يُعدُّ أهم كتبه، وهو أول كتاب فلك يكتب باللغة العبرية<sup>(1726)</sup>.

(1721) المقري، نفح الطيب، م2، ص128.

(1722) القفطي، تاريخ الحكماء، ص143.

(1723) NAXMAN, A HISTORY OF JEWISH LITERATURE, VOL.1, P.448.

(1724) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص499.

(1725) هنداي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص172، NEHMAN, THE JEWS, VOL.2, P.103.

(1726) م.ن ص172.

أما أبراهام بن عزرا (486-563هـ=1093-1167م)، فقد ألّف في الفلك والتنجيم كتاباً عدّة منها :-

- 1- كتاب عن الاسطرلاب يسمى آلة النحاس.
  - 2- ترجمة للفلكي المسلم «البتاني» على جداول الخوارزمي الفلكية.
  - 3- كتاب الولادة، وكتاب القسمة والنصيب يُبين فيه الحوادث التي تحدث للإنسان بواسطة النجوم<sup>(1727)</sup>.
- وإسحاق بن باروخ البالية الذي عمل فلكياً لدى المعتضد (415-462هـ=1024-1069م)<sup>(1728)</sup>، ويتحدّث آشور عن علم الفلك عند يهود الأندلس فيقول: «وكان حساب «الدورات» في التقويم اليهودي قد حدّده حسن بن مارحس، وهو فلكي يهودي من قرطبة، وقد قام به بالتوافق مع نظام الفلكي العربي الشهير البتاني. وفي منتصف القرن الحادي عشر الميلادي كان ثمة عدد لا يستهان به من مفكري اليهود في الأندلس فلكيين، وقد اعتمدوا جميعاً على جداول ودراسات المسلمين»<sup>(1729)</sup>.
- أمّا في مجال الرياضيات فقد ظلّت معرفة اليهود فيها محدودة، تقتصر على بعض المحاولات التي تخدم قضاياهم الدينية، إلى أن عاش اليهود تحت حكم المسلمين وخصوصاً في الأندلس، وتوفرت لهم البيئة العلمية والأساتذة الكبار، فتعلّموا وبرز فيها عدد منهم أمثال إبراهيم بن يحيى الذي ألّف كتاباً في المساحات والمقاييس، كانت له أهمية كبيرة فترجمه عالم الرياضيات أفلاطون التيفولي إلى اللاتينية في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي<sup>(1730)</sup>. وأبراهام بن عزرا الذي ألّف في الرياضيات كتاباً عديدة أهمها كتاب في خواص الأعداد العشرة الأولى وكتاب في المقاييس الهندسية<sup>(1731)</sup>. والسموئل المغربي الأندلسي الذي ألّف «كتاب القوافي في الحساب الهندي»، وكتاب «إعجاز المهندسين»، وكتاب «المثلث القائم الزاوية»<sup>(1732)</sup>.

(1727) م.ن ص 173 ؛ ينظر : NEHMAN, THE JEWS ,VOL.2 ,P.103.

(1728) HAIM BEINART ,SEVILLE ,ENCYCLOPEDIA JUDAICA , VOL .14 ,P.1201.

(1729) ASHTOR, THE JEWS, VOL.3, P.7.

(1730) هنداي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص 174 .

(1731) م.ن، ص

(1732) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 472 .

وكتاب «الباهر في الجبر» الذي يقول في مقدمته : «هذا الكتاب الذي جمعنا فيه أصول صناعة الجبر والمقابلة، وبرهنا منها على ما لم نجد أحداً برهن عليه، وكملنا بما أودعناه من الأعمال المبتكرة والأشكال المبتدعة، ما كان في أيدي الناس هذه الصناعة. وعلّلنا فيه ما زعم فيتاغورس أنه أدركه بطريق الوحي»<sup>(1733)</sup>.



---

(1733) السموئل، الباهر في الجبر، ص 9.

## الخاتمة ونتائج البحث

توصلت الدراسة إلى عددٍ من النتائج، وفي ما يأتي بيان لأهمها :

\* كان أول استقرار لليهود في شبه الجزيرة الأيبيرية في القرن السادس قبل الميلاد، وقد نُقلوا إليها أسرى مع ملكها إشبان بعد أن شارك مع نبوخذ نصر في فتح القدس.

\* عاش اليهود في أسبانيا تحت حكم العديد من الأقوام، وكانوا في معظم الأوقات مكروهين، بسبب تكبرهم على الأمم الأخرى، واستحلال أكل أموالهم بالباطل، واستهزائهم بمعتقداتهم. وكان الأشد قسوة على اليهود هم القوط الكاثوليك، إذ استعملوا طرقاً عدّة لإجبارهم على التنصر، وعندما فشلوا حولوهم جميعاً إلى عبيد لهم.

\* كان الفتح الإسلامي للأندلس مُخلصاً لليهود، ومنقذاً لهم من العبودية والانقراض.

\* تواجد اليهود في معظم مناطق ومدن الأندلس، وكان تواجههم كبراً وملفتاً للنظر في بعض المدن كإليسانة وطركونة وبيانة.

\* سمح المسلمون لليهود بالسكن في قصبات المدن الأندلسية -داخل أسوارها-، بعد أن حرّمهم القوط من ذلك. وساووهم بأبناء القبائل العربية المسلمين عندما جعلوا لهم أحياء خاصة بهم في مدن الأندلس، ولم يجبروهم على العيش داخلها، بل أتاحوا لهم متى شاؤوا أن يقيموا بين ظهري المسلمين، مجاورين لهم في مساكنهم.

\* لم يحدث أي تنسيق بين المسلمين واليهود لفتح الأندلس كما يدّعي الأسبان، ولم يكن لليهود دورٌ يذكر في عمليات الفتح كما يدّعي اليهود، فهم لم يفعلوا أكثر من المشاركة في حراسة بعض المدن المفتوحة، وكانوا تحت إمرة المسلمين، وحتى هذه المهمة كانوا يفشلون في أدائها، إذا تعرّضت المدينة التي يشاركون في حراستها لهجوم أو تمرد من النصاري، إذ كانوا يهربون ويتركون الجنود المسلمين يواجهون المتمردين وحدهم، مثلما حدث في إشبيلية.

\* شهدت العهود التي التزم فيها الحكام بالمنهج الإسلامي في التعامل مع اليهود، والتزم فيها اليهود بشروط عقد الذمة هدوءاً وعلاقاتٍ طيبة بين اليهود والسلطة، وبين المسلمين واليهود عموماً. وقد ظهر ذلك واضحاً في القرون الثلاثة الأولى من الحكم الإسلامي للأندلس، حيث حصل اليهود على معاملةٍ حسنة، ولم تحدث منهم تجاوزات تؤدّي إلى ردود فعل عنيفة ضدهم، وقد حدث ذلك أيضاً في عهد المرابطين، وفي سلطنة غرناطة، على مدى نحو قرنين ونصف من الحكم الإسلامي لها.

\* خرج بعض حكام الطوائف عن المنهج الإسلامي في التعامل مع اليهود، فقرّبوا عدداً منهم، وسلموهم مناصب حكومية مهمة في دويلاتهم، وصلت أحياناً إلى منصب رئاسة الوزارة مثلما حصل في غرناطة في عهد باديس.

وتجاوز اليهود في عهد الطوائف حدودهم، ولم يلتزموا بشروط عقد الذمة، فتسلّطوا على المسلمين، وسخروا من دينهم، وتآمروا عليهم، وحتى على الحكام الذين قرّبوهم، وكانت النتيجة تعاسة على كل من المسلمين واليهود، حيث عانى المسلمون من ظلم وتسلّط اليهود مع أنهم يعيشون في دار الإسلام، وتحت حكم المسلمين، وعانى الحكام من مؤامرات اليهود عليهم، وعانى اليهود كذلك من ردود فعلٍ عنيفة ضدهم، أدّت في غرناطة إلى تشردهم وقتلٍ عددٍ كبيرٍ منهم.

\* حاول اليهود في عهد الطوائف إقامة دولة يهودية في مدينة المريّة، حيث اتفق الوزير اليهودي يوسف بن إسماعيل بن نغدله مع حاكم المريّة ابن صمادح، على تسليمه غرناطة، مقابل تنازل ابن صمادح عن المريّة لابن نغدله، ليقم فيها لليهود دولة، وعندما علم مسلمو غرناطة بذلك ثاروا على اليهود، وقتلوا ابن نغدله وكثيراً من أعوانه، وأفشلوا المحاولة.

\* تعرّض حكام الطوائف الذين قرّبوا اليهود ونصّبوهم، وسلّطوهم على رقاب المسلمين لانتقاد العلماء، ونقمة جماهير المسلمين.

\* سمح المسلمون لليهود الذين حصلوا على مناصب مهمة في بعض العهود في الأندلس، بالإفادة من مناصبهم في خدمة اليهود داخل وخارج الأندلس.

\* لم يُقدَّرَ يهود الأندلس إحسان المسلمين إليهم، وكانوا يشاركون النصارى الأسبان في التنكيل بمسلمي المدن الأندلسية المحتلة، ويدعمونهم بالمال في حربهم ضد مسلمي الأندلس، ويشاركون في القتال معهم في بعض الأحيان.

\* أظهر يهود الأندلس الطاعة والولاء للسلطة في زمن قوة المسلمين في القرون الثلاثة الأولى من حكم المسلمين للأندلس، وعندما ضعفت السلطة في عهد الطوائف وفي العهود اللاحقة، وازدادت قوة النصارى الأسبان، كثرت مؤامرات اليهود على السلطة الإسلامية، وزادت خياناتهم ونقضهم لعهودهم، وتجاوزاتهم على الإسلام والمسلمين.

\* كان لمسلمي الأندلس علاقات اجتماعية طبيعية باليهود، وقد أحسنوا إليهم وأنصفوهم بالرغم من علمهم بسوء طبائعهم، وشدة عدائهم للمسلمين؛ وذلك لأن دينهم يأمرهم بالإحسان إلى اليهود عندما يكونوا تحت حكمهم، وفي ذمتهم.

\* حدثت بعض العلاقات الفردية المتجاوزة لحدود الشريعة بين مسلمين ويهود في الأندلس، ولم يقع في هذا النوع من العلاقات إلا مسلم منحرف من أصحاب اللهو والمجون، وكانت هذه العلاقات النادرة والشاذة محل انتقاد عامة المسلمين ومثقفهم وعلمائهم.

\* كان لليهود في الأندلس رئيساً للطائفة يسمى «الناسي»، وكان حكام الأندلس هم الذين يتولون تعيينه، وكان مسؤولاً أمامهم عن جمع الجزية من اليهود وتسليمها لهم، إضافة إلى تنظيم شؤون الطائفة الدينية والإدارية والمالية.

\* كان لليهود الأندلس قضائهم، ومحاكمهم الخاصة التي تفصل في خلافاتهم، وضرائب خاصة ينفقون منها على الشؤون العامة لطائفتهم، إضافة إلى تنظيمات إدارية ومالية أخرى.

\* سُمح لليهود الأندلس بممارسة النشاطات الاقتصادية كافة، بيد أنهم ركزوا على التجارة، وخصوصاً تجارة العبيد، وحققوا من ورائها أرباحاً كبيرة، ولم يفلحوا إلا في الصناعات والمهن الوضيعة التي زهد بها المسلمون.

\* أثرت الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي تأثيراً كبيراً في ثقافة اليهود، وغيّرت في فكرهم وأديهم ولغتهم وتشريعاتهم، وحتى في طقوسهم وعباداتهم.

\* لم يكن علماء ومفكرو اليهود في الأندلس أولو فكرٍ مبدعٍ وخلاقٍ كما يدَّعي اليهود، بل كانوا مقلدين لعلماء ومفكري المسلمين، ومتأثرين بفكرهم إلى حد كبير.

\* أسهم المثقفون اليهود في الأندلس بنقل ثقافة وعلوم وفكر المسلمين إلى أوروبا، فكانت على أساسها النهضة العلمية الأوروبية الحديثة.

التوصيات:

لقد تبين للباحث من خلال دراسته لموضوع اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس أن هناك موضوعات جديرة بالبحث، وما تزال تخلو منها المكتبة العربية، وهي بحاجة إلى اهتمام وجهود الباحثين، وهذه الموضوعات هي:-

1- دراسة أوضاع اليهود والنصارى تحت حكم المسلمين في المغرب ومصر والعراق وبلاد الشام، وخلال العهود الإسلامية المختلفة.

2- دراسة أوضاع المسلمين تحت حكم النصارى الأسبان في المدن الأندلسية المحتلة.

3- دراسة أوضاع اليهود في أسبانيا النصرانية.

وختاماً فإني أحمد الله عزَّ وجل كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، الذي شرح صدري للبحث في هذا الموضوع، ومنحني القدرة على خوض غماره، ويسَّر لي كلَّ ما أعانني على إخراج هذه الصورة، وأسأله سبحانه أن يجعل كلَّ ما بذلته فيه جهاداً في سبيله، أجده في ميزان حسناتي يوم القيامة.

والفضل لله وحده في كلِّ صوابٍ وتوفيقٍ وخيرٍ جاء به البحث، وأمَّا الخطأ والزلل والنسيان، فمن نفسي، ومن الشيطان، وأستغفر الله عنه وأتوب إليه، وأسأله سبحانه أن يغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، علانيته وسره.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



## المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتاب المقدس

العهد العتيق، (بيروت، طبع في مطبعة المرسلين اليسوعيين، 1882م).

ثالثاً: المصادر العربية

ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي، (ت: 658هـ=1259م). 1- التكملة لكتاب الصلة، جزآن، عني بنشره عزت العطار الحسيني، (مصر، مطبعة السعادة، ط1، 1956م). 2- الحلة السيرة، جزآن، تحقيق: حسين مؤنس، (القاهرة، الشركة العربية، للطباعة والنشر، ط1، 1963م).	
الأبشي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح، (ت: 850هـ=1446م). 3- المستطرف في كل فن مستظرف، جزآن، (القاهرة، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، 1368هـ).	
ابن الأحرر، إسماعيل بن يوسف بن محمد، (ت: 807هـ=1404م). 4- بيوتات فاس الكبرى، (الرباط، دار المنصور، 1973م).	
الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الحمودي، (ت: 560هـ=1164م). 5- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (بيروت، عالم الكتب، ط1، 1409هـ-1989م). 6- وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تصحيح ونشر: هنري بيريس، (الجزائر، دار الكتاب، 1957م).	
ابن آدم، يحيى القرشي، (ت: 203هـ=818م). 7- كتاب الخراج، (القاهرة، المطبعة السلفية، 1347هـ).	



ابن إسحاق، محمد المطليبي، (ت: 152هـ=769م). 8- السيرة النبوية، 4 ج، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شليبي، (القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1375هـ-1955م). اشتهر الكتاب بسيرة ابن هشام.	
الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، (ت: في النصف الأول من القرن الرابع الهجري). 9- المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، (مصر، 1381هـ=1961م).	
ابن أبي أصبيعة، أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الجزري، (ت: 668هـ=1269م). 10- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا، (بيروت، دار مكتبة الحياة، 1965م).	
ابن باقودا، يحيى بن يوسف، (عاش في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي). 11- الهداية إلى فرائض القلوب، اعتنى بطبعه من أصل نسخة أوكسفورد وباريس وبترسبورج: إبراهيم سالم بنيامين، (ليدن، ط1، 1907م-1912م).	
البخاري، أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن، (ت: 256هـ=869م). 12- صحيح أبي عبد الله البخاري بشرح الكرمانلي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت).	
ابن بسام المحتسب، 13- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق وتعليق: حسام الدين السامرائي، (بغداد، مطبعة المعارف، 1968م).	
ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك الخزرجي الأنصاري، (ت: 578هـ=1182م). 14- الصلة، قسمان، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1410هـ-1989م).	

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، (ت: 487هـ=1094م). 15 - المسالك والممالك، تحقيق وتقديم: أدريان فان ليوفن، وأنديري فيري، (قرطاج، بيت الحكمة، الدار العربية للكتاب، د.ت). 16 - المسالك والممالك، (الجزء الخاص بالأندلس وأوروبا)، تحقيق: عبد الرحمن الحججي، (بيروت، دار الإرشاد، ط1، 1968م).	
البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، (ت: 279هـ=892م). 17 - فتوح البلدان، 3ق، في 1م، نشره ووضع ملاحقه وفهارسه: صلاح الدين المنجد، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1957م).	
ابن بلقين، الأمير عبد الله بن باديس بن حبوس بن زيري، (انتهى حكمه لغرناطة، سنة 483هـ=1090م)، 18 - التبيان، حققه ونشره: إ. ليفي بروفنسال، تحت عنوان: مذكرات الأمير عبد الله، آخر أمراء بني زيري بغرناطة، (القاهرة، دار المعارف، 1955م).	
بنيناامين، التطيلي، بن يونه النباري الأندلسي، (قام برحلته من سنة 561-569هـ=1165-1173م). 19 - رحلة بنيامين، ترجمة: عزرا حداد، (بغداد، المطبعة الشرقية، ط1، 1364هـ-1945م).	
ابن جبير، محمد بن أحمد، (ت: 614هـ=1217م). 20 - رحلة ابن جبير، (بيروت، دار مكتبة الهلال، 1981م).	
الجرسوقي، عمر بن عثمان بن العباس، (ت: في النصف الأول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي). 21 - رسالة عمر بن عثمان بن العباس الجرسوقي في الحسبة. نشرت ضمن كتاب: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، (القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1955م).	
ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي، (توفي بعد سنة 377هـ=987م)، 22 - طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، (القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955م).	

<p>الأندلسي، أبو محمد علي بن محمد، (ت: 465هـ=1063م).</p> <p>23- الرد على ابن النغيلة اليهودي، ورسائل أخرى لابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، (القاهرة، مكتبة دار العروبة، 1960م).</p> <p>24- رسائل ابن حزم الأندلسي، 4ج، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1401هـ-1980م).</p> <p>25- رسالة أبي محمد بن حزم في فضائل الأندلس، قدم لها ونشرها مع رسائل أخرى: صلاح الدين المنجد، تحت عنوان: فضائل الأندلس وأهلها، (دار الكتاب الجديد، ط1، 1387هـ-1968م).</p> <p>26- طوق الحمامة في الألفة والألاف، حققه وقدم له: صلاح الدين القاسمي، (تونس، دار أبو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1979م).</p> <p>27- الفصل في الملل والأهواء والنحل، نشر مع كتاب «الملل والنحل» لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، 4ج، (طبعة سنة 1321هـ).</p>	<p>ابن حزم،</p>
<p>أبو الحسن علي بن يوسف، (ت: بعد 759هـ=1357م).</p> <p>28- الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، نشر: حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، (م6، ع1-2، 1378هـ-1958م).</p>	<p>الحكيم،</p>
<p>محمد بن عبد المنعم، (ت: 827هـ=1423م).</p> <p>29- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (القاهرة، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، 1980م).</p> <p>30- صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار، عني بنشره: إ. ليفي بروفنسال، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1937م).</p>	<p>الحميري،</p>
<p>أبو القاسم النصيبي، (ت: 380هـ=990م).</p> <p>31- صورة الأرض، القسم الأول، (ليدن، مطبعة بريل، 1938م).</p>	<p>ابن حوقل،</p>

ابن حيّان،	أبو مروان حيّان بن خلف، (ت: 469هـ=1076م). 32- المقتبس في أخبار بلد الأندلس، الجزء الثالث، نشر: ملشور م. أنطونيه، (باريس، 1937م). 33- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، (بيروت، دار الكتاب العربي، 1973م). 34- المقتبس، ج5، اعتنى بنشره: ب. شالميتا، بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع ف. كورنيطي، و م. صبح وغيرهما، (مدريد، المعهد الأسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، 1979م). 35- المقتبس في أخبار بلد الأندلس، جزء مختص بخمس سنوات من خلافة المستنصر، تحقيق: عبد الرحمن علي الحججي، (بيروت، 1385هـ-1965م).
ابن الخراط	الإشيلي، أبو محمد (ت: 581هـ-1186م). 36- الأندلس في اقتباس الأنوار، وفي اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق وتقديم: إيميليو مولينا، وخاينوبوسك بيلا، (مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، 1990م). شارك معه في تأليفه أبو محمد الرشاطي.
ابن خرداذبة،	أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، (ت: 300هـ=912م). 37- المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر الحسيني، (مصر، 1381هـ-1961م).
الخزرجي،	أحمد بن عبد الصمد، (ت: 592هـ=1186م). 38- مقامع الصلبان، تحقيق: عبد المجيد الشرفي، (تونس، الجامعة التونسية، نشرية مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، 1975م).
الخشني،	أبو عبد الله محمد بن الحارث، (ت: 361هـ=971م). 39- قضاة قرطبة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1402هـ-1982م).

<p>لسان الدين محمد بن عبد الله التلمساني (ت: 776هـ=1374م).</p> <p>40- الإحاطة في أخبار غرناطة، 4 ج، تحقيق: محمد عبد الله عنان، (القاهرة، الشركة المصرية للطباعة والنشر، ط 2، 1393هـ-1973م).</p> <p>41- أعمال الأعلام (القسم الثاني)، حققه ونشره: إ. ليفي بروفنسال، تحت عنوان: تاريخ أسبانيا الإسلامية، (بيروت، دار المكشوف، ط 2، 1956م).</p> <p>42- أعمال الأعلام (القسم الثالث)، أحمد مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني، نشر تحت عنوان: «تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط»، (المغرب، الدار البيضاء، 1964م).</p> <p>43- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، (القاهرة، المطبعة السلفية، 1347هـ).</p> <p>44- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، نشر وتعليق: أحمد مختار العبادي، (بغداد، دار الشؤون الثقافية، د.ت).</p>	<p>ابن الخطيب،</p>
<p>عبد الرحمن بن محمد، (ت: 808هـ=1406م).</p> <p>45- المقدمة، (بيروت، ط 3، 1967م).</p> <p>46- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 7 ج، (طبعة 391هـ-1971م).</p>	<p>ابن خلدون،</p>
<p>سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي، السجستاني، (ت: 275هـ=888م).</p> <p>47- سنن أبي داود، 2 ج، (مصر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط 1، 1371هـ-1952م).</p>	<p>أبو داود،</p>
<p>أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي. (ت: 797هـ=1336م)، زاده وعلقه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، (ت: 839هـ=1435م).</p> <p>48- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تصحيح وتعليق: إبراهيم شبوح، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط 2، 1968م).</p>	<p>الـدبـاغ،</p>
<p>شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت: 748هـ=1347م).</p> <p>49- العبر في خبر من عبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (الكويت، 1960م).</p>	<p>الـذـهـبي،</p>

<p>أبو عبد الله شمس الدين محمد بن إسماعيل، (ت: 853هـ=449م)، 50- الممتنع السهل في ترجمة وشعر ابن سهل، تحقيق وتعليق: محمد قوبعة، (حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع19-1980م).</p>	<p>الراعي،</p>
<p>أبو محمد (ت: 542هـ=1147م). 51- الأندلس في اقتباس الأنوار، وفي اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق وتقديم: إميلو مولينا، وخاينوبوسك بيللا، (مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، 1990م). شارك معه في تأليفه ابن الخراط الإشبيلي.</p>	<p>الرشاطي،</p>
<p>أبو يحيى عبيد الله بن أحمد، (ت: 694هـ=1294م). 52- أمثال العوام في الأندلس، تحقيق ونشر: محمد بن شريف (فاس، مطبعة محمد الخامس، 1395-1975م).</p>	<p>الزجالي،</p>
<p>أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، (ت: 894هـ=1488م). 53- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق: محمد ماضوره، (تونس، ط2، 1966م).</p>	<p>الزركشي،</p>
<p>محمد بن القاسم الأنصاري، (ت: بعد 825هـ=1421م). 54- اختصار الأخبار عما كان بثغر سبته من سني الآثار، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، (الرباط، المطبعة الملكية، مطبوعات القصر الملكي، 1389هـ، 1969م).</p>	<p>السيبتي،</p>
<p>الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك، (ت: 685هـ=1286م). 55- اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّي، اختصار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة، دار الكتب الإسلامية، ط2، 1400هـ-1980م). 56- تذييل ابن سعيد على جواب ابن حزم، قدم لها ونشرها مع رسائل أخرى صلاح الدين المنجد، تحت عنوان فضائل الأندلس وأهلها، (دار الكتاب الجديد، ط1، 1387هـ=1968م). 57- الغصون الياقة في محاسن شعراء المئة السابعة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (مصر، دار المعارف، ط2). 58- المغرب في حلى المغرب، جزآن، تحقيق وتعليق: شوقي ضيف، (مصر، دار المعارف، ط2، 1964م).</p>	<p>ابن سعيد</p>

السلفي، صدر الدين أبو طاهر، أحمد بن محمد، (ت: 576هـ=1180م). 59- أخبار وتراجم أندلسية، مستخرجة من معجم السفر للسلفي، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الثقافة، ط1، 1963م).	
ابن سلمون الكناني، أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن علي. 60- العقد المنظّم للحكام بما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام. نشر بهامش كتاب: ابن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأفضية والأحكام، (القاهرة، مطبعة محمد مصطفى، 1302هـ).	
ابن السماك العاملي، أبو القاسم محمد بن أبي العلا، (ت: في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي). 61- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، (الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ط1، 1979م).	
السموءل بن يحيى بن عباس المغربي، (570هـ=1174م). 62- الباهر في الجبر، تحقيق وتحليل، صلاح أحمد ورشدي راشد، (دمشق، مطبعة الجامعة، 1972م). 63- بذل المجهود في إفحام اليهود، تقديم: محمد أحمد الشامي، (القاهرة، مطبعة الفجالة الجديدة، د.ت).	
ابن سهل، الإشيلي الإسرائيلي، أبو إسحاق إبراهيم، (ت: 649هـ=1251م). 64- ديوان ابن سهل، تحقيق وشرح: بطرس البستاني، (بيروت، مكتبة صادر، 1953م).	
ابن سهل، أبو الأصبع عيسى، (ت: 486هـ=1093م). 65- الأحكام الكبرى، استخرجها وحققها ونشرها: محمد عبد الوهاب خلاف، (القاهرة، المركز العربي للدول والإعلام، 1400هـ=1980م). نشرت قطعة منها تحت عنوان: وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبع عيسى بن سهل.	
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: 911هـ=1505م). 66- الجامع الصغير من حديث البشير القدير، (مصر، مطبعة الحلبي البابلي، ط4، 1373هـ). 67- طبقات الحفاظ، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1983م).	

الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، (ت: 790هـ=1388م). 68- الإفادات والإنشاءات، تحقيق: أبو الأجنان، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1983م).	
ابن الشباط، محمد بن علي التوزري، (ت: 681هـ=1282م). 69- صلة السمط وسمة المرط، (قطعة منه)، تحقيق: أحمد مختار العبادي، (مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1971م)، نشره ضمن كتاب: «تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، ووصفه لابن الشباط، نصان جديدان».	
الشقندي، إسماعيل بن محمد، (ت: 629هـ=1231م). 70- رسالة إسماعيل بن محمد الشقندي في فضل الأندلس. نشرت ضمن كتاب: «فضائل الأندلس وأهلها»، نشر: صلاح الدين المنجد، (دار الكتاب الجديد، ط1، 1387هـ=1968م).	
الشتريني، أبو الحسن علي بن بسام، (ت: 542هـ=1147م). 71- الذخيرة، في محاسن أهل الجزيرة، 4ق، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 399هـ=1979م).	
ابن صاحب الصلاة، عبد الملك، (ت: 594هـ=1198م). 72- المن بالإمامة وتاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق: عبد الهادي التازي، (بيروت، دار المغرب الإسلامي، ط3، 1987م).	
ابن صاعد الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحمد، (ت: 462هـ=1050م). 73- طبقات الأمم، نشر: لويس شيخو اليسوعي، (بيروت، المطبعة الكاثولوكية للآباء اليسوعيين، 1912م).	
الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، (ت: 599هـ=1202م). 74- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، (القاهرة، دار الكتاب اللبناني، 1967م).	
الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، (ت: 310هـ=922م). 75- تاريخ الرسل والملوك، 11ج، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، دار المعارف بمصر، 1968م).	



ابن عاصم	الغرناطي، أبو يحيى محمد، (ت: 857هـ=1453م). 76- جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، 3م، تحقيق: صلاح جرار، (عمان، دار البشير، 1410هـ-1989م).
ابن عبد الله	الإسرائيلي القرطبي، أبو عمران موسى، (ت: 601هـ=1204م). 77- شرح أسماء العقار، نشر وتصحيح ومراجعة ماكس مايرهوف، (بغداد، مكتبة المثنى، 1940م).
ابن عبد	الرؤوف، أحمد بن عبد الله، (ت: في النصف الأول من القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي). 78- رسالة أحمد عبد الله بن عبد الرؤوف في آداب الحسبة والمحتسب، حققها نشرها: إ. ليفي بروفنسال، مع رسائل أخرى، تحت عنوان، ثلاث رسائل أندلسية، في آداب الحسبة والمحتسب، (القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية بالقاهرة، 1955م).
ابن عبد ربه	الأندلسي، أبو عمر أحمد بن محمد، (ت: 328هـ=949م). 79- العقد الفريد، خرجه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهرسه: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1967م).
ابن عبد الملك	المراكشي، أبو عبد الله بن محمد بن محمد، (ت: 703هـ=1303م). 80- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، الأسفار من 4-6، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الثقافة، ط1، 1973م).
عبد الواحد	المراكشي، (ت: 647هـ=1249م). 81- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبط وتصحيح: محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، (القاهرة، مطبعة الاستقامة، ط1، 1368هـ-1949م).
ابن عبدون	محمد بن أحمد التجيبي، (ت: في النصف الأول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي). 82- رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، حققها ونشرها: إ. ليفي بروفنسال، مع رسائل أخرى، تحت عنوان: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب. (القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية بالقاهرة، 1955م).

ابن العبري، غريغوريوس الملطي، (685هـ=1286م). 83- تاريخ مختصر الدول، (بيروت، ط2، 1958م).	
ابن عذاري، أبو عبد الله محمد المراكشي، (ت: بعد 712هـ=1312م). 84- البيان المغرب في أخبار أهل الأندلس والمغرب، 4ج، تحقيق ومراجعة: ج.س. كولان، وإ. ليفي بروفنسال، (بيروت، دار الثقافة، د.ت).	
العذري، أحمد بن عمر بن أنس، (478هـ=1085م). 85- ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان، والمسالك إلى جميع الممالك. تحقيق: عبد العزيز الأهواني، (مريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1965م).	
ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن هبة الله، (ت: 571هـ=1175م). 86- تهذيب تاريخ دمشق الكبير، تهذيب وترتيب: عبد القادر بدران، (بيروت، دار المسيرة، د.ت).	
ابن العطار، محمد بن أحمد الأموي، (ت: 399هـ=1008م). 87- كتاب الوثائق والسجلات. تحقيق ونشر: ب. شالميتا، ف. كورنيطي، (مريد، مجمع الموثقين المجريطي، المعهد الأسباني العربي للثقافة، 1983م).	
العماد، الأصفهاني، أبو عبد الله محمد بن محمد، (ت: 597هـ=1200م)، 88- خريدة القصر وجريدة العصر، 4ق، تحقيق: عمر الدسوقي، وعلي عبد العظيم، (القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت).	
ابن عمر، يحيى، (ت: 289هـ=901م). 89- أحكام السوق، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، راجعه وأعداه للنشر: فرحات الدشراوي، (تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1975م).	
عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض، (ت: 544هـ=1149م). 90- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، 4ج، تحقيق: أحمد بكير محمود، (بيروت، منشورات دار الحياة، ليبيا، دار الفكر، 1968م).	

ابن غالب	البلنسي، محمد بن أيوب، (عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي). 91- «نص أندلسي جديد، قطعة من كتاب فرحة النفس في تاريخ الأندلس»، تحقيق: لطفي عبد الوحيد، (القاهرة، 1956م).
ابن فرحون،	برهان الدين أبو الوفاء إبراهيم اليعمري (ت: 799هـ=1396م). 92- تبصرة الحكام في أصول الأقضية والأحكام، 2ج، (القاهرة، مطبعة محمد مصطفى، 1302هـ).
ابن الفرضي،	أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي، (ت: 403هـ=1012م). 93- تاريخ علماء الأندلس، (القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966م).
القابسي،	علي بن محمد بن خلف الأندلسي القيرواني، (ت: 403هـ=1012م). 94- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، «نشرها الأهواني ضمن كتابه: «التعليم في رأي القابسي»، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، 1342هـ=1940م).
القـرـافي،	شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، (ت: 684هـ=1285م). 95- الفروق، 4ج، (مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1344هـ).
القزويني،	زكريا، (ت: 682هـ=1283م). 96- آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت، دار صادر، 1380هـ=1960م).
ابن القطان،	أبو الحسن علي بن عبد الملك بن يحيى الكتامي الفاسي، (ت: 628هـ=1230م). 97- نظم الجمان، تحقيق: محمود علي مكي، (الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، د.ت).
القفطسي،	جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطسي، (ت: 646هـ=1248م). 98- أخبار العلماء بأخبار الحكماء، (بيروت، دار الآثار، د.ت).
القلقشندي،	أحمد بن علي بن أبي اليمن، (ت: 825هـ=1418م). 99- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (مصر، المؤسسة المصرية العامة، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، د.ت).

ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر، (ت: 367هـ=977م). 100 - تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، (بيروت، دار النشر، للجمعيين، 1957م).	
ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، (ت: 751هـ=1350م). 101 - أحكام أهل الذمة، 2ق، تحقيق وتعليق: صبحي صالح، (بيروت، دار العلم للملايين، ط2، 1983م). 102 - زاد المعاد في هدى خير العباد، (دار الفكر، ط2، 1392هـ=1972م).	
ابن كثير، عماد الدين إسماعيل أبو الفداء، (ت: 774هـ=1332م). 103 - السيرة النبوية، 4ج، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1385هـ=1965م). 104 - مختصر تفسير ابن كثير، 3م، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، (بيروت، دار القرآن الكريم، 1402هـ=1981م).	
ابن الكردبوس، أبو مروان بن عبد الملك بن الكردبوس التوزري، (ت: بعد 713هـ=1313م). 105 - الاكتفاء في أخبار الخلفاء، (قطعة منه)، نشر تحت عنوان: «تاريخ الأندلس، لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط».	
مالك بن أنس، الأصبحي، (ت: 179هـ=795م). 106 - المدونة الكبرى، 16ج، في 8م، (العراق، مطبعة السعادة، بغداد، مكتبة المشني، 1323هـ).	
المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد، (ت: 1061هـ=1650م). 107 - رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم وعبادهم ونسأكلهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج1، قام على نشره: حسين مؤنس، (القاهرة، ط1، 1951م).	
المأوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، (ت: 450هـ=1058م). 108 - الأحكام السلطانية والولايات الدينية، (بغداد، 1409هـ=1989م).	

مجـهـــــــــول	المؤلف، (من أهل القرن الرابع أو الخامس الهجري). 109 - أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1401هـ-1981م).
مجـهـــــــــول	المؤلف، (عاش في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي). 110 - كتاب الطبخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، م9، 10، (مدريد، 1961-1962م).
مجـهـــــــــول	المؤلف. 111 - نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تحقيق: الفريد البستاني، (المغرب، مطبعة الفنون المصورة، 1940م).
مجـهـــــــــول	المؤلف. 112 - وصف الأندلس، نشر حسين مؤنس نصوصاً منه في تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، (مدريد، ط1، 1967م).
المجـيـــــــــلي،	أحمد سعيد، (ت: 1094هـ=1682م). 113 - كتاب التيسير في أحكام التسعير، تقديم وتحقيق: موسى لقبال، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1971م).
المقـدـســــــــي،	أبو عبد الله محمد بن أحمد، (ت: 380هـ=990م). 114 - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (لیدن، مطبعة بريل، ط2، 1967م).
ابن المقرب	العيوني، جمال الدين أبو عبد الله بن علي، (ت: 629هـ=1231م). 115 - ديوان ابن المقرب، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر، ط1، 1383هـ-1963م).
المقــــــــري،	شهاب الدين أحمد التلمساني، (ت: 1041هـ=1631م). 116 - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، م8، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، 1408هـ=1988م).

الناصرى، أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي، (ت: 1279هـ=1863م). 117- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، (الدار البيضاء، 1954م).	
النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن، (ت: 776هـ=1374م). 118- كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نشره: إ. ليفي بروفنسال، تحت عنوان: «تاريخ قضاة الأندلس»، (القاهرة، دار الكتاب المصري، 1948م).	
النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت: 733هـ=1332م). 119- نهاية الإرب في فنون الأدب، 21 ج، (مصر، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والنشر، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، د.ت).	
الونشريسي، أحمد بن يحيى، (ت: 914هـ=1508م). 120- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، 13 ج، خرجه جماعة من العلماء بإشراف: محمد حجي، (بيروت، دار المغرب الإسلامي، 1981م).	
يـاقوت، شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله، (ت: 626هـ=1228م). 121- معجم البلدان، 5 ج، (بيروت، دار صادر، ودار بيروت، 1957م).	
بـويعلى، الفراء، محمد بن حسين، (ت: 458هـ=1065م). 122- الأحكام السلطانية، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).	
أبـويوسف، يعقوب ابن إبراهيم، (ت: 182هـ=798م). 123- الخراج، (القاهرة، المطبعة السلفية، ط4، 1392هـ-1972م).	

رابعاً: المراجع العربية والمعرية.

أرسلان، شكيب. 1- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية 3 ج، (المغرب، فاس، 1355 هـ، 1936 م).	
أوروسوس، 2- تاريخ العالم، الترجمة العربية القديمة، تقديم وتحقيق: عبد الرحمن بدوي، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 1982 م).	
أوليري، دي لاس. 3- الفكر العربي ومركزه في التاريخ، نقله إلى العربية وعلق عليه: إسماعيل البيطار، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1982 م).	
بالثيا، آنخل جنثال. 4- تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمه عن الأسبانية: حسين مؤنس، (القاهرة، مكتبة النهضة، ط 1، 1955 م).	
بدر، أحمد. 5- دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة، (دمشق، ط 2، 1972 م).	
البلعكي، منير. 6- المورد، (بيروت، دار العلم للملايين، 1983 م).	
بيرنيز، يواكيم. 7- بابوات من الحي اليهودي، ترجمة خالد أسعد عيسى، مراجعة وتقديم: سهيل زكار، (دمشق، دار حسان للطباعة والنشر، ط 1، 1985 م).	
التل، عبد الله. 8- خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، (بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط 2، 1979 م).	

الجـالي، محروس.	9- أبو نواس الأندلس، ابن سهل الإسرائيلي، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1986 م).
جـلال، ألفت محمد.	10- الأدب العبري القديم والوسيط، (القاهرة، مطبعة جامعة عين شمس، 1978 م).
جواد علي.	11- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت، دار العلم للملايين، بغداد، مكتبة النهضة، ط2، 1976 م).
جوايتاين، س.د.	12- دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق: عطية القوصي، (الكويت، وكالة المطبوعات، ط1، 1980 م).
الحـارـدلو، إبراهيم.	13- التوراة واليهود في فكر ابن حزم، (الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1982 م).
حاتـمـه، محمد عبده.	14- أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، (الأردن، عمان، 1416 هـ-1996 م).
الحـجـي، عبد الرحمن علي.	15- التاريخ الأندلسي، من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897 هـ=711-1492 م)، (دمشق، دار القلم، بيروت، دار المنارة، ط3، 1407 هـ-1987 م).
حـركـات، إبراهيم،	16- النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، (الدار البيضاء، منشورات مكتبة الوحدة العربية، د.ت). 17- المغرب عبر التاريخ، ج1، (الدار البيضاء، دار الإرشاد الحديثة، ط2، د.ت).



الحفني، عبد المنعم. 18- الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، (بيروت، دار المسيرة، ط1، 1980م).	
خان، ظفر الإسلام. 19- التلمود، تاريخه وتعاليمه، (بيروت، دار النفائس، ط2، 1972م).	
الخضري، محمد فريد بك. 20- تاريخ الأمم الإسلامية، (القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط8، 1382هـ).	
خلاف، محمد عبد الوهاب. 21- تاريخ القضاء في الأندلس، (القاهرة، ط1، 1314هـ-1992م).	
خلف الله، ابتسام المرعي. 22- العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، (القاهرة، دار المعارف، 1405هـ-1985م).	
الخوري، إميل. 23- مؤامرة اليهود على المسيحية، (بيروت، دار العلم للملايين، 1947م).	
دنلوب، د.م. 24- تاريخ يهود الخزر، ترجمة: سهيل زكار، (دار الفكر، ط1، 1407هـ-1987م).	
الدوري، عبد العزيز. 25- المؤسسات الحكومية، المدينة الإسلامية، ترجمة: أحمد محمد تلعب، أشرف على النشر: د.ب. سرجنت، (اليونسكو، السيكمورنجر، 1983م).	
ديورانت، ول وايريل. 26- قصة الحضارة، ج3، م4، ترجمة: محمد بدران، (بيروت، دار الجيل، 1408هـ-1988م).	

راشد،	سيد فرج. 27- القدس عربية إسلامية، (الرياض، دار المريخ، 1406هـ-1986م).
أبورميّة،	هشام. 28- نظم الحكم في عصر الخلافة الأموية في الأندلس، (المكتبة العالمية، 1400هـ-1980م).
رينو،	جوزيف. 29- الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا في القرن الثامن والتاسع والعاشر الميلادي، تعريب وتعليق وتقديم: إسماعيل العربي، (الجزائر، دار الحداثة، ط1، 1984م).
الزواوي،	الطاهر أحمد. 30- ترتيب القاموس المحيط، (دار الفكر، ط3، د.ت).
الزعفراني،	حاييم. 31- ألف سنة من حياة اليهود في المغرب، تاريخ، ثقافة، دين، ترجمة: أحمد شعلان وعبد الغني أبو العزم، (الدار البيضاء، مطبعة دار قرطبة، 1987م).
الزغول،	جهاد غالب. 32- الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي، حتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، قسم التاريخ، 1994م.
أبوزهرة،	محمد. 33- أصول الفقه، (القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت).
الزّين،	حسن. 34- أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي، (بيروت، ط1، 1402هـ-1982م).

سالم، السيد عبد العزيز. 35- تاريخ مدينة المرية الإسلامية، قاعدة أسطول الأندلس، (الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، 1984 م). 36- قرطبة، حاضرة الخلافة في الأندلس، 2 ج، (الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1984 م).	
سرور، محمد شكري. 37- نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1978-1979).	
سوسة، أحمد. 38- مفصل العرب واليهود في التاريخ، (بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، ط5، 1980 م).	
شليبي، أحمد. 39- مقارنة الأديان: اليهودية، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1967 م).	
ضياء، باشا. 40- الأندلس الذاخرة، دول الطوائف ودولة المرابطين وبداية دولة الموحدين، تعريب: عبد الرحمن إرشيدات، مراجعة وتحقيق: صلاح إرشيدات، (عمان، 1989 م).	
طرخان، إبراهيم علي. 41- دولة القوط الغربيين، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1958 م).	
ظاظا، حسن. 42- الفكر الديني اليهودي، (دمشق، دار القلم، ط2، 1407 هـ-1987 م).	
عبد العليم، مصطفى كمال. 43- اليهود في مصر، في عهدي البطالمة والرومان، (القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ط1، 1968 م).	

عبد المجيد، 44- اليهود في الأندلس، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، 1970 م).	محمد بحر.
العجيري، 45- تقويم القرون لمقابلة التواريخ الهجرية والميلادية، (الكويت، منشورات ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1981 م).	صالح محمد.
العريني، 46- الدولة البيزنطية، (بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1982 م).	السيد الباز.
عنان، 47- دول الطوائف، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1، 1380 هـ، 1960 م). 48- دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، 2 ج، (القاهرة، 1380 هـ-1960 م). 49- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، (مصر، ط2، 1958 م).	محمد عبد الله.
فانيان. 50- تكميلات القواميس العربية، (بيروت، مكتبة لبنان، د.ت).	
فرحات، 51- غرناطة في ظل بني الأحمر، (بيروت، المؤسسة الجامعية للنشر، 1982 م).	يوسف شكري.
فيدر، 52- التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية، ترجمة محمد سالم الجرج، (مصر، مكتبة دار العروبة، 1965 م).	نفتالي.
الكاندهولي، 53- حياة الصحابة، 4 م، (دمشق، 1389 هـ-1996 م).	محمد يوسف.

الكيسي، 54 - الخراج، أحكامه ومقاديره، (بغداد، نشر جامعة بغداد، 1411هـ-1991م).	حمدان، عبد المجيد.
كحالة، 55 - الزواج، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1981م).	عمر رضا.
كحيلة، 56 - تاريخ النصارى في الأندلس، (القاهرة، ط1، 1414هـ-1993م).	عبادة.
كراتشكوفسكي، 57 - تاريخ الأدب الجغرافي العربي، 2 ج، نقله إلى العربية: صلاح الدين عثمان هاشم، قام بمراجعته إيغور بلبايف، (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1963م).	أغناطيوس يوليا نوفتش.
الكلية العسكرية. 58 - قاموس التحرير العبري العربي، (بغداد، ط1، 1973م).	
الكواتي، 59 - اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1411-1412هـ-1990-1991م).	مسعود.
كولان، 60 - الأندلس، (لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، إبراهيم خورشيد وآخرون، بيروت، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، دار الكتاب المصري، 1980م).	ج.س.
كيب، 61 - مدنية المسلمين في أسبانيا، ترجمة: محمد تقي الدين الهلالي، (الرباط، 1985م).	جوزيف ماك.

مؤنس، حسين. 62- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، (مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، ط1، 1967م). 63- فجر الأندلس، (القاهرة، ط1، 1959م).	
مرعشلي، نديم وأسامة. 64- الصحاح في اللغة والعلوم، (بيروت، دار الحضارة العربية، 1974م).	
مظهر، سليمان. 65- قصة الديانات، (دار الوطن العربي، د.ت).	
الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة. 66- مكائد يهودية، (دار القلم، ط1، 1394هـ-1974م).	
ناجي، س. 67- المفسدون في الأرض، (دمشق، العربي للإعلان والنشر والطباعة، ط2، 1973م).	
النشار، علي سامي، والشربيني، عباس أحمد. 68- الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية، (الإسكندرية، منشأة المعارف، 1972م).	
النصولي، أنيس زكريا. 69- الدولة الأموية في قرطبة، (بغداد، 1926م).	
هنداوي، إبراهيم موسى. 70- الأثر العربي في الفكر اليهودي، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1963م).	

هــوبكنز، ج.ف.ب.	71- النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة: أمين توفيق، (ليبيا، تونس، الدار العربية للكتابة، 1980 م).
ولفنسون، إسرائيل.	72- موسى بن ميمون، حياته ومصنفاته، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ط2، 1355هـ-1936م).
يوسايبوس، القيصري.	73- تاريخ الكنيسة، ترجمة: القس مرقص داود، (القاهرة، دار الكرنك للنشر والطباعة والتوزيع، 1966 م).

خامساً: المقالات في الدوريات العربية.

أحمد، علي.	1- اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، مجلة: آفاق الثقافة والتراث، (تصدر عن إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدولة الإمارات، السنة الخامسة، ع17، محرم، 1418هـ-مايو، 1997 م).
الأهـواني، عبد العزيز.	2- على هامش ديوان ابن قزمان، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، (مدريد، م18، 1974-1975 م).
بـدوي، عبد الرحمن.	3- رسائل جديدة لابن ماجه، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، (مدريد، م15، 1970 م).
البشـري، سعد عبد الله.	4- ترجمة الكتب العربية، مجلة جامعة أم القرى، (مكة المكرمة، السنة الأولى، ع2، 1409هـ).

بوتشيش.	5- المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس، مجلة دراسات أندلسية، (تونس، ع11، 1984م).
الحسين، يعقوبي.	6- قصائد غير منشورة في الاستصراخ والإصراخ، مجلة دراسات أندلسية، (تونس، ع5، 1411هـ-1990م).
خطاب، محمود شيت.	7- الأندلس وما جاورها، مجلة المجمع العلمي العراقي، (بغداد، ج4، م38، ربيع الثاني، 1408هـ-كانون الأول، 1987).
راشد، سيد فرج.	8- دور الحضارة الإسلامية في تكوين الأدب العبري في الأندلس، مجلة المنهل، (م45، ذو القعدة/ ذو الحجة، 1403هـ، 1983م).
شـحـلان، أحمد.	9- من الأدب العربي العبري، أبو هارون موسى بن يعقوب بن عزرا، وكتابه المحاضرة والمذاكرة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (الرباط، جامعة محمد الخامس، ع5، 1984م). 10- تأثير الآداب العربية في الآداب العبرية، مجلة دراسات مغربية في الفلسفة والتراث والفكر العربي الحديث، (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1985م).
عبد الرحمن، زكي.	11- العلم والعلماء في دولة المماليك البحرية المصرية، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمديرد، (مديرد، م15، 1970م).
عبد العزيز، هشام فوزي.	12- يهود الأندلس في ظل الحكم الإسلامي، مجلة دراسات أندلسية، (تونس، ع15، رمضان، 1416هـ-1996م).



طاهر، حامد.	13- منهج النقد التاريخي عند ابن حزم، (جامعة قطر، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ع6، 1408هـ-1988م).
ظاظا، حسن.	14- اليهود في أسبانيا الإسلامية، (مجلة الفيصل، ع26، جمادى الآخرة، 1410هـ-نوفمبر-ديسمبر، 1994م).
قارة، حياة.	15- أندلسي في حلب، دراسة لترجمة خطية لابن شاذول الحريزي الطليطي، مجلة دراسات مغربية، (ع8، 1998م).
الكيسي، خليل إبراهيم.	16- غزوات النورمانيين على الأندلس في عصر الإدارة الأموية، مجلة المؤرخ العربي (بغداد، تصدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، ع40، السنة الرابعة عشرة، 1409هـ-1989م).
مؤنس، حسين.	17- نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، (520-540هـ=1126-1145م)، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، (مدير، م6، ع3، رسالة رقم1، 1954م).

سادساً: المراجع الأجنبية

**ASHTOR,ELIYAHU**

**1- THE JEWS OF MOSLEM SPAIN, 3VOLUMES, (PHILADELPHIA,1979)**

**BEAR,YITZHAK.**

**2- AHISTORY OF THE JEWS IN GHRISTAIN SPAIN,(PHILADELPHIA,1966).**

**DUBNOV,SEMON,MARKOVICH**

**3- HISTORY OF THE JEWS FROM THE ROMANEMPIRE TO THE EARLY MEDIEVAL PERIOD,5VOLUMES,( NEW YORK,1973).**

**GILBERT,MARTIN.**

**4- JEWISH HISTORY ATLAS,( LONDON,1969).**

**GOITEN,SOLOMON,DOB FREITS.**

**5- JEWS AND ARABS, THEIR CONTACTS THROUGH THE AGES,N.Y:S-CHOCKEN BOOKS,1967)**

**6- LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, ( PRINCETON UNIVERSITY,1973).**

**ISIDOR OF SEVILLE,S**

**7- HISTORY OF THE KINGS OF THE GOTHES, VANDAL,S AND SUEVI,(LEIDEN, 1966 )**

**LINDO,E.H.**

**8- THE HISTORY OF THE JEWS OF SPAIN AND PORTUGAL,( NEW YORK, 1970).**

**MANN,JACOB.**

**9- TEXTS AND STUDIES IN JEWISH HISTORY AND LITERATURE, 2 VOLUMES, ( NEW YORK, 1972).**

**NEUMAN, ABRAHAM A.**

**10- THE JEWS IN SPAIN, 2 VOLUMES, ( PHELADELPHIA, 1944).**

**SALO, BARON.**

**11- ASOCIAL AND RELIGIOUS HISTORY OF THE JES, (COLOMBIA, 1957).**

**SCHEINDIN, ROYMOND P.**

**12- THE JEWS IN MOSLEM SPAIN, THE LEGACY OF MOSLEM SPAIN, SALMA KHADRA JAYYUSI, ( EDITOR, 1992).**

**WAMXMAN.**

**13- AHISTORY OF JEWISH LITERATURE, ( N.Y.BLOCH PUPLISHING COMPANY, 1938).**

سابعاً: المقالات في الموسوعات اليهودية

ASHTOR, ELIAHU.

1- SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15,(JERUSALEM, 1972)

BEINART, HAIM.

2-CORDOBA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15 ,(JERUSALEM 1972)

3- GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7 (JERUSALEM, 1972)

4- LUCENA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11,(JERUSALEM 1972)

5- MALAGA, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.11, ,(JERUSALEM, 1972)

6- MURCIA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.12,(JERUSALEM, 1972)

7- SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14,(JERUSALEM, 1972).

8- TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15,(JERUSALEM, 1972)

BROYDE, ISAAC

9- SPAIN, THE JEWISH ENCECLOPEDIA, ( NEW YORK, KTAV, PUBLISHING HOUSE, INC, 1901), VOL,11.

DAVIS, ELL.

10-TORTOSA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14, (JERUSALEM, 1972).

EDITORIAL STAFF.

11- SEVILLE, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.14,(JERUSALEM, 1972).

GRUNHUT, LUZARUS.

12- MOSES B. MAIMON THE JEWISH ENCECLOPEDIA, VOL,9. NEW YORK, KTAV, PUBLISHING HOUSE, INC, 1901).

KEYSERLING, MAYER.

13- SEVILLE, THE JEWISH ENCECLOPEDIA, VOL,11. ( NEW YORK, KTAV, PUBLISHING HOUSE, INC, 1901).

14- TOLEDO, THE JEWISH ENCECLOPEDIA, VOL12. ( NEW YORK, KTAV, PUBLISHING HOUSE, INC, 1901).

.LANDMAN, ISAAC

15- PUMBEDITHA, THE UNIVERSAL JEWISH ENCECLOPEDIA, VOL.9, (NEW YORK,1969).

16- SURA, THE UNIVERSAL JEWISH ENCECLOPEDIA, VOL.10, (NEW YORK,1969).

S.SCH.

17- SPAIN, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15,(JERUSALEM, 1972).

CECIL ROTH.

18- SPAIN, THE STANDARD JEWISH ENCECLOPEDIA, (JERUSALEM, TEL AVIV, 1958-1959).

## ASAT

The theme of this dissertation is Jews in the Arabic Islamic State in Andalus (92-897H=711-1492) where it was covered in an introduction, six chapters and a conclusion. The dissertation showed that the Jews settled in the Iberian Island for the first time at the 6<sup>th</sup> century B.C., where they came as prisoners with the king Ishban, who had participated with Nabukhathnussar in invading Jerusalem.

The Jews were subjected to many nations and peoples whom have ruled this country and they were persecuted and hated at most times. The reasons behind hatred were that they were arrogant, ridiculed the beliefs of other nations and robbed their money. The visigoths were the cruelest towards Jews. Being Catholics they tried to convert them to Christianity, but when they failed; they ordered to turn them into slaves.

The dissertation also revealed that the Jews did not have any important role in conquering Andalus as they claim nowadays, and that they did no more than participating in guarding some of the conquered cities and they were always under Moslims command. It revealed also that the Moslims allowed the Jews to live in the cities of Andalus -inside the walls- after they were forbidden to do that in the era of visigoths, and that the Moslims leveled them with tribal Arab Moslims, and specified particular quarters for them in Andalus and did not force them to live inside them, on the country, they allowed them to live with the Moslims and mingle with them.

The dissertation showed that the eras in which the Andalus rules committed themselves to Islamic principles in dealing with Jews, had witnessed a natural, quite relations between Jews and ruling authorities from one hand, and between Moslims in the first three centuries of Islamic ruling to Andalus, where having good treatment and there were no complications leading to violent reactions against them. That happened also during the Muravits' era and in Granada for two and half centuries of its Islamic rule.

Some of the principalities rulers have deviated from the Islamic principals in dealing with Jews. So they made them close to them and appointed them some important official posts in their principalities including the post of the Granada vizir as happened in Granada during the time of Badis, where Ismael and his son Joseph after him were appointed to that post. The Jews at that era have gone beyond their limits and did not commit themselves to the (A'qd Al-thima), so they dominated the Moslims, ridiculed their beliefs and conspired on them and even on the rulers who took care of them. The results were a general misery both to Moslims and Jews. Where the former suffered the Jews cruelty and injustice even though they were living on Islamic Soil and under Islamic rule. The rulers on the other hand suffered from conspiracies of Jews against them. As for the Jews themselves, they suffered some harsh and violent relations, which led in general to excelling and killing great numbers of them.

At time of principalities the Jews tried to establish a Jewish state in Merya, where the Jewish vizir Joseph bin Ismeal bin Nagdelah had conspired with Ibn Somadih, the ruler of Merya, to hand him Granada in return of handing him Ibn Somadih of Merya to Ibn Nagdelah, to establish a Jewish state there. When word reached Granada Moslems they revolted against Jews, Killing Ibn Nagdelah and many of his partners and failed the attempt.

The Andalusian Jews showed allegiance and loyalty to Islamic authorities at the three centuries of Islamic rule to Andalus, and when that authority weakened during the principalities and later eras, and the Christian grew even more stronger, the Jews enhanced their conspiracies on the Islamic authorities and they have gone far beyond their limits.

Andalusian Jews were quite ungrateful to Moslems, where they participated Spanish Christians in persecuting the occupied Islamic cities and their inhabitants, and they provide them with required money for their wars against Andalus's Moslems and some times they have even participated in these wars.

On the other hand, Andalusian Moslems had natural social relations with Jews and treated them well and did them justice in spite of their bad qualities and their hatred and antagonism towards Moslems.

The Jews of Andalus used to have an official chief of their community called (Nasi) which was appointed by the Andalusian rulers. He was responsible to them on collecting tribute from Jews and handing it to them, in addition to organizing the community's religious, administrative and financial affairs. The Jews also had their judges and their own courts to hear their cases, and a special tax to finance their community affairs, in addition to other administrative and financial organizations. They were also allowed to practice all economic activities, but they concentrated their efforts on trade, especially slave traders where they made great profits, and they did not succeed only in some industries and cheap jobs that the Moslems scorned.

The dissertation showed also the great influence of Islamic culture on the Jews, where it changed their language, literature, legislation's and even their warships and rituals. The dissertation concluded that the Jews' sciences and intellectuals did not have creative minds as Jews claim, rather they were mere imitators of their Islamic teachers and they were affected greatly by their achievements.



## فهرس

بطاقة فهرسة .....	2
الإهداء .....	4
تقديم .....	5
رموز ومختصرات .....	8
الرمز .....	8
د.ت .....	8
المقدمة .....	9
تحليل المصادر .....	13
الفصل الأول اليهود في إسبانيا قبل الفتح الإسلامي .....	21
المبحث الأول الوجود اليهودي في إسبانيا .....	22
المبحث الثاني اليهود في إسبانيا إلى زمن تحول القوط إلى الكاثوليكية .....	32
المبحث الثالث اليهود تحت حكم القوط الكاثوليك .....	47
الفصل الثاني الاستقرار اليهودي في الأندلس .....	60
المبحث الأول تنظيم الاستقرار اليهودي في الأندلس .....	61
المبحث الثاني مراكز الاستقرار اليهودي وسط الأندلس .....	71
المبحث الثالث مراكز الاستقرار اليهودي جنوبي الأندلس .....	85
المبحث الرابع مراكز الاستقرار اليهودي غربي الأندلس .....	101
المبحث الخامس مراكز الاستقرار اليهودي شمالي الأندلس .....	107
الفصل الثالث اليهود والسلطة في الأندلس .....	127
المبحث الأول موقف اليهود من الفتح الإسلامي للأندلس .....	128
المبحث الثاني اليهود والسلطة من الفتح إلى نهاية عصر الخلافة (92-399هـ=711-1008م) .....	139
المبحث الثالث اليهود والسلطة في عصر الطوائف .....	160
المبحث الرابع اليهود والسلطة في عهود المرابطين والموحدين وسلطنة غرناطة .....	203
الفصل الرابع الحياة الاجتماعية لليهود في الأندلس .....	221
المبحث الأول الأوضاع الاجتماعية لليهود في الأندلس .....	222
المبحث الثاني العلاقات الاجتماعية بين المسلمين واليهود في الأندلس .....	247

276	..... الفصل الخامس التنظيمات الإدارية والاقتصادية لليهود في الأندلس
277	..... المبحث الأول التنظيمات الإدارية
293	..... المبحث الثاني النشاط الاقتصادي لليهود الأندلس
315	..... الفصل السادس الحياة الثقافية لليهود في الأندلس
316	..... المبحث الأول التربية والتعليم عند يهود الأندلس
325	..... المبحث الثاني النشاط اللغوي والأدبي لليهود في الأندلس
355	..... المبحث الثالث النشاط الفكري والعلمي لليهود في الأندلس
380	..... الخاتمة ونتائج البحث
384	..... المصادر والمراجع
413	..... ABSTRACT
415	..... فهرس